مجلة
كلـــية الآداب

المجلد التاسع والثلاثون العام الجامعى : ٩١ / ١٩٩٢

مجلة كلية الآداب فى يوبيلها الذهبى

بين الأدب والتاريخ	عدنان سليمان مرقى
المترجم العربى والمصالح اللغوى	محمد محمد حلمى هليل
كيرونة اللغة فى الفكر الغربى	محمد على الكردى
بعض الخواطر عن العبادات عند قدماء المصريين	نفيسة عبد الفتاح شاش
ذرائعا بين الاحتلام والأحلام	أمانى عبد الوهاب يحيى
دراسة حول التاريخ للأنبياء	محمد يوسى مورلن
الحجاز فى الفكر السياسى لمسلمى الهند	جمال حجر
السجون فى مصر الفرعونية	أحمد أمين سليم
أعلام السودان فى شرق الأسكندرية	محمد فريد أحمد فتحى
تنمية الساحل الجنوبى الشرقى لمصر	عيسى على ابراهيم
الكلمة الأسكندرية القديمة وأثرها فى حضارات العصر القديم	محمد على أبو ريان
الحق الاختيارى فى عقليات الجاسة وعلاقته ببعض المتغيرات الشخصية	عبد الرحمن بن سليمان الطريرى
الهجرة من الريف الى المدينة	سعيد تايع الكندى
المؤرخون يتحدثون عن حملة نابليون بونابرت على بلاد العرب	محمد عبودى ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة كلية الآداب
المجلد التاسع والثلاثون
العام الجامعي ٩١ / ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٦٤١٥ لسنة ١٩٩٢

تصدر « مجلة كلية الآداب » وإصداراتها محكمة عن كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة على الآلة الكاتبة من ثلاث نسخ . ويجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط مكتوبة على الآلة الكاتبة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

الأستاذ الدكتور محمد عبده محجوب

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الشاطبي - الاسكندرية

جمهورية مصر العربية

تقديم

حرصنا منذ أعوام على أن تصدر أعداد مجلة كلية الآداب منتظمة مطردة لما نعتقد من أهميتها البالغة لا كمجرد مجال من مجالات أخرى كثيرة ينشر الأساتذة والعلماء فيها مباحثهم العلمية ويتناولون القضايا التى تشغل بال المفكرين بالتدقيق والتمحيص ، وانما وقبل كل شيء آخر باعتبار هذه المجلة عنوانا صادقا على حال الكلية باعتبارها صرحا علميا ومؤسسة أكاديمية عريقة . بل أننى أستطيع القول دون مبالغة أن مجلة كلية الآداب مرآة تعكس مدى نجاح الكلية فى مهامها العلمية والتعليمية بمنتهى الصدق ، مثلما تعكس المرايا فى حياتنا اليومية ملامح الوجوه بكل مافيها ، ان محاسن وان مساوىء، فلئن كانت الجامعة أساسا طالبا وأستاذا ومكتبة فالعلاقة المتداخلة بين الأطراف الثلاث لايمكن أن تعد ناجحة مالم تتمخض بدورها عن حلقات جديدة فى نفس السلسة تبصيح الطلاب باحثين جددا وتخرج كتب جديدة الى النور ، فتزدهر المكتبة معطية بذلك فرصا جديدة للأساتذة الجدد ولطلاب المستقبل فى العثور على معين لاينضب من زاد العلم ورحيق المعرفة . وفى ذلك فمجلة الكلية تضم بين دفتيها أحدث الأبحاث وأهمها، دليلا حيا على ماتتمخض عنه العملية الأكاديمية والتربوية بأسرها فى رحاب كلية الآداب. ولقد حرصنا كذلك على أن نتبع نظام التحكيم المحايد فى تقييم الأبحاث المقدمة للمجلة لكى نتوخى أقصى قدر ممكن من الموضوعية وبغية أن نضمن أعلى مستوى أكاديمى متاح للموضوعات والأبحاث التى تنشر فى هذه المجلة.

على أن مجلتنا هذا العام تصدر فى رحاب مناسبة أعم وأشمل تجعل لهذا العدد مذاقا خاصا ونكهة متميزة ، فضلا عما سبق أن ذكرنا سالفا . فهذا العدد يعد عدد احتفال الكلية بدوبيلها الذهبى، احتفال الكلية بمرور أكثر من نصف قرن من

السعى الدؤوب فى دروب العلم والمعرفة ، فلئن كانت جامعة الاسكندرية بأسرها تحتفل هذا العام بمرور خمسين عاما على انشائها فاننا فى كلية الآداب نحتفل بمرور أربعة وخمسين عاما ، أذ - كما هو معلوم - نشأت كليتنا منذ عام ١٩٣٨ ، أى قبل انشاء الجامعة نفسها بأربعة أعوام ، وكانت وقتذاك تابعة لجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) .

وفى هذه المناسبة الفريدة لايسعنا الا أن نركز فى هذا العدد على الطابع الخاص الذى تفرضه ذكرى الاحتفال . لذلك نجد - الى جانب الموضوعات العلمية والأبحاث الأكاديمية المعتادة - نجد فى هذا العدد العديد من الأبحاث التى ألقيت ابان الاحتفال باليوبيل الذهبى فى المحاضرات التذكارية وتفضل باعدادها لفيف من رواد هذه الكلية وأساتذتها الأفاضل ، ونجد كذلك العديد من الموضوعات المتعلقة بهذه المناسبة بطريقة أو بأخرى.

وبعد ... فعقب هذا التقديم المختصر الذى حسبناه لازما لما يتفرد به هذا العدد المواكب للاحتفال باليوبيل الذهبى للكلية ، لايجد المرء خيرا من أن يترك القارىء وهذا العدد من المجلة وحدهما دون وسيط ... نتركك عزيزى القارىء اذن لترطد أواصر الصلة والألفة بينك وبين مجلة الكلية .... بل مجلتك أولا وأخيرا ، راجين أن تسفر هذه الصلة عن مزيد من الصلات على هيئة أبحاث ودراسات ورؤى علمية فكرية لولاها ولولاك ما كانت هذه المجلة.

عمر عبد العزيز عمر

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

مجلة كلية الآداب

مجلس التحرير

رئيس مجلس الادارة

الاستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور محمد عبده محجوب

مدير التحرير

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران

أعضاء مجلس التحرير

- أ. د. أحمد محمد عبد الخالق
- أ. د. جوزيف نسيم يوسف
- أ. د. سعد زغلول عبد الحميد
- أ. د. سلمى محمود جبر
- أ. د. عثمان سليمان موافى
- أ. د. عزيزة سعيد محمود
- أ. د. محمد أحمد بيومى
- أ. د. محمد عبد المعز نصر
- أ. د. محمد محمد حلمى هليل
- أ. د. نادية محمود عبد الله
- السيدة / نسبى ابراهيم عبد الغنى (سكرتيرة المجلس)

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم للأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر عميد الكلية	
بين الأدب والتاريخ	
أ. د. عثمان سليمان موافى	١
المترجم العربى والمصطلح النقدى	
أ. د. محمد محمد حلمى هليل	٢٧
كيدونة اللغة فى الفكر العربى	
أ. د. محمد على الكردى	٤٩
بعض الخواطر عن العبادات عند قدماء المصريين	
أ. د. نفيسة عبد الفتاح شاش	٦١
تراثنا بين الاخطاء والأخطار	
أ. د. لطفى عبد الوهاب	٧٧
دراسات حول التاريخ للأنبياء	
أ. د. محمد بيومى مهران	٨٩
الحجاز فى الفكر السياسى لمسلمى الهند	
د. جمال حجر	١٧٩
السجون فى مصر الفرعونية	
د. أحمد أمين سليم	٢٢٩
أنماط العمران فى شرق الأسكندرية مع التطبيق على قرية ابيس الثانية.	
د. محمد فريد احمد فتحى	٢٨٩
تنمية الساحل الجنوبى الشرقى لمصر	
د. عيسى على ابراهيم	٣٤٥

ثقافة الأسكندرية القديمة وأثرها فى حضارات العصر القديم
أ. د. محمد على ابورديان ٣٨٣
قلق الاختبار لدى طالبات الجامعة وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية
د. عبد الرحمن بن سليمان الطريرى ٤٠٩
الهجرة من الريف الى المدينة
سعيد فاتح الفامدى ٤٤٥
استرابون يتحدث عن حملة إيليوس جالوس على بلاد العرب
أ. د. محمد عبودى ابراهيم ٥٠١

بين الادب والتاريخ

الأستاذ الدكتور/ عثمان سليمان موانى

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتي

لعل من المناسب أن نعيد إلى الأذهان ماذكره بعض الفلاسفة قديما، عن أهم ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات التي حوله ، وخلاصة قولهم في ذلك : أن الانسان حيوان ناطق، أي متكلم، والكلام كما سنعرف مادة الأدب .

ويضيف بعض ذوي الفطنة إلى ذلك ، صفة أخرى يتصف بها الإنسان ، وهي المقدرة على تذكر أحداث الماضي .

ولما كانت هذه الصفة لاتتوافر في أي كائن حي، سوى الإنسان قالوا في وصفهم له، : إنه حيوان له تاريخ.

ومن ثم فالادب والتاريخ، يرتبطان بالانسان أوثق ارتباط.

وسنحاول في هذه المحاضرة الكشف عن طبيعة العلاقة بين هذين اللونين من الوان المعرفة .وذلك من حيث المفهوم، والموضوع، والمنحى.

وانطلاقامن هذا يستوقفنا سؤال تقليدي، عن مفهوم كلمة أدب، فما مفهوم هذه الكلمة؟؟

لكلمة أدب في تراثنا اللغوي دلالات كثيرة، منها ماهو خلقي، ومنها ماهو نفسي، ومنها ماهو ثقافي.

يقول صاحب لسان العرب (الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدبا لأنه يأدب الناس الى المحامد وينهاهم عن المقابح.

وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة. والأدب، أدب النفس، والدرس، والأدب الظرف وحسن التناول.

وأدبه فتأدب، أي علمه، ويقال للبعير إذا ريض وذلل أديب مؤدب.والأدب مصدر من أدب القوم يأدبهم إذا دعاهم الى طعام) (١)

---

(١) ابن منظور - لسان العرب ج١ مادة "أدب" ط: دار المعارف بمصر.

والواقع أن صاحب لسان العرب، أغرقنا في طوفان من المعاني المتباينة، ولم يحاول أن يبين لنا، أيّ هذه المعاني أسبق من الاخرى، شأن كثير من معاجمنا اللغوية القديمة(١)، التي أغفلت عامل الزمن في ترتيب معاني الألفاظ، ولم تقف بنا على مراحل تطورها.

ومن المعروف عند الباحثين اللغويين حديثا، أن الألفاظ تتطور حسب تطور مصادر المعرفة الانسانية وتنوعها، من معرفة مادية حسية الى معرفة، نفسية، ومنها الى معرفة معنوية ثم يصل بها التطور إلى أن تصبح مصطلحا على فرع من فروع العلم والمعرفة.

وقد نهج المستشرق الايطالي كارلونالينو هذا النهج تقريبا في كشفه عن التطور الدلالي لهذه الكلمة في ثقافتنا العربية، وقد انتهى من ذلك إلى نتيجة مؤداها:أن أقدم معاني هذه اللفظة طبقا لما ورد في النصوص الشعرية، والكتابات النثرية التي ترجع إلى العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي هي السنة أو العادة المتوارثة خلفا عن سلف(٢)

ثم أطلقت على الحكم والمعاني الخلقية المتوارثة عن الأجداد، التي كانت تتخذ أساسا للتربية والتعليم.

وتطور مفهومها بعد ذلك، إلى معنى المعرفة بالشيء ثم اتسع هذا المفهوم فشمل المعارف الدنيوية(٣).

ونتيجة لاحتكاك العرب بعد الإسلام، بحضارات الأمم المجاورة لهم، وإفادتهم من تراث هذه الأمم، والتراث العقلي بنوع خاص، شرعوا يحددون

---

(١) راجع مثلا معاني هذه الكلمة في القاموس المحيط . والصحاح للجوهري.

(٢) ولهذا يرجع نالينو، أنها مشتقة من الأدب أي الدعوة، ثم حدث لها قلب مكاني في الجمع، فجمعت على آداب قياسا على جمع بئر على آبار ، ورأى على آراء.. راجع له تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٨.

(٣) نالينو : تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٤ -٢٢.

مفاهيم بعض العلوم والمعارف، وفنون القول، ومن بينها الأدب، الذى عرفوه بقولهم: (هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف)(١).

ويبدو من هذا التعريف أن الأدب عند العرب ذو عان، خاص وعام.

فالخاص، هو ما أثر من شعر وفنون نثرية مختلف. أما العام، فهو الالمام من كل فن من فنون العلم أو المعرفة بشيء.

وعلى هذا يفرقون بين العالم والأديب، فيقولون(إن الأديب يأخذ من كل شيء أحسنه، والعالم من يقصد لفن من العلم فيحتمله).(٢)فالعالم غير الأديب، لأن العالم يختص بفرع من فروع العلم أو المعرفة فيتقنه، أما الأديب، فلا يعنى بذلك، وإنما يختار من كل فرع من فروع العلم أو المعرفة أحسنه.

والأديب بهذا المفهوم يشبه الكاتب الموسوعى فى عصرنا الحديث أو مانسميه بالمثقف.

والمتأمل فى تراثنا الأدبى يلحظ أن كثيرا من أسلافنا الكتاب الذين فهموا الأدب بمعناه العام، غلبت على كتابا تهم الطابع الموسوعى مثل، الجاحظ(٣)، وابن قتيبة(٤)، وابن عبد ربه (٥)، والنويرى(٦).

وعلى أية حال، فهذا عن مفهوم الأدب عند القدماء، أما عن مفهومه عند المحدثين، والغربيين بنوع خاص، فلا يختلف كثيرا عن مفهومه عند القدماء.

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٥٢١ - ٥٢٢.

(٢) ياقوت معجم الأدباء ط ص ١٧ ط : مرجليوث.

(٣) راجع له مثلا، كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، ورسائله الأدبية المتنوعة الموضوعات، بين اجتماعية ، وسياسية، وفكرية، ودينية ...

(٤) راجع له، كتاب عيون الأخبار ، وأدب الكاتب.

(٥) راجع له كتاب العقد الفريد.

(٦) راجع له نهاية الأرب فى فنون الأدب.

فالمحدثون يرون أن الأدب نوعان كذلك، عام وخاص. فالمعنى العام كما يقول نالينو (عبارة عن جميع ما صنف في لغه ما سواء في العلوم، أم من الشعر والنثر البليغ، فالآداب حينئذ تشمل على جملة ماقيد في الكتب والدفاتر من انتاج أفكار علماء الأمة وأدبائها).(١)

ويتفق معه في هذا المستشرق الألماني كارل بروكلمان حيث يقول (يمكن اطلاق لفظة أدب بأوسع معانيه على كل ماصاغه الإنسان في قالب لغوي، ليوصله الى اللاكرة) (٢)

ويشير إلى أن بعض العلماء الباحثين يعدون النقوش أدبا بهذا المفهوم، كذلك الوثائق التاريخية والرسائل.

أما عن المعنى الخاص، فهو فن قولي يشتمل على كثير من الفنون الشعرية والنثرية، كالروايات والخطب، والأمثال والحكم(٣) وكل أثر لغوي صيغ صياغة جيدة.

ويدخل بعضهم في ذلك، كتب التاريخ والرحلات التي تتسم بجمال الصياغة، وحسن العرض، وشدة التأثير في النفس.(٤)

ويرى بعض ذوي الفطنة من النقاد الغربيين، أن أي تعبير لغوي لايكتسب الصفة لأدبية، إلا إذا استحوذ على مشاعر السامعين أو المتلقين له، وجلبهم نحوه.(٥)

---

(١) نالينو، تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤١.

(٢) كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٣ (الترجمة العربية)

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) نالينو - تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤١.

(٥) لاسل أبركرمبي قواعد النقد الأدبي ص ١٨ -١٩ ترجمة: محمد عوض محمد.

وذلك لأن أهم مايميز لغة الأدب، كونها لغة انفعالية صادرة عن عاطفة الأديب، ومثيرة عواطف المتلقين له، وإذا لم تحدث هذه الاثارة لاتعد أدبا ولو كانت صحيحة السبك، متقنة الـ ـاغة، وإنما تعد نثرا علميا، مجردا من أى أثر للانفعال أو العاطفة.(١)

وطبقا لهذا،فإن الأدب، فن قولى صادر عن الانفعال والعاطفة ومثير للانفعال والعاطفة.

أو تعبير لغوى عن تجربة شعورية فى صورة موحية.(٢)

ومهما يكن من أمر، فهذا النوع من الأدب، يطلق عليه كثير من النقاد المعاصرين، اسم الأدب الابداعى، أو الانشائى(٣)، ويرون أن أهم عناصره، العاطفة، والمعنى، والاسلوب، والخيال.(٤)ويطلقون على النوع الثانى، اسم الأدب الوصفى.وينضوى تحت لواء هذا النوع من الأدب، فرعان من أفرع الدراسة الأدبية الحديثة، وهما: تاريخ الأدب، والنقد الأدبى.ولما أصبح الأدب فى عصرنا الحديث علما، يدرس فى الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة اتجه كثير من أساتذة البحث الأدبى، إلى اطلاق كلمة تاريخ الأدب على الأدب العام، أو الوصفى، وقصروا كلمة أدب، على الأدب الإبداعى.

الذى يعد عندهم فنا من الفنون الجميلة، يتوسل من التعبير اللغوى أداة لنقل التجربة التى أحسها الأديب إلى القارىء.(٥)أما تاريخ الأدب، فهو أقرب إلى العلم، منه الى الفن.

---

(1) OGiden and Richards, The meaning of meaning p.285.

(٢) سيد قطب - النقد الأدبى ص ٧ .

(٣) Encyclopeadia Britanica, literature.

(٤)أحمد الشايب - الأسلوب ص ١٧ ط : النهضة المصرية .

(٥) قواعد النقد الأدبى ص ٤٦.

ولذا يعد عند بعض العلماء الباحثين، تاريخا للحياة العقلية(٥)لأمة من الأمم، أو شعب من الشعوب.

ومهما يكن أمر، فهذا عن مفهوم الأدب قديما وحديثا.

أما عن مفهوم التاريخ قديما، وعند أسلافنا من العرب بنوع خاص.فيلاحظ، أن الباحثين أختلفوا حول أصل هذه الكلمة، وهم بصدد تحديد مفهومها، فذكر بعضهم أنها ذات أصل عربي(١) . وذهب بعضهم إلى القول بأنها ليست عربية الأصل، بل معربة عن الفارسية من ماه روز،(٢) أو منقولة عن أصل سامي، من يارخ، أي القمر، ويرح أي الشهر.(٣)

وبالرغم من اختلاف الباحثين حول أصل هذه الكلمة، والتي يصعب ترجيح رأي منها على الآخر ، فإن كثيرا من الباحثين ، يتفقون حول ما تعنيه هذه الكلمة في العربية.

فكلمة تاريخ تعني تعريف الوقت(٤)، أو تحديد الشهر، ثم تطور هذا المعني فشمل رواية الأخبار أو الأحداث، أو التاريخ المدون بحسب السنين (٥).

وقد ألمحنا ونحن بصدد الحديث عن مفهوم الأدب العام عند العرب إلى أن بعض الروايات والأخبار التي تتعلق بأيام العرب وأنسابهم، ومآثرهم القديمة تعد لونا من ألوان هذا الأدب .

---

(١) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي ج١ ص ٧.

(٢) راجع مادتي أرخ ودرخ في لسان العرب ، والصحاح للجرهري والمعجم الوسيط.

(٣) ومعنى ماه القمر . وروز الشهر ، راجع الصحاح للجرهري .

(٤) راجع مادة تاريخ بدائرة المعارف الاسلامية.

(٥) راجع مادتي أرخ ودرخ في الصحاح للجرهري ، ولسان العرب .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية مادة تاريخ.

ويمكن أن نضيف الى ذلك بعض الكتابات التاريخية الأولى ، كالسيرة النبوية التي تحفل بكثير من خصائص الصياغة الأدبية، إذ تتسم بجمال التعبير ورقيه، وحسن العرض، علاوة على ما تثيره في نفس القارىء من رغبة شديدة في تتبع سير الأحداث والأخبار وتستحوذ على مشاعره وأحاسيسه من أجل ذلك(١).

ومن المعروف عند كثير من علماء التاريخ، أن السيرة النبوية وأخبار العرب قبل الإسلام، تمثلان المادة الأولية لكتب التاريخ الإسلامي(٢).

وبناء على هذا يمكننا القول، بأن التاريخ الإسلامي نشأ في البداية نشأة أدبية.

ومكث على هذا الحال فترة طويلة من الزمن، تصل إلى عدة قرون (٣).

ولكن المتأمل في الكتابات التاريخية يلحظ أنها أخذت بمرور الزمن، تتحرر من الصبغة الأدبية، وتتجه نحو الكتابة العلمية، التي تقوم على عرض الحقائق العلمية عرضا واضحا، وكذا الأحداث التاريخية، والتزام التعبير العلمي المجرد من أي أثر انفعالي أوعاطفي.

وكما تطورت الكتابة التاريخية وأصبحت نثرا علميا، تطور مفهوم التاريخ، ولم يعد رواية لأحداث الماضي وأخباره وحسب، بل تعليلا، وتفسيرا، وتحقيقا للروايات والنصوص التاريخية، وتوثيقا لها.ويبدو هذا بوضوح من فحوى قول ابن خلدون(إن التاريخ لي ظاهره، لايزيد على إخبار عن الأيام

---

(١) راجع خبر الرسول - في السيرة - منذ مولده حتى وفاته ، وأخبار الغزوات.

(٢) راجع دوزنتال - علم التاريخ عند المسلمين - مقدمة الترجمة العربية، عبد العزيز الدوري نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠. وعادة تاريخ بداية المعارف الاسلامية.

(٣) راجع مثلا كتابات كثير من المؤرخين المسلمين حتى القرن السابع الهجري. مثل ابن قتيبة، واليعقوبي، والدينوري، والطبري، وابن الأثير.

والدول، والسوابق من القرون الأول، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل، للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق)(١).

وبهذا يكشف ابن خلدون عن مفهومين للتاريخ،مفهوم سطحى، ومؤداه، أن التاريخ رواية لأحداث الماضى وأخباره، ومفهوم عميق، وهو نقد وتفسير وتعليل الأحداث والأخبار التاريخية.

وقد كشف عن هذا الفهم العميق، لماهية التاريخ، من خلال نظريته فى نقد المعرفة التاريخية، التى سبق بها، كثيرا من فلاسفة التاريخ ونقاده فى العصر الحديث(٢).

ولهذه النظرية جانبان، جانب سلبى، وجانب ايجابى، ويتمثل الجانب السلبى فى هجومه على المؤرخين السابقين عليه، وشكه فى صحة كثير من الأخبار التاريخية، التى نقلوها دون نقد أو تمحيص وبيان ماوقعوا فيه من أخطاء(٣)، ثم ذكر العوامل والأسباب التى أدت بهم إلى ذلك.

مثل التشيعات للآراء، والثقة فى الناقلين، وتقرب الناس لذوى المراتب العليا بالثناء والمدح، والذهول عن المقاصد، وتوهم الصدق، والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع.

ويرى أن مطابقة الوقائع على الواقع، أو العمران البشرى، كما يسميه تعد أصلح مقياس لنقد الروايات التاريخية، التى يقال عنها إنها ممكنة الحدوث، أو مستحيله الحدوث.

---

(١) المقدمة ص ٧.

(٢) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص ٦٤.

(٣) راجع بحثنا عن موقف ابن خلدون من نقد التاريخ والأدب والشعر ضمن كتابنا منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى ص ٢٢٦ - ٢٧٦ ، الناشر : دار المعرفة الجامعية ط: الثالثة.

(فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالامكان أو الاستحالة، أن ننظر في الاجتماع البشري، الذي هو العمران ونعرف مايلحقه من الأحوال لذاته، ويقتضي طبعه، وما لايكون عارضا لا يعتد به، ومالايمكن أن يعرض له)(١)وينتهي من هذا الى وضع مفهوم جديد للتاريخ، وهذا يمثل الجانب الايجابي من نظريته.

وخلاصة هذا المفهوم، أن التاريخ اخبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو العمران، ومايعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة الحال(٢)

ومن ثم، يتسع مفهوم التاريخ، ويتجاوز النطاق الضيق الذي حصره فيه بعض القدماء، كرواية الأخبار، وتسجيل الأحداث الهامة، والتأريخ للمشاهير والأعيان، دون سائر الناس(٣) إلى أن يصبح تاريخا حضاريا واجتماعيا، يتناول ما يتعلق بالمجتمع وأفراده، من عادات وتقاليد ونظم، ومشكلات اجتماعية، وأحداث وقضايا، ومايطرأ على المجتمع من تغير أو تطور .وهذا هو المفهوم السائد للتاريخ في عصرنا الحديث.

يقول توينبي(إن التاريخ هو العلم الذي يبحث في الحياة العقلية التي تحياها الوحدات البشرية، أي المجتمعات، وفي العلاقات القائمة بينها(٤)

---

(١) المقدمة ص ٣٣.

(٢) كمنحى بعض المؤرخين القدماء مثل الطبري، وابن الأثير، وأصحاب كتب التراجم والسير.

(٣) راجع مثلا ، كتاب تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن ابراهيم.

(٤) تجديد الصحاح في اللغة والعلوم ج ١ ص ١٨.

وطبقا لهذا المفهوم، فقد يتناول التاريخ الحياة الأدبية فى عصر من العصور، ويؤرخ لها، ويتداخل بذلك مع تاريخ الأدب، الذى يعد كما أشرنا، تاريخا للحياة العقلية.

وتبدو العلاقة بينهما أشبه بعلاقة الجزء بالكل، والفرع بالأصل. ومن ناحية المضمون، فكثيرا مايصور الأدب مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية، ويعبر عن مشكلات المجتمع وافراده، فى شكل أعمال أدبية إبداعية، شعرية كانت أم نثرية.

كما نرى عند كثير من الشعراء فى العصر الحديث، وبعض كتاب القصة والمسرحية(١).

وكما نرى عند بعض أسلافنا من الأدباء فى عصر ازدهار الحضارة العربية كالجاحظ،(٢) وابن العميد،(٣) والهمذانى، والحريرى(٤)...

فقد عبروا فى كتاباتهم عن قضايا مجتمعهم وعصرهم، أصدق تعبير كما صوروا كثيرا من عادات المجتمع وتقاليده، ومشكلاته الاجتماعية التى كان يعانى منها كثير من الناس آنذاك، معاناة شديدة حتى لقد أصبحت بعض هذه الكتابات صفحات نقدية، لكثير من نقائص المجتمع وعيوبه الاجتماعية(٥). وقد حدث هذا فى الوقت الذى كان فيه المؤرخون، لايلقون بالا إلى مثل هذه الأمور، ويعنون

---

(١) مثل الحبيب بحطرط، وتوفيق الحكيم، وتيمور، ويوسف إدريس.

(٢) راجع رسائله لمحقيق السندوبى، وهارون، وكذا، وكذا كتابه البخلاء.

(٣) راجع رسائله.

٤) راجع مقامات كل منهما.

(٥) ويبدو هذا بوضوح فى بعض رسائل الجاحظ، وابن العميد، والهمذانى، ذوات المضامين الاجتماعية ومقامات الهمذانى والحريرى.

فى تاريخهم، بالأحداث الكبرى، وأخبار الزعماء، والقواد والمشاهير من الناس(١)..دون النظر إلى مشكلات المجتمع، وأحوال عامة الناس، وعاداتهم وتقاليدهم، ونظمهم المعيشية، وأفراحهم وأتراحهم.

وبناء على هذا، يمكننا القول بأن الأدب، بعد فى هذه الحالة مصدرا من مصادر التاريخ الحضارى والاجتماعى بنوع خاص ويلتقى بذلك مع التاريخ بالمفهوم الحديث.

وعلى أية حال، فقد وضح لنا، وضوحا تاما، مفهوم كل من الأدب والتاريخ قديما وحديثا، وما يكشف تطور هذا المفهوم عما بينهما من تداخل.

ولايقتصر التداخل على هذه الناحية، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الموضوع فقد يتناول الأديب بعض الموضوعات التى يعرض لها المؤرخ، مثل بعض الأحداث السياسية والآثار التاريخية.

وهنا يثار سؤال، وهو، هل يتفق منحى المؤرخ والأديب فى هذا التناول؟؟

ولكى يتسنى لنا الاجابة عن هذا السؤال، نمثل ببعض الأحداث التاريخية التى تناولها بعض المؤرخين وبعض الشعراء، مثل:ثورة الزنج التى قامت فى القرن الثالث الهجرى ضد الخلافة العباسية، وكان زعيمها رجلافارسيا، استمال عددا كبيرا من الزنوج إلى جانبه، وادعى أنه يريد أن يحررهم من الرق والعبودية

ووعدهم كما يقول بعض المؤرخين (أن يقودهم ويملكهم الأموال وحلف لهم آلايغدر بهم، ولا يخذلهم، ولايدع شيئا من الإحسان إلا آتى به إليهم..، وأمر

(١) مثل تاريخ الطبرى، وابن الأثير وكتب التراجم والسير.

كل من عنده من العبيد فضربوا موالیهم كل سيد خمسائة سوط ..)(١)

واتسمت ثورته بالتدمير والتخريب، والسلب والنهب، وسفك دماء الأبرياء من الناس.

ولما تناول المؤرخون هذه الثورة، عنوا بسرد أحداثها، والكشف عن أهدافها، والآثار المدمرة التي أحدثتها ببعض البلدان العربية والنهاية التي انتهت إليها(٢)، وذلك في لغة علمية واضحة على نحو ما رأينا في النص السابق.

أما الشعراء فقد اتجهوا نحو هذا الحدث وجهة أخرى، نابعة من رؤية الأديب الفنان للواقع، التي تتخذ غالبا من الوجدان مرآة لها، ينعكس عليها واقع الأديب الخارجي، أو الداخلي، فيعبر عما أحسه وشعر به، ويصور وقعه على مشاعره، تصويرا صادقا.

والشاعر في مثل هذه المواقف، لا يعبر عن ذاته وحسب، وإنما يعبر كذلك عن ذات الجماعة.

ومن الشعراء الذين تأثروا بهذا الحدث التاريخي، وعبروا عن ذلك في شعرهم ابن الرومي، الذي أنزعه، ما أحدثه هؤلاء المتمردون من تدمير وتخريب في مدينة البصرة.

يتمثل في ازهاق آلاف الأرواح البريئة، وهتك الأعراض، وسبي الحرائر من النساء، وسرقة الأموال، وتشتيت شمل الأسر :

يقول معبراً عن ذلك، في نغمة حزينة باكية:

ذا دعن مقلتي لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجام

أي نوم من بعد ما حل بالبصـ ... ـرة ما حل من هنات +عظام

---

(١) ابن الاثير - الكامل ج ٥ ص ٣٤٢.

(٢) راجع المرجع السابق ج ٥ ص ٣٣٦ - ٤٣٧ ، وكذا المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ١٤٥.

+ كذا في اختيار كامل كيلاني، أما في ديوانه ط ؛ دارالكتب "تلكم الهنات الـ-

أى نوم من بعد ما انتهك الزنـ ... نج جهارا محارم الإسلام
أقدم الخائنين اللعين عليها ... وعلى الله أيما إقدام
وتسمى بغير حق إماما ... لا هدى الله سعيه من إمام.
لهف نفسى عليك أيتها البصـ ... ـرة لهفا كمثل لهب الضرام.
بينما أهلها بأحسن حال ... إذ رماهم عبيدهم باصطلام.
كم أغصوا من شارب بشراب ... كما أغصوا من طاعم بطعام.
كما رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام.
كم فتاة بخاتم الله بكر ... فضحوها جهرا بغير اكتتام.
ألفٌ ألف فى ساعة قتلوهم ... ثم ساقوا السباء كالأغنام.
من رآهن فى المساق سبايا ... دامیات الوجوه والأقدام.
من رآهن يتخذن إماء ... بعد ملك الاماء والخُدام.
ماتذكرت ماأتى الزنج إلا ... أضرم القلب أيما إضرام.
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أوجعتنى مرارة الإرغام.
ربّ بيع هناك قد رخصوه ... طال ماقد غلا على السوام.
ربّ بيت هناك قد خلوه ... كان من قبل ذاك صعب المرام.
ربّ ذى نعمة هناك ومال ... تركوه محالف الإعدام.
رب قوم باتوا باجمع شمل ... تركوا شملهم بغير نظام.(١)

وواضح من هذا النص أن ابن الرومى، لم يفصل فى الحديث عن أحداث

---

(١) راجع القصيدة كاملة فى ديوان ابن الرومى، ط ١: دار الكتبالمصرية ج ٦ ص ٢٣٧٧.
وراجع كذلك اختيار كامل كيلانى ص ٤١٩ - ٤٢٣.

هذه الثورة وأهدافها، وينحو بذلك منحى المؤرخين، ولكنه اكتفى بتصوير واقعة من وقائعها، تكشف عن مدى عنفها، وقوة أصحابها وغلظتهم فى معاملة الناس، والأطفال الأبرياء والكشف عن ألوان التدمير والتخريب، التى أحدثها هؤلاء المتمردون، بهذه المدينة المطمئنة، معبرا عن ذلك فى لغة موحية، تصور احساسه، بفداحة المأساة المفجعة، وتؤثر فى مشاعر القارىء وأحاسيسه تأثيرا قويا، فيتجاوب مع الشاعر، تجاوبا وجدانيا صادقا.

إذ يحس باحساسه، ويفزع لفزعه، ويُعدى ببدائه.

وهذا من أخص خصائص التعبير الأدبى كما أشرنا.

ومن قبيل هذه الأحداث، التى تناولها المؤرخون والشعراء وتباينت مناحيهم فى ذلك، حادثة وقعت فى إحدى قرى مصر أيام الاحتلال البريطانى، وهى حادثة دنشواى.

التى يذكر المؤرخون و شهود العيان، أنها حدثت صيف ١٩٠٦م. ويرون أحداثها على النحو الآتى مثلا (فى يوم الأربعاء ١٣ يونيو ١٩٠٦م قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم، وقصدوا بلدة دنشواى من أعمال مركز تلامنرفية لصيد الحمام، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالانجليز، فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت، فثارت ثائرة اللورد كرومر - عميد الدولة البريطانية إذ ذاك - وعقدت المحاكمة المخصوصة ... وقضت المحكمة بأعدام أربعة ، وحبس رجل ثمانية.. ، ونفذ الاعدام والجلد فى نفس البلدة على مرأى ومسمع من أهله..) (١).

أما الشعراء الذين عرضوا لهذه الحادثة فى أشعارهم ، فقد عبروا عن

---

(١) راجع هامش ١ ، ص ٢٠ من ديوان حافظ ابراهيم حـ ١ ، ط١ : الهيئة المصرية للكتاب.

إحساسهم ، وإحساس الشعب المصرى كله ، بفداحة هذه المأساة.

ومن خير النماذج الشعرية، التى تصور ذلك ، قصيدة أحمد شوقى التى قالها فى الذكرى السنوية الأولى ، لهذه الحادثة ، والتى استهلها بقوله:

يادنشواى على رباك سلام ... ذهبت بأنس ربوعك الأيام .
شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا ... هوجات للشمل الشتيت نظام.
مرت عليهم فى اللحود أهلة ... ومضى عليهم فى القيود العام.
كيف الأرامل فيك بعد رجالها ؟ ... ورأى حال أصبح الأيتام.
عشرون بيتا أقفرت وانتابها ... بعد البشاشة وحشة وظلام.
بالبيت شعرى فى البروج حمائم ... أم فى البروج منية وحمام.
"نيرون" لو ادركت عهد كرومر ... لعرفت كيف تنفذ الأحكام.
نوحى حمائم دنشواى وروعى ... شعبا بوادى النيل ليس ينام.
إن نامت الأحياء حالت بينه ... سحرا وبين فراشه الأحلام.
متوجع يتمثل اليوم الذى ... ضجت لشدة هوله الأقدام.
السوط يعمل والمشانق أربع ... متوحدات والجنود قيام.
والستشار إلى الفظائع ناظر ... تدمى جلود حوله وعظام.
فى كل ناحية وفى كل محلة ... جزعا من الملأ الأسيف زحام.
وعلى وجوه الشاكلين كآبة ... وعلى وجوه الشاكلات رغام.

والواقع أن أحمد شوقى(١)، لم يتعامل مع هذا الحدث بعقله، شأن أى مؤرخ، بل بوجدانه، كأى شاعر صادق.

ولذا فقد استهل قصيدته بمخاطبة دنشواى، كما يخاطب الشعراء القدماء

---

(١) الشوقيات حـ ١ ص ٢٤٤.

الديار وربوعها، محاولا استنطاقها، كى ترد عليه، وتجيبه عما يسأل عنه ويحزنه، من أحوال أهلها، الذين تفرق شملهم، وغمرهم الأسى والحزن، وذلك بعد انقضاء حول على هذه المأساة، ويخص بالذكر الأرامل، والأيتام، ويلمح إلى أن وراء هذه المأساة، طاغية أشد طغيانا من نيرون روما وينادى الحمام، كى يشاركه حزنه، بنوحه على الموتى، مثيرا بذلك مشاعر الشعب المصرى، الذى لم ينس هذه المأساة، فصورتها لاتزال ماثلة أمام عين كل مصرى.

صورة جلد من جلد من هؤلاء الأبرياء، وصورة شنق من شنق منهم، والانفعالات النفسية، التى بدت مظاهرها مرتسمة على وجوه أهلهم، أثناء تنفيذ القصاص الجائر.

ولقد عبر شوقى عن هذا كله فى لغة شعرية صادقة، مصورة أصدق تصوير، احساسه بالأسى والحزن، التى استحوذ على مشاعره ويتمثل فى كثير من صور هذه القصيدة.

كصورة الحزن الذى خيم على ربى هذه القرية، وعلى بيوت القتلى والمسجونين، وعلى وجوه الذين فقدوا أبناءهم، وعلى وجوه الثاكلات.

وصورة أبراج الحمام، التى تحولت الى ابراج موت ودمار...، وصورة الشعب الذى يئن ويتوجع، وكأنه أصيب بألم شديد..

.وعلى أية حال، فقد استطاع شوقى أن يجعل من هذا الحدث التاريخى تجربة شعرية صادقة على النحو الذى رأينا.

وقد غلب عليه هذا المنحى فى تناوله للموضوعات التاريخية باستثناء بعض القصائد التى بدا فيها ناظما لاشاعرا.(١)

وهذا الحكم ينطبق كذلك على منحى بعض الشعراء المعاصرين له فى تناولهم لبعض الموضوعات التاريخية.(٢)

ومن الموضوعات المتداخلة بين الأدب والتاريخ كذلك، وصف الآثار التاريخية، ومن أشهر ماوصف من هذه الآثار، فى عصر ازدهار الحضارة العربية، إيوان كسرى.

وقد عنى المؤرخون والاخباريون فى وصفهم له، بتحديد موقعه تحديدا دقيقا، وصورته من الخارج ومن الداخل، وتقدير مساحته وارتفاعه، والمادة المستعملة فى بنائه،والاشارة الى العصر الذى بنى فيه...(٣)أما عن وصف الشعراء له، فخير ما يمثله سينية البحترى، التى أنشدها حينما زار هذا القصر، فى ظروف نفسية سيئة.

فقد كان يعانى من حالة إحباط نفسى، بسبب بعض التقلبات السياسية، التى أصابه من نارها بعض الشرر.

فقد أدى نجاح مؤامرة اغتيال الخليفة العباسى المتوكل، بتدبير من الجند الأتراك وولى العهد، إلى اقصاء أنصار المتوكل عن قصر الخلافة وحرمانهم من كثير مما كانوا ينعمون به من جوائز وهبات مالية.

وكان البحترى واحدا من هؤلاء الذين عانوا كثيرا بسبب هذا الحرمان المادى، ولأسباب معنوية أخرى.

---

(١) مثل همزيته التى مطلعها " همت الفلك واعتراها الماء وحداها بن ثقل الرجاء راجع الشوقيات جـ١ . ص١٧ - ٣٣.

(٢) راجع كتابنا فى نظرية الأدب ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢١.

(٣) راجع مثلا معجم البلدان . لياقوت الحموى مادة "الايوان"

منها مثلا أنه لم يعد شاعر الدولة والمتحدث الرسمي باسمها، كما كان في عهد المتوكل، واختفى بعيدا عن الأضواء، وجفاه الكثيرون.

وأحس بشيء من الغربة، فقرر الرحيل ويمم وجه شطر مدينة المدائن، حيث إيوان كسرى.

الذي وجد نفسه مشدودا نحوه، وكأنه قطعة منه.

ويبدو أنه أحس أن هذا الإيوان يعاني مما يعانيه،

فأخذ يصفه ما زجابين ما ساته، ومأساة الايوان مزجا نفسيا رائعا، حتى يخيل لنا، أنه قد حل في المادة الموصوفة، وحلت فيه، بحيث يصعب التفريق بين الموصوف والواصف.

ومما يصور ذلك قوله عن هذا الإيوان:

يتظنى من الكآبة اذ يسـ ... ـدو لعيني مصبح أو ممسي.
مزعجا بالفراق عن الانس إلـ ... ـف عز أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدي تجلدا وعليه كلكل ... من كلا كل الدهر مرسي.
لم يعبه أن بز من بسط الديـ ... ـباج واستل من ستور الدمقس.
مشمخر تعلوله شرفات ... رفعت في رءوس رضوى وقدس.
لابسات من البياض لمعاتيه ... صور منها الاغلاتل يرس.
ليس يدري أصنع إنس لجن ... سكنوه أم صنع جن لإنس.
غير أني أراه يشهد أن لم ... يك بانيه في الملوك بنكس.(١)

ولا ندري هنا من الذي يبدو كئيبا مرهقا كأنه فارق أنيسه أو انفصل عن زوجه !!

ومن الذي انعكس حظه، وانعكس على المشتري كوكب السعد فانقلب

---

(١) راجع ديوان البحتري حـ ٢ ص ١٥٩ - ص ١٦٠ ؛ تحقيق الصيرفي ط : دار المعارف بمصر.

حين زاره كوكب نحس !!

ومن الذى يتجلد ويتلقى صدمات الدهر، بصبر وثبات!!

ومن الذى يشمخ بأنفه إلى أعلا !!

أهو الشاعر!! أم الإيوان !! أم هما معا !!

إن صدق تجربة الشاعر، جعله يبدو فى وصف هذا الإيوان على النحو الذى رأينا من الاستغراق في المادة الموصوفة.. وإن شدة اعجاب الشاعر بماضى الإيوان، وتقديره للفرس أصحابه وحضارتهم، جعله يستعيد صور هذا الماضى فى أكثر من لوحة من لوحات وصفه.

من ذلك مثلا قوله:

فكأنى أرى المراتب والقو	م إذا ما بلغت آخر حسى.
وكأن الوفود ضاحين حسرى	من وقوف خلف الزحام وخنس.
وكأن القيان وسط القاصـ	ـر يوجعن بين حو ولعس.
وكأن اللقاء أول من أمـ	ـس ووشك الفراق أول أمس.
وكأن الذى يريد اقتباعا	طامع فى لحوقهم صبح خمس.
عمرت للسرور دهرا فصا	رت للتعزى رباعهم والتأسى.

فماضى هذا الإيوان يشهد على عظمته، وتلوح صور منه أمام الشاعر كصورة وقوف رعايا كسرى حسب مراتبهم الاجتماعية أمام باب الإيوان وصورة الوفود الكثيرة التى كانت تتوافد على الإيوان، وقد بدا عليها الاعياء، وصورة مغنيات كسرى وهن يغنين.

ويخيل للشاعر أن الذى يراه أمامه، واقع حدث منذ يوم أويومين وأن أصحابه لايزالون على قيد الحياة، ومن يريد اللحاق بهم، فلن يستغرق منه ذلك سوى أيام قليلة.

ومهما يكن من أمر، فقد استطاع البحترى من خلال وصفه لهذا الأثر التاريخى الجامد، أن يحركه ويبث فيه نسمة الحياة، ويشخصه فيجعله إنسانا يحس ويشعر، ويتفاعل مع الشاعر، ويتفاعل الشاعر معه، تفاعلا قويا، ويبدوان شيئا واحدا.

ويختلف البحترى فى هذا المنحى الوصفى عن كثير من الشعراء السابقين عليه والمعاصرين له، الذين كانوا يقصرون وصفهم على التقاط الصور الخارجية للمادة الموصوفة(١)، دون الكشف عن انعكاساتها على وجدانهم.

وهذا على العكس مما نراه فى هذا الوصف الوجدانى، الذى يشبه فى كثير من خصائصه، منحى الشعر الرومانسى فى الوصف.(٢)

كما يختلف كذلك عن منحى المؤرخين والاخبار يين فى الوصف، الذى يقوم على تسجيل ونقل صورة الأثر التاريخى نقلا حرفيا، كما يبدو فى الواقع، دون زيادة أو نقصان، وذلك فى لغة علمية واضحة.

وعلى أية حال، فقد كانت سينية البحترى، بما تتضمنه من وصف وجدانى لهذا الأثر التاريخى، مبعث إعجاب بعض شعرائنا المعاصرين، كأحمد شوقى، الذى مر بالتجربة نفسها، حين نفى إلى أسبانيا وشاهد آثار العرب هناك، وعبر عن ذلك، فى قصيدة طويلة بلغت أكثر من مائة بيت، وهى سينية كذلك، وقد حاول معارضة سينية البحترى بها.

ولا يعنينا هنا المفاضلة بينه وبين البحترى فى هذا المجال، أو البحث عمن تفوق على الآخر، وان كان للسابق فضل السبق على اللاحق، ولكن الذى يعنينا هنا، هو الكشف عن منحى شوقى فى وصف الأثر التاريخى.ومن أهم الآثار

(١) راجع موضوع الوصف فى كتابى : التيارات الأجنبية فى الشعر العربى ص ٣٢٩ - ٣٥١ ط : الثانية.

(٢) راجع الرومانتيكية ، لغنيمى هلال ص ١٣٠ - ١٤٠، والشعر المصرى بعد شوقى لمندور ج ١ ص ٤٩ - ١٢٢، ج ٢ ص ١٢٨ - ١٤٧ وانظر لمندور كذلك فن الشعر ص٩٨ - ١٠١.

التاريخية، التى أثارت إعجابه وصورها فى هذه القصيدة، المسجد الجامع فى قرطبة، الذى يعد من أعظم مساجد الأندلس.

وقد عنى المؤرخون فى وصفهم له بالحديث عن تاريخ بنائه، وتصميمه المعمارى ووصف أعمدته ورواقه، والمادة المستعملة فى بنائه، والجدران التى تحيط به(١).

أما وصف شوقى له، فيتمثل فى هذه الأبيات

ورقيق من البيوت عتيق ... جاوز الألف غير مذموم حرس.
أثر من "محمد" وتراث ... صار للروح ذى الولاء الأمسّ
بلغ النجم ذروة وتناهى ... بين سهلان فى الأساس وقدس
مرمر تسبح النواظر فيه ... ويطول المدى عليها فترسى.
وسوار كأنها فى استواء ... ألفات الوزير فى عرض طرس.
فترة الدهر قد كست سطريها ... ما اكتسى الهدف من فتور ونعس.
ويحها كم تزينت لعليم ... واحد الدهر واستعدت لخمس.
وكأن الرفيف فى مسرح العيـ ... ـن ملاء مد نرّات الدمقس.
وكأن الآيات فى جانبيه ... يتنزلن فى معارج قدس .
منبر تحت "منبر" من جلال ... لم يزل يكتسيه أو تحت قس.
ومكان الكتاب يغريك ريّا ... رده غائبا، تتدنو للمس.
صنعة الداخل المبارك فى الغر ... ب وآل له ميامينَ شمس.(٢)

ويكشف هذا النص عن منحى أحمد شوقى، فى وصف هذا الأثر العظيم، الذى يبدو من خلاله، ملتزما منحى الشاعر الأديب الذى يعنى بتصوير وقع مايراه، ويعجب به على وجدانه وأحاسيسه معبرا عن ذلك فى لغة شعرية موحية، حافلة بكثير من الصور الفنية.ويحرك الشاعر هنا ،دوافع نفسية وشعورية

(١) تراث الاسلام ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١.
(٢) الشوقيات جـ ٢ ص ٤٩ - ٥٠ .

قوية، تجاه هذا الأثر التاريخي، تبدو لي إعجابه الشديد بدقة الصنعة وجمالها المعماري الذي يتمثل في بقاء هذا الأثر غضا ناضرا، بالرغم من تجاوز الألف عام.

كما يتمثل في أكسيته المرمرية، وفي تناسق أعمدته وأستوانها، وزخارف سقفه، التي تبدو ملاءات حريرية مطرزة، وما يجللها من آيات قرآنية، كأنها وحي منزل من السماء.

ومن هنا يتضح لنا، أن وراء إعجاب الشاعر بالجمال المادي لهذا الأثر، شعور داخلي بقيمته الروحية، ولذا تتجلى عاطفته الدينية في هذا الوصف. فيرى خلف هذا الجمال الحسي، جمالا روحيا، لآيات القرآن الكريم التي تزين السقف، تبدو معنى روحيا أي وحيا منزلا من السماء.

والجمال الحسي للمنبر، يغلفه جمال روحي، يستدل على المنبر وما حوله والأثر الروحي للمصحف لايزال باقيا، ويستدل عليه بهذه الرائحة الذكية التي تفوح من قاعة المصحف، مع أنه غير موجود بها.

ومن ثم، فإن وصف شرفي لهذا الأثر التاريخي، يعد وصفا وجدانيا كذلك. وبهذا يلتقي مع البحتري في وصفه لإيوان كسرى، وإن اختلفت دوافع كل منهما في وصف الأثر التاريخي.

وعلى أية حال، فما ذكرناه من أمثلة نصية يوضح لنا، أن الأدب والتاريخ، قد يلتقيان في الموضوع، ولكنهما يختلفان في الصياغة لتباين منحى الأديب عن منحى المؤرخ في التناول الفني.

وذلك لأن المؤرخ- كما وضح لنا - حين يصف حادثة أو أثراً تاريخيا ينقل ماراه وشاهده نقلا حرفيا، وإذا لم يكن شاهد عيان للحادثة، فإنه ينقل روايات شهود العيان كما وردت على ألسنتهم دون زيادة أو نقصان ، وذلك في لغة

علمية واضحة، مجردة من أى أثر انفعالى أو عاطفى.

أما الأديب والشاعر بنوع خاص، فإنه لايصف الحادثة، أو الاثر التاريخى، وإنما يصف إحساسه بذلك، ووقعه على مشاعره.

ومن هنا، فإن مايصفه الأديب المبدع، لايبدو على صورته الحقيقة، بل فى صورة معدلة عن الأصل، وقد تكون أجمل مما هى عليه فى الواقع، وقد لايكون لها صلة بالواقع، وإنما تخيل الأديب المبدع، أو الشاعر، وانفعالها.

ولذا يرى أرسطو (أن مهمة الشاعر الحقيقة ليست فى رواية الأمور كما وقعت فعلا، بل رواية ما يمكن أن يقع) (١) ويتخذ من هذا دليلا على التفريق بين المؤرخ والأديب المبدع فيقول(إن المؤرخ والشاعر، لايختلفان لكون أحدهما يروى الأحداث شعرا، والآخر يرويها نثرا، وإنما يتميزان من حيث كون أحدهما، يروى الأحداث التى وقعت فعلا بينما الآخر يروى الأحداث التى يمكن أن تقع)(٢)

وبغض النظر عن الغاية التى يهدف إليها أرسطو من وراء هذه الموازنة بين الشاعر والمؤرخ، وهى الاعلاء من شأن الشاعر، فإن ما ينبغى أن نستخلصه من عبارته هو أن التاريخ مرتبط بالواقع، ومقيد بحدود من الزمان والمكان، لايستطيع الانفصام عنها.

أما الأدب والشعر بالذات، الذى يعد لب الأدب، بل الأدب الخالص، فقد يتجاوز حدود الزمان والمكان، وينطلق إلى آفاق أرحب، وأبعد من هذه بكثير.

ومن هنا، يبدو البون بين الأدب والتاريخ شاسعا!!

ويصبح التفاؤهما، مرهونا، باقتراب الأدب من الواقع، أو وعودة التاريخ، إلى فطرته الأولى، التى فطر عليها، حين نشأ نشأة أدبية.

---

(١) فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق والصفحة

المترجم العربي والمصطلح الفني

أ.د/محمد محمد حلمي هليل

ورقة مقدمة لندوة الترجمة والتنمية الثقافية

في الفترة ما بين ٥ الي ٧ مارس ١٩٩١

بقاعة الندوات بالهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - جمهورية مصر العربية

المترجم العربي والمصطلح الفني

محمد محمد حلمي هليّل
(جامعة الاسكندرية)

تعالج هذه الورقة المشاكل التي يقابلها المترجم العربي في حقول الدراسات العملية والانسانية وذلك بالتركيز علي ظاهرة واحدة هي المصطلح الفني ومقابله العربي ،ثم يتعرض البحث بشيء من التفصيل الي مثالب المعاجم الثنائية المتخصصة التي تزيد من صعوبة عمل المترجم المتخصص ثم يتناول إنعكاسات هذه القضية علي البرامج في حقل الترجمة.

المترجم والمصطلحي:

ان وظيفة المترجم المتخصص واعداده وكذلك المصطلحي واعداده لاتزال في عالمنا العربي قضية تحتاج الي شيء كثير من اعادة النظر. فلقد اصبحت الترجمة علماً معترفاً به له أسسه ونظرياته (Wills 1982, Nida 1964) وكذلك المصطلحية (Terminology) التي تكسب ارضا كل يوم بدعمها مركز المعلومات الدولي للمصطلحية والمعروف بالانفوترم Infoterm (Picht & Draskau 1985, Felber 1984)

نميز أولا بين عمل المصطلحي والمترجم . ان عمل المصطلحي يتركز اساساً في:-

١ - جمع وتسجيل المصطلحات المخصصة للتصورات في الحقول المعرفية الخاصة

٢ - وصف التصورات وذلك بشرحها أو تعريفها أو تقييس التعاريف

٣ - اتباع المبادئ المصطلحية (Terminological) ومبادئ التدوين

المصطلحي (Terminographical) ونقصد به تسجيل ومعالجة البيانات المصطلحية على اساس من البحث فى التصورات.

٤ - ضبط المصطلحات والعمل على موائمتها فى الحقول المعرفية المستقرة.

٥ - وضع مصطلحيات (Terminologies) الحقول المعرفية الجديدة (امثلة: علم الكمبيوتر، اللسانيات، علم المعلومات .... الخ).

ويشترك المترجم مع المصطلحي فى قدر من هذه المهام، فعمله لا يقتصر على ان يكون مستهلكا لعمل المصطلحي بل هو أيضا منتج للمصطلح خاصة فى عالمنا العربى حيث انه هو اول من يستقبل الوافد الجديد محاولا ايجاد المقابل العربى له لنقله للقارئ العربى لاسيما مترجم الامم المتحدة فالميادين التى تتناولها التقارير والوثائق الصادرة عن هذه المنظومة الدولية هى ميادين معظمها جديد (ديدواى ١٩٨٩). من ثمّ وجب تدريب المترجم تدريباً مصطلحياً ايفاء بمتطلبات وظيفته.

حيرة المترجم العربى

يفتقر عالمنا العربى وكثير من الدول الاقل تقدما الى المصطلحي المدرب تدريبا حديثاً فى علم المصطلحية (Terminology Science) والتدوين المصطلحي (Terminography) وكذلك المعجمية الحديثة (Lexicography) مما كان له أثر على نوعية المعاجم المتخصصة الثنائية اللغة والمتعددة اللغات وكلها تمثل عُدّة المترجم ويضيع ما لا يقل عن نصف وقته فى البحث عن المقابلات العربية لما يواجهه من مصطلحات فنية. تعانى هذه المعاجم من مثالب عديدة تضع المترجم فى حيرة وتشعره بعجزه لانه لم يسبق تدريبه على ان يواجه الموقف مواجهه علميه يجد فيها الخلاص.

نعرض هنا لهذه المثالب معتمدين علي تفحّص دقيق لبعض المعاجم الثنائية الانجليزية العربية وكذلك المسارد بما فيها المعاجم الموحّدة التي اشرف

عليها مكتب تنسيق التعريب بالرباط وقد قمنا بالبحث في حقول متعدّدة من الدراسات الانسانية والعلمية لتفهّم المشكل. من أهم هذه المثالب :-

١- غياب المصطلحات المستحدثة

تخلو هذه المعاجم من المصطلحات المستحدثة (neologisms) ومقابلاتها العربية لان ظهور المعاجم يقف عند سنة الاصدار بل قبلها ولا يتعدّى ذلك . أضف الي ذلك ان اختيار المفردات في معاجمنا التخصصة لايزال ينهج نهجا عشوائيا لانه غير مبني علي اسس توثيقية صحيحة. لذا يجد المترجم نفسه في حيرة من امره وان عليه هو ان يبتدع المقابل العربي وأفضل مثال لذلك هو مترجم الامم المتحدة الذي يتعامل، في اغلب الاوقات ، مع مادة حديثة لصيقة بقضايا العالم المعاصر بكل تعقيداته، بها مصطلحات مُحْدَثة في ميادينَ جديدة لم يسبق ان تُرجمت للعربية (دبداوى ١٩٨٩).

فالمعاجم المتخصصة لاتضم الكثير من المصطلحات التي تتناول مجالات مُتجدّدة في بعض الحقول مثل اللسانيات وعلم المعلومات وبعض المصطلحات في هذه الحقول لايمكن الحصول عليها في المعاجم او المسارد المتاحة بل في ثنايا بعض المقالات او الكتب الحديثة المترجمة التي بها مساردٌ للمصطلحات الاجنبية ومقابلاتُها العربية ويعكس هذا حاجةَ المترجم الماسة الى برنامج تدريبي في اسس التوثيق (Documentation).

٢- تباين المكافئات العربية للمصطلحات الاجنبية وافتقارها الي التقييس

ان وجود مكافئين او اكثر من المقابلات العربية لمصطلح اجنبي بعينه قضيةٌ علي جانب كبيرمن الاهمية لانها قد تعيق الاتصال العلمي لا علي المستوي العربي فحسب بل علي المستوي القومي ايضا.

ينصب هذا التباين على المعاجم الثنائية المتخصصة بمقارنتها ببعضها بعضا وكذلك بمقارنتها بالمعاجم الموحدة لمكتب تنسيق التعريب بالرباط (انظر جدول ١)

امثلة

١-حقل الكمبيوتر

المصطلح الاجنبي	قاموس المعلوماتية ومصطلحات الكمبيوتر	قاموس الكمبيوتر	معجم مصطلحات علم المكتبات والمعلومات
chip	شريحة	الشذرة	شريحة
interface	بَيْنِي	منفذ ، أوجه تداخل	مُوصِلات مُوحّدة
software	البرامجيّات، الانظمة	البرامج الجاهزة	نظام الحاسب
terminal	طرفيّه	الوحدة الطرفيّه	محطة اتصال
flow-chart	مخطط انسيابي	خريطة التدفق	رسم تخطيطي ، خريطة تسلسل

جدول (١) تباين المصطلحات في حقل الكمبيوتر

ب - حقل المكتبات والمعلومات

يركز الصرينج (١٩٨٦ : ٢٤ - ٢٥) على الاختلافات والفارقات التي يلقاها المتخصص او المترجم او الدارس في مهنة المكتبات والمعلومات مُجَمِّعًا بعض المصطلحات الشائعة باللغة الانجليزية، مُستَعرِضا في ذلك لبعض المعاجم والسارد المتخصصة وتشمل :-

(أ) كتب المكتبات والمعلومات المترجمة

(ب) المقالات المنشورة في المجلات المتخصصة في المكتبات والمعلومات

(ج) المؤلفات والدراسات العربية الحديثة

(د) المعاجم المتخصصة في علم المكتبات والمعلومات

نتناول منها مايلي :-

المصطلح الاجنبي	المقابل
١ - access	وصول ، اتاحة ، تناول ، التقاط
٢ - data base	قاعدة معلومات ، مرصد معلومات، مرصد بيانات
٣ - file	ملف ، مجلّد ، قابل
٤ - microfiche	ميكروفيش ، مُصغَّر بطاقي
٥ - network	منظومة ، شبكة معلومات، نظام شبكي

جدول (٢) : تباين المصطلحات في علم المكتبات والمعلومات

ويصل الصويغ (١٩٨٦ : ٤٤) في دراسته الي انه "من خلال المراجعة السريعة للانتاج الفكري المؤلف والمترجم يتضح ان هناك تفاوتا واضحا في استخدام المصطلحات العربية المتخصصة". ثم يبين خطورة هذا التفاوت فيقول :

"لاشك ان اختلافات المصطلحات .. يؤدي الي اختلاف المدلولات احيانا وبالتالي الي صعوبة تحديد مفاهيم مشتركة بين المرسل والمستقبل في عملية تبادل المعلومات علي مختلف الوسائط ولمختلف الأغراض البحثية والتعليمية، ولمجد من نتيجة ذلك إحجام المتخصصين او تخوفهم من خوض غمار الترجمة، مما ادي الي تاخر حقل المكتبات والمعلومات عن مرحلة تأليف الكتب الدراسية او المواد الاولية البسيطة". وينطبق مايقوله الصويغ علي حقل اخر هو حقل اللسانيات كما يتضح من الامثلة التالية(انظر جدول "٣")وقد اخترناها من خمسة مصادر.

ج-اللّسانيات

المصطلح	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث	معجم علم اللغة النظري	قاموس اللسانيات	معجم اللسانية	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات
١- pitch	طبقة الصوت	نغم ، درجة الصوت ، طبقة الصوت	مكانفة	نغم ، درجة الصوت	طبقة الصوت، درجة الصوت
٢- metalanguage	ما وراء اللغة	لغة واصفة	لغة تقعيدية	لغة واصفة	- اصطلاح - وضع ثان (في مقابل الوضع الأول)
٣- topic	الموضوع/ المسند اليه	مبتدأ	مدار	موضوع (الكلام)، مبتدأ	- موضوع - المحدّث عنه
٤- comment	الخبر (في النحو)	تعليق، خبر	تعقيب	شرح ، تفسير، تعليق	- خبر جملة (في النحو) - مُسْنَد (في مقابل المسند إليه)
٥- paralanguage	------	لغة مصاحبة	لهائية	لغة مصاحبة	خارج عن اللغة

جدول رقم (٣) تباين المصطلحات في اللّسانيّات

د- مصطلحات علمية مشتركة بين علوم الطب والحيوان والنبات

وينسحب ماتقوله هنا حتي علي المعاجم الموحّدة التي يشرف عليها مكتب تنسيق التعريب، ويشير الهلالي (١٩٨٨) الي هذا التباين بدراسته لثلاثة معاجم هي : المعجم الطبي الموحد (١٩٨٣)والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام الجزء الرابع معجم مصطلحات علم الحيوان (١٩٧٦)والجزء الخامس معجم مصطلحات علم النبات (١٩٧٨) ليري مدي التوافق بين عدد من المصطلحات المشتركة بين الثلاثة حقول الطب والحيوان والنبات وقد عرض عددا كبيرا منها (ص ٢٢٣ - ٢٤٠) نختار منها بعضها (انظر جدول ٤).

المصطلح الانجليزي	المعجم الطبي	معجم مصطلحات علم الحيوان	معجم مصطلحات علم النبات
١- web	وَثْرة	نسيج العنكبوت	غشـــاء
٢- toxin	ذِيفان	ذِيفان، توكسين	توكسين ، سم
٣- epiglottis	الفلكة	لسان المزمار	--
٤- dehydration	تجفاف، نَكْز	تجفيف	نزع الماء
٥- hypodermis	النسيجة تحت الجلـــد	الطبقة تحت الأدمة	تحت البَشَرة

جدول (٤) : تباين المصطلحات المشتركة في علوم الطب والحيوان والنبات

ويمدنا الخطيب (١٩٨٦) ايضا بامثلة عديدة من التسميات العلمية في حقل النبات ليدلل على الفرضي المصطلحية وتبنى دراسته على خمسة معاجم.

ويزيد من هذه الفرضي ان المترجمين غير المتخصصين قد يأتون بمقابلات جديدة من خلقهم دونما فهم دقيق للحقل الذين هم بصدد ترجمته. كما ان المترجمين، بشكل عام، يحارون في الاختيار وحين لايرضون بما هو متاح يضيفون مسارد لما يفضلون استعماله وتلك تختلف عن الموجودة في المعاجم او الكتب الاخرى الخاصة بنفس الموضوع مما يزيد من بلبلة القارئ والدارس.

٣-الترادف

هو استعمال مقابلين او مصطلحين او اكثر لتصور واحد. تعاني معاجمنا المتخصصة تخمة في المرادفات مما يثير البلبلة والايحاء لدى القارئ بان المترجم يتعامل مع تصورين مختلفين لاتصور واحد. وقد اخترنا بعض الامثلة للترادف من حقول مختلفة (انظر جدول ٥).

الحقل	المصطلح	المعجم	المترادفات
١- الطب	alexia	قاموس جيّ الطبي للجيب	اللا قرائيّة، عَمَه الكتروبات
٢-الزراعة	greenhouse	معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية	دفيئة، مُستنبت زجاجي
٣- علم المكتبات	archival arrangement	معجم مصطلحات علم المكتبات والعلوم	التنظيمات الارشيفية، تنظيم الوثائق
٤-علم الكمبيوتر	pack	قاموس الكمبيوتر	حزمة، عبوة، رزمة، حُشْوة
٥- اللسانيات	palatal vowel	معجم علم اللغة النظري	صائت غاري، صائت امامي

جدول (٥) الترادف في المعاجم المتخصصة

٤-الاشتراك اللفظي

تعاني المعاجم المتخصصة كثرة الاشتراك اللفظي وهو استخدام لفظة عربية واحدة مقابل اكثر من تصور او مصطلح اجنبي. ونضرب الامثلة هنا من حقل اللسانيات وكلها من المعجم الموحد:

(أ) تستعمل لفظة (اللسانيات)الرياضية لاكثر من تصور او مصطلح اجنبي statistical (linguistics), computational (linguistics) mathematical (linguistics)

(ب) تستعمل لفظة كلام لستة تصورات مختلفة او مصطلحات اجنبية parole, sentence, speaking, speech act, speech, utterance

(ج) تستعمل لفظة صيغة مقابلا لاربعة مصطلحات اجنبية form , aspect, tense, mood

والاشتراك اللفظي يذهب بدقة الدلالة ويضيع الفروق بين مصطلح واخر. فهناك فروق عديدة بين tense وaspect مثلا. فبينما يشير المصطلح tense الى زمان حدوث الفعل في الماضي او الحاضر او المستقبل يشير المصطلح aspect الى حالة الفعل من حيث البدء او الاستمرار او التمام او الانقطاع. اما المصطلح form فيقصد به التغيرات التي تطرأ على بنية الفعل.

٥-تكرار الخطأ من معجم لآخر

ان المعاجم الحديثة تعتمد، دونما تدقيق، على المعاجم السابقة لها وقد يتكرر بذلك الخطأ من معجم لاخر ويستعملها المترجم غير المتخصص بل والمتخصص ايضا ظنا منه انها المقابل الصحيح للمصطلح الاجنبي. وسنضرب هنا مثلا واحدا من حقل اللغة البحرية يشير اليه اللاتكة (١٩٨٤ :

٢٣١) وهو المصطلح metacentre وقد وضعوا له المقابل المركز البيثي الذي تكرّر في المعاجم التالية: معجم المصطلحات الفنية (١٩٦٩) ومعجم المورد (١٩٨١) ومعجم الياس العصري(١٩٨٢) ومعجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (١٩٨٤) واختلط الامر بين هذا المصطلح بمفهومه الخاص ومصطلح اخر قريب الصلة به هو centre of buoyancy فجاء المقابل العربي في المعجم العسكري الموحد (١٩٧٠) (بمركز الطفو) وفي معجم المعاني (١٩٨٧) (بمركز الطفو الحائل) وحتى معجم المعرفة (١٩٨٩) وهو احدثها فقد كرر الخطأ (المركز البيني) . وقد ترجمت البادئة meta "بيني" في حين ان المقصود بها في هذا المصطلح هو المركز الاعلى او الفوقي او الأبعد ويعرف المصطلح metacentre بانه نقطة التقاء الخط الراسي المرسوم من نقطة طفو جسم عائم بالخط الراسي المرسوم من نقطة طفوه الجديدة بعد احالته قليلا. وتقع هذه النقطة وهي هامة في دراسة توازن السفن فوق كل من مركز الطفو ومركز ثقل الجسم العائم وليس بينهما (الملائكة ١٩٨٤ : ٢٣١).

٦- اتباع النظام الالفبائي لا التصوري

ان النظام الالفبائي لايزال النظام المتّبع في معاجمنا الفنية ونقصد به ادراج المصطلحات الاجنبية تبعا لهجائها الفبائيا مع مقابلاتها العربية بتعريف، او في اغلب الاحيان، بدون تعريف دون النظر الى الصلات المنعقدة بينها. وقد نُعِت هذا النظام بانه "الفوضي المنظمة" (Grinov, 1989) اذ ان من معايبه ترتيب التصورات ترتيبا تعسفيا لايسمح بتمثيلها تمثيلا مترابطا. فهو لايظهر اي نوع مُجدٍ من العلاقات غير العلاقة العشوائية لادراج كلمات لها نفس الجذر. فالعلاقات القائمة بين التصورات وشبكاتها تمثل عنصرا هاما في عملية فهم المصطلح وتعريفه ومن ثم ايجاد المقابل العربي الصحيح الدقيق بل

والحدّ من الترادف والاشتراك واللبس .

يتّضح مما ذكرنا ان المترجم العربي عليه ان يكون مصطلحيا ومعجميا اذا دعت الحاجة ومن ثم فهو في حاجة ماسة الى التدريب المصطلحي، وهذا النوع من التدريب تفتقر اليه معاهد الترجمة في بلادنا.

النظرية المصطلحية والتدريب المصطلحي

اصبح البحث في المصطلحات الفنية ونقل المعرفة والمهارات التقنية من لغة لاخرى موضع دراسة علم جديد هو علم المصطلحية (Terminology Science) الذي يمكن ان يفيد من أسسه المترجم التخصص (انظر القاسمي ١٩٨٥، Felber, 1984 Picht & Draskau, 1985). يبحث هذا العلم في العلاقة بين التصورات العلمية والمصطلحات الفنية التي ترمز لهذه التصورات، وهو علم ممتزج المعارف تتداخل حدوده اللسانيات وعلم الوجود (Ontology) وعلم المعلومات ولغة الاغراض الخاصة (LSP) والمعجمية والتأثيل (Erymology). وثمة نظريات عديدة للمصطلحية لكن النظرية المتطورة والغنية في مادتها العلمية سواء باللغة الانجليزية او الفرنسية هي نظرية Wuster المعروفة باسم النظرية العامة في المصطلحية General Theory of Terminology وبدون الدخول في تفاصيل النظرية وتطبيقاتها العلمية نُحدّد موضوعاتها كما لخصها فلبر (Felber 1983, 1984):

طبيعة التصورات ومابين هذه التصورات من علائق وانظمتها ووصفها (تعريفها) وقصر مصطلح على تصور معين او تصور على مصطلح بعينه، كما تتضمّن ايضا البحث في طبيعة التصورات وتقييمها وتقييم عناصرها، وتقييس التصورات والمصطلحات وتوحيد التصورات والمصطلحات وطرق رصد المعلومات المصطلحية مع الاستعانة بالحاسب الالي او بدونه، وتجميع المفردات التخصصة لتحقيق الاتصال المعرفي واعداد مكانز

التوثيق(Documentation Thesauri) لانظمة المعلومات .

اما العمل المصطلحي الذي تقترحه للمترجم فيتكون من شقين :-

(أ) البحث النظري (ب)الممارسة التطبيقية

ويضم الشق النظري حقل علم المصطلحية ويضم الشق التطبيقي البحث في منظومات التصورات والمصطلحات لحقل موضوعي معين او الخصوصيات المصطلحية للغات او حقول موضوعية بعينها. والتصورية (انظر,Nedobity 1983)هي حقل هام للمترجم المتخصص وتعني بطبيعة التصورات والعلائق بين التصورات ومنظومات التصورات وطرائق صياغة المصطلح لتصور معين او العكس.

وقد بدأ تقديم نظرية المصطلحية والمبادىء المصطلحية واستعمالها في عدد من الجامعات في النمسا وكندا وتشيكوسلوفاكيا والدانمارك وجمهورية المانيا الاتحادية وفرنسا وجمهورية المانيا الديمقراطية، وبريطانيا والاتحاد السوفيتي ويتم اليوم توجيه المصطلحية بشكل متزايد نحو احتياجات مهنية معينة كاحتياجات الاختصاصيّين وكذلك المترجمين واخصائيي علم المعلومات (Felber,1988)-لذا فلابد ان يقوم التمرين المصطلحي بالنسبة للمترجم في بلادنا بدور مُتميز وذلك بمساعدة الانفورتيرم، ذلك المركز الدولي الذي يبذل الجهود لمساعدة الاختصاصيين في البلاد ذات المصطلحيات الاقل نماء، فيوفر لهم المادة التدريسية ويقدم لهم المشورة فيما يختص بالبرامج التدريبية

من ثَم يتضح ان تعليم النظرية المصطلحية ضروري للمترجم المتخصّص ولابد من ان يدخل كمكون هام في برامج تدريب المترجمين في الوطن العربي فالتواصل في اللغة الخاصة لابد وأن يَبرُزُ من اللبس المحتمل وقوعه في اللغة العادية والا انفرط عقد الاتصال العلمي. وازاء هذا العجز في معاجمنا المتخصصة ولما كان المترجم في عالمنا العربي اسرع من المعجمي او المصطلحي

في وضع المقابل العربي ولما كانت الترجمة هي نقل مفهوميّ لرسالة من لغة لاخرى فالمترجُم لابد له من الاحاطة التامة بالمقاربة ذات التوجّه التصوري(concept-oriented approach) التي هي حجر الزاوية بالنسبة للنظرية المصطلحية.

لقد كان المترجمون في السابق كما يقول القاسمي (١٩٨٩ : ٤٠) "يحترفون مهنتهم دون اعداد متخصص وانما كان معظمهم من دارسي اللغات الاجنبية الذين نمرأ لديهم مهارات الترجمة بالممارسة. اما اليوم فان معظم المترجمين قد حصلوا على تأهيل رسمي متخصص في الترجمة". ويدلل على قوله باحصائيات لها مغزاها من دراسة قامت بها M.Grindod (10) - 9: 1986) وهي أنه في الولايات المتحدة لاتتجاوز نسبة المترجمين الذين لم يتمّوا تكوينهم الجامعي في الترجمة ٣٠ ٪ وتنخفض هذه النسبة في بريطانيا والمانيا والاراضي المنخفضة الى ١٠٪ اما في البلاد الاسكندنافية فنكاد لانجد هذا النوع من المترجمين البتة. من ثمّ واذا اخذنا قضية التعريب في وطننا العربي في الحسبان، وأن المترجم العربي المتخصصّ سيكون عليه سواء في الحقول الانسانية او الحقول العلمية، معالجة مادة صعبة مليئة بمصطلحات واقذة جديدة يلزم نقلها للعربية، ادركنا حاجة وطننا العربي الى المترجم المدرب تدريبا مصطلحياً صحيحا.

المراجـــــع

١-المعاجم حسب ورودها في البحث

قاموس المعلوماتية ومصطلحات الكمبيوتر (مع معجم انجليزي-عربي) ر.ج. اندرسون واعداد أ.و. حداد ، ١٩٨٥ . بيروت : مكتبة لبنان.

قاموس الكمبيوتر (انجليزي-عربي). محمد السعيد خشبه ومحمود عبد العظيم عبد الله ١٩٨٧ . القاهرة : دار الاشعاع.

معجم مصطلحات علم المكتبات والمعلومات. عبد الله الشريف، ١٩٨٥ -. طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان.

معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي-انجليزي وانجليزي-عربي). وضع نخبة من اللغويين العرب ، ١٩٨٣. بيروت : مكتبة لبنان.

معجم علم اللغة النظري (انجليزي-عربي). محمد علي الخولي ، ١٩٨٢ ، بيروت مكتبة لبنان.

قاموس اللسانيات (عربي-فرنس وفرنسي-عربي) مع مقدمة في علم المصطلح. عبد السلام المسدّى ، ١٩٨٤، ليبيا - تونس : الدار العربية للكتاب.

معجم اللسانية (فرنسي-عربي) بسام بركة ، ١٩٨٥ ؛ بيروت : جروس برس

المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي-فرنسي- عربي) ١٩٨٩ . تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

المعجم الطبي الموحد - ط ٣ اتحاد الاطباء العرب ، منظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣ - ميدلبفانت سويسرا..

المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام، ج ٤ ، معجم

مصطلحات علم الحيوان. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي .

ج ٥ معجم مصطلحات علم النبات . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٨ . دمشق : المطبعة التعاونية

قاموس حتي الطبي للجيب (انجليزي - عربي) يوسف حتي وأحمد شفيق الخطيب ، ١٩٨٨ بيروت : مكتبة لبنان.

معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (انجليزي - عربي) احمد شفيق الخطيب ط ٦ ١٩٨٤ . بيروت : مكتبة لبنان .

معجم المصطلحات الفنية: الجمهورية العربية المتحدة. القوات المسلحة. ١٩٦٢، القاهرة

المورد (انجيزي - عربي) منير البعلبكي - ط ١٥، ١٩٨١ -بيروت : دار العلم للملايين.

قاموس الياس العصري (انجليزي - عربي) الياس انطون الياس وادوارد أ. الياس . ط ٢٥، ١٩٨٢ . القاهرة : دار الياس العصرية.

المفتي الاكبر (انجليزي - عربي) حسن سعيد الكرمي . ١٩٨٧ - بيروت : مكتبة لبنان.

المعجم العسكري الموحد. "لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية، ١٩٧٠ - القاهرة :دار المعارف

معجم المصطلحات البحرية (انجليزي - فرنسي - عربي) الاكاديمية العربية للنقل البحري، ١٩٨٩ - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

ب-المراجع الانجليزية:

Felber, H. (1983) "The general theory of terminology-a theoretical basis for information" in Cahiers de la Docu-

mentation / Bolden voor de Documentatie_37, 2/3: 85-91
(1984) Terminology Manual. General Information Programme and UNISIST. International Centre for Terminology (Infoterm) Paris / Wien
(1986) "The terminology in today's world". Wien: Infoterm (Infoterm 16-86 en)
Grindod,M(1986)" Portrait of a profession" in Language Monthly,29: 9-10.
Grinov,S.V.(1989)"Some problems of terminological dictionaries and their classification" Unesco ALSED- LSP Newsletter, vol 10,no 2 (27)
Nedobity, w. (1983)"Conceptology and semantics: a comparison of their methods and examination of their applicability in terminology". Wien: Infoterm(Infoterm 1 - 83)
Nida, E.A.(1964) Towards a Science of Translating. Leiden: Brill
Picht, H and Draskau,J.(1985) Terminology: An Introduction. The University of Surrey : Guildford Surrey.
Wills, W. (1982)_The Science of Translation : Problems and Methods Tubingen : Gunter Narr

ج-المراجع العربية:

دايدارى ، محمد (١٩٨٩) " التدوين المصطلحى اساس التوحيد والتقييس" ورقة مقدمة لندوة التقييس والتوحيد المصطلحيان في النظرية والتطبيق ١٣-١٧ مارس ١٩٨٩ تونس.

الخطيب ، محمد انور (١٩٨٦) " منهج بناء المصطلح العلمي العربى " ندوة التعاون العربى فى مجال المصطلحات علما وتطبيقا ٧-١٠ يوليو ١٩٨٦.تونس.

الصوينع ، علي (١٩٨٦) " مفارقات المصطلح فى علم المكتبات والمعلومات " مكتبة الادارة العامة المجلد (١٣) العدد (٣) فبراير ١٩٨٦.

القاسمي ، على (١٩٨٥) مقدمة فى علم المصطلح .الموسوعة الصغيرة العدد (١٧٩) بغداد: دائرة الشؤون الثقافية والنشر

(١٩٨٩)"مشاكل المترجم العربى فى المنظمات الدولية "

اللسان العربي (٣٣) : ٣٧ - ٤٤.
اللائكة ، جميل (١٩٨٤) " المصطلح العلمي ووحدة الفكر " في اللغة العربية والوعي القومي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
الهلالي ، صادق (١٩٨٨)" تباين مصطلحات المعاجم العلمية واثره على التعريب " اللسان العربي (٣٠) : ٢١٩ - ٢٤٠

كينونة اللغة في الفكر الغربي

دكتور / محمد علي الكردي

كينونة اللغة في الفكر الغربي

د. محمد علي الكردي

يذهب تودوروف ، أحد مشاهير النقاد الفرنسيين المعاصرين، إلي أن "الأدبية"،أي الخصوصية الأدبية للخطاب، بدأ مع تضخم ما يُسميه "حرفية" اللغة وانحسار وظيفتها المألوفة كأداة للتخاطب والاتصال ويقصد تودوروف بالحرفية الإهتمام باللغة من حيث هي لغة، أي الإهتمام بطرائق تركيبها وأساليبها التعبيرية، وبالصور البيانية المختلفة التي تتميز بها وتنمو وتتطور عن طريقها لا كقوالب مفروضة علي المادة الأدبية وإنما كجزء أساسي تقوم عليه هذه المادة. ولقد عني بتطوير هذا المفهوم واستغلاله في ممارساتهم الأدبية رواد الرواية الجديدة في فرنسا، وعلي رأسهم كلود سيمون وآلان روب - جرييه وروجيه بنجيه وجان ريكاردو وغيرهم. ومن المعروف أن جزءا كبيرا من روايات هذه "المدرسة" يقوم علي ميكانزمات توليد سواء علي المستوي الصوتي، ومايتيحه هذا المستوي من انتاج التماثلات الصوتية، علي شاكلة السجع والجناس، والتلاعب بها (لقد تبين أن هناك علاقة بين بعض هذه الكتابات ونظريات اللعب)، أو علي مستوي تداعي المدلولات والمعاني باستخدام ميكانزمات الاستعارة والكناية هذا بالإضافة إلي ضروب عديدة من "الموضوعات الكتابية" التي تستمد من مواد أو مجالات فنية مختلفة كالسينما والرسم والتصويروالطباعة والإعلان، الأمر الذي يوفر للكاتب مخزونا كاملا من فنون العرض وأساليب الإخراج اللازمة له لأداء "حرفته" أو صناعته علي أكمل وجه.

إلا أن الإهتمام باللغة من هذا المنظور الصناعي البحت ،أي لمادة خام لها حضورها القوي وكثافتها الخاصة بها، لايمكن أن يمثل، في نظرنا، مجرد اختيار

يرتبط بمزاج الكاتب، أو بشكل مجرد صدفة لايمكن تبريرها أو تعليلها. في الواقع، إن مفهوم اللغة الذي يتبلور هنا- ولا أريدأن أتطرف إلي دور سوسير في إبراز هذا المفهوم - قد يرتبط بمفهوم آخر بالغ الأهمية في مجال الممارسات الأدبية، وهو مفهوم "الكتابة"(l'écriture)كما بلوره وصقله "رولان بارت" لي دراسته المشهورة "الدرجة الصفر في الكتابة"[١]. وهكذا نستطيع بفضل "بارت" أن نعرف أن الكتابة هي ضرب من الاستخدام اللغوي، الذي يشكل مستوي خاصا لايطابق من جهة، مفهوم اللغة عند "سوسير" كنسق رمزي جماعي سابق علي الكلام، ولايصل، من جهة أخري إلي مستوي الأسلوب كخاصية شبه مزاجية تعبر عن الطبيعة الحميمة للكاتب، وعن فرديته المطلقة في تعامله مع عناصر اللغة من ثم، يمكن القول بأن الكتابة هي ماينطبق علي مجموعة من التكوينات اللغوية التي تتميز كل منها بتركيبتها الخاصة، والتي لايمكن فصلها، كما يذهب بارت، عن رؤية الكاتب لممارسته لعملية الكتابة. إن هذه التكوينات اللغوية التي تمثل مجموعة من الأدوات والممارسات والطرائق التعبيرية، غالبا ما تنشأ في ظروف تاريخية محددة، إلا أن هذا لايمنع من تعميم بعض مقوماتها، أو من تشكيل بعض مكوناتها في صورة أنماط كتابية عامة مثل النمط الكلاسيكي أو الرومانسي أو الرمزي أو الواقعي، نظرا لما تمثله هذه الأنماط من استعدادات واتجاهات أساسية في تركيبه النفس البشرية.

إلا أن هذا الاهتمام بتحديد خصوصية اللغة وإبراز ميكانزماتها من خلال مستوي الإنجاز الأدبي غالبا ماكان يعبر عن رأي بعض الكتاب والنقاد الذين يرون في تغيير منظورهم للغة جزءا لايتجزأ من عملية التحديد الشامل الذي يسعون إلي تحقيقه، إذ أنه ليس من المعقول، في نظرهم، تثوير الرؤي التقليدية في الرواية أو الشعر أوالمسرح من غير تثوير اللغة لحاملة أو المشكلة لهذه الروي، لأن الكاتب يتعامل،في نهاية الأمر، مع اللغة ومع آليات الكتابة

التي تعد الرؤى نتاجا لها أكثر مما تكون هذه الأخيرة مضامين تعبر عنها اللغة كما يذهب الفكر التقليدي السابق على إنجازات "سوسير" (Saussure). غير أن هذا لايفسر لنا، إذا استبعدنا آراء الكتاب واهتماماتهم، كيف انبثق هذا المفهوم "الغريب" الذي يضفي على اللغة "كينونة" خاصة بها، كينونة أعمق وأكثف من وظيفة الاتصال المنوطة بها، كينونة فرضت وجودها كقوة خارجية على الإنسان.

وهنا لابد لنا من الرجوع إلى تفسيرات "ميشيل فوكو "الأركيولوجية" لتتبين الظروف الموضوعية التي أدت إلى ظهور هذا المفهوم الثوري الذي يعبر عن تحولات عميقة في طبقات الثقافة الغربية أو الغربية. ويبدو أنه لكي نفهم هذه الظروف، علينا أن نرجع بخيالنا، بعض الشيء، إلى عصر النهضة، ففي هذا العصر، كما يذهب الكاتب، تقوم لغة الفكر على مقولة أساسية هي مقولة "التشابه"التي تعمل كمبدأ تنظيمي عام لمجمل الحقول المعرفية. وتناط بهذه القاعدة التشابهية العامة ومايتفرع عنها من مفاهيم ملازمة لها مثل "التوافق" و"التنافس"و"التجانس"و"التعاطف"، عملية كشف العلاقات الخفية الكامنة بين الموجودات على أساس العلاقات والرموز الظاهرة التي يوفرها لنا عالم الطبيعة إلا أنه لا كشف من غير فن خاص للتفسير والتأويل، من ثم يقول لنا الكاتب :

> "إن القرن السادس عشر قد جمع بين علم للعلامات (سيميولوجيا) وبين فن للتأويل (هرمينوطيقا) في صورة من التماثل والتشابه، بحيث أصبح البحث عن المعنى هو القاء الضوء على المتشابهات، والبحث عن قانون العلامات هو اكتشاف الأشياء القابلة للتشابه، ومن ثم يكون فن التأويل هو نحو الموجودات والكائنات."(٢)

إلا أن هذه الأرضية المعرفية التي تشكلها اللغة في القرن السادس عشر

سوف تحول، بطريقة جذرية، إبان العصر الكلاسيكي، بحيث يتغير "كيان" اللغه من طبيعته الثلاثية، التي تعتمد على اتصال "دال(صورة العلامات) "بمدلول" (مضمون هذه العلامات)عبر "ظروف موائمة (التشابه الذى يمكن اكتشافه بين الأشياء والعلامات) إلي تركيبه ثنائية لاتتعدي ارتباط دال بمدلول ومعني ذلك، في نظر الكاتب، هو نهاية التطابق القائم بين اللغة والعالم، وتحرير العلامات من ارتباطها بالطبيعة الناشئة ومن الشيئية حتي يمكن للغة أن تصبح مجرد نسق إعتباطي من العلامات يقوم علي نظام عام للتمثيل. (représentation)

لقد تحددت العلامة اللغوية إذن، بعد انسلاخها عن عالم الأشياء والطبيعة خلال القرن السابع عشر، بوظيفتها كحدث معرفي بحت، فهي لم تعد تستمد طابعها الاحتمالي أو اليقيني من الطبيعة، وإنما من مكانتها داخل إطار معرفي. لقد أصبحت تعبر عن "علاقة إبدال ممكنة بين عنصرين"، كما "أن الأشياء قد أصبحت بفضلها متميزة، محافظة علي وحدتها وقابلة للتحليل والتركيب"، وهو مايتيح، كما يذهب فوكو، للفكر الغربي أن يصل إلي مرحلة الحكم والتقويم.(٣) أضف إلي ذلك أنه إذا كانت العلامة تميل إلي الاعتباطية، فهذه - من غير شك- اعتباطية وظيفية، إذ أن الذي كان يعني به الكلاسيكيون هو إنشاء لغة تحليلية وتركيبيةجيدة حتي يتمكنوا من صياغة القوانين المكونه للطبيعة. إلا أنه إذا كانت العلامة اللغوية قد تبعد عن الطبيعة لتصبح في إطار النسق المعرفي الكلاسيكي مجرد علاقة بين فكرتين، فهذا لايعني قدرتها علي التمتع بصفتها العلامية بطريقة مستقلة، بل علي العكس. إن هذه الصفة لاتتم لها إلا بفضل قدرتها التمثيلية. معني ذلك، أنه لن يكون هناك بين العلامة ومضمونها أي وسيط ولن تقوم أية عتمة أوظلال.وكما كان علم العلامات يلتقي، خلال عصر النهضة، بفن التأويل عبر

مبدأ التشابه، فإن هذا العلم نفسه سوف يلتقي، في العصر الكلاسيكي، بتقنية التفسير الأكثر وبفضل الدور التمثيلية البحتة المناطة به. وليس من شك، في أن غياب أي نوع من الغور بين الدال والمدلول في الفكر الكلاسيكي سيشكل سمته المتميزة بالنسبة للفكر الغربي الحديث، وذلك بالقدر الذي سيحتاج فيه هذا الأخير إلى نظرية كاملة للدلالة لتفسير الفجوة القائمة بين الدال والمدلول، والتي يناط بها عمل الشعور ونشاطه.(٤)

إن الوظيفة التمثيلية تصبح، من ثم، دعامة اللغة في العصر الكلاسيكي.وليس من شك، في أن "الفعل" سيقوم فيها بدور بالغ الأهمية، خاصة فعل الكينونة الذي يناط به تجاوز العلامات اللغوية بما تمثله من ضرورة اتفاقية بحته إلى أساس وجودها الفكري لاغرو، من ثم، أن تكون وظيفة الفعل هي الصيغة التي تتواجد من خلالها اللغة، وهي القدرة على التمثيل بواسطة العلامات والربط بين هذه العلامات. إلا أن هذا لا يجب أن يحجب أهمية "الإسم" الذي يشكل "مادة" الجملة وأساسها القائم بذاته، بل ومحورها الذي تلتف حوله بقية عناصرها من صفات وأدوات ربط ووصل وغير ذلك.

إن الإسم، في الواقع، هو محور النظرية الكلاسيكية للغة من حيث كون "التسمية" في مبدأ التصنيف العام الذي يعد بجانب النظام الرياضي(mathesis)الخاص بقياس المقادير والأحجام والكميات والامتداد، القاعدة الأساسية لجدولة الكائنات وتصنيفها وفقا للنظام العقلي العام. ذلك أن الإسم من حيث هو "ملتقى كل وظائف اللغة" والوسيلة التي تتيح ترجمة العملية التمثيلية في صورة جمل وأحكام، يعد ركيزة الخطاب وشرط إمكانية اتصال الخطاب بالمعرفة. وإذا كان الخطأ والصواب لايرتبطان أساسا، كما يقول الكاتب، به وإنما بالحكم، أي بالتصور السليم الواضح لعلاقات النظام الفكري،

فإن الحكم لايبرز إلا بواسطته وبواسطة الجملة المرتبطة به. ومن هنا ينشأ التلازم بين الفكر السليم والعمل الذهني المطابق للمنهج، وبين اللغة التحليلية الدقيقة المنظمة التي لاتحدث فيها إنزلاقات أو تهويمات قائمة على التوليفات الخيالية والتجريدات أو التعميمات المتسرعة.(٥)

من ثم، أيضا، في نظر فوكو، هذه "الإسمية"(nominalisme) الجذرية التي تطبع الفكر الفلسفي الغربي منذ "هوبز" وحتى تألق فلسفة "الأيديولوجيين" في أوائل القرن التاسع عشر، وهي فلسفة تقوم أساسا على تحليل اللغة والشك في كل ألوان العبارات والمصطلحات التي تقوم على التجرد والتعميم، كما يبرز ذلك عند "بركلي"و"هيوم"و "كوندياك". مع افتراضها، في الوقت نفسه، قدرة اللغة، كأداة بالغة الشفافية والوضوح، على تسمية الأشياء والتعبير عنها بصورة مطابقة في إطار نسق من العلامات المصطنعة. ولكن إذا كان الإسم يمثل، على هذا النحو، غاية الخطاب، حيث أن تسمية الأشياء هي إدراكها، فإنه يمثل - لامحالة- نهايته في الوقت نفسه. ولعل ذلك يفسر لنا، كما يذهب فوكو، إزدهار "الريطوريقا" وتضخمها في الأدب الكلاسيكي، وذلك رغبة في تأجيل لحظة النطق بالإسم، والتمهيد لظهوره المرتقب بحشد من الصور والتشبيهات الخيالية التي لا تني تشوقنا إليه وإلى مابعدنا به من نشوة اللقاء والكشف إن هذا - كما يبدو- هو مايتحقق في عالم "ساد" الأدبي البالغ العنف، حيث يلتقي الإسم، وهو مادة اللغة وغايتها، بعالم الرغبة لقاءا يذوبان فيه إلى درجة انغلاق اللغة على نفسها، وانفصالها في كينونة غريبة عن وظيفتها التمثيلية المنوطة بها، وعن كل مايربطها باسقاطات الواقع والفكر.(٦)

إلا أن قيام هذه "الكينونة" لم يتم بصفه قاطعة، كما يبدو، إلا مع ظهور

علم "الفيلولوجيا" الذي أثر في تكوينه تأثيرا حاسما بالنموذج الوظيفي السائد في علم الحياة، ومناط ذلك أن العملية التمثيلية لم تعد هي التي تشكل بمفردها خصوصية العلامة اللغوية ، أو تحدد مكانتها داخل تركيب الجملة وعلاقتها ببقية العناصر اللغوية. فالكلمة، حتى وإن كان لها دور تصويري أو اخباري لاترتبط بنظام عقلي أو منطقي للعلامات بقدر مارتبط بظروف تاريخية خاصة عملت على تشكيل صورتها، وتحديد الأصوات التي تكونها، وانشاء القواعد التي تحكم تحولاتها، أو بمعنى آخر، إن ما يستخلصه فوكو من "الفيلولوجيا" هو رفضها لفكرة ربط اللغة بنظام التصورات، وإخضاعها، بدلا من ذلك، لضوابط النظم النحوية والصرفية والصوتية التي تشكل "حاملها" التاريخي، إن صح هذا التعبير، كما تشكل معبرها الأساسي نحو الواقع وتصوراته.

إن إدخال مفهوم "التاريخ" إلى مجال اللغات بغرض دراسة التحولات والتغيرات التي تصيب هياكلها ونظمها التكوينية ماكان ليتم، في نظر الكاتب، إلا ملازما لدخول مفهوم التطور في مجال علوم الحياة، وهو مايفترض ضمنا مقارنة اللغات بالكائنات الحية ذات التنظيمات العضوية والوظائف الحيوية المرتبطة بها، إلا أنه إذا كان من الممكن اعتبار مفهوم التاريخ أو "التاريخية" بمثابة الخلفية الأركيولوجية التي قام عليها كل من علم الحياة وعلوم الفيلولوجيا، فإن هناك فرقا جوهريا يظل، مع ذلك، قائما بين المجالين. ذلك أن تاريخية حياة الكائنات، كما يقول الكاتب، لاتقوم إلا بمساندة الحياة الخارجية المحيطة بها، بينما تاريخية اللغة هي اكتشاف لماهيتها الداخلية، أي لما يؤسسها كموضوع قابل للدرس والتحليل مثل بقية الموضوعات، وبالتالي من غير اعتبار لما تحمله من تصورات ورؤى انسانية تواترت عبر العصور.

غير أن فوكو يعتقد أن تحويل اللغة إلي موضوع للدراسة والبحث ماكان ليتلاءم كلية مع الطبيعة الخاصة للغة، وهي كونها، بجانب الدور المعرفي الذي تلعبه، أداة اتصال وتعبير عن الإحساس والشعور، وهو الأمر الذي يدفع إلي صياغتها في شكل خطاب، ومن ثم خضوعها، أردنا أم لم نرد، لذات المتحلم(أضف إلي ذلك أن إخضاع اللغة للدرس والتحليل قد قابله نوع من النزعة النقدية، وخاصة بعد ربط اللغة، في المنظور الفيلولوجي، بعادات الشعوب وتقاليدهاوتراثها الروحي وعقليتها المتشكلة عبر التاريخ. من هنا أصبح ينظر إلي اللغة لا كنتاج لإرادة الأفراد، وانما كإطار قبلي يعمل علي تشكيل عقول الشعوب.وأخيرا، يعتقد فوكو أن تموضع اللغة، عبر الدراسات الفيلولوجية، مع مايفترضه هذا التموضع من إبراز لخصوصية اللغة وتحديد لكيانها وماهيتها، كان عاملا حاسما في الكشف عن الطبيعة الأدبية للأستخدام اللغوي الذاتي، وهو الأمر الذي كان معروفا بالسليقة منذ القدم، بفضل بعض النصوص الفذة التي مازالت تقاوم الزمن. وليس من شك في أن كشف هذا "الكيان اللغوي".كما يسميه فوكو، سوف يتجلي من خلال عملية الخلق الأدبي، لا من حيث ارتباطه بوظيفة تقليد الواقع أو محاكاة أحداثه، ولا من حيث تقديمه مرآة صادقةالنفسية الفنان أو للظروف التاريخية والاجتماعية التي يعيش فيها، وإنما من حيث التحامه بعملية الكتابة وقدرتها اللاواعية علي تفجير القوي الخاصة بالكلام. وليس من شك في أن مايقصده فوكو هنا ، هو هذا التحول الكبير الذي تشهده اللغة الأدبية بعد تخلصها من منظور المحاكاة والوضوح العقلاني اللذين كانا يهيمنان علي الرؤية الكلاسيكية للوجود. إذ أن وظيفة الأدب لم تعد،من الآن فصاعدا، تقوم علي مطابقة الخطاب الأدبي للفكر السائد، ومن ثم ترسيخ القيم الفوقية في صورة قواعد عامة صورية تحكم الذوق، وتشكل الرؤية المطلقة للحقيقة والخير والفضيلة. إن الأدب، كما يقول فوكو، سوف يتمركز حول نوع

من "اللغة الازمة" التي لايعنيها ما تحطمه من أعراف وأحكام مسبقة، ولا ما قد تفجره من طاقات غير منظورة طالما أنها كامنة فيها، وبالتالي في الإنسان، إن هذه اللغة لن تخضع لقواعد التصوير أو التمثيل، إذ أن همها الأكبر هو تحقيق ذاتها الخالصة ، وإدراك وجودها كعملية كتابيةمستقلة لاغاية لها إلاتأكيد حركتها المولدة لجوهر كل أدب مبدع (٧)

هوامش البحث

(١) Roland Barthes, Le degré zéro de l'écriture. Paris, Ed.du seuil (points), 1972.

(٢) Michel Foucault, Les mots et les choses,Paris Gallimard, 1966, pp. 42-44

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٥

(٤) المرجع نفسه، ص ٨١

(٥) المرجع نفسه، ص ١٣٢

(٦) المرجع نفسه، ص ص ١٣٣ - ١٣٤

(٧) المرجع نفسه، ص ص ٢٩٣ - ٣١٣ .

بعض الخواطر عن العبادات عند قدماء المصريين

محاضرة

للأستاذة الدكتورة

نفيسه عبد الفتاح شاش

أستاذ الأدب المقارن والترجمة بقسم اللغة الفرنسية وآدابها

بكلية الآداب ـ جامعة الأسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتقد الكثيرون أن قدماء المصريين " متعددى الآلهة " ولكنهم فى حقيقة الأمر كانو يلجأون فى عبادتهم إلى رموز شتى تم تفسيرها بعد إكتشاف أسرار الكتابة الهيروغليفية التى كانت مدونة على جدران المعابد وأوراق البردى وغيرها - وقد أشار العديد منها إلى تلك العبادات التى مارسها الفراعنة على مدى آلاف السنين والتى كانت مرتبطة بالعهود التاريخية والقيادات الحكامية فى تلك الأونة .

وقد ظهرت العبادات عند الفراعنة فى قالب مميز مرتبطا ارتباطا وثيقا بأشكال متعدد منها الحيوان والنبات وغيرها - وترمز فى كثير من الأحيان إلى القوى الطبيعية من سماء وأرض وشمس وقمر وطيور وزهو ... إلخ .

واهتم قدماء المصريين منذ بادئ الخليقة بالأرض التي أطلقوا عليها إسم الالاهة الام التى تحتضن كل من الحيوان والنبات والإنسان ثم نظروا إلي السماء التى تضم الكواكب والشمس والقمر ومن ثم أصبحت السماء والأرض هما القوتين الهائلتين اللتين تهيمنان على كل ما براه الإنسان المصرى القديم فى هذا الكون العظيم .

ويلاحظ أن كل هذه المخلوقات لها دوراً هاماً وفعالاً فى عبادات هذه الشعوب العريقة - ويقول المفكر الكبير GASTON BACHELARD

" أن الرموز الحيوانية قد تقوم فى كثير من الأحيان بترجمة الأحاسيس الدفينة والكامنة فى الخيال البشرى وتعبر عن مدى تحمل هذه الأحاسيس لمايواجهها من صعوبات ولقد كانت مصر الفرعونية تضم العديد من رجال الذين اشتهروا

يواجهها من صعوبات ولقد كانت مصر الفرعونية تضم العديد من رجال الذين اشتهروا

بمعرفتهم العميقة وامتلاكهم مفاتيح اللغة الأولى الخاصة " بعلم الحيوان الإلاهى " "Le bestiaire Divin ".

وجاء بعد ذلك اليهود والكلدانين وغيرهم من الشعوب ليأخذوا هذه المفاتيح - ويقول المؤرخ الفرنسى : ADOLPHE ERMAN

" لقد فقد رجال الدين المصريون تلك المفاتيح الواحد تلو الآخر ولكنهم ظلوا محتفظين بأسرارها " .

وكثيرا مانجد فى عبادات مصر الفرعونية العديد من الحيوانات المقدسة وأشهرها العجل أبيس APIS بمدينة ممفيس والجدى آمون AMON بمدينة طيبة والكبش أوزيرس OSIRIS والتمساح سبع SEBEH والقطة باستت BASTET والصقر حورس HORUS والبقرة هاتور HATHOR والطائر تحت THOT والكلب أو الذئب أنوبيس ANUBIS وثعبان المعابد للعديد من الآلهة الإناث منها والذكور. وكانت القطة لها دوراً هاماً فى هذه الساحة الدينية حيث إنها كانت ترمز للقمر وكانت تظهر الآلهة إيزيس وعلى رأسها شعار القطة المقترن بالهلال القمرى - وكانت بالتالى تعتبر هى المهيمنة على القوى المغناطيسية والحيوية الموجودة على الأرض والصادرة من هذا الكوكب المضيئ الذى كثيرا ما استخدمة السحره فى السحر الأسود من أجل أعمال الشر (ولكنه كان يستخدم أيضا فى بعض أعمال الخير).

وارتبط هذا الحيوان أى القطة فى اللغة الهيروغليفية المقدسة بأحرف كلمة الأم لانه كان دائم الإتصال بالعالم الساكن لكوكب القمر الذى يعتبر مصدر الأمومة والإنجاب .

وأصبحت القطة رمزا للعديد من الألهة الإناث وأشهرهن إيزيس وباستت وكانت لهذه الألهة طقوس تقام فى المعابد المخصصة لكل منها .

ونرى أيضا حيوان آخر يرأس الطقوس الجنائزية ويبدو فى شكل ذئب أو كلب هو أنوبيس ANUBIS وكان يختص برسالة العالم الآخر إلى جوار إلاه الموتى ومن خلال هذه الرموز تنعكس لنا صورة العجل أبيس والبقرة هاتور وهما يرمزان إلى تنظيم العالم والسهر على أمنه وأمانه وصحته كما جاء في

كتابات :FRANCOIS DAUMAS

ورمزت هذه الحيوانات لاوزيريس الذى أطلق عليه إسم "أوزيريس الإله الأخضر " وإيزيس التى سميت " إيزيس الالاهه السواء " وهذه الألوان تعبر عن الأرض الخصبة وأيضا عن السحاب المكتظ بالمياه - وبالتالى أصبح العجل والبقرة هما شعار الأعمال الزراعية والأرض الخصبة التى ترتوى بمياه الأمطار فتنمو وتأتى بالثمرات والخيرات وحينئذ تقام الإحتفالات الدينية وتتلى التراتيل وتعد الطقوس الكثيرة .

ويحدثنا الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد أستاذ التاريخ القديم والآثار عن تلك البقرة فيثبت أنها هى التى ذكرت فى القرآن الكريم فى الآية فى ٦٩ من سورة البقرة ويقول الحق تبارك وتعالى " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - بسم الله الرحمن الرحيم - إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين " .

ذلك لأن المصريون القدماء كانو يصنعون لها تماثيل مغطاه بالذهب حيث أن اللون الأصفر والذهب بالذات يرمزان إلى الخلود طبقا للإعتقادات الفرعونية كما جاء فى كتاب رموز الألوان فى العصور القديمة والوسيطة والحديثتلفريد يريك بورتالد FREDERIQVE PORTAL

2

وتبدو لنا صورة أخرى للعبادات من خلال صورة الثعبان الذى كثيرا ما اقترن بصورة المرأة طبقا لكتابات المحلل النفسى GASTON BACHELARD ولكن كتاب الموتى يوضح لنا أنه كان يرتبط ايضا بصورة الرجل .

فقد كان قدماء المصريين يعتقدون أن أول كائن خلق على وجه الأرض وقام بعبادة الإله رع هو الثعبان مما جعلهم يتوجون به رؤوس ملوكهم .

ويرمز الثعبان إلى القوى الإلهية التى ترتفع وتعلو من أجل إيقاظ المعرفة .

وتعبر صورة الثعبان عن الخير تارة وعن الشر تارة أخرى فنجد الثعبان يورايوس URAEUS رمزا للقوى الخارقة والثعبان أبوبيس APOPIS رمزاً للعداء فهو عدو الاله رع RE وتأتى صورة ثالثة هى صورة الثعبان أوربورس OURO BOROS الذى يرمز للقوى المغناطيسية التى تحيط بالكره الأرضية والتى يهتم بها علماء الغيبيات .

ويشير المفكر الفرنسى جاستون باشلار إلى أن الثعبان يرمز إلي القوى الخالدة التى تتجدد وتبعث من جديد وذلك ربما يرجع إلي طبيعة الثعبان فى إمكانياته فى تغيير وتجديد جلده .

ونلاحظ أن صورة الثعبان كثيرا ما تقترن عند الفراعنة بصورة الطيور كالصقر أو العنقاء. والصقر حورس وهو إله الزكاء والموهبة. أما طائر العنقاء ، وقد انقرض الآن فقد كان يرمز هو الآخر للزمن المتجدد والبعث والخلود .فهو رمز الحياة الأبدية بضد أن الموت ماهو إلا مرحلة إنتقالية تأتى بعدها الحياة الحقيقية المشرقة بالأمل والتفاؤل والسعادة والخير كما جاء فى كتاباتهم .

وتعد هذه الأمثلة بعض ما استخدم فى العبادات الفرعونية من حيوانات أو طيور .

أما النبات فقد كان هو الآخر من أهم الألهة التى تقام لها الطقوس والعبادات المختلفة ولوحظ أن قدماء المصريين كانو يؤلهون كل ما هو مفيد وفعال .

وقال الكاتب الفرنسي جيراردى نرڤال عندما زار مصر فى القرن الماضى .

" ظلت زكريات مصر القديمة قوية فى نفسى لدرجة أننى كنت كثيرا ما أخشى خدش أى نبات من النباتات فلربما جرحت إلاها بداخله " [1] .

وكان رجال الدين الفراعنة يتحاشوا أكل بعضها مثل الثوم أو البصل بسبب أهميتهم فى التحنيط وفى طرد الأرواح الشريره وكذلك فى الطب فقد كان يستخدم البصل كمنعش ومليّن ومهضم ويشفى من امراض وأشياء كثيره مثل عضه الكلب ولدغة العقرب وإذا وضع أمام حجر من حجور الافاعى كان يمنعه من الخروج منه .

وكثيراً ما نرى فى النقوش الواضحة على جدران المعابد وخاصة فى معبد آمون رع بالكرنك فى مدينة الأقصر بعض المشاهد التى تبين أهمية هذا النبات .فقد كان يقدم كقربان إلى أوزيريس .

وأوضح لنا PLINE المفكر الأثينى القديم الذى عرف بكتاباته الشهيره عن التاريخ الطبيعى والمدونة فى ٣٧ مجلد والتى تعتبر من أهم الموسوعات العلمية عن القدماء أن قدماء المصريين كانوا تعتبر البصل والثوم من أهم ما يقسم به من بين الألهه - وها نحن الآن فى أواخر القرن العشرين نقوم بالعديد من الأبحاث والاكتشافات التي تؤكد أهمية هذه النباتات فى علاج وتفادى الكثيرمن الأمراض.

أما على الصعيد السيكولوجى فالنبات عموماً يعتبر من أهم ما يعبر عن المشاعر وكذلك عن الرغبة فى العودة إلى الماضى وكذلك العودة إلى الحياة .

---

(1)GERAR DE NERVAL -VOYAGE EN ORIENT -P.123

ففى مجال النبات اعتبر قدماء المصريين زهرة اللوتس رمزا حيا للمولد وللبعث وكانت هذه الزهرة لديهم هى شعار المولود الأول الذى نشأ من وسط المياه الأولى LES EAUX PRIMORDIALES وهو أوزيريس وتقول الأساطير أنه الابن الأول للشمس وأنه المولود الأول الذى ظهر فى مصر وكان متربعا فوق زهرة من زهور اللوتس .

ويعتبر أوزيريس بالفعل أول نبى أو رسول جاء على الأرض بعد أدم عليه السلام ليرفع لواء الوحدانية كما جاء فى القرآن الكريم .هذا الكتاب المديد الذى يحمل الكثير والكثير من المعانى والذى يمدنا بالمعلومات الفياضة التى لا تجف ولا تنضب على مدى العصور - فقد قال الحق تبارك وتعالى فى سورة مريم

(الآية ٥٦ ، ٥٧).

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

بسم الله الرحمن الرحيم

واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً (٥٦)

ورفعناه مكاناً عليا (٥٧) .

فلنتوقف قليلا هنا لتوضيح معانى هذه الآيات الكريمة -قد نلاحظ أن التشابه بين الاسمين أدريس وأوزيريس قائما بالفعل كما قال فضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى فى موسوعة الجواهر فى تفسير القرآن الكريم أن كلمة أدريس فى تعريب لكلمة أوزيريس (صـ ٤١) وهذا الاسم فى الآثار المصرية ألف له المصريين القدماء رواية خلدت بسبب أول نوع من الكبائر إلا وهو الحسد الذى بدأ يتغلغل فى نفس اخيه ست الذى قام بتقطيع جسده إلي عدة قطع ، وألقى بها فى أنحاء مصر والتى قامت بعد ذلك زوجته وأخته ايزيس بجمعها

وتحنيطها ومن هنا بدأ التحنيط عند قدماء المصريين ، وهو من أهم العلوم التى ظلت حتي الآن محور المناقشات والابحاث العديدة من أجل معرفة أسرارها .

وكان هذا الملك أول من علم المصريين العلوم والمعارف وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من اتخذ السلاح وأول من نظر فى علم الحساب ومما يتوضح من كلمة " إنه كان صديقاً نبيا " وصفه بالصدق وهو أهم أوصافه . والصديق هو كثير الصدق والتصديق . وكلمة نبيا تبين لنا موقف هذا الرسول الذى أنعم الله عليه بنعم دنيوية وأخروية من ذرية أدم . وتشير هذه السورة الكريمة إلى العديد من الرسل والأنبياء فى هذه الساحة الدينية الهائلة مما يعد من اعجاز القرآن الكريم .

(ادريس ونوح وممن حملنا مع نوح) أولاده سام وحام - سام من ذرية إبراهيم عليه السلام ومن ذرية إبراهيم اسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن ذريته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى و سيدنا محمد ﷺ .

أما عن قول الله تعالى " ورفعناه مكانا عليا " فتتوضح لنا معنيان :

الأول : أن إدريس أو أوزيريس لم يمت بعد تقطيع جسده ولكن ظل حيا ورفع إلى السماء وظل يتابع أعماله فى الأرض ويحكم فيها وكذلك فى السماء مما جعل المصريون يطلقون عليه إلاه الموتى .

والثانى : أن هذا الملك تمكن بمعارفه الكثيره أن يرتقى بالأمة المصرية فيجعلها ترتفع وتنفع الأمم وتهذب الأجيال وتظل شامخه أبدا الدهر .

وقد يتضح لنا ايضا فى كثير من المخطوطات الهيروغليفية منذ عهد أوزيريس فى العصر الفرعونى القديم اثباتات قوية على وحدانية الله سبحانه وتعالي وأن - العبادة الحقيقية كانت لله الأعظم والذى كانت تطلق عليه أسماء شتى وهنا يظهر المعنى الحقيقى لكلمة " الاه " عند الفراعنة التي استخدمت للطيور

أو للحيوانات أو النباتات أو غيرها .

هذه الكلمة ما هى إلا لفظ تكريم أو تفخيم أو تكبير لكل ما كان جدير بالإحترام أو مهابا لخشيته - وبالتالى تصبح كلمة إلاه مرادفاً للقب " سمو " أو " معالى" أو " سعاد " أو فخامة " .

أما الإله الأكبر فكانت له مكانة واضحة وثابته فى العديد من المخطوطات . وقد وجد العديد من النصوص التي تدل على ذلك وكانوا يطلقون عليه أسماء كثيرة مثل :

AMON , ATON , ATOUM , RÊ ...

ويشبهونه بالشمس أو الصقر أو الأم أو الفنان أو الراعى أو غيرها من المسميات المختلفة .

فتقول بعض النصوص الهيروغليفية :

السلام عليك ياشمس النهار التي خلقت الإنسان وجعلتيه يعيش ويحيا
ياأيها النسر القوى ذو الريش الجميل الذى جاء إلى الوجود ليرفعه معه .

وجاء إلي الوجود بقوته وقدرته ولم يلده أحد

وخلقت الكائنات كلها من أصغرها إلى أكبرها

انت الأم العظيمة التى جاءت بالآلهة والبشر

أنت الفنان الماهر الذى لم يكل من أعمال لا تحصى

أنت الراعى القوى الذى يرعى كل من حوله .

وقد وجد أيضا مدونا على أوراق البردى وعلى جدران المعابد والأهرامات

منذ عصر أوزيريس هذه المعاني :

" عندما لا يستطيع الإنسان تحقيق رغبته

فـــان إراده اللـــه هـــى التـــي تتحـــقـــق..."

"لا تبخـــل علـــى الفقـــير بأمـوالـــك

فهـــى هبـــه من اللـــه الـذى أعطاهـــا لك ..."

"ولا تحـــث والـــدتـك علـــى الغضـــب

فقـد ترفع يديها إلى الله فيستجاب دعاؤها..."

" القليـــل الـذى يمنحـــك اللـــه حلالا طيبـــا

أفضل من الالاف التي تحصل عليها بالحرام ..."

" إن اللـــه يفضـــل من يحـــترم الفقـــير

عـــلـــى مـــن يبـخـــل الـغـــنى ... " (١)

إذن فالعديد من المخطوطات الهيروغليفية أشارت منذ بداية الخليقة إلي وحدانية الله سبحانه وتعالى وظل المؤرخين أمثال

ETIENNE DAIOTON, AODLPHE ERMAN ,RICHARD PATRICK, VAN

DE WALLE SACAVES ,JACQUES -VANDIER

وغيرهم . يتساطون عما إذا كان قدماء المصريون متعددى الألهة أو كانوا يؤمنون بالإله الواحد الأحد ؟

(1)FRANCIS -DAUMAS-LA CIVILISATION -PHARAONIQUE.PARIS

ويقول : FRANCOIS DAUMAS أن التشابه بين ما حملته بعض المخطوطات الهيروغليفية وبين ما جاء فى الكتب المقدسة كالعهد القديم والإنجيل ليس ببعيد .

وهاهى بعض المعانى التى ترجمت على لسان الإله الأكبر " قبل أى وجود كنت أنا موجود أنا الذى خلقت الخلق فى وحدانيتى قبل أى وجود وأسمى هو " HEKA " ونلاحظ أن كلمة HEKA قريبة بالفعل من كلمة " حق " أوالحق

وكان كبار المفكرين والكهنة الفراعنة يشيرون إلى أ ن" HEKA " أو الحق موجود بالنسبة للحياة المنطقية ولا يجوز إظهاره فى شكل معين فكثيرا ما كان يذكر على هيئة قوة هائلة أشادوا بها .

أما الطبقات الأخرى من الشعب فلم تستطيع مجاراة هؤلاء ومع مرور الأيام، تمسكوا بالرموز والماديات الملموسة وضلوا الطريق ونسوا الحق ووحدانية الله سبحانه وتعالى .

وينقسم العهد الفرعونى إلى ثلاث عصور : القديم والوسيط والحديث ففى العصر الفرعونى القديم وبالذات فى عصر OSIRIS أجمعت النصوص على وحدانية الله ثم أخذت تتلاشى فى العصر الفرعونى الوسيط ولم تعود إلى صوابها مرة أخرى إلا فى العصر الفرعونى الحديث على أيدى نبى مرسل لم يذكر فى القرآن بل جاء ليحمل لواء الوحدانية ويعيد الأمة إلى الطريق المستقيم مما أثبتته معانى الأية الشريف ١٦٤ من سورة النساء .

" ورسلا قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك "

وجاء أمينوفيس الرابع الذى سمى نفسه أخناتون أى " الذى يرق لأتون " أو " الذى رضى عنه الاله آتون " فحطم الأصنام بداخل المعابد وجعلها بدون أسقف

تعرشها .

وأصبحت الصلاة تقام فى هذه المعابد لا يظلها إلا السماء وقام بالغاء كلمة آلهة وأصبحت لا تذكر إلا فى المفرد :لا أله ألاالله -

وجاءت النقوش توضح هذه المعانى واتخذت الشمس رمزا للاله وجاء على لسان قاضى من القضاه . الكلمات الآتية :

"إننى لم أوذى أحد من البشر ابتغاء رضى الله

وكنت أحكم بالعدل الذى يحبه الله "

ووجد أيضا مكتوبا على المقابر :

" كنت أعمل ما يرضى الله لانني كنت اذكر دائما إني عند موتي سأعود إلي الله"

وتعددت مثل هذه الإتجاهات فى الاسرة الـ ١٨ إلي الأسرة الـ ٢٢ ومن هذا كله يتضح لنا أن التوحيد ظهر فى العصر الفرعونى بل ظهر مع ظهوره أول إنسان على الأرض أي ظل يدوى منذ أدم عليه السلام وعلى مدى العصور .

ثم إلى أوزوريس أو إدريس ثم اخناتون ثم نوح ثم إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وكانوا كل هؤلاء الرسل والأنبياء يحملون لواء الوحدانية وفصلت بينهم فترات زمنية كان الإنسان يبعد فيها عن الحقيقة فيضل الطريق ثم يعود ثانية إلى طريق الحق علي يد رسول يبعثه الله إلى الأرض .

إذن فإن مصر الفرعونية من أوائل من حمل لواء الوحدانية وعبادة الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

****

Bibilioqraphie .

BACHELARD . Gaston . La terre et les reveries du repos.

Paris . José Corti , 1974 .

BALTRUSAITIS , Jurgis . La Quete d' Isis , Essai Sur la

legende d' un mythe . France , Olivirer Perrin . 1967 .

BRIOTON . Etimenne & VALENDIER Jacques , Les peuples de l' Orient mediterranéen. L' Egypte , Paris , Presses Universitaires de France , 1952

CHAMPDOR . Albert , Le Linre des morts , Paris , 1963 .

CHEVALIER . Jean Dictionnaire des Symboles , Tome I I I , Paris, Seghers , 1975 .

DAUMAS , François , La Civilisation de l' Erypt Pharaonigue , Paris , Arthaud , 1971 .

DUCHAUSSOY , Jacques , Le Bestiaire divin ou la Symbolique des animaux , Paris , Edition du Vieux colomier , 1958.

ENCREAZ , O .. " Vivante étoile " in Archives des l' ettres modernes . 1971 , n° 127 .

ERMAN . Adolphe , La reliqion des Egyptiens , Paris , Edition Payot , 1952 .

FRMAN , Adolphe , La reliqion des Eryptiens , Paris , Edidion Payot , 1952 .

FREUD , Prof , Sigmund , Introduction á la psyhanalyse , (Teaduit de l' allemand par le Dr . S . Jankeslevitch) . Paris , petite bibliotheque pqyot . 1962

JACOBI , Jolan , La psychologie de Jung , actualités pédagogiques et psychologiques (Traduction de V . Baillos) Paris , Delachaux et Nics,tlé , 1965 .

MAYSSIS . S ., Mysteres et intiatiions de l' Egypte ancienne . Athenes , B . A . O . A . , 1957 .

NERVAL , Gerard de Les Chiméres - " Vers dores " Edition commentée par Jeanine Moulin , Droz , Lille - Geneve , 1949 .

Voyage en Orient , Paris , Charentier .1851

NERVAL , Gerard de Les I'll umines , " Quintus Aucler " , Paris . Lecou , 1852

PATRICK . Richard , La mythologie Egyptienne , Paris Edition Robert Laffont , 1976

PICHON Jean - Charles . Histoire des mythes Paris , petite bibliothéque Payot , 1971

PORTAL , Fréderic , Des couleurs symbliques dans l'antiquité le moyen - age et le temps moderne , paris , EditionNiclaus , 1938 .

RICARD JeAn , pierre Poésie et Profondeur Paris Editions du Seuil , 1955

RICHER . Jean Gérard de Nerval Paris Edition P. Seghers 1968

SERVIER , J . , L ' homme et l'invisible , Paris , 1964.

VAN DE WALLE , B . , Mythologies de la Méditerranée au Genqe Mythologie Egyptienne , Paris , Larousse , 1963 .

WESTERMARCK , E ., Ritual and Relief in Morocco. London . 2 Volumes . 1926 .

تراثنا بين الاخطاء والاخطار

الاستاذ الدكتور/ لطفى عبد الوهاب

تراثنا بين الأخطاء والأخطار

الحديث عن التراث حديث بدأ يتردد في وطننا العربي منذ فترة طويلة - يزداد ترداده حينا، وينساب هادئا حينا آخر، ويخف أو يخفت في أحيان كثيرة حتى يكاد يقتصر علي عدد من الحقائق المتناثرة نستحضر من خلالها لحظات أو لقطات ساطعة من بين ما قام به أسلافنا في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الانجاز، نرتاح اليها أو نستعيد بذكرها قدرا من الثقة في أنفسنا بشكل آني ثم لاتزيد علي ذلك كثيرا. علي أن الوعي بالتراث العربي بدأ يستعيد نبضه مؤخرا في عدد من الاتجاهات : أولها زيادة استقطابه للاهتمام الرسمي علي مساحة الوطن العربي، إلى جانب الاهتمام الشعبي سواء على مستوى الهيئات أو الأفراد. كذلك هناك تعدد الجوانب المطروحة من التراث، علما أو أدبا أو فكرا أو فنا أو نصرا عسكريا أو غير ذلك. وأخيرا، وليس آخرا، يأتي الاهتمام بنشر هذا الوعي عن طريق عدد متزايد من قنوات التعليم والاعلام وبمعالجات تخدم الأهداف المتفاوتة، ابتداء من الحديث العام الذي يقصد الى التعريف السريع بجانب أو بآخر من جوانب التراث من جهة وانتهاء بالدراسات المتخصصة التي تستهدف التفصيل والتحليل من جهة أخرى.

والحديث الذي أقدمه في هذه السطور ليس حديثا عن مضمون تراث الوطن العربي من حيث مجالات المعرفة التي تدخل ضمن هذا المضمون وما تشتمل عليه هذه المجالات من تفاصيل ، وانما يتناول ما يتعرض له هذا التراث في إطاره العام من أخطاء في التصور نقع فيها نحن أبناء هذا الوطن ، أو أخطار تنطلق من خارج وطننا وتستهدف تراثنا في صورة أو في أخرى.

ولكي ندرك الحجم الحقيقي لهذه الأخطاء والأخطار، لابد لنا من وقفة

قصيرة نحدد من خلالها ما نقصده بالتراث، حتى نتعرف علي قيمته في حياتنا ومن ثم ندرك أبعاد ما ينبغي أن نقوم به في سبيل المحافظة عليه. ورغم تعدد التصورات التي قُدّمت ولا تزال تُقدّم حتى الآن حول ما نقصده بالتراث، فان تحديدا بسيطا يمكن أن يفي بهذا الغرض في عمومه : وهو أن التراث هو كل ما توصل اليه المجتمع من انجازات في تعامله ، عبر التاريخ، سواء مع ظروف البيئة التي ينتمي اليها ويحيط به مباشرة، أو مع الظروف الخارجية التي يجد نفسه في مواجهتها أو علي اتصال بها- انتفاعا بايجابيات هذه الظروف وتطويرا لها أو تفاديا لسلبياتها وتقليصا لها. وفي ضوء هذا التعريف أو التحديد يصبح في مقدورنا أن ندرك أهمية التراث: فحصيلة حوارنا مع هذه الظروف ومدى نجاحنا في التعامل مع ما تقدمه من تحديات ، سواء على المستوى المحلي أو على مستوى الاحتكاك مع الآخرين على مر العصور ، هي التي تحدد نوع تجربتنا التي تتميز عن تجارب غيرنا، وقدر عطائنا على المستويين المحلي والخارجي، ومن ثم الموقع الذي يشغله دورنا الحضاري على مسار الحضارة الانسانية - وهو الدور الذي يشكل محور هويتنا الحضارية. وهذه الهوية الحضارية الممتدة في تطورها على مسار تاريخنا، هي التي تتخطى وجودنا كأفراد لتجعل منا كيانا له أبعاده الخاصة به التي تحفظه من الاندثار أو الذوبان في الكيانات الأخرى - وهنا تكمن قيمة المحافظة على التراث.

على أن المحافظة علي تراثنا ، اذا كان شقها الأول هو جمع هذا التراث وتوصيله الي أبناء هذا الوطن علي كافة المستويات وبشتى الوسائل التي تقع تحت أيدينا أو التي يمكن أن نتوصل اليها، فان الشق الآخر الملازم لذلك هو التعرف على المساحة الحقيقية للدائرة التي تضم هذا التراث - ومن هنا ندخل في حديث الأخطاء والأخطار التي يمكن أن تنتقص من هذه المساحة أو تشوش على حدود الدائرة التي تحتويها.

وفي مجال الحديث عن الأخطاء التي نقع فيها، هناك ثلاثة أخطاء رئيسية: أولها يخص المنطلق الزمني لتراث الوطن العربي، وأعني بذلك البداية التاريخية الحقيقية لهذا التراث. ان التصور الشائع والغالب حتى الآن ، سواء في الأوساط المثقفة أو على المستوى العام، هو أن تراثنا العربي يبدأ مع بداية المد الاسلامي والفتوحات العربية. ولاشك أن المد الاسلامي الذي واكب الانطلاقة الفتيّة للعقيدة الجديدة، بكل ما رسمته لنفسها من دور عالمي ، شكّل الدفعة الهائلة وراء المد الحضاري العربي في العصر الاسلامي. ولا شك كذلك في أن حركة التعريب التي جاءت في أعقاب هذا المد أدت الى أن تصبح العربية هي أداة التعبير الوحيدة، ومن ثم الوسيلة الموحدة للتداول الفكري في كل أرجاء المنطقة التي أصبحت وطننا العربي . وقد أدت هذه الوسيلة الموحدة الى وحدة الحركة الثقافية وحالت دون تبعثرها ، وبذلك أعطتها الزخم الذي تميز به انجازها. ولكن ، الى جانب هاتين الحقيقتين الثابتتين ، هناك حقيقة أخرى لا سبيل الى نكرانها أو المماراة فيها : وهي أن المد الحضاري العربي في العصر الاسلامي لم يبدأ من نقطة اللاشيء. فالمنطقة التي شهدت هذا المد لم تكن خلوا من الانجازات الحضارية التي تضرب جذورها في أعماق الماضي لعدة آلاف من السنين . وقد كانت هذه الانجازات والتجارب الحضارية هي الروافد التي جمعتها قوة الدفع الجديدة وحركة التعريب لتصب في المجرى الحضاري العربي في العصر الاسلامي، فيستوعبها ويضم اليها روافد من حضارات قديمة أخرى عن طريق حركة الترجمة ، ثم يطورها ويزيد عليها لتشكّل في النهاية مرحلة جديدة من مراحل مسيرتنا الحضارية ، ومن ثم من مراحل النمو الطبيعي لتراثنا وهويتنا الحضارية.

وفي ضوء ما قدمتُ فإن الحضارة العربية التي قامت في العصر الاسلامي تصبح في حقيقة الأمر استمرارا وتطويرا للتجارب الحضارية التي

عرفتها منطقتنا منذ بداية تاريخها، ويصبح التردد أمام هذه الحقيقة أمرا لا مبرر له مهما كانت الاعتبارات التي تقف وراء هذا التردد. وفي الواقع فاننا بتجاهلنا للجذور أو الروافد الأولى لحضارة الوطن العربي انما نبتر النتائج عن مقدماتها الطبيعية، ونصور حضارتنا في العصر الاسلامي على أنها بناء قام على غير أساس من التطور الحضاري الطبيعي الذي تؤدي فيه مرحلة حضارية الى المرحلة التي تليها، وتكون بذلك قد استغنينا، طواعية، عن شوط من مسار تراثنا يمتد من فجر التاريخ حتى القرن السابع الميلادي.

أما الخطأ الآخر الذي نقع فيه في مجال التعرف الكامل على تراثنا، فسببه عدم الاهتمام أو عدم المعرفة الواضحة. وأشير في هذا الصدد الى ما قدمه أبناء منطقتنا من عطاء حضاري لم يتوقف خلال ألف سنة من تاريخنا - وهي الفترة التي امتدت بين فتح الاسكندر المقدوني للمنطقة وبين المد العربي في العصر الاسلامي. والسبب الذي يحجب عنا هذه الحقيقة هو أن هذا العطاء أو هذا الانجاز الحضاري تم التعبير عنه آنذاك من خلال وسيلة للتداول الفكري وردت الينا من خارج المنطقة في ظروف تاريخية استوجبت ذلك، ثم ما لبثنا أن تبنيناها - في ظل هذه الظروف - أداة للتعبير الثقافي عن انجازنا الفكري. وأعني بهذه الوسيلة: اللغة اليونانية التي أصبحت لغة الثقافة السائدة خلال هذه الفترة في القسم المتحضر من أوروبه وفي كل منطقة الشرق الأدنى وشمالي أفريقية - ومن بينها منطقتنا.

لقد ظهر في هذه الفترة عدد كبير من علماء منطقتنا ومفكريها قدموا انجازاتهم من خلال اللغة اليونانية، وكان لعطائهم أثر فعال في حضارة الفترة المذكورة لم يقتصر على المنطقة، ولكنه تخطى حدودها لينقل أثره الواضح في المجتمعات الأوروبية. ومن بين هؤلاء، على سبيل المثل لا الحصر، علماء مدرسة الاسكندرية مثل اراتسطين في مجال الفلك وهو من قورينه في ليبيه، واقليدس

السكندرى فى مجال النظريات الهندسية وبطلميوس كلاوديوس من صعيد مصر فى مجال الرياضيات- وجميعهم رفدوا العلوم الأوروبية بما توصلوا اليه فى هذه المجالات . ومن بين هؤلاء كذلك فلاسفة من أمثال زينون السورى، مؤسس المذهب الرواقى الذى نادى بمبدأ الأخوة العالمية ودرّسه فى أثينا لتتبناه بعد ذلك الأوساط الثقافية فى روما. ومن بينهم الشاعر ملباغروس الأردني الذى ولد وترعرع فى أم قيس (جَدَرَه كما كانت تدعى آنذاك) وقضى فترة رجولته فى مدينة صور وتفنى، مرة أخرى، بفكرة الأخوة العالمية التى بشر بها زينون ، فى عصر كان فيه الاتجاه العرقى اليونانى يحكم الخناق على العقول والنفوس. ومن بينهم ،أخيرا وليس آخرا ،يوسيبيوس المفكر الدينى الفلسطينى، الذى ولد وعاش فى قيسارية وقام بدور هائل فى إبراز الخط الانسانى فى العقيدة المسيحية ، الجديدة آنذاك ، أمام الهجمات التى وجهتها اليها الامبراطورية الرومانية، فكرا وممارسة، والتى وصلت الى ذروتها أثناء فترة اضطهاد شرسة شهدتها وصمدت خلالها هذه المدينة الفلسطينية. وهكذا جاءت أفكار هؤلاء الفلاسفة والشعراء والمفكرين الدينيين تجسيدا للهوية الحضارية للمنطقة فى وجه الهجمة الأوروبية على كيانها وثقافتها.

ثم نأتى الى الخطأ الثالث الذى نقع فيه ازاء تراثنا: وهو عدم التحديد الذى يجعلنا نقف على استحياء، أمام قسم من التراث العربى فى العصر الاسلامى. والسبب الذى يؤدى الى ذلك هو أن عددا من الانجازات التى شهدتها منطقتنا العربية آنذاك تم على يد علماء ومفكرين ينتسبون الى أصول غير عربية، مثل الرازى وابن سينا اللذين ينحدران من أصل فارسى ومثل الفارابى الذى ينحدر من أصل تركى. ان البعض منا قد يقف حائرا أو مترددا أمام هذه الظاهرة التى يبدو فيها، للوهلة الأولى، قدر من التناقض : فالصفة العربية للانجازات حاضرة لا يمكن تجاهلها ، ومع ذلك فهذا الحضور يبدو خاليا من

خلال الأصل غير العربي لأصحاب هذه الانجازات .

ومع ذلك فان هذا التناقض ليس له في الحقيقة الا وجود ظاهري، ومن ثم فالحيرة والتردد أو الاستحياء، الذي قد ينتاب بعضنا ازاء، أمر لا ينبغي أن يكون واردا من أساسه. فالصفة العربية لتراث الوطن العربي ليست هوية عرقية أو عنصرية ولا يمكن أن تكون كذلك. فوطننا العربي ، شأنه شأن العديد من الكيانات الأخرى، يضم خليطا من الانتماءات العرقية - بعضها عربي، وبعضها عناصر من أبناء البلاد التي تعربت أو استعربت في أعقاب المد العربي في العصر الاسلامي، وبعضها الآخر عناصر جاءت من الهجرات العديدة التي انتقلت من الخارج واستقرت في منطقتنا في ظروف تاريخية متعددة ومختلفة. وإنما الصفة الحقيقية للتراث هي هوية الانتماء الثقافي، بالمعنى الحضاري للثقافة :وهو أسلوب الحياة والفكر الذي يشيع في مجتمع يعيش في منطقة واحدة وفي ظل نظام حياتي واحد.

وقد كانت هذه هي الصفة التي سادت المجتمع الذي ينتمي اليه العلماء والمفكرون المسلمون الذين يرجعون الى أصول عرقية غير عربية- عاشوا فيه وتعلموا وأنجزوا ضمن مناخه الحضاري الذي أتاحته الدولة التي قدر لها أن تكون مسئولة عن ترجيهه ورعايته، ثم قدموا انجازاتهم بلغة هذا المجتمع الذي أصبحوا جزءا منه حياة وفكرا وانتماء . فالانجاز الذي يقوم به الأفراد لايمكن أن ينشأ من فراغ، وانما ينشأ ويتم في ظل مناخ حضاري يسود المجتمع بأكمله ويدمغ بميسمه كل ما يتم داخل هذا المجتمع من أعمال أو أفكار أو اتجاهات.

وقد كان هذا المجتمع هو المجتمع العربي في العصر الاسلامي ، سادته الثقافة العربية ومن ثمّ شكلت الانجازات التي ظهرت فيه تراثا عربيا بغضّ النظر عن الأصول العرقية التي ينتمي اليها أشخاص المنجزين . ولعل أقرب مثال لذلك في الفترة التي نعيشها الآن هو الانجازات الحضارية التي تتم في مجتمع

مثل المجتمع الأميركي فتصبح المجازات أميركية تدخل ضمن التراث الأميركي، بغض النظر عن الانتماءات العرقية لمن قاموا بها في هذا المجتمع الذي ينحدر أبناؤه من أصول عرقية جاءت من كل قارات العالم دون استثناء.

وأترك الآن حديث الأخطاء التي نقع فيها إزاء ما ينبغي أن يكون عليه تصورنا لتراثنا، لأنتقل الى الحديث عن الأخطار التي تحيط بهذا التراث من خارج المنطقة التي شهدت جذور تاريخنا والتي قدر لها أن تصبح وطننا العربي وقدرنا العربي. وأود، قبل أن أشير الي هذه الأخطار، أن أذكر أنها لم تقتصر علي مرحلة دون أخرى من المراحل التاريخية التي مررنا بها، فقد ابتدأت في العصور القديمة واستمرت عبر العصر الاسلامي ولا تزال قائمة وضارية حتي الفترة الحالية التي أصبحنا نعي فيها كياننا العربي - وهو الكيان الذي يشكل تراثنا محوره الزماني الممتد علي مسار التاريخ.

وتقع هذه الأخطار في عمومها ضمن اتجاهات ثلاثة : أولها هو ما يمكن أن نسميه محاولة الطمس الحضاري أوالتعتيم على الحضارات التي شهدها الوطن العربي ، بشكل متزايد في الآونة الأخيرة، لدى عدد متزايد من الكتاب الغربيين. وأسارع هنا فأقول إن هذا لا ينطبق على الدراسات المتخصصة التي يقوم بها الباحثون المتخصصون في أحوال منطقتنا، وانما الكتاب الذين أعنيهم في هذا الصدد هم الذين يكتبون للقارىء العام - والخطر هنا هو أن القارىء العام يمثل النسبة الغالبة من الرأي العام المثقف بالمقارنة مع القارىء المتخصص. وفي صدد استعراض هذه الكتابات العامة للحضارات العالمية نجد الحديث واضحا ومفيدا، ابتداء من حضارة الصين في أقصى الشرق الى حضارة الهنود الحمر في أقصى الغرب. أما فيما يخص الانجازات الحضارية في منطقتنا، سواء في عصورها القديمة أو الاسلامية، فالحديث عابر أو مقتضب أو ناقص في عدد غير قليل من الكتابات المذكورة . وهذا يبدو واضحا بالمقارنة مع الحديث

عن الدولة اليهودية القديمة مثلا، الذى تبدو العناية فيه واضحة بنظمها وعقيدتها وحضارتها وفكرها وأثر كل ذلك فى الحضارة الأوروبية - وهذا كله فى تفصيل وتحليل لا يتناسب والصفة العامة للكتابات المذكورة.

أما الخطر الثانى فيكمن فى تشويه عدد من الكتاب الغربيين للتراث العربى فى أكثر من صورة. ومن بين طرق التشويه فيما يخص انجازاتنا الحضارية فى العصور القديمة ما ذكره الفيلسوف الانجليزى المعاصر برتراند رسل فى مجال المقارنة بين الحضارة اليونانية القديمة وحضارات الشرق الأدنى القديم . وهنا يذكر أن اليونان القدماء اخترعوا العلوم ، أما فى الشرق الأدنى فقد عرف المصريون والعراقيون شيئا من الحساب (هكذا) ،ولكن ما عرفوه فى هذا الحقل كان شيئا تقريبيا - وهو قول غريب من جانب هذا الفيلسوف فى ضوء ما خلفه لنا هذان الشعبان من نقوش ووثائق مكتوبة عن التنظير المتخصص فى الرياضيات (ناهيك عن بقية العلوم)، وهو ما توفر على درسه ونشره المتخصصون من الباحثين العرب والغربيين على السواء.

وأختم هذه السطور بالحديث عن خطر ثالث يتعرض له تراثنا من الخارج، وهو خطر السطو على هذا التراث على مر العصور . وفى هذا الصدد نجد الكتاب اليونانيين القدماء الذين نهلوا من منجزات حضاراتنا القديمة ينسبون الى أنفسهم ما أخذوه عنا من نظريات الطب والصيدلة والعلوم والرياضيات، وهو تناثر سبقناهم اليه بعدة آلاف من السنين فى بعض الأحيان، ولايزال قسم كبير من كتاباتهم قائما حتى هذه اللحظة وشاهدا على هذا النقل الذى لم ينسبه الناقلون الى أصحابه الحقيقيين.

والشىء ذاته نجده فى العصور الوسطى لدى بعض الكتّاب الأوروبيين الذين قاموا بترجمة الانجازات العلمية العربية فى العصر الإسلامى الى اللاتينية. وهنا، مرة أخرى، نجد بعض هؤلاء المترجمين ينسبون ما ترجموه الى أنفسهم ، وهنا لم يرد الحق الى نصابه الا بعض العلماء المعاصرين من المهتمين بتاريخ العلوم عند

العرب، سواء من العرب أو المستشرقين الأوروبيين ممن قاموا بمقارنة الكتابات العربية واللاتينية وكشفوا النقاب عن هذا السطو التراثي.

أما في الفترة المعاصرة، لقد دخل اليهود بثقلهم في هذا الميدان من مسالك ، تبدأ جانبية، ولكنها لاتلبث عن طريق المثابرة أن تأخذ مظهر الحقيقة. ومن أمثلة ذلك ادراجهم ضمن التراث الاسرائيلي بعض ما أنجزته الحضارة العربية في العصر الاسلامي على أساس أن عددا من يهود أوروبه في العصور الوسطى قاموا بترجمة هذه الانجازات العربية الى اللاتينية التي كانت لغة الثقافة في أوروبه آنذاك ، ومن ثمّ أسهموا في إشاعة ما حوته من معرفة في دائرة الحضارة الأوروبية، وبذلك يحقّ لهم - حسب دعواهم - أن يُدخلوا هذه الإنجازات ضمن التراث الإسرائيلي ، بغضّ النظر عمّن قاموا فعلا بهذه الإنجازات وعن انتسابهم الحضاري الحقيقي.

هذا، وفي نهاية الحديث، أجد من الخير أن أذكر - رغم مخاطرة التكرار - أنّ تراث الوطن العربي (الذي تعرّضتُ في هذه العجالة إلى جانبه الفكري والعلمي) هو المحور الذي يدور حوله بعد أساسي من أبعاد كياننا، وهو البعد الزماني الذي تمثّله إنجازاتنا عبر العصور - ومن ثم يصبح التنبّه إلى كلّ ما يؤثر سلبيا على هذا التراث أمرا حيويا ، سواء أجاء ذلك في صورة أخطاء نقع فيها من حيث موقفنا إزاءه، أم تمثل في أخطار تنطلق من الخارج بهدف تشويهه أو الانتقاص من حجمه أو التعتيم عليه.

دراسة
حول التأريخ للأنبياء

الأستاذ الدكتور

محمد بيومى مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

بكلية الآداب جامعة الأسكندرية

(أ) النبى والنبوة :-

النبى : لغة ، قيل المنبأ المأخوذ من النبأ ، أي الخبر المفيد لماله شأن ، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول ، لأنه منبأ عن الله تعالى ومنبأ عنه ، وان كان الإمام ابن تيمية يفضل أن يكون بمعنى مفعول ، فإنه إذا أنبأه الله ، فهو نبيّ الله [1] ، والنبى بالتشديد أكثر استعمالا ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، لأنه من أنبأ عن الله فهو ينبئ عنه ، والإسم منه منبئ ، أو هو من النبوة ، وهى الرفعة والشرف [2] والجمع كلمة "نبيّ" على " نبيّين وأنبياء " [3] ، وقد حكى سماعا عن العرب فى جمع النبى[4] "النُبآء" وذلك من لغة الذين يهمزون "النبيء" ومن ذلك قول عباس بن مرداس فى مدح النبى ، صلى الله عليه وسلم.

يا خاتم النبآء إنك مرسل .. بالخير كل هدي السبيل هداكا [5]

والنبوة : وحي الله إلى أفضل البشر ، وأكملهم عقلا ، وأزكاهم طهارة عن ارتكاب القبائح ، والرسالة لغة : القول المبلغ ، وشرعا هى كالنبوة فى حقيقتها المذكورة ، ومن ثم فالنبوة فضل يسبغه الله تعالى على من يشاء من عباده ، وهبة ربانية يمنحها الله تعالى لمن يريد من خلقه ، وهى لاتدرك بالجد والتعب ، ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة ، ولايتوسل إليها بسبب ولا نسب، وانما هى بمحض الفضل الإلهى ، فالله يختص برحمته من يشاء ، وهى تأتى إلى النبى من تلقاء نفسها ، وعلى غير توقع منه ، فهى إذن اصطفاء واختيار من

---

(١) ابن تيمية : النبوات - بيروت ١٩٨٢ ص ٢٥٥ -٢٥٦ (٢) تفسير الطبري ١/ ١٤٠-١٤١ (دار المعارف) ، محمد رشيد رضا: الوحى المحمدي - القاهرة ١٩٥٥ ص ٣٧ (٣) أنظر: سورة البقرة: آية ٦١، آل عمران: آية١١٢، تفسير الطبري ٢/١٣٩-١٤١، ٧/١١٦-١١٨ (٤) وردت كلمة "نبى" فى القرآن الكريم ٤٣ مره ، وكلمة " النبيين والنبيون" ١٦ مرة ، والأنبياء ٥ مرات ، وكلمة النبوة ٥ مرات ، وكلمة "نبيا" ٩ مرات (٥) أنظر: سيرة ابن هشام ٤/ ١٠٣، تفسير الطبري ١/١٤١، ثم قارن: تفسير البحر المحيط ١/ ٢٢٠

الله سبحانه وتعالى ، للمصطفين الأخيار من عباده [1] ، وصدق الله العظيم ، حيث يقول: "الله أعلم حيث يجعل رسالته" [2].

ومن ثم فإن الله سبحانه وتعالى إنما يختص بهذه المنة العظيمة ، والمنقبة الكريمة ، من كان أهلا لها ، بما أهله - جل شأنه - من سلامة الفطرة ، وعلو الهمة ، وزكاء النفس ، وطهارة القلب ، وحب الخير والحق ، وكان أذكياء العرب في الجاهلية - على شركهم بالله تعالى - يعلمون أن الصادقين محبى الحق ، وفاعلى الخير من الفضلاء ، أهل لكرامته تعالى وعنايته ، كما يؤخذ من استنباط أم المؤمنين خديجة في حديث أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنهما ، في بدء الوحى ، فإنه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لما قال لخديجة : لقد خشيت على نفسى ، قالت له خديجة : كلا إبشر، فوالله لايخزيك الله أبدا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[3] ...".

ومن المعروف أنه من فضل الله تعالى على رسله وأنبيائه ، وسنته في اصطفائهم ، أن يختارهم من أكرم البيوت ،وأشرف الظهور، وأطهر البطون وأبعدها عن الدنايا، وألصقها بمكارم الأخلاق، على مايقول الله تعالى " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم [4]، وعلى مايقول " الله أعلم حيث يجعل رسله[5]". وقد بيّن سيدنا ومولانا محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى بقوله الشريف - فيما رواه مسلم والترمذي - " إن الله اصطفى كنانة من ولد

---

(١) تفسير المنار ٨/٣٣-٣٤، محمد على الصابونى : النبوة والأنبياء، بيروت ١٩٧٠ ص.١ (٢) سورة الأنعام: آية ١٢٤ (٣) صحيح مسلم ٢/٢٠٠-٢٠١ (بيروت ١٩٨١) ، شرح العقيدة الطحاوية - المكتب الاسلامى - بيروت ١٣٩٢ هـ ص ١٦٠-١٦١

(٤) سورة آل عمران : آية ٣٣-٣٤ (٥) سورة الأنعام : آية ١٢٤ .

اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم . فأنا خيار من خيار[1]" وأخرج ابن مردوية عن أنس أنه قال " قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، "لقد جاءكم من أنفسكم ، بفتح الفاء" وقال :أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا[2]

هذا وليس صحيحا ماذهب إليه " سيجال" من أن كلمة "نبّى" عبرية الأصل، وأن لفظ"النبّى" إنما كان خاصا ببنى إسرائيل، إذ ليست هناك نقوش تثبت وجوده فى اللغة الكنعانية والفينيقية، ثم إن الفعل "نبأ" الذي اشتق منه الإسم "نبّى" لايوجد فى عبرية العهد القديم (التوراة) فى صورته الأساسية، أي فى الفعل الثلاثى المجرد، وأن الفعل الذي جاء للدلالة على عمل النبى فى العهد القديم، إنما جاء فى الصيغ المزيدة على زنة "فعل" و "تفعل"، وهى فى الحقيقة مشتقة من الإسم "نبّى" نفسه ، وهذه الحقيقة تدعونا إلى الاعتقاد بأن الاسم "نبى" قديم جدا فى العبرية الإسرائيلية، وأنه يصعد إلى ماقبل التاريخ من حياة بنى إسرائيل، ولما كان هذا الإسم يميز عماد ا حيًا وفعالا فى حياة الأمة، فإنه حفظ منذ تلك الحقب السحيقة، بعد أن نسى الفعل المجرد" نبأ" الذي اشتق منه، مع توالى العصور، وانتهى أمره واختفى من اللغة[3]

وفى الواقع ، فإن كلمة "نبّى" – كما يقول أدولف لودز[4] –ليست عبرية الأصل ، ومن ثم فإن علماء اللاهوت الأوربيين وغيرهم – من أمثال جوستاف هولشر[5] ، وشميدت، ولودز[6] ، وكلود سوربري[7] – إنما يتفقون على أن

---

(١) صحيح مسلم ١٥/٣٦، القسطلانى : المواهب اللدنية ١/١٣ (٢) أنظر: محمد بيومى مهران: السيرة النبوية الشريفة – الجزء الاول – بيروت ١٩٩٠ ص ٦٨

(٣) م.ص.سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل – بيروت ١٩٦٧ ص ١٧-١٨

(٤) A.Lods Israel From its Beginnings to the middle of the Eight Centuy, London, 1962,P.445

(٥) G.Holscher, Die Proften untersuchung zun Religion Geschichte Israel, P.145-146.

كلمة "نبّى" عربية الأصل، وليست عبرية فى شكلها ومعناها، وأن أصل الكلمة سامى قديم، موجود فى الأكدية بمعنى "يدعو" (NABW) [1]

غير أن الأمر - كما يقول الأستاذ العقاد [2] ، طيب الله ثراه - غنى عن الخبط فيه بالظنون مع المستشرقين، من يفقه منهم اللغة العربية ، ومن لايفقه منها غير الأشباح والخيالات، فإن وفرة الكلمات التى لاتلتبس بمعنى "النبوة" فى اللغة العربية . كالعرافة والكهانة والعيافة والزجر والرؤية ، تغنيها عن اتخاذ كلمة واحدة للرائى والنبى، وتاريخ النبوات العربية التى وردت فى التوراة سابق لاتخاذ العبريين كلمة النبى بدلا من كلمة الرائى والناظر، وتلمذة موسى للنبى شعيب مذكورة فى التوراة قبل سائر النبوات الإسرائيلية ، ومن المعروف أن موسى الكليم عليه السلام، هو، دوغاريب، رائد النبوة الكبري بين بنى إسرائيل [3] .

ثم إن كلمة "النبى" عربية لفظا ومعنى، عربية لفظا، لأن المعنى الذي تؤديه لاتجمعه كلمة واحدة فى اللغات الأخري، فهى تجمع معانى الكشف والوحى والإنباء بالغيب والإنذار والتبشير، وهى معانى متفرقة تؤديها فى اللغات الحديثة كلمات متعددة، فالكشف مثلا تؤديه فى اللغة الإنجليزية كلمة (REVELATION) والوحى تؤديه كلمة (INSPIRATION) واستطلاع الغيب تؤدية كلمة (DIVINATION أو Oracle) ولا تجتمع كلها فى معنى النبوة، كما تجتمع فى هذه الكلمة باللغة العربية.

---

(١) = A.Lods, the prophets and the Rise of Judaism, London, 1937
C.Saunbrie, the Holy man in Israel, Astudy in the Development of prophecy,(٢) in JNES,6,1946, P.216

(١) P.K.Hitti, the Near East in the History, princetna, 1961, p.107

(٢) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - بيروت ١٩٦٦ ص ٩١-٩٢

(٣) خروج ١٨/١٣-٢٧

وقد وجدت كلمة "النبوة" فى اللغة العربية غير مستعارة من معنى آخر، لأن اللغة العربية غنية بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما إليها من الكلمات التى لاتلتبس فى اللسان العربى بمعنى النبوة، كما تلتبس فى الألسنة الأخرى عن أصل التسمية واشتقاق المعانى الجديدة عن الألفاظ القديمة . فكلمة " النبى" تدل على معنى واحد لاتدل على غيره، خلافا لأمثالها من الكلمات فى كثير من اللغات .

وقد استعار العبريون كلمة "النبى" من العرب فى شمال شبه الجزيرة العربية بعد اتصالهم بها، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين "بالأباء" . وكانوا يسمون المطلع على الغيب بعد ذلك باسم "الرائى" أو "الناظر" ولم يفهموا من كلمة "النبوة" فى مبدأ الأمر، إلا معنى الإنذار [1] .

وأما كلمة (Prophet) الإنجليزية، وكلمة (Prophete) الفرنسية، وكلمة (Profeten) الألمانية وغيرها، فإنها منقولة عن اليونانية القديمة، ذلك أن الأمم التى كانت تشيع فيها نبرة الجذب، يكثر أن يكون مع المجذوب مفسر يدعى العلم بمغزى كلامه ، ولحن رموزه ، وإشاراته ، وقد كانوا فى اليونان يسمون المجذوب "مانتى" (manti) ، ويسمون المفسر "بروفيت" (Prophet) أي المتكلم عن غيره، ومن هذه الكلمة نقل الأوربيون كلمة "النبوة" بجميع معانيها [2]

هذا فضلا عن أن العرب إنما قد عرفوا النبوة قبل بنى إسرائيل، عرفوها مع هود وصالح وشعيب، عليهم السلام، حتى وإن كانوا بعد إبراهيم عليه السلام، فإن إبراهيم الخليل، على أية حال، جد العرب، قبل أن يكون جد بنى إسرائيل، ثم هو عربى الأصل .

---

(١) عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء، ص ١٥٩

(٢) تفسير المنار . ١/١٢٢-١٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٤٩

وعلى أية حال ، فالنبوة : لفظة تفيد معنى الإخبار عن الله تعالى ، وعن الأمور الدينية، ولاسيما عما سيحدث فيما بعد بشأن مصير الشعوب والمدن والأقدار ، وذلك بوحي خاص منزل من الله على أنبيائه المصطفين الأخيار [1]

(٣) الفرق بين النبى والرسول :-

يفرق العلماء بين النبى والرسول ، اعتمادا على أمور عدة ، منها ماورد فى كتاب الله من عطف النبى على الرسول فى قوله تعالى "وماأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته[2]"، ومنها وصف الله بعض رسله بالنبوة والرسالة ، مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله تعالى " واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا ، وكان رسولا نبيًا" [3]، وكقوله تعالى "واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد، وكان رسولا نبيًا،[4] ومنها مارواه الإمام أحمد فى مسنده عن النبى (ﷺ) أن عدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبى ، وعدة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا [5]

ومن هنا ذهب فريق من العلماء إلى أن النبى من أوحي إليه بشرع، سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر، والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه،[6] قال تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى ...الآية"، ويرى الإمام ابن تيمية أن الله فى قوله " من رسول ولا نبى" قد ذكر إرسالا يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمر بتبليغ رسالته إلى

---

(١) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٩٠

(٢) سورة الحج: آية ٥٢ (٣) سورة مريم: آية ٥١

(٤) سورة مريم: آية ٥٤ (٥) مسند الإمام أحمد ٢٦٥/٥-٢٦٦، وانظر : تفسير ابن كثير ٤٢٢/٢-٥٢٦، تفسير روح المعانى ٨٨/٢٤، مجمع الزوائد ٢١٠/٨، مشكاة المصابيح ١٢٢/٣، تفسير النسفى ٢٦٣/١-٢٦٤ (٦) تفسير القرطبى ص٤٤٧٢، شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٧، الديار بكري : تاريخ الخميس ص٧

من خالف الله ، كنوح عليه السلام، والذي ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء، كشيث وإدريس، وقبلهما آدم كان نبيًا مكلما [1].

على أن العقل لايستسيغ أن يوحى الله العلي القدير الى نبّي بشرع، ثم لايأمره بتبليغه، لأن الشرع أمانة وعلم، وأداؤه واجب، وكتمان العلم نقص ورذيلة [2]، ثم إن الله لاينزل وحيّه ليكتم ويدفن في صدرواحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته، هذا فضلا عن الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، والذي يقول فيه (ﷺ) " عرضت على الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرهل والرجلان، والنبي وليس معه أحد" فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ ، وأنهم يتفاوتون في مدي الاستجابة لهم [3] .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب إلى أن الرسول من أوحي إليه بشرع، وأنزل عليه كتاب، كإبراهيم وموسى، وداود وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والنبي الذي ليس برسول هو من أوحي إليه بشرع، ولم ينزل عليه كتاب، كإسماعيل وشعيب ويونس ولوط وزكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء ، وهذا التعريف لايستقيم أيضا، لأن الله سبحانه وتعالى قد وصف بعض الأنبياء الذين لم تنزل عليهم كتب بالرسالة [4]. فقال تعالى عن إسماعيل " واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيًا [5] " ، وقال تعالى عن لوط " وإن لوطا لمن المرسلين" [6] وقال تعالى عن يونس " وإن

---

(١) ابن تيمية : كتاب النبوات ص ٢٥٥.

(٢) محمود الشرقاوي: الأنبياء في القرآن الكريم - القاهرة ١٩٧٠. ص٩-١٠

(٣) عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات - الكويت ١٩٨٥ ص ١٤-١٥

(٤) محمود الشرقاوي: المرجع السابق ص ١٠ (٥) سورة مريم: آية ٥٤

(٦) سورة الصافات: آية ١٣٣

يونس لمن المرسلين [1].

وهناك وجه ثالث للنظر يذهب إلى أن الرسول من الأنبياء إنما هو من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه، أما النبي الذي ليس برسول، فهو من بعث لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام، ومن ثم فقد قيل إن كل رسول نبّي ، وليس كل نبي رسولا [2]. غير أن "ابن تيمية" يري أنه ليس من شوط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولا، وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة [3]. قال تعالى عن مؤمن آل فرعون "لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا" [4]

وهناك وجه رابع للنظر يذهب الى أن الرسول يختلف عن النبّي ، لأن اختلاف الأسماء إنما يدل على اختلاف المسميات، والرسول أعلى منزلة من النبي، ولذلك سميت الملائكة رسلا، ولم يسموا أنبياء ، هذا وقد اختلف من قال بهذا في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل : أحدها أن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي هو الذي يوحى إليه في نومه، والثاني أن الرسول هو المبعوث إلى أمة ، والنبي هو المحدث الذي لايبعث إلى أمة والثالث أن الرسول المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره [5].

ومن ثم فإن الإمام الطحاوي إنما يذهب في العقيدة إلى أن الرسول أخص من النبي ، وأن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، ذلك لأن

---

(١) سورة الصافات: آية ١٣٩

(٢) تفسير المنار ٩/١٩٤-١٩٥، تفسير البيضاوي ٢/٩٥-٩٦، الإمام الطحاوي : المرجع السابق ص ١٦٧، عبد الحليم محمود: في رحاب الأنبياء والرسل - القاهرة ١٩٧٧ ص ٤٢

(٣) الإمام ابن تيمية : المرجع السابق ص ٢٥٧ (٤) سورة غافر: آية ٣٤

(٥) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة - القاهرة ١٩٧١ ص ٣٧

الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لايتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها [1]

وأما عدد الأنبياء والرسل، فعلم ذلك عند ربي، جل جلاله، ولكننا نعرف من القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين من هؤلاء المصطفين الأخيار، ونعلم كذلك أنه مامن أمة إلا وجاءها رسول من عند الله العلي القدير. فلقد اقتضت حكمة الله تعالى في الأمم، قبل هذه الأمة، أن يرسل في كل منها نذيرا، ولم يرسل رسولا للبشرية كلها، إلا سيدنا محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، واقتضى عدله أن لايعذب أحداً من الخلق، إلا بعد أن تقوم عليه الحجة[2]، قال تعالى " وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا"[3]. ومن هنا كثر عدد الأنبياء والرسل كثرة هائلة، قال تعالى "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير [4]". وقال تعالى "وكم أرسلنا من نبي في الاولين " [5] وقال تعالى "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك [6]".

ومن هنا كان الخلاف على عدد الأنبياء عليهم السلام، فمن قائل إنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، ومن قائل إنهم ثمانية الاف، منهم أربعة الآف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس، ومن قائل إنهم أربعة الآف، ومن قائل إنهم ثلاثة آلاف، وأن الرسل من الأنبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم، وآخرهم محمد، صلى الله عليه وآله وسلم [7]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ .(٢) عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق ص ١٧

(٣) سورة الإسراء آية ١٥ ، وانظر سورة طه" آية ١٣٤

(٤) سورة فاطر : آية ٢٤ (٥) سورة الزخرف: آية٦

(٦) سورة غافر: آية ٧٨، وانظر سورة النساء : آية ١٦٤

(٧) تفسير ابن كثير ٨٩٢/١-٨٩٦ (بيروت ١٩٨٦)، تفسير القرطبي ص ٢٠١٤-٢٠١٥ (دار الشعب - القاهرة ١٩٧)، تفسير روح المعاني ٨٨/٢٤-٨٩، تفسير المنار ٥٠٠/٧-٥٠٧، مجمع الزوائد ٢١٠/٨، ابن قتيبة: المعارف - القاهرة ١٩٣٤ ص٢١ ، أبو الحسن الماوردي: المرجع السابق ص٥٢، محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم الجزء الثاني - في مصر - ص ١٣-١٧ (بيروت ١٩٨٨)

وعلى أية حال، فليس من المستحب - فيما أظن ، وليس كل الظن إثما- الخوض فى إحصاء الرسل والأنبياء، فإنه لايعلم إلا بوحى من الله تعالى ، ولم يبيّن ذلك فى كتابه الكريم ، غير أن هناك حديث أبى ذر المشهور، والذي جاء فيه : أنه دخل المسجد النبوي الشريف ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فسأله عن أشياء كثيرة، منها الصلاة والهجرة والصيام والصدقة، ثم سأله: كم الأنبياء ؟ فقال : مائة وأربعة وعشرون ألفا ، قال : قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير، كثير طيب ، قال: قلت : فمن كان أولهم ، قال: آدم، قلت :أنبى مرسل؟ قال: نعم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسواه قبيلا" [1] .

هذا وقد ذهب القاسم الرسى وابن المرتضى والبصرية من المعتزلة إلى أنه يصح أن يكون النبّى نبيًا فى المهد، مستشهدين بعيسى عليه السلام، وخالفهم أبو القاسم البخى قائلا: كان كلام عيسى إرهاصا بنبوته بعد بلوغه ذلك أن النبوة تكليف، ولا تكليف على من فى المهد لعدم التمييز والقدرة ، إلا أن يجعلها الله له، فهو على كل شئ قدير، وقد أنطق الله عيسى لإظهار براءة أمه من الإثم، ثم رجع إلى حال الأطفال، قال ابن عباس : كان كلامه فى المهد ساعة واحدة بما قضى الله تعالى لنا، ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام، وإن ذهب ابن الإخشيد إلى أنه كان يتكلم دائما ، وكان كلامه تأسيساً لنبوته، وإرهاصا لها، وقال الجبائى: إنه سبحانه اكمل عقله، عليه السلام، إذ ذاك ، وأوحى إليه بما تكلم به، مقرونا بالنبوة ، وجوّز أن يكون ذلك كرامة لمريم، دالة على طهارتها ، وبراءة ساحتها مما نسبه أهل الإفك إليها [2]

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٥-٢٦٦، تفسير ابن كثير ١/٨٩٢-٨٩٦، مجمع الزوائد ٨/ ٢١، مشكاة المصابيح ٣/١٢٢، تفسير النسفى ١/٢٦٣-٢٦٤، محمد يوسى مهران المرجع السابق ص ١٧-١٨

(٢) تفسير الفخر الرازي ٨/٥١-٥٢، تفسير الطبري ٣/٢٧١-٢٧٣، تفسير ابن كثير ١/٥٤٥، تفسير النسفى ١/١٥٨، تفسير الكشاف ١/ ٢٧٨ ، تفسير روح المعانى ٣/١٦٣-١٦٤، احمد محمود صبحى : المذهب =

(٣) الإسلام دين الأنبياء جميعا: -

لعل من الأهمية بمكان التأكيد هنا على أن الأنبياء جميعا- كما أخبر القرآن الكريم[١] - إنما كان دينهم الإسلام، ومن هنا فإن نبوة القرآن الكريم إنما تؤمن بكل ماسبقها من نبوات، لأن الهدف واحد، والعقيدة واحدة، فالأنبياء، عليهم السلام، دينهم واحد، وإن تنوعت شرائعهم[٢]، وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ، ﷺ . قال " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد "[٣]. قال تعالى "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"[٤].

ومن هنا طلب القرآن الكريم الإيمان بكل الرسل ، وبكل ماأنزل عليهم، وكان الإيمان بالبعض دون البعض خروجا عن دين الله وهديه[٥] ، قال تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

= الزهدي - الاسكندرية ١٩٨١ ص٣٥، محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث - في بلاد الشام - بيروت ١٩٨٨ ص ٣١٧-٣١٨ .

(١) أنظر سورة البقرة آية ١٢٨، ١٣٢، ١٣٦، آل عمران: آية ٥١-٥٣، ٦٤، ٦٧، ٨٣-٨٥، المائدة :آية ٣، ٤٤، الأعراف : آية ١٢٦، يونس: آية ٧٢، ٨٤، ٩٠، يوسف : آية ١٠١، الأنبياء: آية ٨، ١٠٨، الحج: آية ٧٨، النمل: آية ٣١، ٣٨، ٤٢، القصص: آية ٥٢، الزمر: آية ١٢، فصلت آية ٣٣، الشوري: آية ١٣، تفسير المنار ٦٧/١، ٤٧٧ .

(٢) فتاوي ابن تيمية ٣٥٧/١ (الرياض ١٣٨١ هـ)

(٣) روي الحديث بعدة روايات في البخاري ومسلم وأحمد، واللفظ هنا لمسلم، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة ، قالوا كيف يارسول الله ، قال الأنبياء أخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، فليس بيننا نبّي"، وفي رواية " أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات، وليس بيني وبين عيسى نبّي " (صحيح مسلم ١١٩/١٥ (بيروت) (٤) سورة المؤمنون: آية ٥٢، وانظر : سورة الشوري: آية ١٣ (٥) محمد أبو زهرة :العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم - القاهرة ١٩٦٩ ص ٨٥-٨٦، تفسير المنار ١٨٢/١-١٨٣.

المصير" [1] ، ومن ثم فإن القرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل ، وكل كتاب ينزل إنما قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله، فالإنجيل مصدق ومؤكد للتوراة ، والقرآن مصدق ومؤكد للتوراة والإنجيل ، ولكل مابين يديه من الكتب [2]. قال تعالى " وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدي ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدي وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم في ماآتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون [3] -

وجاء في إنجيل متى ، على لسان المسيح عليه السلام، " لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " [4]

ولاريب في أن هذا التصديق لايعني أن الكتب المتأخرة تجديد للمتقدمة وتذكير بها، فلاتبدل فيها معنى ، ولاتغيّر حكما، وإنما الواقع غير ذلك ، فلقد جاء الإنجيل بتبديل بعض أحكام التوراة ، كما جاء القرآن بتبديل بعض أحكام الإنجيل ، وإن كان هذا لايعني نقضا من المتأخر للمتقدم، ولا إنكارا لحكمة أحكامه في إبانها، وإنما كان وقوفا عند وقتها المناسب ، وأجلها المقدر [5] .

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٥

(٢) محمد عبدالله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان - القاهرة ١٩٦٩ ص ١٨٥

(٣) سورة المائدة: آية ٤٦-٤٨

(٤) إنجيل متى ٥/١٧-١٨ (٣) أنظر : سورة آل عمران: آية ٥٠، الأعراف : آية ١٥٧، محمد عبدالله دراز: المرجع السابق ص ١٨٥-١٨٦ .

ومن هنا كان قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وهكذا فإن الله تعالى بمقتضى حكمته في رسالاته ، إنما كان يجعل كل نبّي يبشر بمن يجيء بعده ، فالتوراة بشرت بالمسيح وبمحمد[1] ، عليهما الصلاة والسلام ، والمسيح بشر بمحمد ،صلى الله عليه وسلم .[2] كما أخذ الله الميثاق على كل نبّي ، إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره [3] وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير في قوله الشريف " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " [4]

وقريب من هذا صلاة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ، ليلة أن أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، إنما تشير الى وحدة الرسالات والنبوات، وأنها جميعا من عند الله ، وأن الأنبياء والمرسلين إنما أرسلوا من أجل هداية الناس ، ودعوتهم الى التوحيد [5]

---

(١) عن بشارات التوراة بسيدنا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (أنظر : سفر التثنية ١٨/١٥، ١٨، ٢٣/٣، أشعيا ٦/١-٧، ٤٢/١-١٢، حبقوق ٣/٣-٤)

(٢) سورة الصف : آية ٦ ، وعن بشارات الإنجيل (انظر متى ٧/٢١-٢٣، ١٥/٨-٩، ٢٣/٤٢-٤٣) وانظر :ابراهيم خليل احمد : محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٨٣ ص ٣٣-٩٥، بشري زخاري ميخائيل: هكذا بشرت به الأناجيل - القاهرة ١٩٧٢، ابن كثير: السيرة النبوية ١/٢٨٦-٣٤٠، محمد بيومي مهران: السيرة النبوية الشريفة ١/١٣٩-١٦٠ (بيروت ١٩٩٠)

(٣) محمد عبدالله دراز: المرجع السابق ص ١٨٥ (٤) صحيح البخاري ٤/٢٢٦ (القاهرة ١٣٧٨هـ) (٥) محمد بيومي مهران: المرجع السابق ص ٢٧٤-٢٧٧ ، عماد الدين خليل : دراسة في السيرة - بيروت ١٩٧٤ ص ١١٥ - ١١٦ ، عبدالله شحاته : تفسير سورة الإسراء - القاهرة ١٩٧٥ ص ٨

على أننا يجب أن نلاحظ الفرق بين الدين في ثباته وعدم تبدله بتبدل الأنبياء ، وبين تبدل الشرائع وتغيّرها بتبدل الأنبياء وتغيّرهم ، بل ينبغي أن يكون هذا الفرق واضحا في الذهن ، سائغا في الفهم، وهو كذلك فيما يقرر القرآن الكريم ، فأما من ناحية العقل والفكر ، فإن الدين - أي دين - إنما هو قائم على أصول ثلاثة، أولها : الإيمان بأن لهذا الكون إلها خالقا مدبرا، ومحيط العلم ، بالغ القدرة ، لايعزب عن علمه شئ، ولا يعترض قدرته شئ وثانيها: الدعوة الى العمل الصالح الذي يشيع على الإنسانية الأمن والسلام، وأما ثالث الأصول: أن الله لم يخلق الناس عبثا، ولن يتركهم سدّي وأنهم لابد راجعون إليه، ومحاسبون بين يديه، ومجازون على ماعملوا ، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا .

وأما مايتصل بالشرائع ، من حيث هي مجموعة قوانين تنظم السلوك في المجتمع، فإنها قابلة للتغيير والتبديل، بمقتضى تغيّر البئات واختلاف المصالح، وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف [1]

(٤) صعوبة التأريخ للأنبياء :-

لاريب في أن هناك صعوبات كثيرة تواجه المؤرخ الذي يتعرض للتأريخ للأنبياء ، عليهم السلام ، ولاريب في أن هذه الصعوبات إنما ترجع لأمور، لعل من أهمها (أولا) أن القرآن الكريم - فضلا عن التوراة والإنجيل - وهي مصادرنا الأساسية عن الأنبياء ، لم تؤرخ لنبيّ من الأنبياء، ذلك لأن القرآن الكريم - مثلا- لم ولن يكون كتاب تاريخ يتحدث عن أخبار الأمم ، كما يتحدث عنها المؤرخون، وإنما هو كتاب هداية وارشاد للتي هي أقوم [2]، أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستورا للمسلمين ، ومنهاجا يسيرون عليه في

---

(١) فتاوي ابن تيمية ٣٥٧/١، وانظر : أحمد حسن الباقوري : مع القرآن - القاهرة ١٩٧٠ ص ١٣٧-١٣٩ عبدالله شحاته : المرجع السابق ص ١٠ ، محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٨/٢ -٣٤

(٢) سورة الإسراء : آية ٩

حياتهم ، ويدعوهم الى التوحيد [1] ، والى تهذيب النفوس ، والى وضع مبادئ للإخلاق [2] ، وميزان للعدالة [3] ، واستنباط لبعض الأحكام [4] ، فإذا ماعرض لحادثة تاريخية ، فإنما للعبرة والعظة [5]

ومن ثم فإن القرآن الكريم فى كل ماجاء به من قصص - وإن لم يكن كتاب تاريخ يقدم لنا تفصيلات عن الأحداث التى يتعرض لها ، إلا فى عرض القصة حيث يقتضيه السياق - تعليم للمصلحين ، وتربية للهداة ، ولكنه فى كل ذلك " لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [6] " ، ثم " إن هذا لهو القصص الحق [7] " و " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدي ورحمة لقوم يؤمنون [8] " ، وإن فى القرآن الكريم قصصا شتى ، من غير قصص الدعوة ، أو قصص الجهاد فى تبليغ الرسالة ، ولكنها تراد كذلك لعبرتها ، ولاتراد لأخبارها التاريخية ، ومنها قصة يوسف واسماعيل عليهما السلام [9]

ومنها (ثانيا) أن احتمال العثور على أسماء الرسل والأنبياء - غير أولئك الذين لم يكونوا ملوكا وأنبياء - فى النصوص الإنسانية ضعيف، ذلك

---

(١) أنظر مثلا : فى قصة نوح (سورة نوح:آية ٢-٢٠) وفى قصة يوسف (سورة يوسف: آية ٣٧-٤٠) وفى قصة عيسى (سورة النساء : آية ١٧١-١٧٢، آل عمران : آية ٥٩، المائدة : آية ٧١-٧٦) (٢) أنظرمثلا : سورة البقرة: آية ٤٤، الأعراف : آية ٨٥-٨٧، هود: آية ٨٤-٨٨ (٣) أنظر مثلا : قصة داود (سورةص: آية ٢١-٢٦) (٤) أنظر مثلا فى قصة هابيل وقابيل (سورة المائدة: آية ٢٧-٣٢، ٤٢-٥٠، البقرة: آية ١٧٨-١٧٩) (٥) عن أهداف القرآن ومقاصده (أنظر:تفسير المنار ١/٦،٢-٢٩٣)

(٦) سورة فصلت :آية ٤٢ (٧) سورة آل عمران : آية ٦٢ (٨) سورة يوسف : آية ١١١ (٩) أنظر عن قصة يوسف واسماعيل (محمد بيرمى مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الأول ص١٥٩-١٩٧ ، الجزء الثانى ص٣٧-١٣٢)

لأن حقيقة الصراع بين دعوات الأنبياء ، وسلطات الملوك المؤلهين أو شبه المؤلهين، يدعو الى عدم سماح الملوك بتسجيل مبادئ هذه الدعوات السماوية والصراع بينها وبينهم ، وتلك ظاهرة يلمسها المؤرخ بوضوح في تاريخ الشرق الأدنى القديم - كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع ملك العراق ، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر[1]

ومنها (ثالثا) أن المصادر المصرية القديمة ، والتي تمتاز عن غيرها من مصادر الشرق الأدنى القديم ، بوضوحها وكثرة آثارها، كان من المنتظر أن تمدنا بمعلومات عن قصة بني إسرائيل في مصر، منذ عهد يوسف وحتى عهد موسى عليهما السلام ، غير أن هذه المصادر ، كما هو معروف ، إنما كتبت بأمر من الملوك ، أو بوحي منهم، أو على الاقل برضى منهم ، فإذا ماتذكرنا أن الملك كان في العقيدة المصرية القديمة - كما أثبتت النصوص ، وألمع القرآن الكريم [2] يزعم أنه إله أكثر منه بشرا ، ومن ثم فقد كان من الطبيعي ألا يستسيغ المصريون أن يهزم الملك في حرب خاض غمارها، ولهذا فإن النصر كان أن يكون حليفه ، وقد تكون الحقيقة غير ذلك [3]

ومن المعروف أن قصة موسى مع فرعون - كما جاءت في التوراة والإنجيل والقرآن العظيم - إنما انتهت بغرق الفرعون وجنوده في البحر، ونجاة موسى ومن آمن معه بالله الواحد القهار، ومن ثم فليس من المنتظر - طبقا للعقيدة المصرية القديمة - أن تسجل نصوص الفراعين ، غرق الفرعون المؤله، ونجاة عبيده العبرانيين ومن هنا كان من الصعب العثور على آثار تتحدث عن

---

(١) أنظر عن قصة إبراهيم وموسى (محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع ص٣. ١-١٧٢ ، الجزء الثاني ص ١٣٣-٤٤٧ ، إسرائيل ١/ ٥-١٨٤ ، ٢/٥-٤٩٣)

(٢) أنظر : سورة الشعراء :آية ٢٩، سورة القصص: آية ٣٨، سورة النازعات :آية ٢٢-٢٤ (٣) أنظر : محمد بيومي مهران : الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفرعونية ص٣ ، الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثاني ص ١١٩-١٣٦ (الاسكندرية ١٩٨٩)

موسى عليه السلام، رغم ضخامة التركة الأثرية المصرية، وإن كنا لانقطع الأمل في العثور على تلك الآثار ، التي ربما سجلت بطريقة أو بأخري عن طريق المعارضين لفرعون ، المؤمنين برب موسى وهارون، والله وحده يعلم الغيب من الأمر.

وعلى أية حال، فلقد أدي عدم العثور على أسماء الرسل والأنبياء في النصوص الإنسانية إلى أن يشك بعض المتنطعين من أدعياء العلم في وجود الأنبياء أنفسهم ، ناسين - أو متناسين - أنه ليس من العلم الذي يدعونه ، فضلا عن الإيمان بكتب السماء ، أن نشك في أمر أجمعت عليه هذه الكتب كما أنه ليس ببعيد أن تكشف أعمال التنقيب ، فيما تكشف ، عن بعض الآثار التي تروي قصة هذا النبي أو ذاك[1] ومن المعروف أن قصة عاد ، قوم هود، عليه السلام - شأنها في ذلك شأن قصة ثمود - لم ترد في التوراة وانما هي قصة قرآنية صرفة ، كما ان شهرتها عند العرب في الجاهلية والإسلام، كشهرة ابراهيم وقومه [2] . وكان هذا سببا في أن كثيرا من المستشرقين قد تعجلوا الأمر، فأنكروا عادا وثمودا ،وأنكروا الكوارث التي حاقت بهم بغير حجة ، وكأنهم يحسبون أن المنكر لايطالب بحجة، ولايعاب على النفي الجزاف ، فما لبثوا طويلا حتى تبيّن لهم أن "عادا" (oditae) و"ثمودا" (thamudida) مذكورتان في تاريخ بطليموس (حوالى ١٥٠م)، وأن إسم عاد مقرون باسم "ارم" في كتب اليونان، فهم يكتبونها "أدراميت" (Adramitae)، ويؤيدون تسمية القرآن لها باسم "إرم ذات العماد "[3] ومنها (ثالثا) أن أحداً من الأنبياء لم يولد في ضوء التاريخ ، غير سيدنا ومولانا محمد (ﷺ) (فضلا عن الأنبياء الملوك) . وقد روي أن الإمام مالك قال: إنه لايعرف قبر نبي اليوم على

---

(١) أنظر محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢/ ٣٣٠-٣٣٢ (٢) تاريخ الطبري ١/ ٢٣٢ (القاهرة ١٩٦٧)

(٣) عباس العقاد : مطلع النور - القاهرة ١٩٦٨ ص ٦١ ،

وكذا C.FORSTER, THE HISTORICAL GEOGRAPHY OF ARABIA, II, P.32

وجه الأرض ، غير قبر محمد (ﷺ) ، ومن كان قبر محمد (ﷺ) عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم (يعني أهل المدينة) .

ولعل تفسير ذلك أن سيدنا رسول الله (ﷺ) قد كتب له نُجُحا بعيد المدي في أن يقيم الدولة الإسلامية ككيان سياسي بين الكيانات السياسية في العالم ، وكسلطة وليّه لجميع من يستظلون بظلها، ويعيشون في كنفها ومهيمنة عليهم ، وقد اتخذ (ﷺ) أول ماتخذ من الخطوات: بناء مقر للدولة (المسجد) ، ثم تسوية الأوضاع الداخلية في المدينة ، وهكذا، وباستقرار النبي (ﷺ) في المدينة المنورة بدأ طور الدولة الذي يتجلى في أربعة أمور : الجيش والعلم والنشيد والإمارة .

فأما الجيش فيتجلى في السرايا والغزوات ، وقد غزا رسول الله (ﷺ) ٢٧ غزوة، وبعث أصحابه في ٤٧ سرية [١]. وأما النشيد فيتجلى في الآذان الذي تضمن خلاصة الدعوة المحمدية، وفي ذروتها إفراد الله تعالى بالعزة والكبرياء ، وتوحيده بلا شريك ولانظير، فالاعتراف بمحمد نبيا ورسولا، ثم العناية بالصلاة التي هي عماد الدين ، وروح العبودية الحقة لله رب العالمين، وأما العلم فيتجلى في الرايات والألوية التي كان يعقدها النبي (ﷺ) لأصحابه، وأول لواء عقده (ﷺ) إنما كان لعمه "حمزة بن عبد المطلب" .

وأما الإمارة فتتجلى أولا في شخص القائد الأعظم سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (ﷺ) ، ذلك النبي الرسول الذي استطاع ، بفضل الله، أن

---

(١) يذهب علماء السيرة الى أن الغزوة هي التي خرج فيها سيدنا رسول الله (ص) على رأس المقاتلين من أصحابه ، وأما السرية أو البعث فالم يخرج فيها النبي (ص) بنفسه، فقد يعقد اللواء لها على رجل من أصحابه ، وقد تطلق على السرية مجازاً غزوة ، وان كان ذلك قليلا ، وكان عدد الغزوات ٢٧ ، وعدد السرايا ٤٧. وهناك أقوال أخرى في الغزوات والسرايا بالزيادة والنقصان (أنظر : محمد بيومي مهران: السيرة النبوية الشريفة ٢/٥٥-٥٦)

يقيم - ولأول مرة فى تاريخ الدنيا - فى الجزيرة العربية قوة عظمى قوة لم ينبغ مثلها من قبل فى تلك الجزيرة ، التى كان أمرها مفرقا بين قوي متناحرة، وعشائر بعضها لبعض عدو ، فإذا هى الآن - بفضل الله وبهدي الإسلام، وبنبوة محمد (ﷺ) - دولة موحدة ، لها زعيم واحد، وقائد سياسى واحد ، وقائد عسكري واحد ، لاينازعه سلطانه أحد ، لأن سلطانه فوق مستوي البشر، فهو رسول الله ، ولسان السماء ، وكل فى دولته مأمور بطاعته، كما يطيع الله تعالى ، يفتديه بحياته ، بل وتهون عليه حياته فى سبيل ما يأمر به، تطلعا إلى الجنة التى وعد الله المتقين من عباده وأعد للشهداء من المجاهدين ، وهكذا أصبحت شبه الجزيرة العربية دولة واحدة ، تدين بدين واحد ، وتعبد ربا واحدا ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير .

ثم تتجلى ثانيا فى استخلاف أولئك السادة الأصحاب الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكل اليهم أمر المدينة ، عاصمة الدولة ، كلما خرج منها غازيا أو معتمراً أو حاجا [1]

بقيت الإشارة إلى أنه من الأسباب التى دفعتنى إلى دراسة هذا الموضوع- بعد أن قدمت دراسة لتاريخ النبوات فى أربعة أجزاء بعنوان "دراسات تاريخية من القرآن الكريم " وقد صدرت فى بيروت عام ١٩٨٨ ، ثم دراسة عن السيرة النبوية وآل البيت فى عشرة أجزاء بعنوان " فى رحاب النبى وآل بيته الطاهرين"، وقد صدرت فى بيروت فى عام ١٩٩٠م - إنما هو إحساس عميق بأن تنال الموضوعات التاريخية المتصلة بالكتب المقدسة - وعلى رأسها تاريخ الأنبياء ، فضلا عن التأريخ لهم - قسطا وافرا من جهد المؤرخين المسلمين ، بعد أن امتلأت رفوف المكتبات بإنتاج المؤرخين من غير المسلمين فى هذا الميدان، وربما ساعدنى على هذه المحاولة تخصصى فى التاريخ القديم وهو الميدان الذي

---

(١) أنظر : محمد بيومى مهران : السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثانى ص١٩-٣٧ ، أحمد حسن الباقوري : صفوة السيرة النبوية - القاهرة ١٩٧٨

يدرس تاريخ تلك العصور الطويلة التى ظهر فيها الأنبياء حتى ختموا بسيد المرسلين ، سيدنا محمد (ﷺ) هذا فضلا عن دراسات إسلامية ، بدأت بحفظ القرآن الكريم ، ثم استمرت طوال الشطر الأول من حياتى العلمية فى معاهد المعلمين ، وإن كنت لاأزعم لنفسى فيها- بحال من الأحوال - مكانة تعدو مكانة عامة المسلمين الذين تعلموا من أمور دينهم القدر الذي يتعرفون به عليه، وان كان مما لاريب فيه أنه لايصل بهم الى مكانة الخاصة من المتخصصين فى دراسات القرآن الكريم والحديث الشريف وعلومهما ، وأخيرا فلقد أكسبتنى المحاولة التى قمت بها فى " دراسات تاريخية من القرآن الكريم " قدرا من المعلومات تساعدنى على التأريخ للأنبياء عليهم السلام .

ولنحاول الآن أن نؤرخ للأنبياء الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم ، على قدر مايتوفر لنا من معلومات ، لعلنا نستطيع أن نصل - بمشيئة الله - إلى رأي قريب من الصواب ، أو لايبعد عن الصواب كثيرا، مؤمنين تمام الإيمان أن اليقين مازال، وسيظل أبد الدهر، عند صاحب اليقين ، ومازال العلم ، وسيظل ، عند رب العلم ، يؤتيه من عباده من يشاء ، وهو علام الغيوب، ومانقوم به ، أو يقوم به غيرنا ، لا يعدو محاولات قد تخطئ وتصيب ، بل قد تخطئ كثيرا، وتصيب قليلا، وأن مافيها من صواب فمن الله ، ومافيها من خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل .

(١) آدم وإدريس عليهما السلام : -

إذا بدأنا بآدم أبو البشر ، عليه السلام ، فلا نستطيع القول، أكثر من أنه أبو البشر ، فما جاء عنه فى القرآن الكريم [١] لايتيح لنا ، بحال من الأحوال ، أن نقول أكثر من ذلك ، وإن جعلته التوراة يعيش تسعمائة وثلاثين سنة[٢].والأمر كذلك بالنسبة الى إدريس عليه السلام ، والذي لانستطيع أن

---

(١) أنظر: سورة البقرة : آية ٣٠-٣٩ (٢) تكوين ٢/٤-٢٥ ، ٣/١ -٢٤.

نقول أكثر من أنه كان بين آدم ونوح عليهما السلام ، وقد أشارت التوراة التى دعته " أخنوخ" إلى أنه عاش ثلاثمائة وخمسا وستين سنة [1]

(٢) نوح عليه السلام :-

تجمع الكتب المقدسة على أن نوحا عليه السلام عاش تسعمائة وخمسين عاما [2] ، وقد قسمتها التوراة إلى فترتين ، الواحدة قبل الطوفان وعاش فيها ستمائة عام ، والثانية بعد الطوفان ، وعاش فيها ثلاثمائة وخمسين سنة [3].

هذا وقد اختلف المفسرون فى مبلغ عمر نوح عليه السلام ، فقيل مبلغ عمره ماذكره الله تعالى فى كتابه الكريم ، قال قتادة : لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ، ودعاهم ثلاثمائة سنة ، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقال ابن عباس : بعث نوح لأربعين سنة ، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الغرق ستين سنة، حتى كثر الناس وفشوا، وعنه أيضا : أنه بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة، ولبث فيهم ألف سنة الا خمسين ، وعاش بعد الطوفان مائتى سنة، وقال وهب : عمّر نوح ألفا واربعمائة سنة ، وقال كعب الأحبار : لبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان سبعين عاما ، فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين عاما، وقال عون بن أبى شداد : بعث نوح وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، فكان مبلغ عمره ألف سنة وستمائة وخمسين سنة ، ونحوه عن الحسن (أي الحسن البصري) [4]

هذه هى آراء المفسرين فى مبلغ عمر نوح عليه السلام ، ولكن الذي يلزمنا هو كلام الله عز وجل ، وليس مادرج المفسرون أن يقدموا ، فإنما هو

---

(١) تكوين ٥/٢٣ (٢) سورة العنكبوت: آية ١٤، تكوين ٩/٢٩ (٣) تكوين ٧/٦ ٩/٢٨

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٦٤٩، تفسير القرطبى ص٤٨ ـ ٥-٤٩ ـ ٥

اجتهاد ، وفوق كل ذي علم عليم ، وقد قال الله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين [1]

وإذا ماأردنا أن نؤرخ لعصر نوح عليه السلام ، فعلينا أن نتذكر - يادئ ذي بدء - أن قائمة الملوك السومرية إنما تعتبر حادث الطوفان الكبير (طوفان نوح عليه السلام فيما نرجح) بمثابة كسر في عملية استمرار تاريخ العراق القديم، ومن ثم فهو حد فاصل بين عصور ماقبل التاريخ والعصر التاريخي .

لقد عثر " سيرليوناردوولى " (١٨٨٠-١٩٦٠) في حفائره في خرائب" أور [2] "- وهي تل المقير الحالية ، على مقربة من محطة القطار في الناصرية، وعلى بعدة ١٦ كيلا شرقي نهر الفرات، ١٩ كيلا شمال مدينة البصرة الحالية- وذلك في عام ١٩٢٩م على طبقة من الغرين السميك والرواسب الخالية من الآثار ، فيما بين ٩ر٣م ، ٢ر٥م، فوق مستوي سطح البحر، وقد اعتبر ذلك دليلا ماديا على الطوفان السومري، نظرا لكثافة تلك الطبقة الغرينية ، وتوافقها الزمني إلى حد كبير مع النصوص السومرية ، هذا فضلا عن أن تلك الطبقة الغرينية انما تقع فوق آثار تنتمي إلى عصر حضارة "العبيد[3] ، والتي تمثل عصر ماقبل الأسرات الأولى في جنوب العراق .

هذا وقد اتجه "وولى" بعد ذلك إلى الحفر في موقع بعيد عن "أور" بحوالى ٣٠٠ ياردة من ناحية الشمال الغربي ، للبحث عن مدي امتداد تلك

---

(١) سورة العنكبوت : آية ١٤-١٥

(٢) أنظر: C.L. WOOLLEY, UR OF THE CHALDEES, LONDON, 1950, P.22-29 ,

C.L.WOOLLEY, EXCAVATIONS AT UR, LONDON, 1963, P.26-36

(٣) أنظر عن حضارة العبيد (محمد بيومى مهران : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء العاشر - العراق القديم - الاسكندرية . ١٩٩١ص.٣-٣٨ .

الطبقة الغرينية ، وكانت نتيجة الحفر ايجابية ، مما أدي الى القول بوجهة النظر المشهورة فى ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة، على أن هناك من يتردد فى ذلك ، لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفانات ، فهناك أدلة غرينية على طوفان كبير فى شوروباك (فارة) يرجع الى نهاية عصر " جمدة نصر" وآخر فى "كيش" (تل الأحيمر)، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الطوفانات ، وأيهما هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، وإن تميز طوفان "أور" بطبقته الغرينية السميكة للغاية ، رغم عدم العثور على الطبقة الغرينية الموازية فى كافة المدن السومرية [1]

وعلى أية حال ، فإن "وولى" إنما يعتبر طوفان أور ، طوفانا كبيرا مروعا، لامثيل له فى أي عصر لاحق فى تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فقد ظل عالقا فى الأذهان بين الأجيال التالية، ومعروفا لديهم باسم "الطوفان" صحيح أن هناك فى أور، وفى مواضع أخري من بلاد النهرين ، أدلة على فيضانات موثقه ومحلية ، حدثت فى أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم ولكنه صحيح كذلك أن الطوفان الذي وضع نهاية لحضارة العبيد، إنما يتفق فى توقيته مع التاريخ السومري الذي وصل الينا عن طريق التقاليد ، وأنه بعينه الطوفان الذي تحدثت عنه قائمة الملوك السومرية [2] ، وهو الطوفان الذي روته التوراة فى سفر التكوين (طوفان نوح عليه السلام).

---

(١) أنظر: J.FINEGAN, LIGHT FROM THE ANCIENT PAST, PRINCETON, 1969, P.24 ,

H.W.F.Saggs, the Greatnes that was Babylon, London, 1962,P.34-35

(٢) أنظر عن قائمة الملوك السومرية: S.N.Kramer, the Sumerians, Chicago, 1970, P.328-331 , A.L.Oppenheim, ANET, 1966, P.265-267

وكذا J.Finegan , op-cit, P.29-30 , T.Jacobsen, the Sumerian Kingslist, Assyrian Studies, II, 1939

على أنه يجب أن لايفهم أن قصة الطوفان السومرية صحيحة بحذافيرها صحيح أن الخلفية التاريخية حقيقية، ولكنه صحيح كذلك أن التفاصيل قد زخرفها المؤلف السومري - وكذا فعل صاحبه العبري - ببيانات تتفق وهدف كل منهما من كتابتها. فمثلا تقول التوراة إن الماء قد ارتفع ٢٦ قدما، وهذا فيما يبدو ، صحيح الى حد كبير، كما أن القصة السومرية تصف إنسان ماقبل الطوفان بأنه كان يعيش فى أكواخ من بوص ، وهذا أمر قد أثبتته الحفائر فى العبيد، وفى أور ، وأن نوحا، عليه السلام - فى رواية التوراة - قد بنى فلكه من خشب خفيف لاينفذ منه الماء ولايؤثر فيه ، وأنه قد طلاه من الداخل والخارج ، وهو أمر قد أثبتته الحفائر فى أور [١].

وهناك من أدلة "وولى" على طوفان أور الكبير هذا ، ماعثر عليه هو نفسه فى "أور" أسفل طبقة المبانى السومرية، من طبقة طينية مليئة بقدور من الفخار الملون ، وقد اختلطت بها أدوات من صوان وزجاج بركانى ، وكان سمك هذه الطبقة حوالى ثلاثة أمتار ، أسفل المبانى الطينية التى يمكن تأريخها بحوالى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد ، وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة فى عصر ماقبل الطوفان، ولم تجر حتى الآن حفائر على نطاق واسع فى هذه المنطقة وكل ماأمكن إثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى مرة واحدة ، ويعلل "وولى" لذلك بأن الطوفان قد قضى تماما على سكان هذه البلاد، وحتى من بقى منهم حيًا ، فقد فقد القدرة على الإنتاج ، فجاء شعب جديد هم " السومريون" إلى تلك البلاد الخالية ، وأسسوا حضارة جديدة، وكان فخارهم مصنوعا على دولاب الفخار بدلا من الفخار المصنوع باليد ، الذي كان سائدا فى عصور ماقبل الطوفان كما استعملوا الأدوات المعدنية ، بدلا من الصوان [٢].

---

(١) Sir Leonard Woolley, Excavations at ur, London, 1963,P.34-36

(٢) محمد عبد القادر : قصة الطوفان فى أدب بلاد النهرين ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٩٦-٩٧

وهكذا يمكننا القول - اعتمادا على نتائج الحفائر الأثرية - أن طوفان نوح عليه السلام يمكن أن يؤرخ بحوالى عام ٢٧٠٠ ق.م، فإذا ماأخذنا برواية التوراة وقتادة [١]، من أن نوحا عليه السلام قدعاش قبل الطوفان ستمائة وبعده ثلاثمائة وخمسين عاما، فإن نوحا عليه السلام يمكن أن يكون قد عاش فى الفترة (٣٣٠٠-٢٣٥٠ ق.م) وأما رواية ابن عباس التى تجعل بعثته فى سن الأربعين ، ثم مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش ستين عاما بعد الطوفان ، ومن ثم يمكن أن يكون قد عاش فى الفترة (٣٦٩٠ - ٢٦٤٠ ق.م)، وطبقا لرواية أخري لابن عباس ، فهو قد عاش فى الفتره (٣٩٠٠-٢٥٠٠ ق.م) ، وكلها تواريخ افتراضية بنيت على أن الطوفان قد حدث حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م ، الأمر الذي لايمكن الجزم بصحته ، هذا فضلا عن أننا لو أخذنا بآراء أخري (وهب بن منبه - كعب الأحبار - عون بن أبى شداد) لتوصلنا إلى تواريخ أخري تبعد أو تقرب قليلا أو كثيرا ، عن هذه التواريخ الآنفة الذكر .

(٣) هود عليه السلام :-

لا ريب فى أن الحديث عن تحديد عصر لسيدنا هود عليه السلام ، إنما هو أمر بالغ الصعوبة ، فالقصة قرانية صرفة ، وليس فى القرآن الكريم أو السنة الشريفة ، إشارة صريحة الى تاريخ هود، والآثار صامتة تماما فى هذا المجال ، وليس هناك أي نوع من الوثائق التاريخية التى يمكن للمؤرخ أن يعتمد عليها فى الوصول الى نتيجة يظن أنها الصواب ، أو حتى قريبا من الصواب ومن ثم فإن المحاولة لاتعدو أن تكون حدسا عن غير يقين .

على أننا نستطيع أن نحدد ذلك العصر بالألف الثانية قبل الميلاد ، على وجه التقريب ، ذلك لأن القرآن الكريم إنما يذكر عادا قبل ثمود [٢]، وهى دونما

(١) تكوين ٦/٧ ، ٢٨/٩ ، تفسير القرطبى ص ٥٠٤٨ ، تفسير ابن كثير ٦٤٩/٣ .
(٢) أنظر: سورة التوبة: آية ٧٠ ، هود: آية ٨٩ ، إبراهيم :آية ٩، الفرقان: آية ٣٨، =

ريب أوضح تاريخيا من عاد ، هذا إلى أنه إنما يذكر عادا كذلك بعد قوم لوط ، وأما ثمود ، فهي واحدة من القبائل العربية التي جاء ذكرها في الكتابات الآشورية، على أنها كانت تعيش في شمال شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثامن قبل الميلاد. هذا فضلا عن أن منطقة عاد ، قوم هود عليه السلام، رغم أن المؤرخين المسلمين يذهبون إلى أنها تقع في الأحقاف ، الى الشمال الشرقي من حضرموت في جنوب الربع الخالي[1]، فإن الآراء الحديثه [2] إنما تتجه إلى أنها تقع في شمال الجزيرة العربية ، وليس في جنوبها ، وأنها ربما كانت تموج في المنطقة الممتدة من منطقة "حسمى" في سيناء ، حتى منطقة "أجأ وسلمى" في منطقة قبيلة شمر [3] . هذا إلى جانب اقتران ذكر عاد بثمود "الذين جابوا الصخر بالواد [4]". ولعله "وادي القري"[5]. أحد الأودية التي تتخلل جبال حسمى ، ومن بينها جبل إرم، والذي يسمى الآن "رم" ، ويكون الحد الشمالي للحجاز ، وعنده يوجد الكثير من الماء [6]

وأما قوم لوط، فقد كانوا معاصرين لسيدنا ابراهيم عليه السلام، وقد حددنا له الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ق.م) ، كما سنري، ومن ثم فإننا ربما نستطيع القول : إن عادا إنما كانت في الفترة، فيما بين عهد ابراهيم عليه السلام، وبين

= غافر :آية ٣١، فصلت: آية ١٣، ثم قارن الحاقة : آية ٤ (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨٥/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢٠/١ ، المسعودي : مروج الذهب ١٢/٢ ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٩٧/١، تاريخ ابن خلدون ٩/٢ (٢) أنظر : محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٤٧/١-٢٤٩ (٣) عبد الرحمن الأنصاردي: لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية - الرياض ١٩٦٩ ص ٨٨ (٤) سورة الفجر : آية ٩ (٥) تاريخ الطبري ٢٢٦/١-٢٢٧ ، ابن قتيبة: المعارف ص ١٤ ، الديار بكري : تاريخ الخميس ص ٨٤ ، تفسير روح المعاني ١٦٢/٨ ، ٧١/١٤ ، ابن الأثير ١٩/١

(٦) ألويس موسل : شمال الحجاز - ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني - الاسكندرية ١٩٥٢ ص ١٣٧

عهد ثمود ، ومن هنا فلو وضعنا تاريخ سيدنا هود، عليه السلام، في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ، لما تجاوزنا الصواب بكثير [١].

على أن الأمر قد يختلف كثيرا، إذا ماكان صحيحا ماذهب إليه بعض الباحثين من الربط بين "إرم" و"أرام" ، وإن "إرم" إنما تتصل بالأموريين ، وبمعنى آخر أن هناك صله بين قوم عاد وبين الأراميين عن طريق عاد إرم، والأراميون ، كما نعرف ، لم يكونوا إلا عربا ، هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب [٢]، ومن ثم فقد التبس الأمر على المؤرخين المسلمين بين "عاد إرم " و "عاد أرام"، وظنوا أن ذات العماد صفة لإرم، فزعموا أنها مدينة بناها عاد أو شداد بن عاد [٣].

وعلى أية حال، فإذا صح الربط بين "أرام" و "إرم" ، وأن "إرم" تتصل بالأموريين، فإن قوم عاد إنما يرجع تاريخهم إلى ماقبل ظهور الأموريين في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد في العراق القديم ، وهذا يتفق مع وجهة النظر الإسلامية التي تذهب إلى أن عادا إنما كانوا قبل عصر ابراهيم عليه السلام، أي قبل القرن العشرين قبل الميلاد .

وإذا صدقت وجهة النظر هذه ، فإننا نستطيع أن ندعمها بعدة أدلة، منها تلك الآيات الكريمة التي جعلت قوم عاد خلفاء لقوم نوح [٤]، ومنها ورود قصة هود بعد قصة نوح عليهما السلام، في كثير من المرات في القرآن الكريم [٥]، ومنها ذكر عاد وثمود بين قوم نوح وقوم إبراهيم [٦]، ومنها قوله تعالى " ألم

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٦٠ .

(٢) R.A.Bowman, Arameans, Aramaic and the Bible , JNES,7,1948, P.66-67

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبري ١٩/١ ، البكري: معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع ١٤٠/١، معجم ياقوت الحموي ١٥٥/١ -١٥٧، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٠٣/١

(٤) سورة الاعراف : آية ٦٩، إبراهيم : آية ٩، غافر : آية ٣١ (٥) أنظر مثلا سورة هود والأعراف والمؤمنون والشعراء. (٦) سورة التوبة: آية ٧٠

يأتكم نبأ الذين من قبلكم ، قوم عاد وثمود ، والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله [1] ". وقد اتخذ البعض من هذه الاية الكريمة ، والتى قبلها ، دليلا على أن هذه الأقوام، إنما سبقت عهد موسى عليه السلام - أي القرن الثالث عشر قبل الميلاد - على أساس أن الخطاب هنا موجه الى قوم موسى [2]. غير أن ابن كثير إنما يري أن الخبر مستأنف من الله لهذه الأمة - أي أمة محمد (ص) - لأن قصة عاد وثمود ليست فى التوراة فلو كان هذا من قول موسى لقومه وقصصه عليهم ، فلا شك أن تكون هاتان القصتان فى التوراة [3] ، وتوسط البيضاوي بين أن يكون من كلام موسى ، أو كلام مبتدأ من الله[4]. هذا فضلا عن أن الترتيب إنما يختلف فى سورة الشعراء ، إذ تسبق قصة موسى (١٠-٦٨) قصة ابراهيم (٦٩-٨٩) ثم تأتى بعد ذلك قصة نوح (١٠٥-١٢١) فقصة هود (١٢٤-١٤٠)ثم قصة صالح (١٤١-١٥٩) فقصة لوط (١٦٠-١٧٥) ثم قصة شعيب (١٧٦-١٩١) [5]. بل إن ثمودا إنما تتقدم عادا فى سورة "ق" " حيث يقول تعالى " كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون وإخوان لوط [6]

(٤) صالح عليه السلام : -

يتجه بعض المؤرخين الإسلاميين إلى أن عصر صالح عليه السلام ، إنما كان على أيام ابراهيم عليه السلام وأن الفترة بين هلاك عاد وهلاك ثمود كانت خمسمائة عام [1]

على أن هناك من يذهب إلى أن عادا إنما هلكوا بعد عهد إبراهيم الخليل

---

(١) سورة إبراهيم : آية ٩ ، وانظر : غافر: آية ٣١ (٢) تفسير الطبري ١٨٧/١٣ (طبعة الحلبى ١٩٥٤) (٣) تفسير ابن كثير ٨١٢/٢ (بيروت ١٩٨٦) (٤) تفسير البيضاوي ٥٢٥/١-٥٢٦ (٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص٢٦١-٢٦٦

(٦) سورة ق:آية ١٢-١٣ (١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال - القاهرة ١٩٦ ص٧

وبناء الكعبة ، وقبل زمن موسى عليه السلام [1]، وإذا كان صحيحا ماذهبنا إله في دراسات آخري ، من أن ابراهيم قد عاش في الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م) وأن موسى قد خرج ببني إسرائيل من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد [2]،فإن صالحا عليه السلام - طبقا لهذا الرأي - قد عاش فيما بين القرنين الثامن عشر والثالث عشر ق.م، غير أن صاحب هذا الرأي نفسه ، إنما يستبعد أن يكون قوم عاد أقدم من قوم إبراهيم ، وأن قوم ثمود كانوا يتلون قوم عاد في الوجود والظهور[3]، وقد رأينا من قبل أن هناك آيات في كتاب الله يسبق فيها الثموديون قوم عاد [4] ، وأخري تسبق فيها قصة موسى قصة ابراهيم ، ثم تاتى قصة نوح ، فقصة هود وصالح ولوط وشعيب [5].

هذا فضلا أننا حتى الآن لا نملك أدلة علمية مؤكدة نستند اليها في التأريخ لقوم ثمود ، ومن ثم فإننا نستطيع القول - حدسا عن غير يقين - أن الثموديين بصفة عامة ، ربما كانوا يشغلون صفحات في التاريخ منذ أوائل الألف الأول قبل الميلاد ، وأنهم استمروا كذلك حتى القرن الخامس الميلادي ، نقول منذ الألف الأول قبل الميلاد ، لأن لدينا كتابة أشورية تتحدث عن الثموديين صراحة منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، وبالتحديد منذ عصر " سرجون الثاني" (٧٢٢-٧٠٥ق.م) [6] ومن البدهي أن هؤلاء الذين حاربوا الملك الأشوري لم يظهروا فجأة في التاريخ ، وإنما لهم أسلاف عاشوا قبل ذلك بقرون لا ندري مداها على وجه اليقين .

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - القاهرة ١٩٦٦ ص ٥٠-٥٩

(٢) أنظر (محمد بيومي مهران : إسرائيل ٧٢/١ - ٨٢ ، ٤١٣-٤٣٦)

(٣) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق ص٤٨ (٤) : سورة ق آية ١٢-١٣

(٥) أنظر: سورة الشعراء ، حيث تسبق قصة موسى (١٠-٦٨) قصة إبراهيم (٦٩-٨٩)، ثم تأتي بعد ذلك قصة نوح (١٠٥-١٢١) فقصة هود (١٢٤-١٤٠) ثم قصة صالح (١٤١-١٥٩) فقصة لوط (١٦٠-١٧٥) فقصة شعيب (١٧٦-١٩١)

(٦) A.Leo Oppenheim, Biabylonian and Assyrian Historical Texts, in ANET, 1966, P.286

وأما أنهم استمروا حتى القرن الخامس الميلادي ، ذلك لأن لدينا نقشا يرجع الى النصف الثانى من القرن الثالث ، وبالتحديد الى عام ٢٧٢م [١]، ومن البدهى - مرة أخري - كما أنهم لم يبدأوا فجأة، فإنهم لم يختفوا فجأة كذلك ، ومن هنا قلنا أنهم استمروا حتى القرن الخامس الميلادي ، بل ان هناك مايدل على أنهم كانوا فى ذلك القرن فرسانا فى جيش الروم ، وأنهم كانوا يعسكرون فى مصر وفى فلسطين [٢]

(٥) أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام :

اختلف الباحثون فى التأريخ لعهد أبى الأنبياء إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام، فذهب "أولبرايت" إلى أنه عاش فى الفترة (٢١٦١-١٩٨٦ ق.م)، ثم حاول بعد ذلك أن يقدم لنا تاريخا محدداً لكل حدث من الأحداث الهامة فى حياة أبي الأنبياء ، فهو يري أنه ولد فى عام ٢١٦١ ق.م، على أيام الملك " أورنامو" (مؤسس أسرة أور الثالثة ٢٠٧٠-١٩٦٠ق.م)[٣] فى مدينة " حاران " - وتقع على نهر بلخ على مبعدة ٩٦ كيلا من اتصاله بالفرات، وإلى الغرب من تل حلفا، ٤٤٨ كيلا الى الشمال الشرقى من دمشق [٤] - وليس فى "أور"[٥]. وانه قد هزم الملوك الخمسة الذين أسروا ابن أخيه "لوط" عند مدينة "دان" - وهى تل القاضى الحالية على مبعدة ٥ كيلا غربى بانياس ، قرب منابع الأردن [٦]- ثم طاردهم حتى مجاورات دمشق حوالى عام ٢٠٧٠ ق.م،

---

(١) A.Van de Braden, Les Inscriptions Thamoudeens, Louvian, 1950,P.410

(٢) C.M.Daughty, Travels in Arabia Deserta, New York, 1946, P.229 وكذا A.Sprenger, Die Alte Geograply Arabiens, Berlin, 1875,P28

(٣) أحدث الآراء أن "أور-نامو" حكم فى الفترة (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م) وأن أسرة أور الثالثة كانت فى الفترة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) (محمد بيومى مهران: تاريخ العراق القديم ص ١٧٣، ٢٠٥)

(٤) قاموس الكتاب المقدس ٢٧١/١

(٥) محمد بيومى مهران إسرائيل ٦١/١-٧٢، وكذا I.Epstein, Judaism, 1970p.21-22

(٦) قاموس الكتاب المقدس ٢٥٧/١ =

ثم رزق بولده اسماعيل - جد العرب - حوالى عام ٢٠٧٦ ق.م، وبولده إسحاق - جد بنى إسرائيل - حوالى عام ٢٠٦١ق.م، وأن حادث الفداء الفذ إنما حدث حوالى عام ٢٠٣٦ ق.م، ثم مات ، عليه الصلاة والسلام، حوالى عام ١٩٨٦ قبل الميلاد [١]

هذا ويذهب " آرثر ويجال " إلي أن أبا الأنبياد عليه السلام، خرج من مصر على أيام الملك "أمنمحات الأول" وأن الإشارة إلى الأسيويين فى " نبوءة نفرتى"[٢] ، إنما يقصد بها هذا الحدث بعينه [٣] . فإذا ماتذكرنا أن "أمنمحات الأول" قد حكم مصر فى الفترة (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) - طبقا لتأريخ جاردنر [٤] وأن إبراهيم - طبقا لرواية التوراة [٥] - كان فى الخامسة والسبعين من عمره ، عندما هاجر من "حاران" إلى كنعان، ثم من كنعان إلي مصر، بعد فترة لاتدري مداها على وجه اليقين، فمعنى هذا أن ابراهيم الخليل، عليه السلام ، قد ولد حوالى منتصف القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد.

على أن أطلس "وستمنستر" التاريخى إنما يحدد عصر الخليل عليه السلام، فيما بين عامى ٢٠٠٠...١٧٠٠ قبل الميلاد، وأن الملك البابلى "حمورابى" قد أتى فى ختام هذه الفترة، على أساس أنه قد استولى على مدينة "ماري"[٦] حوالى عام ١٧٠٠ق.م [٧]، هذا فى الوقت الذي حددت فيه

= وكذا Merrill F.Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970,p.239

(١) Ibid, p.10-14

(٢) أنظر عن نبؤة نفرتى : محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الأول - الآداب والعلوم الاسكندرية ١٩٨٩ ص٢٩٩-٣٠٥

(٣) A.Weigall, AHistory of the pharaohs, II,London, 1922 p.40

(٤) A.H. Gardiner, Egypt of th phanohs, Oxford, 1961,p.439

(٥) تكوين ١٢/٤ (٦) انظر النزاع بين حمورابى وبين ملكة ماري (محمد بيومى مهران تاريخ العراق القديم ص ٢٢٥-٢٢٨)

(٧) Westminester Historical Atlas to the Bible, philadelphia, 1946, p.234

"موسوعة وستمنستر" - اعتمادا على تقدير الأسقف يرشر - مولد الخليل ، عليه السلام بعام ١٩٩٦ قبل الميلاد[١].

هذا ويذهب "سيرليوناردوولى" إلى أن أبا الأنبياء إنما كان معاصراً لأسرة "لارسا [٢]" - وهى تل سنكرة الحالية ، على مبعدة ٣٠ كيلا شمال غرب الناصرة - أي فى الفترة (٢٠١٩٢-١٧٠٠ ق.م)، مستشهدا فى ذلك بما دونه العهد القديم، وبتحقيق كلمة "عابيرو" التى يري أنها تدل على العبرانيين[٣].

ويري "كيلر" أننا إذا تتبعنا التواريخ التى أعطتها التوراة، فإننا سوف نجد أن إبراهيم قد ترك موطنه الأصلى فى "حاران" قبل خروج بنى إسرائيل من مصر بحوالى ٦٤٥ سنة، ثم تجولوا فى الصحراء فى اتجاه الأرض المقدسة تحت قيادة موسى ، عليه السلام ، فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهذا التاريخ قد تأكد عن طريق علم الآثار، ومن ثم فإن ابراهيم الخليل - طبقا لذلك ، يكون قد عاش حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م [٤]

ويذهب "جورج روكس" الى أن الرحلة التى قام بها أبو الأنبياء الى كنعان إنما كانت حوالى عام ١٨٥٠ ق.م، أو بعد ذلك بقليل، وهذا يعنى أن الخليل عليه السلام، قد ولد فى الربع الأخير من القرن العشرين قبل الميلاد[٥]. وأما "چاك فنجان" فالرأي عنده أن ابراهيم قد دخل أرض كنعان عام ٢٠٠٠ق.م، وأنه قد ترك بلاد العراق القديم (ميزوبوتاميا) فى عصر الغزو الأموري

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ١٢/١، عباس العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص ٦٩

(٢) تتجه الاراء الحديثة الى أن حكم أسرة لارسا إنما كان فى الفترة (٢٠٢٥-١٧٦٣ ق.م) وعدد ملوكها ١٤ (أنظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٠٢-٢٠٤

(٣) L.Woolley, Abraham, Recent Discoveries and Hebrew the Be-Origins, tكو ginnings of civilization, p.492

(٤) W. Keller, the Bible as History, 1967,p.69

(٥) G.Roux, Ancient Iraq, 1966, p.215

والعيلامى[١]، وأن الاضطرابات التى حدثت هى التى اضطرته الى الرحيل من موطنه الأصلى [٢].

على أن هناك من يعين تاريخ أبى الأنبياء فى زمن متوسط بين أوائل القرن التاسع عشر، وأوائل القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ويجعلونه معاصراً لدولة العموريين (الاموريين) فى العراق، والرعاة (الهكسوس) فى مصر[٣]، وأن ولادة الخليل فى هذه الفترة ترجحها النتائج التى تمثلت فى سيرته عليه السلام، والإضطرار الى الرحلة الدائمة من أور الى أشور، والى فلسطين ثم مصر فبيت المقدس، ثم الى صحراء الجنوب . وتقترن زلازل الطبيعة وزلازل السياسة، فلايستقر لأحد من المقيمين فى ديارهم قرار، فضلا عن القبائل الرحل فى طلب المرعى وطلب الأمان [٤]

وهناك فريق آخر حاول الربط بين أبى الأنبياء والملك البابلى "حمورابى"[٥] بصلة من نوع ماعن طريق "أمرافل" ملك " شنعار" الذي هزمه ابراهيم عند محاولته إنقاذ ابن اخيه لوط، وهكذا رأي بعض الباحثين أن "أمرافل" الذي تقول التوراة عنه أنه "ملك شنعار فى تلك الأيام" هو "أمرابل" والد حمورابى[٦] الذي كان يجلس على عرش بابل قبله [٧].

وهناك فريق ثالث يذهب الى أن "أمرابل" الذي حارب ابراهيم الخليل، إنما

---

(١) أنظر عن الغزو الأموري العيلامى (محمد بيومى مهران : تاريخ العراق القديم ص١٨٦-١٩٠)

(٢) J.Frinegan, Light from the Ancient past, I, princeton, 1969,p.72-73

(٣) أنظر عن " الهكسوس فى مصر" (محمد بيومى مهران: حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠١-٢٢٣) (٤) عباس العقاد : المرجع السابق ص١٨٣

(٥) أنظر عن حمورابى والآراء التى دارت حول التأريخ له (محمد بيومى مهران : تاريخ العراق القديم ص ٢٢٠-٢٨٣) (٦) والد حمورابى والذي كان يجلس على عرش بابل قبله هو " سن موباليت " (١٨١٢-١٧٩٣ق.م) ثم حمورابى (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م فيما يرى البعض)(CAH,I,part,2,1971,p.636-638)

(٧) تكوين ١٤/١ . ول ديورانت : قصة الحضارة ٢/٢٣٤،

وكذا W.M.F.petrie, Egypt and Israel, London, 1925, p.17

هو "حمورابى" نفسه [١]، أو على الأقل فيما يري آخرون - ومنهم جاك فنجان[٢] وهربرت ويلز[٣] أن أبا الأنبياء إنما كان يعيش فى نفس الوقت الذي كان يعيش فيه حمورابى فى بابل، ويؤرخ الدكتور نجيب ميخائيل هذه المرحلة بعام ١٩٦٠ ق.م، وهى فيما يري، تعاصر حمورابى ، كما تعاصر سنوسرت الأولى (ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية) ذلك لأن حمورابى قد عاصر حمورابى، كما عاصر "سنوسرت الأول" ثم " أمنمحات الثانى" على التوالى[٤]

وهناك فريق رابع - ومنهم لوثر كلارك - يري أن عصر حمورابى متأخر زمنيا عن عصر الوقائع التى تنسب إلى "أمرافل" بمائة سنة أو أكثر، وأن أمرافل وحمورابى لايدلان على شخص واحد ، وأن الغور العميق الذي تملأه أمواه البحر الميت أقدم جدا من الوقت الذي تقر لخراب المدن المذكورة فى قصة إبراهيم عليه السلام [٥]

على أن هناك فريقا خامسا إنما يحاول توحيد ابراهيم الخليل بالمدعو "دمقى اليشو" ذلك لأن "دويرتى" إنما يترجم إسم "دمقى اليشو" بمعنى " حبيب الله" من المقة بمعنى الحب ، والإيل بمعنى الله ، وضمير الإضافة، ثم جاء "جون قلبى" فظن أن هذا الإسم يطابق فى الزمن والصفة اسم ابراهيم الخليل، وأن الخليل كان ملكا من الملوك الذين حكموا جنوب العراق ، عند الخليج العربى ، ذلك لأن الأقوال متواترة بمقام الخليل هناك فى أورالكلدانيين، ولأن إسم "دمقى اليشو" ورد فى الآثار البابلية كثالث ملك فى أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحري الأولى)، وقد حدد "ديلابورت" لهذه الأسرة الفترة (١٩٢٥-١٧٦١ ق.م)[٦]

---

(١) S.Smith, Early History of Assyria to 1000B.C, London, 1928,p.70-71

(٢) J.Finegar, op-cit, p.73

(٣) H.G.Wells, Ashort History in The World, 1959, p.74

(٤) نجيب ميخائيل : مصر ٢/٩٦ الاسكندرية ١٩٦٦

(٥) عباس العقاد: المرجع السابق ص ٦٤

(٦) محمد بيرمى مهران: تاريخ العراق القديم ص ٢٩٣-٢٩٥، ل.ديلابورت : بلاد مابين النهرين ص ٧٤، العقاد : المرجع السابق ص ١٣٤ ،

وانظر: J.B.Philby , the Background of Islam, Alexandria, 1947

هذه هي مختلف آراء الكثير من العلماء والباحثين الذين تعرضوا للتأريخ لأبي الأنبياء ، سيدنا ابراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، وإنه - كما يبدو واضحا - لأمر جد صعب المفاضلة بين هذه الآراء المختلفة ، وذلك لعدم وجود نصوص نطمئن إليها (أولا)، ولعدم وجود آثار تشير بوضوح الى تاريخ ابراهيم الخليل عليه السلام. (ثانيا) وأما ثالث الأسباب فإنه يتصل بذلك الرأي الذي حدد ٦٤٥ عاما، للفترة بين دخول أبي الأنبياء كنعان، وخروج بني إسرائيل من مصر، فلقد اعتمد هذا الرأي على نص التوراة العبري. ولكننا في الوقت نفسه لو أخذنا بنص التوراة السبعيني [١]، فإن دخول ابراهيم الى كنعان يجب أن يكون قبل خروج بني اسرائيل من مصر بحوالى ٤٣٠ سنة، وليس ٦٤٥ سنة إذ يضيف هذا النص السيتاجوني (السبعيني) كلمة واحدة تختزل إقامة بني اسرائيل في مصر الى النصف .

وأما الآراء التي حاولت الربط بين ابراهيم وحمورابي ، فيقف في طريقها مااستقر عليه العلماء الآن من أن حمورابي كان يعيش - في أرجح الآراء[٢]- في الفترة (١٧٢٨-١٦٨٦ ق.م) ، فلو افترضنا أن ابراهيم الخليل كان يعاصر حمورابي على الأقل ، وطبقا لنص التوراة - العبري أو السبعيني - فإن اقامة بني إسرائيل في كنعان إنما كانت ٢١٥ سنة ، وهذا يجعل دخولهم مصر حوالى عام ١٥١٣ ق.م، وهو تاريخ يقع في أخريات أيام الفرعون " تحوتمس الأول" (١٥٢٨-١٥١٠ق.م). وبعد طرد الهكسوس من مصر (حوالى عام ١٥٧٥ ق.م) بأكثر من نصف قرن ، والهكسوس هم الذين يفترض دخول الإسرائيليين مصر على أيامهم ، هذا فضلا عن أنه على الرغم مما يذهب إليه البعض من أن إسم "أمرافل" قريب من اسم حمورابي ، الأمر الذي مايزال مجال مناقشة واعتراض ، كما أن إسم "أمرافل" مايزال حتى الآن يصعب تحديد اسم صاحبه

(١) أنظر عن الترجمة السبعينية للتوراة (محمد بيومي مهران: إسرائيل - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٧٠-١١٤)

(٢) أنظر عن الآراء المختلفة لعصر حمورابي (محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم ص ٢٢٠)

على وجه اليقين ، فضلا عن زملائه الآخرين الذين جاء ذكرهم فى سفر التكوين [1].

وأما الرأي الذي يوحد الخليل عليه السلام بالمدعو " دمقى اليشو" - ثالث ملوك أسرة القطر البحري الأولى - وماذهب إليه " جون فليبى" من أن أبا الانبياء كان ملكا من الملوك ، الأمر الذي لم يرد أبدا فى التوراة أو الانجيل أو القرآن العظيم - وهى دوغاريب مصادرنا الأصلية عن أبى الأنبياء عليه السلام - هذا فضلا عن الرأي الذي يجعل من "حاران"، وليس "أور" موطنا للخليل ، والذي ارتضيناه من قبل، إنما يقف عقبة كؤود فى سبيل قبولنا لهذه الفكرة ، كما أن هذه الفكرة انما تجعل هجرة أبي الأنبياء بسبب غزو الكاسيين لبابل، أو العيلاميين لأور ، وليس من أجل دعوة التوحيد التى حمل لواءها طوال حياته، وبالتالى فإنها تتعارض وماجاء فى القرآن الكريم عن سيدنا ابراهيم ، عليه الصلاة والسلام [2]

ولهذا كله، وانطلاقا منه، فليس أمامنا سوي أن نفترض - حدسا عن غير يقين - أن الرأي الذي يجعل ابراهيم الخليل عليه السلام، يعيش حوالى عام ١٩٠٠ ق.م، ربما كان أقرب الى الصواب من غيره ، على أساس أن بنى اسرائيل قد خرجوا من مصر - أو طردوا منها - فى أخريات القرن الثالث عشر قبل الميلاد فى عصر الفرعون "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ق.م) - كما سوف نري - وأنهم دخلوا مصر على أيام الهكسوس حوالى عام ١٦٥٠ ق.م، ولما كانت مدة إقامتهم فى مصر- كما تحددها التوراة - ٤٣٠ سنه[3]، فإن قدوم إبراهيم الى كنعان انما كان حوالى عام ١٨٥٠ق.م، وعلى هذا ، وطبقا لرواية التوراة التى تجعل هجرة الخليل الى كنعان وهو فى الخامسة والسبعين من عمره[4]، فانه يكون قد ولد حوالى ١٩٤٠ق.م، ولما كان قد عاش فى هذه

---

(١) تكوين ١/١٤ (٢) أنظر (محمد بيومى مهران: إسرائيل ٨٢/١-٩١، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١٢٧/١-١٥٦) (٣) سفر الخروج ٤٠/١٢ (٤) تكوين ٤/١٢

الدنيا ١٧٥سنه[١]، فإنه يكون قد عاش فى الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ق.م)، واذا أخذنا ببعض الروايات الاسلامية من أنه قد عاش ٢٠٠ سنة[٢]، فإنه يكون عاش فى الفترة (١٩٤٠-١٧٤٠ق.م).

(٦) إسماعيل واسحاق ويعقوب :-

يمكننا القول - إنطلاقا مما سبق، وتخريجا منه- أن إسماعيل عليه السلام - أكبر ولد ابراهيم - قد عاش فى الفترة (١٨٥٤-١٧١٧ق.م)، ذلك لأن الخليل عليه السلام قد رزق به ، وهو فى السادسة والثمانين من عمره[٣] وأنه قد عاش ١٣٧ سنه[٤]

واذا كان صحيحا ماذهب اليه البعض من أن إسماعيل ، عليه السلام، كان فى الثلاثين من عمره، يوم شارك أباه ابراهيم فى بناء الكعبة المشرفة، فإن بناء الكعبة حينئذ يكون فى حوالى عام ١٨٢٤ق.م، على أساس أن اسماعيل قد ولد فى عام ١٨٥٤ق.م، عندما كان ابراهيم فى السادسة والثمانين من عمره[٥]، كما أشرنا انفا . وأما إسحاق عليه السلام، فلقد عاش فى الفترة(١٨٤٠ -١٦٦٠ق.م) . ذلك لأن أبا الأنبياء قد رزق به ، وقد أكمل المائة من عمره[٦] وأنه عاش ١٨٠سنه[٧]

وأما يعقوب عليه السلام، فقد عاش فى الفترة (١٧٨٠-١٦٣٣ق.م) على أساس أنه ولد لاسحاق، وهو فى الستين من عمره[٨]، وأنه عاش ١٤٧ سنه[٩]، وأن بنى اسرائيل دخلوا مصر، حوالى عام ١٦٥٠ قبل الميلاد، عندما

(١) تكوين ٢٥/٧ (٢) تذهب بعض الروايات الإسلامية الى أن ابراهيم الخليل عليه السلام قد عاش ١٧٥ سنة ، وتذهب أخرى أنه عاش ٢٠٠ سنة (ابن كثير: البداية والنهاية ٥٦/١-٥٧ ، المقدسى : البدء والتأريخ ٥٣/٣ ،ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ١٢٤/١)
(٣) تكوين ١٦/١٦ (٤) تكوين ١٨/٢٥ (٥) المسعودي: مرجع الذهب ٢٢/٢ ، على حسنى الخربوطلى : الكعبة على مر العصور - القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦ ، وانظر : محمد بيومى مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١٩٥/١ (٦) تكوين ١٧/١٧
(٧) تكوين ١٨/٣٥ (٨) تكوين ٢٦/٢٥ (٩) تكوين ٢٨/٤٧

كان يعقوب فى الثلاثين بعد المائة من عمره[1]

وهكذا نستطيع أن نستنتج من ذلك كله أن ابا الأنبياء ، إبراهيم الخليل عليه السلام، إنما قد شرف أرض الكنانة علي أيام الأسرة الثانية عشره (١٩٩١-١٧٨٦ق.م)، وربما فى عصر "سنوسرت الثالث" (١٨٧٨-١٨٤٣ق.م)[2] وأن بنى إسرائيل قد دخلوا مصر- بقيادة يعقوب عليه السلام- على أيام الهكسوس (١٧٢٥-١٥٧٥ق.م).

(٧) يوسف عليه السلام :

يختلف المؤرخون فى عصر يوسف عليه السلام، وبالتالى فى وقت دخول بنى اسرائيل مصر، ولعل السبب فى ذلك أن التوراة والقرآن العظيم لم يحددا وقتا لدخول الصديق عليه السلام أرض الكنانة، بل إنهما حتى لم يذكرا إسم الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام، هذا فضلا عن أن مصر- وهى البلد الذي كان يأمل العلماء أن يجدوا فيه وثائق معاصرة للأحداث التى جاءت فى التوراة - لم تشر أبدا الى هبوط الصديق أرض الكنانة، بل ليست هناك أية إشارة فى التاريخ المصري القديم إلى بنى إسرائيل ، فيما قبل عصر "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ق.م)، وحتى هذه لم تزد عن جملة جاءت فى نقش يتحدث عن حروب الفرعون فى غربى آسيا "خربت إسرائيل وزالت بذرتها"[3]. ومن هنا كان الخلاف بين العلماء على تحديد هذا العصر، حيث انقسموا الى فريقين، الواحد يراه فى عصر الهكسوس، والآخر يراه على أيام الفرعون أمنحتب الثانى .

---

(١) تكوين ٩/٤٧

(٢) أنظر عن دخول ابراهيم مصر (صحيح البخاري ١٧١/٤ ، ٢٧/٩-٢٨، فتح الباري ٢٤٦/٦، محمد بيومى مهران : إسرائيل ٧٢/١-٨٢ (الاسكندرية ١٩٧٨) ، مصر ٤٢٣/٢-٤٣٦ (الإسكندرية ١٩٨٨) ، الحضارة المصرية القديمة ٥٥٢/٢-٥٥٥ (الإسكندرية ١٩٩٠)

(٣) J.A.Wilson, ANET,1966,p.378

الرأي الأول :

يذهب أصحابه الى أن عصر الهكسوس هو العصر الذي هبط فيه يوسف مصر، اعتمادا على عدة أدلة، منها (أولا) أن التوراة تروي أن يوسف كان يركب فى عربة الفرعون الثانية على أساس أنه "نائب الملك" وفى هذا دلالة على عصر الهكسوس ، أول من أدخل عربة الحرب السريعة الى مصر، ومنها (ثانيا) أن الهكسوس أول من استعمل العربات الرسمية فى المناسبات العامة فى مصر، وكانت الأولى من نصيب الملك ، والثانية لوزيره الأول،ومنها (ثالثا) أن "ساكن الرمال" أو البدوي ماكان يستطيع أن يصل الى منصب الوزير (العزيز) على أيام الفراعين لأن البدو كانوا يعملون فى تربية الحمير والغنم "وأن كل راعى غنم رجس عند المصريين"[١]، ومن هنا، وفى عهد سيادة الهكسوس فحسب، يجد الأسيوي الفرصة، ومن هنا وجدنا أسماء ساميه لموظفين على أيام الهكسوس،[٢] وإن كانت نبوّة يوسف الصديق وتأويله للأحاديث ، هما سبب وصوله الى منصبه ، وليس لأنه آسيوي[٣]. ومنها (رابعا) أن هناك جعولا من عصر الهكسوس جاءت بها أسماء ، مثل "يعقوب حر" ، ومهما يكن معنى "حر" فمن الصعب أن ننحى وجهة النظر القائلة بأن الأب يعقوب قد خلد اسمه هنا، مما جعل " برستد " يعتبر ذلك إشارة إلي أن قائد قبيلة يعقوب الإسرائيلية، ربما نال الفرصة ليصل إلى بعض السلطة فى وادي النيل فى تلك الفترة المظلمة، والتى تتناسب مع احتمال دخول بنى إسرائيل الى مصر وقت ذاك[٤]

ومنها (خامسا) ماذهب اليه البعض بأن للهكسوس أصولا سامية شمالية غربية (شمال غربى الجزيرة العربية) ومن ثم فهم أقرباء للعبرانيين، مما جعل

---

(١) تكوين ٤٦/٣٤ (٢) W.Keller, op-cit, p.105-107

(٣) أنظر سورة يوسف : آية ٣٦-٥٧، تكوين ٤٠/١-٤١/٥٧

(٤) J.H.Breasted, AHistory of Egypt from the Earliest Times to the persian Conquest, New york, 1946,220

يوسف العبراني يجد الفرصة ليصل إلي مركز القوة في البلاط المصري، بل ويقابل أبوه وأخوته بالترحاب من الحكام الهكسوس الساميين، الذين سمحوا لهم بالاقامة في " أرض جوشن"[١] ومنها (سادسا) أن دخول بني إسرائيل مصر على أيام الهكسوس، وخروجهم علي أيام رعمسيس الثاني أو ولده مرنبتاح، يتفق وفترة إقامتهم في مصر - فترة أربعة قرون [٢]ومنها (سابعا) أن القرآن الكريم قد حرص في سرده لقصة يوسف عليه السلام ، على أن يلقب الحاكم الذي عاصره بلقب "ملك"[٣]، بينما حرص على أن يلقب الحاكم الذي عاصر موسى بلقب " فرعون" [٤] ، ومن المعروف تاريخيا أن لقب فرعون لم يستعمل للدلالة على شخص الملك ، إلا منذ أيام " تحوتمس الثالث" (١٤٩٠ - ١٤٣٦ق.م)[٥]، وبصفة مؤكدةمنذ أيام إخناتون (١٣٦٧- ١٣٥٠ق.م) ، مما يدل على أن عصر يوسف إنما كان قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥-١٣٠٩ق.م) التي استعمل فيها لقب " فرعون"[٦]

وانطلاقا من هذا ، فإن اطلاق لقب " فرعون" [٧]علي ملك مصر قبل

---

(١) C. Roth, AShort History of the Jewish people, London, 1969, p.4
وكذا I. Epstein, Judaism, 1970,p.15

(٢) C.Roux,op-cit, p.242

(٣) سورة يوسف: آية ٤٣، ٥٠، ٥٤، ٧٢، ٧٦

(٤) سورة الأعراف آية ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٧، ١٤١، وهكذا كما في الأنفال ويونس وهود وإبراهيم وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص وغيرها

(٥) A.H.Gardiner, Egyptian Grammar, 1966, p.75

(٦) J.A.Wilson, the Culture of Ancient Egypt, 1963, p.102 كذا A.H.Gardiner, op-cit, p.75

(٧) ذكر لقب فرعون في القرآن الكريم ٧٤ مرة في أماكن متعددة من سورة البقرة وآل عمران والاعراف والأنفال ويونس وهود وابراهيم والإسراء وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت وص وغافر والزخرف والدخان وق والذاريات والقمر والتحريم والحاقة والمزمل والنازعات والبروج والفجر .

عصر " تحوتمس الثالث" إنما يعد خطأ فى تسلسل الأحداث [١]، حيث أصبحت لفظة "فرعون" تعبيرا محترما، يقصد به الملك نفسه منذ هذه الفترة من عصر الأسرة الثامنة عشرة[٢]

ولاريب فى أن هذا من إعجاز القرآن الكريم ، حيث استعمل لقب "الملك" مع الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام (عصر الهكسوس)، واستعمل لقب "فرعون" مع الفرعون الذي عاصر موسى عليه السلام، وعلى العكس من ذلك ، نري التوراة تستعمل لقب "فرعون" فى الوقت الذي يجب أن تستعمل فيه لقب " ملك" (فى قصة يوسف) وذلك فى الفترة السابقة للأسرة الثامنة عشرة، وفي نفس الوقت انها هى تستعمل لقب " ملك "حين يجب أن تستعمل لقب " فرعون"، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة ومابعدها[٣]

ومنها (ثامنا) أن هناك مايشير الى أن يوسف عليه السلام، إنما قد وصل الى ماوصل اليه من النفوذ فى عصر الهكسوس - وربما ليس بعد عام ١٧٠٠ قبل الميلاد - ففى التوراة مايشير الى أن قصر الملك لم يكن بعيدا عن أرض جوشن [٤] فى شرق الدلتا، وهذا يعنى ان عاصمة مصر وقت ذاك كانت فى الدلتا ، وهو أمر يتفق وعصر الهكسوس ، حيث كانت عاصمتهم "أواريس" (حت وعرت = تانيس = صان الحجر- بمركز فارسكور - محافظة الشرقية) هذا فضلا عن أن التوراه تقرر أن اقامة بنى اسرائيل فى مصر انما كانت ٤٣٠ سنه[٥] ، وبما ان الخروج قد تم بعد عام ١٣٠٠ ق.م (١٢١٤ق.م) ، فإن ذلك يرجع بعهد يوسف الى حوالى عام ١٧٠٠ق.م (أو ١٦٤٤ق.م)، وهى فترة

---

(١) A.H.Gardiner, Egypt of the pharaoh, oxford, 1961,52

(٢) J.A.Wison, op-cit,p.102

(٣) محمد بيومى مهران : إسرائيل - الجزء الثالث - الإسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٧٥ - ٢٧٨

(٤) أنظر عن أرض جوشن : ا محمد بيومى مهران : إسرائيل - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٢٢٣-٢٢٧)

(٥) خروج ١٢/ ٤٠

تتفق وحكم الهكسوس فى مصر[١].

بل إننا نستطيع أن نصل الى نفس النتيجة من إشارة التوراة إلي أن قصر الملك المعاصر ليوسف عليه السلام كان فى " أرض جوشن : ، ذلك أن عاصمة مصر لم تكن فى شرق الدلتا، الا فى عصر الهكسوس ، وفى عصر الرعامسة، حيث كانت " أورايس" فى العصر الأول ، ثم "بر-رعمسيس" (تنير - على مبعدة ١٩ كيلا جنوبى صان الحجر) فى العصر الثانى ، ولما كان عصر يوسف لايمكن أن يكون - بحال من الأحوال - فى عصر الرعامسة (الأسرتان التاسعة عشرة والعشرون)، فهو إذن فى عصر الهكسوس ، بل إنه فى أكبر الظن، أن تحديد إقامة بنى إسرائيل فى أرض جوشن- وهى كما تعرف منطقة نفوذ الهكسوس الأساسية ، وقاعدة هذا النفوذ - إنما يعّد دليلا على أن عصر وجود بنى إسرائيل فى مصر، إنما كان على أيام الهكسوس (١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م)[٢]

ومنها (تاسعا)أن هناك مايشير الى أن يوسف قد حمل الى مصر، حيث كانت تجارة الرقيق من البنين والبنات الأسيويين تلقى يومئذ رواجا، دل عليه ماكشفت عنه بردية فى متحف بروكلين بالولايات المتحدة الامريكية [٣] جاء فيها ذكر مايربو على أربعين أسيويا من نيف وثمانين ، كانوا يعملون خدما فى بيت من عصر الأسرة الثالثة عشرة (١٧٨٦-١٦٣٣ق.م) قبل مجئ الهكسوس ولم يكن من سبيل - بحكم ماهو معروف من تاريخ تلك الفترة، وأحوال العصر المتواضعة وقت ذاك - أن يكون هؤلاء مع إخوان لهم فى بيوت أخري ، من أسري الحرب فى زمان لم تقع فيه حروب [٤].

---

(١) The Westminester Historical Atlas to the Bible, p.28

(٢) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٣/٢.

(٣) W.C.Hayes, Apapyrus of the late midde kingdom in the Brooklyn Museum,1955

(٤) أحمد عبد الحميد يوسف: مصر فى القرآن والسنة - القاهرة ١٩٧٣ ص ٤٣

وأما عدم ذكر يوسف الصديق عليه السلام فى الآثار المصرية ، رغم انه شغل منصب الوزير (العزيز فى القرآن الكريم)[١] فهذه - فى أكبر الظن - تؤيد هذا الرأي ولاتهدمه، إذ لو عاش يوسف فى غير عصر الهكسوس ، لكان من الممكن أن نعثر على دليل أثري يؤيد وجوده، او على الاقل يشير الى الأحداث التى روتها التوراة، ذلك لأن التاريخ المصري - رغم أنه يمتاز على تاريخ الشرق الأدنى القديم بوضوحه وكثرة آثاره - فإن عصر الهكسوس بالذات إنما يمتاز بالغموض ، بل انه ليعد واحدا من أغمض فترات التاريخ المصري القديم ، ذلك لأن المصريين ماكانوا براغبين فى تسجيل ذكري هذا العصر البغيض الى نفوسهم [٢]، بل انهم لم يحاولوا حتى الاشارة إليه، إلا على أيام الملكة "حتشبسوت" [٣] (١٤٩٠- ١٤٦٨ ق.م) ، هذا فضلا عن تدميرهم لآثار الهكسوس ، بعد نجاحهم فى طردهم وتحرير البلاد من سيطرتهم

هذا فضلا عن أن يوسف عليه السلام، رغم أنه كان ذا مكانة فى حكومة مصر ، غير انه لم يعد أن يكون وزيرا فحسب ، وأن كل عمل عظيم يقوم به ويستحق التسجيل، إنما كان ينسب الى الملك ، الذي كانت النقوش تهدف إلى تعظيمه والاشادة بذكره، لأن كل شئ فى مصر انما كان من وحيه هو، ومن ثم فإن اسم يوسف لم يكن ليظهر بطبيعة الحال [٤].

وانطلاقا من هذا كله، فإننا إذا ماأردنا أن نحدد - طبقا للمعلومات المتوفرة - ملك مصر الذي عاصر الصديق عليه السلام، مستعينين فى ذلك بقوائم الملوك من تلك الفترة، ومستعينين فى الوقت نفسه بالمصادر الإسلامية،

---

(١) أنظر سورة يوسف : آية ٣٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٨٨ (٢) أنظر: محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠٣ - ١٠٦

(٣) أنظر A.H.Gardiner, Davies's Copy of the Great speos Artemidos Inscriptions, JEA,32,1946,p.45-8

(٤) سليم حسن : مصر القديمة - الجزء السابع - القاهرة ١٩٥٠ ص٧٠١- ١١٠

لوجدنا أن واحداً من ملوك الهكسوس كان يدعى "ساأوسر إن رع - خيان" [١] من ملوك الأسرة الخامسة عشرة - أول الأسرات الهكسوسية فى مصر - أي فى بداية عصر الهكسوس ، ولوجدنا فى نفس الوقت ، أن المصادر الإسلامية تذكر أن ملك مصر على أيام يوسف الصديق عليه السلام، إنما كان من ملوك العرب، المعروفين" بالرعاة" (الهكسوس) ، وأنه كان يدعى "الريان"[٢] ، وإنى لأظن - وليس كل الظن إثما- أنه ليس من الصعب كثيرا تصحيف الإسم "ريان" إلى "خيان"،وهو أشهر ملوك الهكسوس وأقواهم، وأكثر من ترك من بينهم آثارا، لا فى مصر وحدها ، بل وفى البلاد المجاورة كذلك ، ومايزال بعضها فى متاحف كانديا[٣] والقاهرة[٤] والمتحف البريطانى فى لندن [٥]، مما دفع البعض إلي القول أن " خيان " قد أقام امبراطورية عالمية تضم المنطقة فيما بلاد بين النهرين الى كريت ، وتشمل سورية وفلسطين ومصر ، ولكننا نستبعد الآن هذا الزعم لأنه خيالى وأن امبراطورية الهكسوس هذه لاتعد أن تكون أسطورة مختلقة [٦].

---

(١) أنظر عن الملك خيان (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٤٥-١٤٨، وكذا
A.H.Gdrdiner , Egypt of the pharaohs, oxford, 1961,p.158
وكذا W.C.Hayes the Hyksos khyan and his successors, in CAH, II, Part, I, 1973, p.60-64

(٢) تاريخ الطبري ٣٢٥/١-٣٣٦، تفسير الطبري ١٧/١٦ ، تفسير ابن كثير ٧٣١/٢ (بيروت ١٩٨٦) ، تاريخ ابن خلدون ٧٥/٢-٧٦، المسعودي: مروج الذهب ٦١/١ ، ابن الاثير: الكامل فى التاريخ ١٤١/١ ، سعد زغلول عبد الحميد : فى تاريخ العرب قبل الإسلام بيروت ١٩٧٥ ص ١٠٤

(٣) A.Evans, the palace of minos at konossos, 1921, p.419
وكذا H.R.Hall, the Ancient History of the Near East, London, 1963, p.217-218

(٤) Naville, Bubastis, pl.XII

(٥) H.R.Hall,op-cit,P/217
وكذا T. Save Soderbergh, the Hyksos Rule in Egypt, JEA, 37,1951,p.63

(٦) H.R.Hall, op-cit,p.218
وكذا W. C. Hayes, op-cit, p. 61

الرأي الثاني :-

ويذهب أصحابه [1] إلى أن بني إسرائيل قد هبطوا مصر على أيام الفرعون "أمنحتب الثاني " (١٤٣٦-١٤١٣ق.م) ، بسبب طرد الآدوميين لهم من فلسطين ، كما أن " لابان" -صهر يعقوب وخاله - كان يتعقبهم (أي القبائل الآرامية ، وساجازتل العمارنة) .هذا فضلا عن أن "الخابيرو" ، والذين سموا "عابيرو" (العبرانيين) [2] قد وجهوا هجومهم بصفة خاصة نحو "شكيم" - وهي تل بلاطة شرقي نابلس - وأن جماعة منهم - متضمنة يوسف ، وربما شمعون ولاوي ، قد أخذت طريقها نحو مصر ، أثناء حكم "أمنحتب الثاني " حيث استقروا هناك - طبقا للترجمة السبعينية للتوراة - مدة ٢١٥ سنة[3] . غير أن الجزء الأساسي من بني إسرائيل إنما قد بقي في فلسطين ، ومن ثم فقد ذكروا في سجلات " سيتي الأول " (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) وولده " رعمسيس الثاني " (١٢٩٠-١٢٢٤ق.م) ، والأمر كذلك بالنسبة إلى إسرائيلي عصر مرنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ق.م) أو في فترة الاضطرابات التي تلت موته [4].

على أن هناك كثيرا من العقبات التي تقف في وجه قبولنا لهذا الرأي، منها (أولا) أنه يتعارض مع التوراة - مصدرنا الأساسي في هذه الفترة من تاريخ بني اسرائيل - ذلك لأن التوراة - وكذا بعض آي الذكر الحكيم - إنما تذهب إلي أن إسرائيل إنما قدموا مصر بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، ثم

---

(١) أنظر محمد بيومي مهران . إسرائيل ٢٤٩/١-٢٥٩
وكذا C.F.Burney, Israel settlement in Canaan, 1918
وكذا C.F.Burney, The Book of Judges, 1920

(٢) الخابيرو أو العابيروا: ليسوا هم العبرانيين (أنظر: محمد بيومي مهران: إسرائيل ٢٢/١-٢٨، وعن تعقب "لابان" ليعقوب (أنظر :تكوين ٣١/١-٥٥) (٣) خروج ١٢/ ٤٠-٤١، مع ملاحظة أن بعض المصادر الاسلامية ذهبت الى هذا الاتجاه (أبو الفداء : المختصر في أخباره البشر ١/ ٢٠، ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل ١/ ١٠)

(٤) A.Lods, op-cit,P.184-185

بدعوة من يوسف الصديق عليه السلام [1]، وليس بسبب طرد الآدوميين لهم . ومنها (ثانيا) أنه يختصر مدة إقامة بنى إسرائيل فى مصر الى ٢١٥ عاما، والرواية صريحة فى نص التوراة العبري ، من أن مدة إقامتهم بمصر كانت ٤٣٠ سنة [2]، وإن كانت تتفق مع الترجمة السبعينية، فضلا عن بعض المصادر الإسلامية .ومنها (ثالثا) أنها تربط بين روايات إسرائيلية تتعلق بأحداث جدا مبكرة ، وبين قصة دخول بنى اسرائيل مصر ، ومنها (رابعا) أنها تجعل دخول بنى اسرائيل مصر مقصورا على أسباط بعينها ، مع أن التوراة تجعل ذلك للإسرائيليين عام [3]- وكذا ألمع القرآن الكريم فى قوله تعالى "إذهبوا بقميصى هذا ، فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا، وأتونى بأهلكم أجمعين [4] " . ومنها (خامسا) أن يوسف عليه السلام - كما هو معروف - قد شغل منصبا كبيرا فى الدولة، ولم يكن أبدا من عامة القوم - وإن بدأ حياته بمصر بداية متواضعة جدا - فكيف لم تشر إليه النصوص المصرية ؟ وهى التى أشارت إلى كثير من الوزراء وكبار الموظفين - بجانب ملوكهم - وهو أمر قد عللناه فى عصر الهكسوس بغموض هذا العصر وضياع آثاره ، وهذا مالم يقل به أحد ممن أرخوا لعصر الفرعون " أمنحتب الثانى " (١٤٣٦-١٤١٣ ق.م) [5].

والرأي عندي ، أن عصر الهكسوس - وليس غيره - إنما هو العصر الذي شرفت مصر فيه بإقامة سيدنا يوسف عليه السلام فيها ، وكانت أيام الصديق فى مصر خيرا كلها - دينا ودنيا - بل إن وجود يوسف فى مصر حينا من الدهر ، شرف لمصر مابعده شرف ، وأن دعوته كانت رحمة وهداية للمصريين ، مافى ذلك من ريب ، وأن الله تعالى قد انقذ مصر ، على يد نبيه ورسوله يوسف عليه السلام، من مجاعة محققة، كادت تهلك الحرث والنسل ، وأنه قد نشر فى مصر

---

(١) سورة يوسف : آية ٥١-١٠٠، تكوين ٤١/٥٦-٤٥/٢٨ (٢) خروج ١٢/ ٤٠-٤١
(٣) تكوين ٤٥/١٦-٢٨ (٤) سورة يوسف: آية ٩٣
(٥) محمد بيومى مهران : إسرائيل ١/٢٥٩

دعوة التوحيد ، وبث العقيدة الصحيحة، مافى ذلك شبهة من ريب ، وهكذا حمل الصديق عليه السلام الى مصر نور الإيمان ، وهداية التوحيد ، وعدالة السماء ، وكل ماهو خير وطيب من نعم الله تعالى التى يجريها سبحانه على أيد المصطفين الأخيار من أنبيائه الكرام البررة [1]

(٨) أيوب عليه السلام :-

يذهب بعض الباحثين الى أن أيوب عليه السلام، إنما كان أقدم من موسى عليه السلام، بل ويحددون له تاريخا حوالى عام ١٥٢٠ قبل الميلاد[2] (فى عصر الملك تحوتمس الأول فى مصر ١٥٢٨-١٥٠١ق.م) ، بل ان "هاليس" يجعل من عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد تاريخا لسيدنا أيوب [3] اعتمادا على أن سفر أيوب، فى التوراة لم يشر أبدا الى خروج بنى اسرائيل من مصر (حوالى عام ١٢١٤ق.م) ، فضلا عن المدن التى دمرتها الزلازل وقت ذاك ، كما أنه لم يرد فى السفر أي ذكر لرب اسرائيل "يهوة"[4]، وانما ورد ذلك فى المقدمة والذيل ، وهما مضافان بعد عصره ، كما هو راجح عند شراح التوراة[5].

على ان هناك وجها ثالثا للنظر يذهب أصحابه الى أن أيوب إنما عاش على أيام يعقوب ، عليهما السلام (١٧٨٠-١٦٣٣ق.م) ، وقد تزوج من ابنته "دينة"[6]، بدليل قول الكاتب فى مستهل السفر "رجل فى أرض عوص"[7] فضلا عن الإشارة اليه فى سفر حزقيال [8]

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثانى - بيروت ١٩٩٠ ص ٧٣-٧٤ (٢) باروخ سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة - القاهرة ١٩٧١ ص٣١٥ (مترجم) (٣) قاموس الكتاب المقدس ١٤٨/١ (٤) أنظر عن "يهوه" (محمد بيومى مهران : إسرائيل - الجزء الرابع - الإسكندرية ١٩٧٩ص ٢١-٨٢)

(٥) عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٦٠-١٦٢ ، قاموس الكتاب المقدس ١٤٨/١ (٦) باروخ سبينوزا : المرجع السابق ص٣١٥ ثم قارن : تفسير الطبري ٣٢٢/١، تفسير روح المعانى ١٧/ ٨، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢١/١ (بيروت ١٩٦٥)

(٧) أيوب ١/١ (٨) حزقيال ١٤/١٤

هذا ومن المعروف أن لأيوب سفراً فى العهد القديم ، ومكانه فى الترجمة السريانية بين سفري التثنية ويشوع ، وقد اختلف الباحثون فى تاريخ كتابة هذا السفر ، فهناك من يرجعه الى عصر الآباء الأوائل ، ومن يرجعه إلى سليمان عليه السلام (٩٦٠-٩٢٢ ق.م) ، وحجتهم انه يحمل بين ثناياه إشارات من ذلك العهد [١]. على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب إلى أن السفر قد كتب قبل السبى البابلى (٥٨٦-٥٣٩ق.م)، وربما فى عصر إرميا، (٦٢٦-٥٨٠ ق.م) بالذات [٢]. وأخيرا فهناك وجه رابع للنظر يذهب الى أنه كتب بعد السبى البابلى ، وذلك بسبب الصراع الواضح فيه بين الثواب والعقاب[٣] ، والحياة بعد الموت ، وعدم ضياع الناس فى متاهات "شيول"[٤]- كما آمن بذلك الأولون - والمعروف أن العبرانيين - طبقا لما جاء فى كتبهم المتداولة اليوم ، وليس كما جاء بها أنبياء الله - قد عرفوا الحياة بعد الموت فى حقبة متأخرة من تاريخهم، ربما فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد [٥].

وأما لغة سفر أيوب ، ففيها تأثيرات أرامية وعربية لاتخطئها العين ، وربما تشير الى تاريخ متأخر لكتابة السفر ، ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أنه كتب حوالى عام ٤٠٠ ق.م [٦]. وفضل آخرون القول بأنه كتب خلال القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد [٧].

---

(١) قارن : أيوب ٨/١٥ ، ١/٢٦-١٤، بالإصحاح الثامن من سفر الأمثال
وأنظر M.F.Unger, Unger's Bible Dictionary, chicago, 1970, P.594

(٢) حزقيال ١٤/١٤ ، حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس ص ١٥٣

(٣) قاموس الكتاب المقدس ١٤٨/١ (٤) أنظر عن "شيول" (مزمور ٨٨/١٠ ، ١٨/١٠٧ ، أيوب ٩/٧ ، ٥/٢٦-٦، أمثال ١٨/٢، أشعياء ٩/٤-١١، ١٤/٢٦. ١٩
وكذا E.W.Heaton, the Old testament prophets, 1969,P.137

(٥) أنظر عن الحياة بعد الموت عند بنى اسرائيل (محمد ببومى مهران : النبوة والأنبياء عند بنى إسرائيل - الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٠١-١٠٦)

(٦) M.F.Unger, 6p-cit,P.594

(٧) حبيب سعيد : المرجع السابق ص ١٥٣

(٩) شعيب عليه السلام :

يرجح بعض الباحثين أن عصر سيدنا شعيب عليه السلام ، إنما كان قبل عصر سيدنا موسى عليه السلام ، معتمدين في ذلك على أن الله - سبحانه وتعالى - إنما ذكر شعيبا بعد نوح وهود وصالح ولوط، عليهم السلام ، وقبل موسى [١] كما في سورة الأعراف ويونس وهود والحج والعنكبوت - غير أن آيات سورة يونس إنما تتحدث عن قصة نوح عليه السلام في الآيات (٧١-٧٢) ثم آية (٧٣) وهي مجملة لاتذكر أمما بعينها ، ثم تأتي بعد ذلك قصة موسى عليه السلام ، هذا فضلا عن الآيات (١٢-١٤) من سورة "ق" إنما تذكر قوم نوح ثم أصحاب الرس فثمود، ثم عاد وفرعون وإخوان لوط ثم يأتي أصحاب الأيكة ، فقوم تُبّع .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن قصة شعيب ، إنما ترد بعد قصة لوط مباشرة في سورة الأعراف وهود والحجر والشعراء ، بل إن الآية الكريمة (٨٩) من سورة هود، إنما تصرح ، دونما لبس أو غموض، بقرب قوم شعيب من قوم لوط، مكانا أوزمانا ، لانستطيع التحديد على وجه اليقين ، قال تعالى " وياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وماقوم لوط منكم ببعيد" [٢].

وإذا ما اعتبرنا هذا القرب في الزمان، وعدنا الى عصر إبراهيم الخليل ، عليه السلام (١٩٤٠-١٧٦٥ق.م)، وتذكرنا أن قوم لوط إنما كانوا معاصرين لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام [٣]، لأمكننا القول إن شعيبا وقومه انما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، بخاصة إذا ماكان صحيحا ماذهبت إليه التوراة من أن قوم شعيب إنما كانوا ينتسبون إلى "مدين" - أو حتى

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - القاهرة ١٩٣٦ ص ١٤٩

(٢) هود : آية ٨٩ (٣) أنظر : سورة الحجر: آية ٥١-٧٧ سورة العنكبوت : آية ٢٦-٣٥، سورة الذاريات : آية ٢٤-٣٧ . وانظر : تكوين ١٤/١-٢٤، ٢٨/١-٢٣

مديان – ولد ابراهيم الخليل من زوجه الكنعانية قطورة[1]، على أننا نستطيع القول ، من ناحية أخري – حدسا عن غير يقين – إن القوم إنما كانوا يعيشون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، إذا ماكان صحيحا ماذهبت إليه بعض روايات التوراة من أن "يثرون" كاهن مدين ، وصهر موسى [2]، إنما هو نفسه "شعيب" نبيّ مدين العربي [3]، وذلك لأن رحلة موسى الى مدين ، بعد فراره من مصر – وكذا لقاءه مع كاهن مدين بعد قيادته لخروج بني اسرائيل من مصر – انما تم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد [4]. وهكذا يمكننا ان نستنتج من نصوص التوراة تاريخين لعصر شعيب ، عليه السلام ، الواحد : هو القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، والثاني : هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وهذا مانميل اليه ونرجحه .

---

(١) تكوين ٢٥/١-٢ ، أخبار أيام أول ٣٢/١

(٢) لاحظ التناقض العجيب في التوراة بشأن صهر موسى هذا ، فهو في سفر الخروج (١/٣) يثرون كاهن مديان ، وهو في سفر العدد (٢٩/١٠) حوبات بن رعوئيل ، بل إنه مرة ثالثة في سفر الخروج (١٦/٢-١٨) رعوئيل نفسه ، والأمر كذلك بالنسبة للقبيلة التي صاهرها موسى ، فهي مرة قبيلة مديانية ، كما رأينا ، وهي مرة أخرى – كما في سفر القضاة (١٦/١) قينية ، ثم يعود نفس سفر القضاة (١١/١٤) وذلك في ثنايا قصة دبورة، حين تتعرض لنسب " صابر القيني " ، فتقرر انه من " بني حباب " حمى موسى ، ومن ثم فربما كان بنو القيني فرعا من المديانيين

أنظر Encyclopaedia Biblica, P.3080

وكذا J.Hasting, Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936, P.61 6

(٣) أنظر : المسعودي: مروج الذهب ٦١/١ ، تاريخ ابن خلدون ٤٣/٢ . ٨٢، معجم ياقوت الحموي ٧٧/٥-٧٨، البكري : المرجع السابق ص١٢٠ ج٤ ، عباس العقاد :الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين – القاهرة . ١٩٦٠ ص . ٨

(٤) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم – الجزء الأول – في بلاد العرب – الرياض . ١٩٨٠ ص ٢٠١ - ٢٠٢

(١٠) موسى وهارون عليهما السلام :-

أختلف العلماء - القدامى منهم والمحدثون - فى تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر - بقيادة موسى وهارون عليهما السلام - وبالتالى فى الاستقرار الذي تلاه فى كنعان ، فضلا عن التأريخ للنبيّين الكريمين ، موسى وهارون ، عليهما السلام، وعلى أية حال، فإن أهم الآراء التى دارت حول تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر ، إنما هى خمسة آراء ، أولها : أن الخروج تم أثناء طرد الهكسوس من مصر على أيام أحمس الأول ، حوالى عام ١٥٧٥ ق.م، وثانيها: أنه تم على أيام تحوتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ق.م) أو ولده " أمنحتب الثانى (١٤٣٦-١٤١٣ق.م) ، وثالثها: أنه تم فى أعقاب أيام إخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ق.م) ، وربما فى الفترة فيما بين موت إخناتون ، وتولية "حورمحب" العرش حوالى عام ١٣٣٥ق.م، ورابعها : أنه تم على أيام "رعمسيس الثانى " (١٢٩٠-١٢٢٤ق.م)، وخامسها : أنه تم على أيام "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ق.م)، وهنا مانميل إليه ونرجحه.

على أن هناك آراء أخري، ذهب أولها: أن الخروج تم على أيا "سيتى الثانى (١٢١٤-١٢٠٨ق.م)، وذهب ثانيها: إلى أنه تم فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وثالثها تأخر به الى مابعد عهد "رعمسيس الثالث" (١١٨٢-١١٥١ق.م)[1]

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أننا قد اعتمدنا فى ترجيحنا للرأي الذي ينادي بأن الخروج تم فى عصر "مرنبتاح"، ومن ثم فهو فرعون الخروج، على أدلة كثيرة منها (أولا) أن التوراة تذكر أن مدينة "رعمسيس" (بر-رعمسيس)- وهى قنتير الحالية بمركز الحسينية محافظة الشرقية - هى المدينة التى بدأت منها مسيرة بنى اسرائيل نحو سيناء ، ومن المعروف أن

---

(١) قدم الباحث عدة دراسات عن تاريخ خروج بني اسرائيل من مصر ، والآراء التى دارت حوله (أنظر: محمد بيومى مهران: إسرائيل ١/٣٥٧-٤٣٩، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢/٢٦٣-٣٣٢

"بر-رعمسيس" إنما هى من إنشاء رعمسيس الثانى وحده ، بل إننا نعرف أنه ابتداء من هذا العصر قد انتقل مركز الثقل من الصعيد إلى شرق الدلتا [١]، ومنها (ثانيا) أن قائمة التوراة القديمة " للملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما مَلَك مَلِكٌ لبنى إسرائيل" [٢] ، لاتذكر إلا ثمانية ملوك بين "بالع بن بعور" - والذي وحّد ببلعام بن بعور، طبقا لتقاليد جاءت فى التوراة - وبين "هدار" ، فإذا سمحنا بفترة من ٢٥ إلى ٣٠ سنة ، كحد وسط لكل عهد ، فسوف نحصل على مجموع من السنوات ، مابين ٢٠٠...٢٤٠ ، وهذه الفترة تتناسب مع الفترة منذ خروج بنى إسرائيل من مصر - طبقا لهذه النظرية - وبين قيام ملكية شاول(طالوت فى القرآن) قبل القرن العاشر قبل الميلاد ، بعقد أو عقدين من الزمان .[٣]

ومنها (ثالثا) أن القول بأن مرنبتاح هو فرعون الخروج يعطينا تفسيراً لما حدث فى فلسطين فى الفترة (١٤٠٠-١٣٠٠ق.م) فيما يتصل بوجود أسماء شمعون وأشير، فربما كانا اسمين لمجموعتين عبريتين لم تهاجر الى مصر وان كان هذا يخالف التقاليد العبرية [٤] ، فضلا عما جاء فى القرآن الكريم بشأن دعوة يوسف أهله أجمعين للإقامة فى مصر[٥]، ومن ثم فربما كانا هذين الأسمين لأماكن أو مدن كنعانية، أطلقها الإسرائيليون عليها فيما بعد ، وهذا مانميل إليه ونرجحه، ومنها (رابعا) أن العلماء يتفقون على قيام مرنبتاح بنشاط حربى فى فلسطين، ولعل مما يؤكد ذلك نعت " قاهر جازر" ، هذا فضلا عن أنه من العسير القول بأن نص "لوح اسرائيل" مختلق تماما، إذ يصعب عندئذ أن نجد تفسيرا مقبولا لإسم اسرائيل فى قائمة الأقاليم المذكورة ، بل ان مجرد ذكر إسرائيل يخلع على النص شبهة من الحق لايمكن انكارها، لأنه لم يرد فى أي نص

---

(١) أنظر: محمد بيومى مهران: مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص٤٦-٦٢ (٢) تكوين ٣٦/٣١-٣٩ (٣) أنظر عن قيام ملكية شاول (محمد بيومى مهران: إسرائيل ٢/٦٦٨-٦٧٤) (٤) تكوين ٤٦/٢٩-٢٧
(٥) سورة يوسف : آية ٩٢-١٠٠

مصري من قبل [١].

ومنها (خامساً) أن الحفريات والأبحاث أثبتت أن ممالك أدوم وموآب وعمون لم تكن قد تكونت حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، مع أن سفر يشوع يذكر هذه الممالك بالإسم ، بل ويذهب الى أنها كانت نامية ومزدهرة إبان حملات يشوع الحربية [٢]. ومنها(سادساً) استمرار السلطة المصرية على أيام "أمنحتب الثالث" (١٤٠٥-١٣٦٧ق.م)في فلسطين بدليل اكتشاف جعول صيد الأسود في "تليش" (تل الدوير على مبعدة ٨ كيلا جنوب غرب بيت جبرين) تخليداً لمهارة الفرعون في صيد ١٠٢ أسداً، خلال السنوات العشر الأولى من حكمه [٣]. وقد استمرت السيادة المصرية على سورية وفلسطين قوية حتى القرن الثالث عشر - ماعدا فترة أزمة العمارنة - بدليل وجود جعارين من عهد "رعمسيس الثاني"، فضلا عما تشير اليه حروبه وحروب أبيه من قبل، على بقاء السيادة المصرية هناك في سورية وفلسطين [٤].

ومنها (سابعاً) وجود إناء مكسور عليه كتابة مصرية لأحد جباة الضرائب

---

(١) محمد بيومي مهران : مصر ١٨٣/٢-١٨٤، وكذا J.A.Wilson, ANET , P.376-378

وكذا E.Naville, JEA,12,1915,p.196

وكذا W.C.Hayes,the Scepter of Egypt,II,1959,P.359

وكذا A.H:Gardiner.op-cit,P.273

وكذا J.H.Breasted,ARE,II,P.165-166

وكذا G.Legrain,ASAE,2,1901,P.269-279

وكذا J.A.Wilson, the Culture of Ancient Egypt,Chicago, 1963,P.25

(٢) جون إلدر: الأحجار تتكلم - علم الآثار يزيد الكتاب المقدس ص٥٤ (مترجم) وكذا M.F.Unger.op-cit,P.334

(٣) A.H.Gardiner, op-cit,P.206 وكذا J.H.Breasted, ARE,II,P.346-347

(٤) J.Finegan,op-cit,P.162 وكذا J.A.Wilson,op-cit, P.206

فى "لخيش" وقد سجل فيها تسلمه لشحنة من القمح فى السنة الرابعة من عهد فرعون معين ، تشير الدلائل كلها على أنه مرنبتاح، ومن ثم فالسنة الرابعة هنا تعنى عام ١٢٢٠ قبل الميلاد[١]، مما يؤكد ان السيادة المصرية على فلسطين ظلت قائمة حتى السنة الرابعة من عهد مرنبتاح، وأن بنى إسرائيل لم يكونوا قد استولوا على هذه المدينة، حتى ذلك الوقت ، أي عام ١٢٢٠ق.م، ومنها (ثامنا) أن سلسلة الأنساب الكهنوتية - وكذا تقارير التوراة فى سفر القضاة - إنما تتفق مع تاريخ الخروج على أيام الملك مرنبتاح [٢]، ومنها (تاسعا) أن إسرائيل لم تظهر فى حملات رعمسيس الثالث (١١٨٢-١١٥١ق.م) ، سواء قبل هزيمته لشعوب البحر فى عام حكمه الثامن [٣] (١١٧٤ق.م) أو بعده ، وإنما ظل الفرعون محتفظا بإمبراطوريته الواسعة فى فلسطين وجنوب سورية، وقد عثر له على تمثال فى "بيسان" ، وآخر فى "مجدو"، فضلا عن بنائه معبداً لآمون فى فلسطين، وكان خط الحدود عند "زاهى" فى مكان ماعند الشاطئ فى فينيقيا الجنوبية، ومن هنا فإن حملة الفرعون الثانية على أمور، إنما كانت للحفاظ على أملاك مصر فى فلسطين وسورية، ومن البدهى أن هذا كله إنما يشير الى عدم وجود " إسرائيل " ككيان سياسى مستقر فى فلسطين حتى أيام "رعمسيس الثالث" (١١٨٢-١١٥١ق.م).

ومنها (عاشرا) أن حالة الإضطراب التى كتب على أرض الكنانه أن تعيشها ، فيما بين وفاة مرنبتاح عام ١٢١٤ق.م، وبداية حكم رعمسيس الثالث عام ١١٨٢ق.م [٤]، كانت أكثر الفترات ملاءمة لأن يعيش بنو إسرائيل فى

---

(١) W.F.Albright, BASOR,68,1937,P.23F,74,1939,P.20- J.Finegan, op-cit,P.162 وكذا 22,132,1953,P.46

(٢) W.M.F.Petrie,Egypt and Israel, 1925,P.38

(٣) H.Nelson, the Naval Battle Pictures at medinet Habw, JNES,2,1943,P.40-55

(٤) أنظر عن هذه الفترة (محمد بيومى مهران: مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس=

التيه ، وهم في مأمن من أن تهاجمهم القوات المصرية فتقضي عليهم أو تعيدهم الى مصر ثانية، ومنها (حادي عشر) أن اضطراب الامور في سورية وفلسطين بسبب شعوب البحر ، التي أدت الى القضاء على دولة الحيثيين [١]. وبالتالي هروب الكثيرين منهم - مع شعوب أخري - إلى سورية وفلسطين ، الأمر الذي يبدو واضحا في التقاليد اليهودية التي تحدثنا عن تجمعات حيثية كبيرة استقرت في كنعان ، واحتلت الإقليم الجبلي ، وقد وجدهم رسل موسى عليه السلام ، الذين ذهبوا يستطلعون الأرض الموعودة التي تفيض عسلا ولبنا وتخوفوا منهم قائلين "لانقدر أن نصعد الى الشعب لأنهم أشد منا" [٢]

ومنها (ثاني عشر) أن فترة دخول بني إسرائيل كنعان - طبقا لهذه النظرية - تتفق وغزوات شعوب البحر على سورية واشتباك رعمسيس الثالث معهم في حرب ضروس، دارت رحاها على الأرض الأسيوية مرة ، وعلى الأرض الافريقية مرتين ، بل ان انتهاء فترة التيه ، وبداية دخول بني اسرائيل كنعان ، انما تتفق وحمله رعمسيس الثالث على سورية في عام حكمه الثامن (١١٧٤ق.م) للإشتباك مع شعوب البحر عند "زاهي" ثم انشغاله بعد ذلك في حروبه ضد شعوب البحر على حدوده الغربية [٣] ، فإذا كان ذلك كذلك ، فقد مكنت هذه الظروف بني إسرائيل من دخول كنعان وأعطتهم الفرصة ليعيشوا في الأرض فسادا .

= الثالث ص٦٣-٢٧٦)

وكذا J.Wilson, ANET, 1966,P.160

وكذا V.Beckerath, JEA,49,1963,P.71-74

وكذا J.Cerney,JEA,29,P.243-258

وكذا A.H.Gardiner, op-cit,P.279-281

(١) O.R.Gurney, the Hittites, 1969,P.38-39 (٢) عدد ١٣/١-٣٣

(٣) محمد بيومي مهران : مصر- الجزء الثالث ص ١٨٥-١٩٧.

وانظر W.Edgerton and J.A.Wilson, Historical Records of Ramsses, III,Chicago, 1936

ومنها (ثالث عشر) أن خلفاء رعمسيس الثالث ماكانوا بقادرين على الحفاظ على الامبراطورية المصرية فى آسيا ، ربما لأنهم كانوا أضعف من ذلك وربما لأن الظروف الداخلية لم تساعدهم على ذلك ، وربما لتغيّر ميزان الاقتصاد العالمى ، بظهور معدن الحديد الذي لاتملكه مصر، مما اضطرها إلى التخلى عن امبراطوريتها فى آسيا الغربية ، وربما كانت هذه الأسباب مجتمعة هى السبب ، وأيا ماكان الأمر ، فليس هناك من دليل واضح على أن مصر - بعد وفاة رعمسيس الثالث - قد احتفظت بامبراطوريتها فى فلسطين وسورية ، وإن ظل لها نفوذ فى كثير من المناطق، بدليل العثور على جعارين لرعمسيس الرابع فى تل الصافى وتل زكريا وتل جازر، ولرعمسيس السادس فى تل أسانة فى سورية ، وتمثال من البرونز لنفس الفرعون فى مجدو ، على أن هذه الأشياء الصغيرة لاتدل على معان قوية لها من القيمة من ناحية سلطان مصر هناك ، ومن هنا كانت فرصة بنى إسرائيل فى الإستيلاء على جزء من فلسطين كما تمكن البلست (الفلسطينيون) من احتلال بعض مدن كنعانية فى الساحل كما احتل الثيكر مدينة "دور" جنوبى الكرمل [1].

ومنها (رابع عشر) ماجاء فى القرآن الكريم من أن فرعون موسى قد طلب من هامان أن يوقد له على الطين فيبنى له صرحا، قال تعالي " وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري ، فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين "[2] ، على أن ماعرف عن فراعين مصر ، وما تشهد به اليوم آثارهم ، أنهم كانوا ينشئون - ماشاءوا - من الحجر، وهوكثير وافر يغنيهم عما سواه ، إن أرادوا لما ينشئون اللوام والخلود ، فكانوا يتخذون منه المعابد والمسلات والقبور ، ولم

---

(١) J.Cerney,Egypt from the Death of Ramsses III, to The End of the Twenty-First Dynasty Cambridge, 1965,P.11-13

(٢) سورة القصص: آية ٣٨/١ . وانظر :غافر: آية ٣٦

يصطنعوا الطوب المحروق ، ولغير ذلك كانوا يتخذون اللبن من طين غير محروق فكانوا يتخذون منه بيوتهم ، سواء أكانت للعلية من القوم والملوك ، أم للعامة وغمار الناس ، وربما تردد القارئ فيما يسمع من قول الله في أمر فرعون أن يوقد له على الطين ، وقد عرف أن المصريين - فيما خلفوا من آثارهم - لم يتخذوا الآجر المحروق في البناء قبل عصر الرومان [1]

على أن الأئمة من علماء التفسير - كالطبري والقرطبي والنسفي والبيضاوي والسيوطي وغيرهم - إنما يرون عن علماء السلف - كابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وابن جريج وعبد بن حميد وغيرهم - أنهم قالوا : إن فرعون موسى كان أول من اتخذ الآجر ليبني به الصرح [2]، مما يشير الى أنهم كانوا يستندون إلى طائفة من الخبر الصحيح .

هذا وقد أعثرتنا حفائر "بتري" في نبيشة" و"دفنة"، غير بعيد عن مدينة "بر - رعمسيس" عاصمة ملوك الأسرة التاسعة عشرة، في شرق الدلتا، على غير مألوف الفراعين بالبناء بالآجر المحروق ، حيث بنيت به قبور وأقيمت به بعض من أسس المنشآت التي ترجع الى عصر الفراعين رعمسيس الثاني ومرنبتاح وسيتي الثاني . وقد قال "بتري" إن حرق اللبن ظل نادرا في مصر الى عصر الرومان، وهو قول لايكاد يخالف المفسرين من بدأ اتخاذ الآجر المحروق على عهد فرعون موسى ، وهو كذلك من قرائن القرآن الكريم التي تتخذها مطمئنين في تحديد عصر خروج بني اسرائيل من مصر - بقيادة موسى وهارون عليهما السلام - على أيام الأسرة التاسعة عشرة ، وهي الأسرة التي بدأت - كما ألمع القرآن الكريم وأثبتت الحفائر - تصطنع في بنائها الآجر المحروق [3]،

---

(١) احمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ١٣٧-١٣٨ (٢) تفسير النسفي ٢٢٧/٣، تفسير القرطبي ص ٤٠٥ ، تفسير البيضاوي ١٢٨/٤ ، تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٢٩/٥ ، تاريخ الطبري ٤٠٥/١

(٣) احمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ١٣٨،
وكذا W.M.F.Petrie, Nebesheh and Defenneh P.18-19,47

والذي نرجح أنه عصر مرنبتاح .

ومنها (خامس عشر) الحديث النبوي الشريف الذي رواه أنس بن مالك عن سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (ص) حيث يقول (ص): "خير نساء العالمين أربع ، مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون، و[illegible] بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد رسول الله" ، وفي رواية – للبخاري ومسلم – " فضل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم [illegible] عمران"[1]

وإذا تذكرنا أن " إست نفرت" (إيسه – نفرة) كانت الزوجة الثانية لرعمسيس الثاني – بعد نفرتاري – بل إن الأثرية" مس مري"[2] إنما ترى أنها الزوجة الرئيسية، كما أن بعض الباحثين يعتبرها " أم الأمراء" الذين لهم حق وراثة العرش[3]، وهناك في متحف بروكسل جزء من تمثال صغير لهذه الملكة ، مازالت عليه بعض نعوت لها تكاد تكون فريدة في نوعها ، فعلى الجهة اليمنى نقرأ "وعندما تدخل في المقر المزدوج ، فإن قاعة الإستقبال في القصر تضوع بشذي عبيرها ، وإنها لحلوة الرائحة بجانب والدها الذي يبتهج لرؤيتها، الزوجة الملكية ..."،وعلى الجهة اليسري نقرأ " التي تملأ قاعة الجلسة بعبيرها ، وهي الفريدة بعطورها، إذ تعادل بلاد بونت [4](حيث كان المصريون يحصلون على أخشاب البخور والمر وغيرها من الأشجار ذات الرائحة الزكية) بشذي أعشابها، الزوجة الملكية" ، وفي الواقع أن هذه النعوت النسوية الدالة على طيب العبير،

---

(١) أنظر عن الحديث الشريف رواياته المختلفة (صحيح البخاري ٤/١٩٣ ، صحيح مسلم ١٥/١٩٨ – ١٩٩ (بيروت ١٩٨١) تحفة الأحوذي ١/٣٨٩، الدر المنثور السيوطي ٢/٢٣ ، سنن الترمذي ٤/٣٢٥-٣٢٦، مسند الإمام أحمد ٣/١٣٦ ، المستدرك للحاكم ٣/١٨٤، تفسير ابن كثير ١/٥٤٢-٥٤٣ (بيروت١٩٨٦) ، البداية والنهاية لابن كثير ١/٥٩-٦٢، تفسير الطبري ٦/٣٩٣-٤٠٠ (دار المعارف)

(٢) Miss Murry, Ancient Egypt, 1925,P.100-104

(٣) أنظر : محمد بيومي مهران : مصر ٢/١٣٩-١٤٠

(٤) أنظر عن بلاد بونت، والآراء التي دارت حولها (محمد بيومي مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧-٣١٠

ومايضوع منها من شذي العطور ، لم توصف بها ملكة من قبل [1].

ولعل هذا إنما يدل على مدي شدة حب الفرعون لها، ودالتها عليه، واذا ماتذكرنا أن قصة موسى عليه السلام - كما جاءت فى التوراة والقرآن العظيم - وكيف القته أمه في اليم ، فالتقطه آل فرعون لينشأ في قصر فرعون نفسه، وذلك عندما "قالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"[2]. إذا ماتذكرنا ذلك كله ، وقارنا بين اسم امرأة فرعون - كما ورد فى الحديث الشريف ، وفى الآثار المصرية - لما وجدنا صعوبه كبيرة فى تقريب "إيسة" (أو إيسى أو حتى إست) إلى "آسية" (آسيا) ، مع مراعاة اختلاف قراءة أسماء الإعلام فى اللغتين المصرية القديمة والعربية. وهكذا نستطيع القول إن الفرعون الذي التقطت امرأته موسى عليه السلام ، إنما هو "رعمسيس الثانى" ، وهو فرعون التسخير، وأن الفرعون الذي جابه موسى عليه السلام هو "مرنبتاح" ، وهو فرعون الخروج .

ولعل "مرنبتاح" نفسه هو الذي ذكر موسى بتربيتهم له ، وتنشئتهم إياه على فراشهم ، ثم قتله واحداً من رعاياهم وهروبه الى مدين ، ثم عودته مرة أخري طالبا إطلاق سراح بنى إسرائيل ، والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى "قال ألم نربك فينا وليدا، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين "، فرد موسى عليه السلام" قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ، وتلك نعمة تمنّها على أن عبدت بنى إسرائيل " [3]

وهكذا يبدو لى بعد كل الحجج والأسانيد التى قدمناها أن الرأي الذي يجعل خروج بنى اسرائيل من مصر فى عهد مرنبتاح، وبالتالى فهو فرعون

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ٦/٦٣٤- ٦٣٧،
وكذا Chronique d'Egypte, 33,1934,P.74-79

(٢) سورة القصص : آية ٩ (٣) سورة الشعراء :آية ١٨-٢٢

موسى، إنما هو أقرب الى الصواب من غيره ، وهو الرأي الذي تميل اليه ونرجحه لأنه يعتمد على أدلة من التاريخ والآثار، ومن القرآن والسنة النبوية الشريفة، على أن يكون الخروج في العام الأخير من حكم الفرعون مرنبتاح - وليس في العام الخامس كما هو مفترض - سواء أكان هذا العام الأخير هو العام العاشر من الحكم (عام ١٢١٤ق.م) كما ترى جمهرة المؤرخين ، أو هو العام الثامن من الحكم (عام ١٢١٦ ق.م) كما يرى البعض .

وأما سبب تحديدنا للعام الأخير من حكم مرنبتاح تاريخا لخروج بنى إسرائيل من مصر - بقيادة موسى وهارون عليهما السلام - فذلك لأن التوراة [١] والقرآن العظيم [٢]، يرويان أن الفرعون قد غرق فى البحر عند محاولته اللحاق بموسى وبنى إسرائيل ، وإن أضاف القرآن الكريم أن جثة الفرعون قد انتشلت لتكون آية لمن خلفه ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى " فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية"[٣]، ولم تكن الآية لمن خلفه جيلاً أو جيلين ، بل بقيت آية للعشرات الكثيرة من الأجيال والمئات الكثيرة من السنين ، وهى إنما صارت كذلك بما مكن رب العرش لأهل مصر من سلطان العلم وأسرار التحنيط [٤]

وهكذا نستطيع - عن طريق تحديدنا للخروج بالعام الأخير من حكم مرنبتاح - أن نوفق إلى حد كبير ، بين أحداث التاريخ القديم ، وبين ماجاء عن هذه الأحداث فى التوراة والقرآن العظيم ، فضلا عن إيجاد تفسير مقبول لتسجيل انتصارات مرنبتاح على لوحة ليست له ، وإنما لسلفه البعيد "أمنحتب الثالث" (١٤٠٥-١٣٦٧ق.م)، وذلك بسبب موته المفاجئ، وأما أن اللوحة قد

---

(١) خروج ١٤/٢٦-٣١ ، ١٥/١-٥، الرسالة إلى العبرانيين ١١/٢٩

(٢) أنظر :سورة البقرة: آية ٥٠ ، الأعراف :آية ١٣٦، يونس: آية ٩٠-٩٢، طه:آية ٧٨، الشعراء :آية ٦٣-٦٦ ، وغيرها

(٣) سورة يونس :آية ٩٢ (٤) أحمد عبد الحميد يوسف: المرجع السابق ص١٢١

حددت حادث الخروج بالعام الخامس من عهد مرنبتاح، فذلك يتناقض تماما مع ماجاء عنه فى التوراة والقرآن العظيم ، لأن ذلك يعنى أن الفرعون قد بقى على قيد الحياة بعد خروج بنى اسرائيل من مصر ، هذا فضلا عن ان حملته على سورية، والتى ذكرت على اللوح، إنما كانت فى العام الثالث، وأما تحديد العام الخامس بالذات تاريخا للنص ، فربما كان من كتبه (بعد غرق الفرعون) إنما يهدف الى تخليد ذكري انتصاراته على الليبيين وحلفائهم من القهق والمشوش ، إلى جانب خمسة من شعوب البحر ، وإنقاذ أرض الكنانة من أن تقع فى أيديهم .

بقيت الإشارة الى أن هناك جمهرة كبيرة من المؤرخين ترى أن مرنبتاح هو فرعون الخروج ، وأن أباه رعمسيس الثانى هو فرعون التسخير[١] ، والواقع أن اعتبار رعمسيس الثانى هو فرعون التسخير ، أمر يتفق مع نشاطه البنائي الكبير ، بخاصة وأنه قد استقر فى شرق الدلتا ، وأن الإنطباع العام الذي تعطيه لنا التوراة أن بنى اسرائيل كانوا يقيمون فى مكان ما (أرض جوشن) ليس بعيدا عن البلاط الفرعونى فى "قنتير" ، كما أن المزمور (٧٨) يعطينا تأكيداً بأنهم كانوا يعيشون فى "أرض مصر فى حقول صوعن"، وصوعن هو الإسم العبري لمدينة "تانيس" (على مبعدة ١٩ كيلا من قنتير) ، حيث كان بلاط الفرعون فى هذه المنطقة فى عهد رعمسيس الثانى وليس قبله .

ويذهب " جاك فنجان" [٢] إلى أن بنى إسرائيل قد استخدموا ، بادئ ذي بدأ ، على أيام " سيتى الأول". ولكنهم لم يحملوا أثقالهم إلا على أيام ولده رعمسيس الثانى ، وفى هذا الوقت ولد موسى عليه السلام ، وتربى ثم عاش فى

---

(١) فيلبب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٩٣/١.

وكذا E.Naville ,Archaeology of the Old Testament, London, 1913,P.93

وكذا A.H.Sayce, the Egypt of the Hebrews an Herodouts, London, 1696

وكذا W.M.F.Petrie, Egypt and Israel, London, 1925, P.38

وكذا M.F.Unger,op-cit, P.332,550

(٢) J.Finegan,op-cit,P.120,134

البرية ، وأخيرا عاد الى مصر ، كما يروي سفر الخروج(٢/١- ٢٥).

وهناك في القرآن الكريم مايشير الى تحريض الملأ من قوم فرعون على أن يقوم فرعون بمذبحة جديدة بين بني إسرائيل، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى "وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ، قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون"[١]، وقال تعالى "قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وماكيد الكافرين إلا في ضلال ، وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد"[٢].

ومن المعروف أن بني إسرائيل قد عانوا من قبل ، منذ مولد موسى ، مثل هذا التنكيل الوحشي من فرعون وملئه كما يقول تعالى " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين "[٣]، ومن ثم فهناك - فيما يري صاحب الظلال - أحد احتمالين ، أولهما : أن فرعون الذي أصدر ذلك الأمر الأخير، كان قد مات وخلفه ولده وولي عهده ، ولم يكن الأمر منفذا في العهد الجديد ، حتى جاء موسى عليه السلام ، وواجه الفرعون الجديد، الذي كان يعرفه وهو ولي العهد ، ويعرف قصته، وثانيهما: أن فرعون الذي تبنّى موسى مايزال على عرشه، ولكنه تراخى أو أوقف ذبح الأبناء واستحياء النساء ، فالحاشية تشير بتجديده، وتخص به الذين امنوا مع موسى وحدهم بالإرهاب والتخويف [٤]، ومن البدهي أن الإحتمال الأول إنما يشير ، على الأقل ، الشك في أن يكون رعمسيس الثاني هو فرعون الخروج ، ومن ثم فإنني أميل الى أن رعمسيس الثاني هو فرعون التسخير، وأن مرنبتاح هو فرعون الخروج.

---

(١) سورة الأعراف :اية ١٢٧ (٢) سورة غافر : آية ٢٥-٢٦

(٣) سورة القصص : آية ٤ (٤) في ظلال القرآن ٥/٧٧-٣-٧٨ ٣ (بيروت ١٩٨١)، وانظر :ابن كثير : البداية والنهاية ١/ ٢٥

وانطلاقا من كل هذا ، فإذا كان صحيحا ماذهب إليه بعض المؤرخين من أن موسى عليه السلام ، قد ولد على ايام رعمسيس الثانى [١]، بل إن "كربلنج" إنما يحدد عام ١٢٩٠ قبل الميلاد ، تاريخا لمولد الكليم عليه السلام[٢]، وأنه - طبقا لرواية التوراة[٣]- قد عاش ١٢٠ سنة، فإنه يكون قد عاش فى الفترة (١٢٩٠-١١٧٠ق.م).

وأما هارون عليه السلام ، أخو موسى وصاحبه فى دعوة فرعون إلى الإسلام[٤]، فهو أكبر من موسى بثلاث سنوات[٥]، ومن ثم فقد ولد فى عام ١٢٩٣ق.م، ثم عاش ١٢٣ سنة[٦]، وبالتالى فقد عاش فى الفترة (١٢٩٣-١١٧٠ق.م).

(١١) داود وسليمان عليهما السلام :-

يتفق المؤرخون - أويكادون - على أن دواد عليه السلام - وكان ملكا نبيا - إنما حكم إسرائيل فى أخريات القرن الحادي عشر وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد - وإن اختلفوا فى تحديد سنوات الحكم على وجه اليقين - ومن ثم فقد ذهب رأي إلى انه حكم فى الفترة (١٠١٢-٩٧٢ق.م)،[٧] بينما ذهب رأي أخرالى انه حكم فى الفترة ١٠١٠- ٩٥٥ق.م)[٨]، على أن هناك من يري أنها فى الفترة (١٠٤٠-٩٦٢ ق.م)[٩] ، ومن يري أنها فى الفترة

---

(١) J.Finegan,op-cit,P.120

(٢) Emil G.Kraeberg, Historical Atlas of the Holy land, New yurk, Chicago, 1959,p.81

(٣) تثنية ٣٤/٧ (٤) أنظر : سورة الاعراف : آيه ١٠٣-١٣٧ ، سورة طه: آية ٩-٨٠، سورة الشعراء آية ١٠-٦٨، سورة القصص: آية ١-٤٢، سفر الخروج (٥) خروج ٧/٧ (٦) عدد ٣٣/١/٣-٣٩

(٧) I.Epstein, Judaism, 1970, p.35

(٨) G.Rout, op-cit,P.454

وانظر (محمد بيومى مهران : إسرائيل ٦/٢ ٧-٧ ٧)

(٩) قيلب حتى :المرجع السابق ص ٢٠٣

(٩٨٥ - ٩٦٣ ق.م)[١]. وأخيرا فهناك من يري أنها فى الفترة (١٠٠٠-٩٦٠ق.م)[٢] وهذا مانميل إليه ونأخذ به .

وأما سليمان عليه السلام - وكان كأبيه ملكا نبيا - فإن المؤرخين يتفقون على أنه حكم فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولكنهم يختلفون فى تحديد فترة حكمه من هذا القرن العاشر ، فهناك من يري أنه حكم فى الفترة (٩٧٤-٩٣٢ق.م)[٣]، ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٧١-٩٣١ق.م)[٤]، ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٧٠-٩٣٣ق.م)[٥]،ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٦٣-٩٢٢ق.م)[٦]،ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٦٣-٦٢٩ق.م)[٧]، وأخيرا فهناك من يري أن النبى الكريم قد حكم فى الفترة (٩٦٠-٩٢٢ق.م)[٨]، وهذا مانميل إليه ونرجحه، وإن كان أستاذنا الدكتور حسن ظاظا يجعلها فى الفترة (٩٧٣-٩٣٦ق.م)[٩]، ويجعلها "روث (٩٧٣-٩٣٣ق.م)[١٠]

---

(١) Historical Atlas of the Holy Land, New york, 1959.P.81

(٢) W.F.Albright, op-cit, P.120-12

(٣) نضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندي - ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٥٨ ص ٣٤

(٤) I.Epstein, op-cit,P.36 (٥) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥ (مع ملاحظة أن هناك نصافى التوراه (ملوك أول ١١/٤٢) يجعل حكم سليمان أربعين سنة (٦) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥

(٧) Historical Atlas of the Holy Land, P.81

(٨) W.F.Albright, op-cit, P.120-122

(٩) حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم - الاسكندرية ١٩٧٠ ص ٨٤

(١٠) C.Roth, Ashort History of the Jewish people, London, 1969,P.20 وأما موسكاتى وهيتون فيريان أنها فى الفترة (٩٦١-٩٢٣ ق.م) (أنظر : سبتينوموسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٤٣ (مترجم)

وكذا E.W.Heaton, the Old Teslament prophets. London, 1969,P.172

بقيت الأشارة إلى إنه إذا كان صحيحا ماذهبت إليه التوراة، من أن داود عليه السلام كان فى الثلاثين من عمره عندما ملك فى بنى اسرائيل ، وأنه ملك أربعين سنة [١]، ومن ثم فإن النبى الكريم إنما قد عاش - طبقا للرأي الذي ارتضينا - فى الفترة (١٠٣٠-٩٦٠ق.م).

وأما سليمان عليه السلام ، فطبقا لرواية فى التوراة [٢] ، أنه ولد لأبيه فى "أورشليم"[٣]، ومن المعروف أن داود عليه السلام قد أخذ القدس فى عام حكمه الثامن [٤] (حوالى ٩٩٢ق.م)، ولو افترضنا أن سليمان قد ولد بعد عامين من دخول أبيه القدس (أي حوالى عام ٩٩٠ق.م)، وأنه مات عام ٩٢٢ق.م، فهو إذن قد عاش فى الفترة (٩٩٠-٩٢٢ق.م).

(١٢) إلياس واليسع عليهما السلام :-

يذهب فريق من علماء السلف إلى أن "إلياس إنما هو "إدريس" عليه السلام، قال قتادة وابن اسحاق : يقال إلياس هو إدريس، وكذا قال عكرمة، وروي أبن أبى حاتم بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : إن إلياس هو إدريس، وكذا قال الضحاك .

على أن هناك فريقا آخر- وهو أكثر المفسرين - إنما يذهب إلى أن إلياس ، إنما هو نبى من أنبياء بنى اسرائيل، وهو إلياس بن ياسين ، من ولد هارون أخى موسى، عليهما السلام، وأن الله تعالى بعثه فى بنى إسرائيل بعد حزقيل، وكانوا قد عبدوا صنما يقال له "بعل" فدعاهم إلى الله تعالى ، ونهاهم

---

(١) صموئيل الثانى ٥/٤-٥، ملوك أول ٢/١١ (٢) صموئيل ٥/١٣-١٦

(٣) أنظر عن أورشليم (محمد بيومى مهران: إسرائيل ٢/٨١٢-٨٦٦، بلاد الشام ص ٣٠٨-٣١١ (٤) أنظر عن فتح داود للقدس (محمد بيومى مهران: إسرائيل ٢/٨٢٨-٨٣٩

R.A.S.Macalister, the Topography of Jerusalem, in CAH,III. Cambridge, وكذا 1965, P.333-346

عن عبادة ماسواه [١]

ولعلنا نستطيع القول ، ولكن بحذر[٢]، أن الياس النبي عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، إنما هو "إيليا" (وهو صيغة مختصرة من إلياهو ، بمعنى الله يهوه) الذي جاء ذكره في التوراة[٣]، معتمدين في ذلك على قصة هذا النبي الكريم ، كما جاءت في التوراة والقرآن العظيم ، فقصة التوراة تشير الى عبادة "بعل" في اسرائيل على أيام الملك " أخاب " (٨٦٩-٨٥ ق.م) وزوجه " إيزابيل " ابنة ملك صور الفينيقية، ثم معارضة " إيليا " العنيفة لهذه الوثنية الصورية ، ودعوته إلى عبادة " يهوه " رب إسرائيل[٤]

وأما في القرآن الكريم فقد ذكر إلياس عليه السلام في سورة الأنعام، قال تعالى "وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين "[٥] ، وقال تعالى "إن إلياس لمن المرسلين ، إذ قال لقومه ألا تتقون ، أتدعون بعلا، وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين ، وتركنا عليه في الأولين ، سلام على آل ياسين ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين "[٦]

---

(١) تفسير النسفي ٢٧/٤ ، تفسير الطبري ٩١/٢٣-٩٢، تفسير الفخر الرازي ١٦١/٢٦، تفسير ابن كثير ٤/ ٣٠-٣١(بيروت ١٩٨٦) . (٢) يذهب صاحب الظلال إلى أنه من الأرجح أن إلياس عليه السلام ، هو النبي المعروف بالعهد القديم باسم "إلياء" (في ظلال القرآن ٢٩٩٧/٥) (٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ١١١/١-١١٢

(٤) ملوك أول ٢٩/١٦-٣٣ (٥) سورة الأنعام : آية ٨٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٥٠٨/١١-٥١٠، تفسير المنار ٤٨٧/٧-٤٩٠ ، تفسير ابن كثير ٢٤٧/٢-٢٤٨

(٦) سورة الصافات: آية ١٢٣-١٣٢، وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٠-٣٢، تفسير الفخر الرازي ١٦٠/٢٦-١٦٢ ، تفسير النسفي ٢٧/٤-٢٨ ، تفسير روح المعاني ١٣٨/٢٣-١٤٢ تفسير البيضاوي ٢٩٩/٢ ، تفسير القاسمي ٥٩/١٤ - ٥٠٦١ ، تفسير مجمع البيان ٢٣/ ٨٠-٨٢.

وأما متى كان عصر الياس عليه السلام ، فالثابت من نصوص العهد القديم ، وبعض المصادر العربية، فضلا عن المؤرخين المحدثين، أن إلياس عليه السلام ، إنما ارسل رسولا إلى بنى إسرائيل ، على أيام الملك "أخاب بن عمري" ملك إسرائيل فى الفترة (٨٦٩- ٨٥٠ق.م) ، أي أن إلياس كان يعيش فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وربما فى النصف الأول من هذا القرن التاسع قبل الميلاد[١].

وأما "اليسع" عليه السلام، وهو " اليشع" فى التوراة، واليسع ، فيما يري بعض المفسرين ، معرب الإسم العبرانى "يرشع"، فهو إسم أعجمى دخلت عليه لام التعريف ، على خلاف القياس ، على أن هناك من يري أنه اسم عربي منقول من " يسع" مضارع "وسع"، وأنه من ولد اسماعيل عليه السلام ويذهب صاحب تفسير المنار الى أنه تعريب "اليشع" أحد أنبياء بنى إسرائيل، وكان خليفة إلياس (إيليا) ، ومن المعهود فى نقل الإسم العبري الى العربى إبدال الشين المعجمة بالمهملة[٢]، وهذا ما نميل اليه ونرجحه . هذا وقد جاء إسم اليسع - فى روايات العهد القديم - " اليشع بن شافاط" ، وفى المصادر العربية هو "اليسع بن أخطوب بن العجوز " من سبط أفرايم ، وقيل هو ابن عم الياس ، وقال ابن عساكر : إسمه أسباط بن عدي بن ثوليم بن أفرايم [٣]

هذا وقد جاءت قصة اليسع (اليشع) مفصله فى سفر الملوك الثانى (٢-٩) من العهد القديم ، وقد عاش اليسع على أيام ملك إسرائيل "يهورام" (٨٤٩-٨٤٢ق.م) الذي حاول قتله ، بسبب الثورة التي تزعمها ضده[٤].

---

(١) محمد بيومى مهران: إسرائيل ٢/ ٩١٠-٩١٦، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث - فى بلاد الشام ص ٢٤

(١) تفسير المنار ٧/ ٤٩٠-٤٩١ ، تفسير القرطبى ص ٢٤٦٨-٢٤٦٩

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢/١٢٩-١٣٠، تفسير الطبري ١١/ ٥١٠-٥١٢

(٣) ملوك ثان ٦/٨-٢٣-١/٧-٢ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩١٧

وكذا W.Keller, op-cit,P.230

وطبقا لرواية التوراة فقد كان اليسع خليفة إلياس ، حيث تجلى رب إسرائيل لإيليا وأمره أن "امسح اليشع بن شافاط، من آبل محولة، نبيا عوضا عنك"[١]

(١٣) يونس عليه السلام :-

يذهب بعض الباحثين الى أن يونس[٢] (يونان في التوراة) إنما كان يعيش في الفترة (٧٨٥-٧٤٥ ق.م) ، وأنه كان نبيًا من أنبياء بني إسرائيل على أيام ملك إسرائيل "يربعام الثاني" (٧٨٦-٧٤٦ق.م) ، وأنه أرسل إلى أهل "نينوي"[٣] في أخريات أيام العاهل الأشوري "أشوردان الثالث" (٧٧١-٧٥٤ق.م) وذلك في الفترة (٧٦٥-٧٥٩ق.م)[٤].

وأما أنه كان نبيا قوميا أو عبرانيا ، فذلك ماجاء في السفر نفسه " وصار قول الرب الى يونان بن أمتاي قائلا: قم إذهب إلى نينوي المدينة العظيمة وناد عليها ، لأنه قد صعد شرهم أمامي "[٥]. وأما أنه كان على أيام "يربعام الثاني" ، فهذا مايخالف ماذهب اليه آخرون من أنه كان نبيا على أيام الملك

---

(١) ملوك أول ١٩/١٦ ، ١٩-٢١

(٢) أنظر عن قصة يونس عليه السلام (محمد بيومي مهران دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٩٠ ص ١٧٥-١٩٢ (٣) نينوي: تقع الآن تلة قوينجق والنبي يونس ، على الضفة الشرقية لنهر دجلة، على فم رافد صغير يدعي "الخسر" (الخوصر) على مبعدة ٤ كيلا من التقاء الدجلة بالزاب الأعلى ، قبالة الموصل وقد اتخذها الملك الأشوري "سنحريب"(٧٠٥-٦٨١ق.م) عاصمة للدولة ، غير أنها لم تعمر كعاصمة طويلا، حيث سقطت في أيدي المديين عام ٦١٢ ق.م، وظلت مجهولة حتى كشفت عام ١٨٤٧م (أنظر : محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم ص٣٣٠-٣٣١) (٤) حبيب سعيد : المرجع السابق ص١٢٧-١٢٩ ، فؤاد حسنين :إسرائيل عبر التاريخ-١/١١٤-١١٦

وكذا E.W.Heaton, The Old Testament prophets, London,1969,P.20-21

وكذا R.D.Wilson, the Authenticity of Jonah, PTR, 16,P.280-289,430-456

وكذا M.F.Unger, Unger's Bible dictionary, Chicago, 1970.P.601-602

(٥) يونان ١/١ ، وانظر ٩/١ حيث يقول : أنا عبراني

" حزقيا " ملك يهوذا فى الفترة (٧١٥-٦٨٧ ق.م) ، والنبى أشعياء (٧٣٤- ٦٨٠ق.م) ، هذا فضلا عن أن من ذهبوا إلى أن يونان (يونس) كان على أيام "يربعام الثانى" لم يقدموا أي دليل يؤيدون به وجهة نظرهم هذه ، ومن ثم فأغلب الباحثين يرون أنه كان علي أيام "حزقيا" (٧١٥-٦٨٧ق.م)، وأنه قد عاصر النبى الميرانى "أشعياء ".[١]

وعلى أية حال ، فإن العلماء لايعرفون حتى الآن : من الذي كتب سفر يونان هذا فى روايته الحالية - كما جاء ت فى العهد القديم ؟ وان كانوا يذهبون إلى أنه ربما كتب حوالى عام ٣٥٠ قبل الميلاد ، وليس هناك أي دليل يثبت أن يونان هو كاتب هذا السفر الذي يحمل اسمه من بين أسفار العهد القديم [٢].

هذا وقد ذكر يونس عليه السلام فى القرآن باسمه أربع مرات ، فى سورة النساء (آية ١٦٣) والأنعام (آية ٨٦) ويونس (آية ٩٨) والصافات (آية ١٣٩)، وذكر بالوصف فى موضعين ، حيث لقبه الله تعالى " بذي النون" (أي الحوت) فى سورة الأنبياء (آية ٨٧) وبصاحب الحوت فى سورة القلم (آية٤٨)، لأن الحوت التقمه ثم نبذه .

وسمى فى السنة الشريفة"يونس بن متى "، وهو إسم أبيه على مافى صحيح البخاري وغيره، وصححه "ابن حجر" قال: ولم أقف فى شئ من الأخبار على اتصال نسبه [٣]، وروي البخاري بسنده عن قتادة عن أبى العاليه عن ابن عباس عن النبى (ص) أنه قال "ماينبغى لعبد أن يقول إنى خير من يونس بن متى" ونسبه إلى أبيه، ورواه أحمد ومسلم وابو داود من حديث شعبه به، قال

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع ص ١٨٨-١٨٩ (٢) محمد بيومى مهران : إسرائيل - الجزء الثالث ص ٥٢-٥٧ ، قاموس الكتاب المقدس ١١٢٦/٢-١١٢٧

وكذا J.Young, Introduction to the Old Testament, 1949,P.257

(٣) تفسير روح المعانى ٨٢/١٧-٨٣

شعبه ، فيما حكاه أبو داود عنه ، لم يسمع قتادة عن أبي العالية سوي أربعة أحاديث، هذا إحداها[1]. وقال ابن كثير في التفسير: وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ماينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى. ونسبه الى أمه[2].

وروي الإمام أحمد بسنده عن أبي وائل عن عبدالله قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى[3]". وقال ابن الأثير وغيره: إنه اسم أمه، ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه غيره، وغير عيسى، عليهما السلام[4]، وفي العهد القديم دعي "يونان بن أمتاى"[5].

هذا وقد ذكر في القرآن الكريم بـ "يونس" وبذي النون ، كما أشرنا أنفا، والنون هو الحوت، ويجمع على " نينان" كما في البحر، وكذا "أنوان" كما في القاموس [6] ، ويقول الرازي في التفسير الكبير: إنه لاخلاف في أن ذا النون هو يونس عليه السلام ، لأن النون هو السمكة، وأن الإسم إذا دار بين أن يكون لقبا محضا ، وبين أن يكون مفيدا، فحمله على المفيد أولى ، خصوصا إذا علمت الفائدة التي يصلح لها ذلك الوصف [7].

(١٤) زكريا ويحيى عليهما السلام: -

يروي المفسرون عن ابن عباس أن يحيى عليه السلام(يوحنا المعمدان عند النصاري)[8] ، إنما هو أكبر من المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام، بستة أشهر، وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله وروحه، ثم قتل يحيى قبل

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٣٦/١ (٢) صحيح البخاري ١٩٣/٤ ، صحيح مسلم ١٠٢/٧ ، تفسير ابن كثير ٣٢/٤ (٣) مسند الإمام أحمد ٣٩٠/١ ، تفسير ابن كثير ٦٣٩/٤ (٤) تفسير روح المعاني ٨٣/١٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٦٠/١
(٥) يونان ١/١ (٦) تفسير روح المعاني ٨٣/١٧ ، القاموس المحيط ٢٧٦/٤
(٧) تفسير الفخر الرازي ٢١٢/٢٢ (٨) إنجيل متى ١٧-١/٣ ، لوق ١٣/١

رفع عيسى في عهد " هيرودوس أنتيباس" (٦ق.م-٣٩م) حاكم اليهودية من قبل الرومان [١]. وعلى أية حال، بما أن يحيى قد عاصر المسيح، عليهما السلام، فإنه من ثم يكون قد عاش على أيام القيصر "أوغسطس" (٢٧ق.م-١٤م)، والقيصر"تيبريوس" (١٤-٣٧م)، كما عاصر من حكام القدس من قبل الرومان ابن هيرودوس الكبير" (٣٧-٤ق.م) المدعو "أرخيلاس" (٤ق.م-٦م) ثم ولده الثاني "هيرودوس أنتيباس" (٦-٣٩م) ومن الحكام العرب من الأنباط " الحارث الرابع" (٩ق.م-٤٠م)[٢]

هذا وقد اختلف المفسرون في سن " زكريا" عليه السلام، عندما دعا ربه أن يرزقه ولدا يرثه(يحيى) وكان قد بلغ من الكبر عتيا، وكانت امرأته عاقرا، قال ابن عباس: كان ابن عشرين ومائة، وكانت امرأته بنت تسع وتسعين، على أن هناك رواية أخري تذهب إلى أن سن زكريا كان مائة ، وسن زوجته تسعا وتسعين ، وقيل كان له من العمر تسع وتسعون ، وقيل اثنتان وخمسون ، وقيل خمس وثمانون ، وقيل خمس وسبعون ، وقيل سبعون ، بل وقيل متون [٣].

هذا وتذهب رواية العهد الجديد الى أن يحيى قد ولد قبل المسيح، عليهما السلام، بستة أشهر[٤]، وقد عينت الكنيسة مولده في ٢٤ يونية من عام ٥ ق.م[٥]، على أساس مولد المسيح في ٢٥ ديسمبر عام ٥ ق.م، وإن

---

(١) أنظر عن قصة استشهاد يحيى عليه السلام (إنجيل متى ١٤/٣-١٢ ، إنجيل مرقس ٦/١٦-٣٠ ، تاريخ يوسفيوس ص٢١٤، قاموس الكتاب المقدس ٢/١١.١، محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٣/٢٦٦-٢٧١، وكذا M.F.Unger, op-cit,P.472 ثم قارن : تاريخ الطبري ١/١٥/٥-٥٩٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/١٠٣-٣٠٢، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٢، مروج الذهب للمسعودي ١/٧٥-٧٦

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق ص٢٧١

(٣) تفسير الفخر الرازي ٨/٣٩، ٢٢/٢١٧، تفسير روح المعاني ٣/١٤٩

(٤) لوقا ١/٢٦، ٣٦ (٥) قاموس الكتاب المقدس ٢/٧.١١

كان مولد المسيح نفسه - كما سنرى - موضع خلاف .

وعلى أية حال ، إذا ماافترضنا أن المسيح ولد فى العام الأول الميلادي، وأن يحيى ولد قبله بستة أشهر ، وأنه عاش - طبقا لرواية شراح الكتاب المقدس [١]- حتى نهاية عام ٢٧م أو أوائل عام ٢٨م، فهو إذن قد عاش فى الفترة (١-٢٧م، أو ١-٢٨م).

على أن هناك روايات إسلامية تجعل نبوته فى سن الثلاثين ، ولم يتنبأ أكثر الأنبياء ، عليهم السلام قبل الأربعين ، وإن رأي البعض أن الحكم فى قوله تعالى " يايحيى خذ الكتاب وآتيناه الحكم صبيا" [٢] ، أن الحكم ليس بمعنى "النبوة"، فهى على سن الأربعين ، وإنما المراد الفهم والفقه فى الدين وهو غير الحكمة المفسرة بالنبوة، كما فى الآية (٢٥١) من سورة البقرة، والتى جاءت فى حق داود ، عليه السلام[٣]، وإن كان الفخر الرازي يرجح أنها النبوة، ذلك لأنه تعالى قد أحكم عقله فى صباه، وأوحى إليه ، ذلك لأن الله تعالى قد بعث يحيى وعيسى ، وهما صبيان، لاكما بعث موسى ومحمد ، عليهما السلام، وقد بلغا الأشد[٤] .

وانطلاقا من كل هذا، فإننا لانستطيع القول أكثر من أن يحيى عليه السلام، ولد قبل المسيح بستة أشهر ، وبالتالى فهو قد عاش فى الثلث الأول من القرن الأول الميلادي ، ومن ثم فإننا نستطيع أن نحدد- طبقا لروايات المفسرين الإسلاميين ، والتى تراوحت فيما بين ١٢ سنة ، ٦٠ سنة من مولد يحيى - تاريخا لمولد أبيه النبى الكريم سيدنا زكريا عليه السلام .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢/٨٠١١.

(٢) سورة مريم :آية ١٢ (٣) تفسير الطبري ١٦/٥٤-٥٥، تفسير الكشاف ٢/٤٠٥، تفسير روح المعانى ١٦/٧٢، تفسير السفى ٣/٣٠، تفسير ابن كثير ٣/١٨٣

(٤) انظر : محمد بيومى مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٣/٢٤٣-٢٧١

(١٥) المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :-

ولد السيد المسيح، عليه السلام، فى "بيت لحم"- على مبعدة ٦ كيلا جنوبى القدس - وفى مروج الذهب أن مولده إنما كان يوم الأربعاء (الثلاثاء عند اليعقوبى) لأربع وعشرين ليلة خلت من كانون الأول [١] (ديسمبر)، وقال ابن العميد ، مؤرخ النصارى - فيما يروي عنه ابن خلدون - ولد المسيح لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا عليهم السلام - وهذا مايخالف رواية الأناجيل [٢]- ولإحدي وثلاثين من دولة هيرودوس الأكبر ، ولاثنتين وأربعين من ملك أوغسطس قيصر [٣].

على أن المؤرخين المحدثين إنما يختلفون فى تاريخ مولد المسيح عليه السلام، وإن كان الخلاف محصوراً فى سنين عدداً، فلقد كان مولد المسيح على أيام أول قياصرة روما ، أوغسطس (٢٧ق.م-١٤م)، وعلى أيام "هيرودوس الكبير" (٣٧-٤ق.م) من قبل الحاكم الرومانى "بيلاطس النبطى"، وعلى أيام " الحارث الرابع" ملك الأنباط ، هذا ويذهب البعض إلى أن السيد المسيح إنما قد ولد فيما بين عامى٦، ٢ قبل الميلاد ، على أن هناك فريقاآخر يذهب إلى أنه ولد عام ٥ قبل الميلاد ، أو أوائل عام ٤ قبل الميلاد .

وأما الإحتفال بمولد المسيح عليه السلام فى ٢٥ ديسمبر، فقد بدأ القول به فى القرن الرابع الميلادي، ومن ثم فربما كان مولده فى ٢٥ ديسمبر عام ٥ قبل الميلاد ، وهذا يجعله سابقا للتاريخ الذي وضعه "ديونيسيوس" فى ٢٥ ديسمبر من العام الأول الميلادي ، بخمس سنوات .

على أن هناك فريقا رابعا يري أن مولد المسيح عليه السلام إنما كان فى عام ٤م، وأنه رفع إلى السماء فى عام ٢٧م، وربما فى ٢٣ مارس عام ٢٩م،

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٧٦/١، تاريخ اليعقوبى ٦٨/١

(٢) لوقا ٢٦/١ ـ ٣٦ (٣) تاريخ ابن خلدون ١٧١/٢

وهذا يجعله وكأنه عاش ٢٣ سنة أو ٢٥ سنة، مع أن المشهور أنه عاش ثلاثا وثلاثين سنة، وأخيرا فهناك من يري أن المسيح عليه السلام، إنما بدأ دعوته - وقد ناهز الثلاثين من عمره - فى عهد الامبراطور الرومانى" تيبريوس" (١٤-٣٧م)، وكان حاكم اليهودية من قبل الرومان وقت ذاك "هيرودوس أنتيباس" (٦-٣٩م) - الأبن الثانى لهيرودوس الكبير [١].

(١٦) سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :-

تجمع كتب السيرة النبوية الشريفة - أوتكاد - على أن المولد النبوي الشريف إنما كان فى يوم الإثنين الثانى عشر من عام الفيل ، أما أنه ، صلى الله عليه وسلم ، ولد يوم الاثنين ، فيؤكده الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن قتادة: أن أعرابيا : قال يارسول ماتقول فى صوم يوم الإثنين؟ فقال " ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه ، ويؤكده الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، واستنبئ يوم الإثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الإثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين ".

وروي ابن إسحاق فى السيرة ، أنه ، صلى الله عليه وسلم قال لبلال: ألا لايفادرك صيام الإثنين ، فإنى ولدت يوم الاثنين ، وأوحى إلى يوم الاثنين وهاجرت يوم الإثنين ، وأموت يوم الإثنين " وروي مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى قتادة الأنصاري ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين ، قال : ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل

---

(١) قلب حتي المرجع السابق ٣١١/١-٣١٢، ٢٦٣ ، قاموس الكتاب المقدس ٨٦٣/٢-٨٦٤، هـ.ج.ويلز: موجز تاريخ العالم - القاهرة ١٩٦٧ ص ١٧٣، ٤١٦ ، محمد بيومى مهران: إسرائيل ٣٥٩/١، ١١٤٥/٢ ،

وكذا Josephus, Antiquities, XIV, 6,4, the Jewish war, I, XIII, 8

وكذا M.F.Unger, op-cit, P.581F

على فيه وفى روايه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عن صوم الإثنين . فقال فيه ولدت . وفيه أنزل على

وروي الامام الطبري فى تاريخه بسنده عن أبى قتادة عن عمر . رحمه الله . أنه قال للنبى . صلى الله عليه وسلم - يانبى الله . صوم يوم الإثنين؟ قال: "ذاك يوم ولدت فيه . ويوم أنزلت على فيه النبوة ". وعن ابن عباس قال: ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين . قال أبو جعفر : وهذا مما لاخلاف فيه بين أهل العلم

ومن ثم فقد أخطأ من قال - إنه صلى الله عليه وسلم . ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول . فأصح الروايات، أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولد يوم الإثنين . لاثنتى عشرة ليلة . خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل [1].

وأما أنه . صلى الله عليه وسلم . ولد فى ربيع الأول . فهذا رأي الجمهور، وإن نقل ابن عبد البر- عن الزبير بن بكار - رأيا غريبا . قال: ولد رسول الله صلى الله عله وسلم . " يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من شهر رمضان، وذلك على أساس أنه أوحى اليه فى رمضان بلاخلاف . وهو رأي لايأخذ به العلماء . ويقول العلامة أبو زهرة: لولا أن هذه الرواية ليست هى المشهورة لأخذنا بها، ولكن علم الرواية لايدخل الترجيح فيه بالعقل [2].

وأما أنه . صلى الله عليه وسلم . ولد عام الفيل . فلقد روي ابن إسحاق

---

(١) صحيح مسلم ٨/٥١-٥٢ (بيروت١٩٨٣) مسند الإمام أحمد ١٧٢/٤ . ٥٩٧/٥ . سنن البيهقى ٢٩٣/٤. ابن هشام : سيرة النبى ٩٩/١. البيهقى : دلائل النبوة ٦/١-٨ (القاهر ١٩٧) السيرة الحلبية ٩٥/١ (القاهرة ١٩٦٤) ابن سعد: الطبقات الكبري ٦٢/١ تاريخ الطبري ٢٩٣/٢ ابن كثير البداية والنهاية ٢٥٩/٢ ٢٦. السيرة النبوية ١٩٨/١ (القاهرة ١٩٦٤) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ٤٥٨/١

٢) محمد بو زهرة خاتم النبيين ١ ١١٦

فى السيرة عن قيس بن مخرمة أنه قال : ولدت أنا ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل ، كنا لدين [1]" . وفى رواية الإمام أحمد فى مسنده، قال : ولدت أنا ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل ، فنحن لدان ، ولدنا مولدا واء . وروي البيهقى بسنده عن أبى الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أشيم الكنانى : أنت أكبر أم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أكبر منى ، وأنا أسن منه ، ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل ووقفت بى أمى على روث الفيل محيلا أعقله ، وتنبئ رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، على رأس أربعين [2] " .

وعن سويد بن غفلة قال : أنا لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت عام الفيل[3] هذا ويذهب " ابن قيم الجوزية" فى زاد المعاد" إلى أنه لاخلاف فى أنه ،صلى الله عليه وسلم ، ولد بجوف مكه، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل تقدمة قدمها الله تعالى لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب

---

(١) لدان : بمعنى نزبان ، والمشهور فيه " لدتان" بالتاء ، يقال : فلان لدة فلان، إذا ولد معه فى وقت واحد (الخشنى: شرح السيرة ٥٤/٣)

(٢) مسند الإمام أحمد ٢١٥/٤ ، البيهقى : دلائل النبوة ١١/١ ، ١٣ ، أبو نعيم الأصفهانى : دلائل النبوة ص ١٠٠-١٠١، ابن الأثير : أسد الغابة ١٨٩/٤-١٩٠ ، ابن حجر العسقلانى ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٢٦/٥، تهذيب التهذيب ٣٤٢/٨-٣٤٣.

(٣) أنظر عن المولد النبوي الشريف في عام الفيل (البيهقى: دلائل النبوة ١٣/١، أبو نعيم الأصفهانى :دلائل النبوه ص ١٠٠-١٠١، السيرة الحلبية ٩٤/١-٩٦، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ٤٥٨/١، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦٠/٢-٢٦١، السيرة النبوية ١٩٩١-٢٠٣ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ٢١/١ ، مسند الإمام أحمد ٢١٥/٤، سنن الترمذي ٢٨٣/٢، ابن حجر: الإصابة ٢٢٦/٥ ، تهذيب التهذيب ٣٤٢/٨-٣٤٣ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦٢/١-٦٣ ، تاريخ خليفة خياط ٩/١ ، تفسير الدرالمنثور/٣٩٦، مونتجمري وات : محمد فى مكة ص ٦٥ ، محمد سعيد البوطى : فقه السيرة ص ٤٩

الفيل كانوا نصاري أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ، لأنهم كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لاصنع للبشر فيه إرهاصا وتقدمة للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، الذي خرج من مكة ، وتعظيماً للبيت الحرام [1].

وعلى أية حال ، فإن النصر العظيم الذي أعطاه الله تعالى للعرب على أصحاب الفيل[2]، إنما كان ارهاصا بدعوة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وشرفه العظيم ، فضلا عن دلالة واضحة على شرف البيت الحرام ، وحماية الله له من كل ظالم غشوم ، وإجابة لدعوه ابراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام "رب اجعل هذا بلدا آمنا"، ومن ثم فقد أصبحت حملة أبرهة الحبشي فاتحة عصر جديد في تاريخ حياة العرب القومية [3]، حتى أنهم أعتبروها مبدأ تقويم يؤرخون به الأحداث ، ومن ثم فقد كانت قريش بعد ذلك تؤرخ بعام الفيل[4]

هذا وقد روي البيهقى بسنده عن ابن أبري قال : كان بين الفيل ، وبين مولد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، عشر سنين [5] ، وأخرج ابن سعد وابن أبى الدنيا وابن عساكر عن الإمام أبى جعفر محمد الباقر، رضوان الله عليه ، أنه قال : كان قدوم أصحاب الفيل للنصف من المحرم ، فبين الفيل وبين مولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خمس وخمسون ليلة [6]، وروي البيهقى بسنده عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : بعث الله محمداً ، صلى الله عليه وسلم على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة ، وكان بين مبعث النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وبين أصحاب الفيل سبعون سنة ، قال أبو

---

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد فى هدي خير العباد ٧٦/١ (بيروت ١٩٨٥)

(٢) انظر عن قصة أصحاب الفيل (محمد بيومى مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٣٥٣/١-٤١٠ (الرياض ١٩٨٠) (٣) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ٧٦/١

(٤) الأزرقى : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ١٤٨/١

(٥) البيهقى : دلائل النبوة ١٤/١-١٥، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦٢/٢

(٦) السيوطى : الخصائص الكبري ٤٣/١ ، البداية والنهاية ٢٦٢/٢

اسحاق إبراهيم بن المنذر : هذا وهم ، والذي لايشك فيه أحد من علمائنا ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولد عام الفيل ، وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل [١] . ويذهب صاحب "الروض الأنف" إلى أن مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، كان بعد الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر [٢] . وهكذا يختلف من قالوا ان المولد النبوي الشريف إنما كان بعد الفيل ، فى تقديرهم لهذه الفترة ، بأيام أو بأشهر أو بسنين ، يقدرها قوم بثلاثين سنة ، ويقدرها قوم بسبعين [٣] .

وأيا ماكان الأمر ، فإن الدراسات الحديثة تذهب الى أن المولد النبوي الشريف ، إنما كان فى عام ٥٧٠م أو عام ٥٧١م، ذلك لأن الرواية العربية تجعله عام الفيل ، وعام الفيل هذا غير معروف على وجه اليقين ، فهو عام ٥٥٢م، على رأي [٤] وهو عام ٥٦٣م، على رأي آخر [٥] . وكلاهما يخالف المعهود من أن الحملة إنما كانت فى عام ٥٧١م، وهو مانرجحه ونميل الى الأخذ به ، طبقا لدراسة " محمود باشا الفلكي " التى أثبت فيها أن مولد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، كان فى عام الفيل [٦] - إنما كان فى يوم الاثنين ، التاسع من ربيع الأول ، الموافق ٢٠ أبريل عام ٥٧١م [٧] ، على أن فريقا آخر يرى أن المولد النبوي الشريف إنما يتفق وموقعة ذي قار - والأمر هنا كما هو بالنسبة لعام الفيل - موضع خلاف ، ومن ثم فهناك من يذهب إلى أن ذي قار انما كانت

---

(١) البيهقى : دلائل النبوة ١٤/١

(٢) السهيلى : الروض الأنف ١٠٧/١ (طبع المغرب) (٣) السيرة الحلبية ٩٥/١-٩٦ (القاهرة ١٩٦٤) ، محمد حسين هيكل : حياة محمد ص١٠٨-١٠٩ (القاهرة ١٩٦٥)

(٤) Le Museon, 1965,3-4-p.427-428

(٥) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٩٦/٣، وكذا Le museon, 1965, 3-4, p.427

(٦) تفسير القرطبى ١٩٤/٢-١٩٥ ، تفسير روح المعانى ٢٣٣/٣٠

(٧) محمود باشا الفلكي : التقويم العربى قبل الاسلام ، وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته - القاهرة ١٩٦٩ ص ٣٣-٤٤

يوم مولد النبى ، صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم قال :"هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ربى نصروا"، على أن فريقا آخر جعلها سنة أربعين من المولد النبوي الشريف بينما ذهب فريق ثالث الى أنها كانت فى العام الثالث من مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، على أن فريقا رابعا جعلها بعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة ، بينما جعلها فريق خامس بعد موقعة بدر (٢هـ) مباشرة ، وربما بعدها بأشهر معدودة ، [١] ومن ثم فموقعة "ذي قار" لاتقدم لنا نفعا فى تحديد تاريخ المولد النبوي الشريف .

هذا وقد حاول بعض العلماء تحقيق تاريخ المولد النبوي الشريف ، اعتمادا على تاريخين محققين من تاريخه الشريف ، وهما تاريخ الهجرة فى عام ٦٢٢م، وتاريخ الانتقال الى الرفيق الأعلي فى عام ٦٣٢م، غير أنها تواريخ استنتاجيه لم تصل بعد إلى درجة اليقين الذي لاسبيل إلى الشك فيه .

وعلى أية حال، فإن "جوستاف لوبون" يري أن مولد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، إنما كان يوم ٢٧ أغسطس عام ٥٧٠م، على أن "كوسان دي برسيفال" إنما يتأخر به فترة يومين فيجعله فى ٢٩ أغسطس عام ٥٧٠م، وأما المرحوم "محمود باشا الفلكى " فقد حدد لمولد سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم ٩ ربيع الأول ، الموافق ٢٠ أبريل ٥٧١م، ولعل "سلفستر دي ساسى" إنما يتفق فى تأريخه للمولد النبوي الشريف مع الفلكى باشا .

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٣٠٦/١-٣٠٧، التنبيه والاشراف ص ٢٠٧-٢٠٨ ، تاريخ اليعقوبى ٢١٥/١ ، تاريخ ابن خلدون ٢٦٨/٢، ٢٧١، تاريخ الطبري ٢٠٧/٢، الكامل لابن الاثير ٤٨٢/١-٤٨٤ ، ابو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ١٠١/١، جواد على ٢٩٤/٣، سعد زغلول : فى تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢٣١ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٥٩٤-٥٩٦

. وانظر R.A.Nicholson, Aliterary History of the Arabs, Cambridge,1962.p.70

والحق أن الإمام السهيلي (٥٠٨/١١١٤ - ٥٨١ هـ/١١٨٥م) قد سبق الفلكي وسلفستر، في تأريخهما لمولد سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، بيوم ٢٠ أبريل ، فلقد جاء في كتابه " الروض الأنف " "وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (أبريل) فكانت لعشرين مضت منه" على أن المترجمين لحياة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إنما يجمعون على أنه ولد في يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، ويذهب جمهور كبير من العلماء الى أن هذا التاريخ إنما يوافق العام الثالث والخمسين قبل الهجرة ، أي عام ٥٧١م ، وأما انتقاله الى الرفيق الأعلى فقد كان في ١٢ أو ١٣ من ربيع الأول عام ١١ هـ ، الموافق ٧ أو ٨ يونيو عام ٦٣٢م، بعد أن بلغ ، صلى الله عليه وسلم ٦٣ عاما قمريا بالكامل ، أي أكثر من ٦١ عاما شمسيا ، بحوالى شهر وأكثر من نصف شهر [١].

وعلى أية حال ، ورغم أن هناك عدة آراء - كما رأينا - تدور حول المولد النبوي الشريف ، فليس هناك إلى سبيل من ريب في أن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما ولد في ضوء التاريخ وأن التواريخ التي قدمت من قبل ، إنما هي قريبة من بعضها البعض إلى حد كبير ، خاصة وأن سيد الأنبياء والمرسلين إنما ولد في بيئة تكاد لاتعرف التأريخ لأبنائها .

---

(١) السهيلي : الروض الأنف ١/٧/١٠، الفلكي : المرجع السابق ص ٣٨، محمد عبدالله دراز: مدخل الى القرآن الكريم - ترجمه محمد عبد العظيم على والسيد محمد بدوي - الكويت ١٩٧٤ ص ٢٢ ، محمد بيومي مهران : السيرة النبوية الشريفة الجزء الأول بيروت ١٩٩٠ ص ٩٦-١٠٠ ، جوستاف لوبون حضارة العرب ص ١٢٩ ، وات مونتجمري : محمد في مكة ص ٦٥

وكذا Caussin de perceval, Essai sur l''histoire des Arabes, I,Paris, 1847,P.283

وكذا R.Blachre , Le Problem de Mahomet, Paris, 1952, P.15

وكذا P.Lammens, Age de Mobammad Berceau de l'Islam a la Veille de L'Hegirem JA,1911,P.209 F

وأما مكان المولد النبوي الشريف ، فلا ريب في أنه معروف في مكة مشهور ، تقلبت عليه الأحداث فتغلب عليها ، حتى انتهى به الأمر الى أن صار مكتبة في المدينة المقدسة ، ولاريب في أن هذا المكان كان جزءا من دار عبد المطلب - جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انتقلت إليه السيدة آمنة بنت وهب ، بعد زواجها من عبد الله ، وبقيت فيه ، وهي حامل بالمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وحتى انتقلت إلى جوار ربها الكريم ، وعمر وليدها العظيم سنوات ست .

وكانت هذه الدار تقع في " شعْب أبي طالب " ، حيث حصرت قريش بني هاشم ، فيما بين السنة السابعة والعاشرة من المبعث، ثم سمي بعد ذلك " شعب بني هاشم" ، ويعرف الآن "بشعب علي" ، وهو منازل بني هاشم قبل النبوة وأثنائها ، وفيه ولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وكرم وجهه في الجنة ، ويقع بين جبل أبي قبيس وشعب ابن عامر.

وكان شعب علي (أو شعب أبي طالب) يأتي من بين جبل أبي قبيس عن يساره، والخنادم عن يمينه، فيصب في بطحاء مكة، فيما يعرف اليوم بسوق الليل ، فوق المسجد الحرام، بحوالي ٣٠٠ مترا، وكانت "بثربذر" عند مصبه فدخلت اليوم في شارع الغزة الكبير ، وردم فمها، ولم يبق له إسم .

هذا وقد سمي "شعب أبي طالب " فيما بعد باسم "شعب أبي يوسف" ، وأصبحت دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لمحمد بن يوسف ، أخي الحجاج الثقفي ، حتى أخرجته منه "الخيزران"- زوج الخليفة العباس "المهدي" (١٥٨-١٦٩ هـ)، وأم موسى الهادي وهارون الرشيد - فجعلته مسجدا يصلى فيه ، واستمرت الأمور كذلك حتى العصر الحديث فهدم لكثرة تبرك الناس به ، ثم بنيت مكانه مكتبة عامة ، بناها الشيخ عباس قطان من ماله الخاص عام ١٣٧٠هـ، واشتري له مكتبة الشيخ ماجد كردي من أولاده

فجعلها أساس مكتبة مكة اليوم ، ثم سلمها لوزارة الإعلام السعوديه ،التى سلمتها لوزارة الأوقاف

ومكان هذه المكتبة اليوم - أو بعبارة أصح مكان المولد النبوي الشريف - هو ٣١ شارع المسجد الحرام ، بجوار عمارة البنك الأهلى التجاري أمام مبنى موقف سيارات القشاشية ذي الطوابق السبع ، على مقربة من المسجد الحرام (الكعبة المشرفة) من ناحيه المسعى ، فى شعب على ، فى بيوت كانت بيوت بنى هاشم ، سادة مكة المكرمة .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وجدنا
محمد رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين

المراجع المختارة

أولا: المراجع العربية

١ - القرآن الكريم

٢ - كتب الحديث

٣ - كتب التفسير

٤ - التوراة

٥ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ..... بيروت ١٩٦٥

٦ - ابن الأثير : أسد الغابة ..... القاهرة ١٩٧٠

٧ - ابن تيمية : مجموع فتاوي ابن تيمية ..... الرياض ١٣٨٢ هـ

٨ - ابن تيمية : كتاب النبوات ..... بيروت ١٩٨٢

٩ - ابن حجر العسقلاني : الإصابة فى تمييز الصحابة ..... القاهرة ١٩٣٩

١٠- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ..... بيروت ١٩٧١

١١- ابن سعد : الطبقات الكبري ..... القاهرة ١٩٦٨

١٢- ابن عبد البر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ..... بيروت --

١٣- ابن كثير : البداية والنهاية ..... بيروت ١٩٦٦

١٤- ابن كثير : السيرة النبوية ..... القاهرة ١٩٦٤

١٥- ابن هشام : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ..... القاهرة ١٩٥٥

١٦- ابو نعيم الأصبهانى : دلائل النبوة ..... القاهرة ١٩٧٧

١٧- ابو الحسن الماوردي : أعلام النبوة ..... القاهرة ١٩٧١

١٨- أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ..... القاهرة ١٩٦٠

١٩ - أحمد حسن الباقوري : مع القرآن ..... القاهرة ١٩٧٠

٢٠- الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة ..... القاهرة ١٩٧٣

٢١- البيهقي : دلائل النبوة ..... القاهرة ١٩٧٠
٢٢- السيوطي : الخصائص الكبري ..... بيروت --
٢٣- السهيلي :الروض الأنف ..... المغرب --
٢٤- الطبري : تاريخ الطبري ..... القاهرة ١٩٧٧
٢٥- الطحاوي : العقيدة الطحاوية ..... بيروت ١٣٩١ هـ
٢٦- المسعودي : مروج الذهب ..... بيروت ١٩٧٣
٢٧- الدكتور سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب
قبل الإسلام ..... بيروت ١٩٧٥
٢٨- عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ..... القاهرة --
٢٩- الدكتور عبد الرحمن الأنصاري : لمحات عن بعض المدن في شمال
غربي الجزيرة العربية ..... الرياض ١٩٧٥
٣٠- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ..... القاهرة ١٩٣٦
٣١- محمد أبو زهرة - خاتم النبيين ..... القاهرة --
٣٢- الدكتور محمد بيومي مهران : حركات التحرير في
مصر القديمة ..... القاهرة ١٩٧٦
٣٣- الدكتور محمد بيومي مهران: إسرائيل
(٤أجزاء) الاسكندرية١٩٧٨-١٩٧٩
٣٤- الدكتور محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى
القديم (١٢جزءا) ..... الاسكندرية ١٩٨٨-١٩٩٢
٣٥ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم
(٤أجزاء) ..... بيروت ١٩٨٨
٣٦ - الدكتور محمد بيومي مهران : في رحاب النبي
وآل بيته الطاهرين (عشرة أجزاء) ..... بيروت ١٩٩٠ م
٣٧ - الدكتور محمد عبد القادر : قصة الطوفان
في أدب بلاد الرافدين ..... القاهرة ١٩٦٥

٣٨ - الدكتور محمد عبدالله دراز : الدين ..... القاهرة ١٩٦٩
٣٩ - محمود الشرقاوي : الأنبياء في القرآن الكريم ..... القاهرة ١٩٧٠
٤٠ - قاموس الكتاب المقدس (جزءان) ..... بيروت ٦٤-١٩٦٧

ثانيا ، المراجع

٤١ - باروخ سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة - ترجمة حسن حنفي ..... القاهرة ١٩٧١
٤٢ - جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي - ترجمة - يعقوب بكر. ..... القاهرة ١٩٥٨
٤٣ - سبتينو موسكاتي - الحضارات السامية القديمة - ترجمة يعقوب بكر ..... القاهرة ١٩٦٨
٤٤ - فيلب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ..... بيروت ١٩٥٨
م . سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل - ترجمة حسن ظاظا ..... بيروت ١٩٦٧

ثالثا : المراجع الأجنبية

45 - Albright, (W.F.), the Bible and the Ancient Near East, London, 1961

46 - Albright, (W.F.), the Biblical period, From Abraham to Ezra, New york,1963

47- Finegan, (J), Light from the Ancient past, I, Princeton, 1969

48 - Gardiner,(A.H.), Egypt of the pharaohs, Oxford, 1961

49 - Hall, (H.R.), the Ancient History of the Near East, London, 1963

50 - Hayes, (w.C), the Scepter of Egypt, 2vols, New york, 1953,1959

51 - Hastings, (J.), A Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936

52 - Heaton, (E.W.), the Old Testament prophets, London, 1969

53 - Keller, (W.), The Bible As History, London, 1967

54 - Kramer, (s) the sumerians, Chicago, 1970

55 - Kramer, (s) , The Deluge, in ANET, 1966

56 - Lods (A.), Israel, From its Beginngs to the middle of the Eighth Century London, 1962
57 - Macalister (R.A.S), the Topographe of Jerusalem, in CAH,III, 1965
58 - Naville (E.), Archaeology of the Old Testament , London, 1913
59 - Noth, (M.), The History of Israel, London, 1965
60 - Petrie, (W.M.F.), Egypt and Israel, London, 1925
61 - Philby, (J.B.), The Background of Islam, Alexandria, 1947
62 - Roth, (C.), Ashort Hiostory of the Jewish people, London, 1969
63 - Roux,(G.), Ancient Iraq, (Penguin Books), 1966
64 - Saurburie, (C.), The Holy Man in Israel, Astudy in the Development of prophecy, in JNES, 6, 1946
65 - Unger (M.F.), Unger's Bible Dictionary, chacogo, 1970
66 - Woolley, (L.) Ur of the chaldees, London, 1950
67 - Woolley, (L.), Excavations at ur, London, 1963
68 - Woolley, (L.), Abraham, Recent Discoveries and Hebrew origins, London, 1963
69 - Encyclopaedia Biblica
70 - Encyclopaedia Britannica
71 - Encyclopaedia of Islam

72 - the Jewish Encyclopaedia, New york, 1903

74 - The Westminester Historical Atlas to the Bible, Philadelphia, 1946

الحجاز فى الفكر السياسى لمسلمى الهند

الدكتور / جمال حجر

الحجاز في الفكر السياسي لمسلمي الهند

١٩٢٤-١٩٢٦

مقدمة

لعل الخطوة الأولى في أي عمل علمي أن يُعرّف الباحث بالظاهرة موضوع الدراسة، وأن يبين جوانبها المختلفة، وأن يحاول ربطها بالظواهر الأخرى المحيطة، مما يسهم في تقديم فهم أوفى وأدق لهذه الظاهرة.

أما الظاهرة فهي أن الحجاز- كان ولا يزال- يتمتع بأهمية خاصة لدى مسلمي الهند، وكان في الفترة ما بين عامي ١٩٢٤ و١٩٢٦، في بؤرة فكرهم السياسي، ولم يثبت أن شاركهم في هذه الظاهرة أحد من المسلمين غير العرب.

والفكر السياسي هو ذلك البنيان الفكري المجرد، المرتبط بتصوير الوجود السياسي وتفسيره، وهو يمثل كل ما يخطر في ذهن الإنسان حول أوضاعه السياسية، كما هي أو كما يجب أن تكون. وحين تنضج هذه الأفكار وتتكامل، فإنها تشكل تياراً واحداً تصاحبه في الغالب حركة سياسية. والفكر السياسي الذي نعنيه هنا وليد الواقع السياسي الذي عاشه مسلمو الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، وهو الفكر الذي أدى إلى قيام دولة الباكستان في عام ١٩٤٧. وليس هذا البحث معنياً بهذه النتيجة بقدر ما هو معني بالطرق التي أدت إليها، وقد كان الالتفاف حول فكرة مستقبل الحجاز واحداً منها.

وأما **مسلمو الهند**، فهم جميع العناصر الإسلامية التي تقطن شبه القارة الهندية، على اختلاف توجهاتها السياسية، وقد كانت هذه العناصر تعاني ضياعاً سياسياً، وتبحث عن هوية بعد انهيار امبراطورية المغول الإسلامية

وسقوطها، وبعد سقوط الهند في قبضة الاستعمار البريطاني. وبعبارة أخري، فإن مسلمي الهند هم تلك العناصر المقهورة المغلوبة علي أمرها، بعد أن كانت لها الكلمة العليا في الهند علي مدي ثلاثة قرون من الزمان علي الأقل.

وأما الحجاز، فهو ذلك الشريط الساحلي الذي يمتد طوليا بين الساحل الشرقي للبحر الأحمر وسلسلة جبال الحجاز، ويمتد جنوبا إلي اقليم عسير، ويمتد شمالا حتي يلامس طرف الهلال الخصيب عند فلسطين، وهو الاقليم الذي يضم أقدس مقدسات المسلمين في مكة والمدينة وقد كان جزءاً من دولة الخلافة العثمانية حتي الحرب العالمية الأولي، ثم نحا منحي آخر حين قاد الشريف حسين الحركة المعروفة بالثورة العربية، بإشراف بريطانيا. ولما انتهت الحرب الكبري بقي الحجاز ميدانا لحرب إقليمية بين قطبي شبه الجزيرة العربية: عبد العزيز آل سعود و الشريف حسين. وتجاه هذه التطورات كان لمسلمي الهند رأى وموقف.

ويعد هذا البحث محاولة لإبراز مكانة الحجاز الخاصة لدي مسلمي الهند أثناء الصراع السعودي- الهاشمي علي الحجاز، بين عامي ١٩٢٤و ١٩٢٦ . وقد أعملت فيه المنهج التاريخي الذي يهتم بالمصادر الأساسية والوثائق لتفسير الظاهرة. أي أنه يتخطي رصد الظاهرة إلي النقد والتحليل. وهو منهج يرفض التجريد، ويحطم الحواجز بين الأفكار و النظم والحياة السياسية، ويركز علي دراسة الواقع.

واقتضي تطبيق هذا المنهج تناول ثلاث قضايا رئيسية :

القضية الأولي: وتعني بظهور ملامح الشخصية السياسية لمسلمي الهند وتبلورها.

والقضية الثانية، وتعني بالتغيرات السياسية في الحجاز فيما بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ .

أما القضية الثالثة، فتعني بالطموحات السياسية لمسلمي الهند في الحجاز عام ١٩٢٦.

واقتضي تناول هذه القضايا الثلاث لتحديد طبيعة الحركة السياسية علي ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: هو محور العلاقات بين مسلمي شبه القارة الهندية و غير المسلمين فيها، وكان لحركته مردود علي تشكيل هويتهم القومية.

المحور الثاني: هو محور العلاقات بين مسلمي شبه القارة الهندية ودولة الخلافة الاسلامية، و كان لحركته أثر في تشكيل وتأكيد انتماء مسلمي الهند إلي دائرة عقائدية أوسع من الدائرة الجغرافية التي تتنافر عناصرها السكانية.

المحور الثالث: هو محور العلاقات بين مسلمي شبه القارة الهندية والأراضي المقدسة في الحجاز، وهي علاقات روحية، تؤكدها الحركة علي المحور الثاني، وتدعمها الحركة علي المحور الأول دفعا.

هذه المحاور الثلاثة كانت تتحرك معا في وقت واحد بمنطق الواقع التاريخي، وفي إطار عام شامل من السيطرة، أو النفوذ، أو العداء الذي فرضه الحضور البريطاني في كل من الهند والشرق الأوسط. ووجود بريطانيا في خلفية الصورة كقاسم مشترك أعظم، علي هذا النحو، يجعل من فهم طبيعة الحضور البريطاني مسألة غاية في الأهمية لفهم طبيعة حركة مسلمي الهند السياسية، والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها.

وبعبارة أخري فإن الحركة علي المحور الأول أفرزت الشخصية السياسية لمسلمي الهند في صورتها النهائية علي شكل دولة قومية ،تم ذلك بعد الفترة موضوع الدراسة بعشرين عاما تقريبا. أما الحركة علي المحور الثاني فقد أفرزت حركة الخلافة الهندية، التي كانت مسئولة عن قيادة الحركة السياسية في الفترة موضوع الدراسة، وأما الحركة علي المحور الثالث فهي مجال هذه الدراسة. والحركة علي هذه المحاور الثلاثة متكاملة، وبالتالي فلا يمكن تفسير كثير من الأمور التي جرت علي المحور الثالث دون وعي بما كان يجري علي المحورين السابقين.

هكذا لايمكن للباحث في تاريخ الحركة السياسية لمسلمي الهند أن يعي طبيعتها بعيدا عن فهم طبيعة المؤثرات الخارجية والظروف الداخلية، التي أحاطت بالمسلمين في شبه القارة الهندية، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتي سقوط الخلافة في عام ١٩٢٤م. هذه الفترة التي يبلغ طولها ثلاثة أرباع القرن، كانت مليئة بالتغيرات السياسية والأيديولوجية، التي انعكست آثارها علي البلدان الاسلامية الواقعة تحت الاستعمار الأوربي في الشرق.

لقد نشأت الحركة السياسية الإسلامية في الهند علي أساس مقاومة المحتل، فقد اعتبر مسلمو الهند بلادهم"دار حرب" منذ مطلع القرن التاسع عشر، حين أصدر مولانا شاه عبد العزيز الدهلوي في عام ١٨٠٣ فتوي بهذا المعني [١]. وكان علي مسلمي الهند أن يجاهدوا لتحرير بلادهم من الاستعمار البريطاني، ومع ذلك فقد كان الدافع العقائدي أقوي من الدافع السياسي في تلك المرحلة.

ولم تتبلور أفكار المسلمين الهنود السياسية قبل زيارة جمال الدين الأفغاني للهند في الثمانينيات من القرن التاسع عشر. كان جمال الدين يحلم،

في إطار دعوته لحركة الجامعة الاسلامية، بتكوين جمهورية إسلامية، تضم مسلمي وسط آسيا، وأفغانستان، والمقاطعات ذات الأغلبية الاسلامية في شمال غربي الهند[٢]. هذا التوجه السياسي الجديد الذي غرسه جمال الدين، ماكان له أن يتحقق بغير تفريغ هذه المنطقة من الاستعمار الأوربي في شتي صوره، ومن خلال حركة الجامعة الاسلامية، التي كانت تعني حركة المسلمين السياسية في إتجاه واحد.

هذا الهدف الاستراتيجي ، التقت حوله الجامعة الاسلامية مع الثورة البلشفية، خلال الربع الأول من القرن العشرين، بصرف النظر عن الأهداف النهائية لهما ، وهي أهداف تختلف بالضرورة، التي يفرضها الصدام الأيديولوجي بينهما، وبالمصلحة التي تجعل من إنشاء كيان إسلامي ضخم في هذه المنطقة حزاما قويا جنوب الاتحاد السوفيتي يهدد مصالحه وطموحاته بالخطر. ومع ذلك فقد تبنى الاتحاد السوفيتي - مرحليا - شعار " وحدة الشرق " الذي رفعه المسلمون الروس بين الحجاج في مكة عام ١٩٢٦ [٣].

هكذا كان الحجاز ميدانا مناسبا لنشاط هاتين الحركتين ، تهيأت فيه ميزات لا تتوفر في غيره ، فهو أرض مقدسة لا تخضع لنفوذ أجنبي ، وبالتالي فهو مسرح ملائم للإنسان المسلم المقهور الواقع تحت الاحتلال، يعبر فيه عن طموحاته السياسية دون أن يلحق به أذى. ولذلك كان مسلمو الهند حريصين على أن يبقى الحجاز منبرا حرا لكل المسلمين. ومن الطريف أن الروس أدركوا أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الحجاز في تيسير مخاطبة المسلمين والوصول إليهم في كل أرجاء الدنيا، فحاولوا استخدام هذا المسرح للخروج من العزلة التي فرضتها عليهم الدول الأوروبية بعد قيام الثورة البلشفية [٤].

لم يكن الحجاز بالنسبة لمسلمي الهند مجرد أرض مقدسة ، تعنيهم كما

تعنى جميع مسلمى العالم، وإنما كان لها خصوصية المتنفس الوحيد للتعبير عن أفكار مائة مليون مسلم، تحت الاستعمار البريطانى، ولا يتآلفون مع ثلاثمائة مليون آخرين من الهندوس والسيخ والمسيحيين وغيرهم، داخل شبه القارة الهندية. كان هؤلاء المسلمون يبحثون عن وطن مستقل، وهوية قومية، لم يجدوها فى غير إطار الجامعة الإسلامية. وكانت مساندتهم المعنوية للدولة العثمانية نابعة من أن السلطان، خليفة المسلمين، هو رمز لتلك الوحدة الإسلامية المفقودة.

وفى الفترة موضوع البحث، خابت آمال مسلمي الهند مرتين، الأولى حين أعلن مصطفى كمال إنتهاء الخلافة الاسلامية فى استانبول عام ١٩٢٤، والثانية حين سقط الحجاز فى يدى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، سلطان نجد، فى عام ١٩٢٦ .

ومع أن موضوع الخلافة الاسلامية فى استانبول ليس أحد مقاصدنا فى هذه الدراسة، إلا أنه ترك آثارا سلبية على طموحات المسلمين الهنود السياسية، ونشط إلى حد كبير حركة مقاومة الاستعمار الأوربى، الذى كان مسئولا عن سقوط دولة الخلافة بشكل مباشر. ولما كان الحجاز يقف رسميا فى صف الدول التى أسقطت دولة الخلافة فى الحرب العالمية الأولى، فإن ذلك قد جعل مسلمى الهند يستشعرون مزيدا من الضياع السياسى، الذى حرك - فى نفس الوقت - مشاعرهم نحو تخليص المقدسات الإسلامية من أيدى أى حاكم زمنى، ووضعه تحت إشراف حكومة إسلامية عالمية، تنتخب انتخابا حرا. فى هذه الظروف كان عبدالعزيز آل سعود قد نجح فى أن يكون ملكا على الحجاز.

ظهور الشخصية السياسية لمسلمي الهند

ترجع أصول الحضورالعربي الإسلامي في الهند إلي أيام الخليفة عثمان بن

عفان، الذى أرسل أولى الحملات الإسلامية إلى شبه القارة الهندية. ومنذئذ بدأت بعض العناصر الاسلامية تستقر هناك، وبنى ممالك إسلامية فى إقليمى السند والبنجاب. وشكل هؤلاء الجيل الاسلامى الأول. أما الجيل الثانى فهو من العناصر الهندية التى دخلت فى الاسلام تباعا. ويأتى الجيل الثالث - بعد ذلك - من المسلمين العرب الذين نزلوا على الساحل الغربى من الهند، حيث أقاموا هناك من أجل التجارة (٥). وهكذا كان التفاعل بين العرب والهنود عنصريا وعقائديا وحضاريا.

وقد توطدت أركان الاسلام فى الهند على أيام المغول. ولكن بعد أن دخلت الهند فى إطار الامبراطورية البريطانية، وأصبحت مركزا لها فى الشرق، دالت دولة المغول، وتضاءل نفوذ المسلمين ، الذين قاطعوا البريطانيين وثقافتهم ، مما أفسح المجال أمام غير المسلمين ، فتقلدوا الوظائف، وتفوقوا على المسلمين (٦).

وحين ثارت الهند ضد بريطانيا فى عام ١٨٥٧، سعت بريطانيا إلى تأسيس جمعية وطنية، يمثل فيها الهنود ويرفع مظالمهم. كانت هذه الجمعية نواة حزب المؤتمر الهندى الذى تأسس فيما بعد. وكانت هذه الخطوة - فى حقيقة الأمر - صمام أمان لبريطانيا، تتعرف من خلالها على الثوار لها والخارجين عليها(٧). ولكن مسلمى الهند كانوا يشعرون فى هذه الجمعية أنهم أقلية ، مما لا يمكنهم من رعاية مصالحهم ولعل هذا الاحساس هو الذى قاد إلى التفكير فى إنشاء جمعية إسلامية خارج المؤتمر الوطنى بمساعدة البريطانيين، الذين كانوا يسعون إلى تحقيق التوازن، فى شبه القارة الهندية، ضمانا لمصالحهم فتكونت " الجماعة المحمدية الانجليزية"(٨) فى عام ١٨٨٨، ويبدو أن هذه الخطوة كانت تطويرا " للجمعية الوطنية المحمدية" التى أسسها فى عام ١٨٧٧ سيد أمير

على، ثانى قاضى مسلم فى المحكمة العليا بكلكتا، وقد كان يدرك ما ينقص المسلمين من خبرة سياسية، وما يتفرق به غير المسلمين عليهم، وقد أصبحت هذه الجمعية تمثل رسميا وواقعيا " المجموعة الأسلامية"(٩). وفى عام ١٨٩٨ ألفت "المنظمة السياسية المحمدية"(١٠).

ويبدو أن سياسة بريطانيا فى الهند لم تكن تهدف فقط إلى تحقيق التوازن بين الهندوس والمسلمين بالمساعدة على إبراز الشخصية الاسلامية، وإنما كان من بين أهدافها ألا تحقق اللقاء بين هذين الطرفين، انطلاقا من أن " بقاء حكمنا (بريطانيا) لهذه البلاد الكبيرة متوقف على أن نفرق بين جماعاتها الكبيرة القوية ، ثم نقسم كل جماعة منها إلى فرق متعددة"(١١).

ويؤكد جون مينورد، عضو المجلس البريطانى لحاكم البنجاب" ان الاختلاف بين الهندوكيين والمسلمين على العموم بدأ فى عهد بريطانيا".(١٢)

ويذهب سيد أحمد خان(١٣)، أحد مشاهير الزعماء المسلمين الموالين لبريطانيا، وأحد مؤسسى حركة عليكرة الشهيرة، إلى أن من الصعب معايشة المسلمين للهندوس إذا خرجت بريطانيا من الهند، لأنه فى حالة المعايشة "لابد لاحداهما أن تخضع الأخرى وتقهرها". ويتضح من هذا التصريح أن سيد أحمد خان كان يتبنى تطبيق التوجيهات البريطانية. وفى محاولة من جانبه لضبط المسلمين والهندوس معا فى قبضة بريطانيا، نراه يتغزل فى الهند بقوله "إن الهند كعروس جميلة عيناها الهندوس والمسلمين، ويقوم جمالها على أن لعينيها كلتيهما نفس الوميض والسحر".(١٤) ويذهب سيد احمد خان إلى أبعد من ذلك حين يتمنى أن يكون المؤتمر الوطنى قد أنشىء بهدف الجمع بين الهندوس والمسلمين ، أوأن هؤلاء وغيرهم ينتمون إلى أمة واحدة، ويستبعد أن يتحقق ذلك فى المستقبل.

ومعنى ذلك أن الجمال الذى تغزل به ، جمال مفقود.

ويذهب الكاتب البريطانى الشهير بلنت W.S.Blunt فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر إلى التأكيد على المعانى السابقة، حين كتب يقول : " إن الهند قارة متسعة جدا، وتستوطنها أجناس مختلفة متباينة، بحيث يستحيل توحيدها فى جمعية وطنية تضم ممثلين ينتخبون أى نظام يمكن تصوره... إن الحكم الذاتى فى جميع المسائل القومية بات حاجة ملحة ...". ولكنه يشير إلى أن ما لحق بالمسلمين من أذى وأدى إلى ضياع هويتهم السياسية، " ليس بالذى لايمكن علاجه وتدبره".(١٥)

لقد تأزمت العلاقات بين المسلمين والهندوس إلى حد أن التعايش بين الطرفين صار فى عام ١٨٩٠ مليئا بالحساسيات التى لا يمكن تفاديها ، أو على حد تعبير الصحفى الروائى الهندى عبدالحليم شرار "لقد أصبحنا فى زمن من المتعذر فيه أداء الشعائر الدينية لأحدى الأمتين دون أن يمس احتمالات الشك لدى الأخرى".(١٦)

وحين شغل كيرزون منصب نائب الملك فى الهند سعى إلى تحقيق مزيد من التوازن بين الكثرة الهندوسية والمسلمين، فاقترح فى سنة ١٩٠٥ تقسيم البنغال إلى منطقتين، إحداهما إسلامية، يكثر فيها المسلمون، ليتمكنوا من بلورة شخصيتهم السياسية. ويعتقد سليم الله نواب داكا "أن التقسيم منحنا فرصة عظيمة لكى نتحرك، وأيقظ فى قلوبنا طموحات قومية جديدة"(١٧). هكذا بدأ الإحساس القومى لدى مسلمى الهند يظهر لأول مرة، وبرزت ملامحه عندما ارتبط ذلك بالمكان، وهو عالم يكن مهيئا من قبل لهم.

صحيح أن الإطار القومى لدى بعض الشعوب الاسلامية قد ساعدها على

حل بعض مشاكلها، ولكن غياب هذا الإطار لدى مسلمى الهند، عقّد من مشاكلهم وأطال فترة حلها، ولم يكن ذلك ممكنا قبل نهاية النصف الأول من القرن العشرين، حينما أنشئت دولة باكستان، كترجمة عملية لهذا الإطار. معنى ذلك أن المسافة الزمنية بين مشروع تقسيم البنغال فى ١٩٠٥ وقيام دولة باكستان فى عام ١٩٤٧، إنما كانت محاولات متواصلة لبلورة هذه الفكرة القومية. وحتى قيام الكيان القومى الاسلامى فى الباكستان، لم يكن أمام مسلمى الهند أى إطار قومى متاح، وكان الخيار الوحيد أمامهم هو الإحتماء فى إطارالمجتمع الأوسع، الذى يشمل جميع مسلمي العالم معا[١٨]. ويرجع الفضل فى هذا الإتجاه إلى جمال الدين الأفغانى، كما سبق أن أشرنا.

ولعل الصراع الذى نشأ بين المسلمين والهندوس، منذ أواخر القرن التاسع عشر، هو الذى بلور شخصية المسلمين السياسية فى المقام الأول. فالهندوس كانوا ينظرون إلى المسلمين علي أنهم دخلاء، كالانجليز تماما ، يريدون أخذ بلادهم، ولعل إحساس الانجليز بهذا التوجه لدى الهندوس هو الذى دفعهم إلى مساندة الحركة الاسلامية كى تحفظ التوازن فى مواجهة الهندوس.

ويبدو أن التجربة السياسية لمسلمي الهند صارت أكثر نضوجا فى عام ١٩٠٦، أو كما يقول أغا خان فى مذكراته: "علمتنا التجارب أنه لا أمل فى إنصافنا عن طريق الانضمام لحزب المؤتمر، أو التحالف معه، ولذلك فقد طلبنا من نائب الملك - فى شجاعة- أن يقف أمام الحقائق وجها لوجه، طالبين أن يعتبر مسلمو الهند، لا مجرد أقلية، بل أمة ضمن أمة، يجب أن تضمن حقوقها، وتعين واجباتها فى القانون".[١٩]

ولقد بدأ مسلمو الهند يعملون فى كل مكان من أجل توكيد هويتهم السياسية، ففى عام ١٩٠٨ أسسوا الرابطة الاسلامية فى لندن London

Muslim League ، وفى عام ١٩١٢ اعترض سيد أمير على على قبول رئاسة حزب المؤتمر ، بل دعا إلى خروج المسلمين منه ، وكان برده " إن أوربا تكوّن وحدة ثقافية متجانسة إلى حد أكبر بكثير جدا من وحدتنا المصطنعة المسماه الهند"(٢٠). وتأسست تبعا لذلك، فى نفس العام، الرابطة الاسلامية فى الهند، وانتخب أغا خان أول رئيس لها. وبذلك انتهت محاولات التوفيق بين المسلمين والهندوس للتعايش معا فى إطار قومى واحد. ويفسر أحد الباحثين الأمريكيين ذلك بأن المسلمين وجدوا أنفسهم "مهددين بعداء الهندوس الذين يسعون إلى إعادة الحكم البرهمى الغاشم"(٢١).

جاء إنشاء الرابطة الإسلامية - تجسيدا لهيئة خاصة بالمسلمين تتحدث باسمهم وترعى مصالحهم - بعد عشرين عاما من تأسيس حزب المؤتمر، الذى يعنى بكل الهنود. وبينما بقى ذلك هو هدف حزب المؤتمر من الناحية النظرية، كانت الرابطة الإسلامية، التى نشأت فى أحضان الأرستقراطية الإسلامية، تعنى بمصالح المسلمين فقط، ولم يكن لها رصيد شعبى يعادل رصيد حزب المؤتمر، ولذلك لم يكن لمولدها شأن كبير، إلا بعد أن رد الهندوس بتكوين رابطة خاصة بهم، قامت على أكتاف مجموعة من المتعصبين.(٢٢)

وقد شهدت فترة الحرب العالمية الأولى هدنة بين حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية، استمرت فيما بين عامى ١٩١٥ و١٩٢١ خلال تلك الفترة اتفق الطرفان على المطالبة بالحرية، ولكن المسلمين تبينوا أن الهندوس يريدون أن يسحقوا المسلمين بأكثريتهم، فأعادوا تنظيم أنفسهم للعمل فى إطار الحركة الاسلامية العامة، من أجل بلورة شخصيتهم السياسية.(٢٣)

دور حركة الخلافة فى بلورة شخصية مسلمى الهند السياسية:

ساعد فشل تجربة الوفاق القومى بين مسلمى الهند وغيرهم في شبه القارة الهندية على توطيد صلات المسلمين بدولة الخلافة الاسلامية، باعتبار أن الخليفة رمز لوحدة المسلمين. ولكن حين وقف العثمانيون فى المعسكر المعادى لبريطانيا صار موقف المسلمين حرجا، فأصبحوا موزعين بين الولاء الروحى لدولة الخلافة والتبعية السياسية لبريطانيا. ولاشك فى أن ذلك أحدث تمزقا شديدا بين المسلمين وبعضهم، وبين المسلم ونفسه، فى شبه القارة الهندية. وخشية أن يقوم المسلمون بحركة تمرد ضد بريطانيا من أجل العثمانيين، لجأت بريطانيا إلى الخداع السياسى، حين وعدت المسلمين بالأمان على ممتلكاتهم، وباحترام وضع الخليفه العثمانى، ولم يلتزموا بما وعدوا، كما هو شأنهم فى منطقة الشرق الإسلامى. ولم يستطع وزير الهند إدوين مونتيج E. Montagu أن يقاوم حقد رئيس الوزراء لويد جورج على تركيا.(٢٤)

فى هذه الظروف أسس الأخوان محمد وشوكت على حركة شعبية حيوية، هى حركة الخلافة، التى أيدها العلماء، والتى تعتبر مقدمة لحركة إسلامية عامة. ولكن بعض العلماء كانوا لا يزالون يرون أملا في التعامل مع بريطانيا، بينما كان عامة المسلمين الهنود، الذين ربما لم يسمعوا عن تركيا، قد أخذوا يندفعون لتأييد هذا التوجه الإسلامى.(٢٥) كان هدف الحركة واضحا في إسمها، فقد كانت تسعى إلى مساعدة الأتراك حملة لواء الخلافة، حاملة الطابعين الدينى والسياسى معا، ودفعها إلى ذلك الغيرة على مقام الخلافة والحرص على تطهير البلاد المقدسة فى الحجاز من نفوذ الأجانب(٢٦).

لقد كان توجه المسلمين الهنود إلى العالم الاسلامى أقوى من توجههم إلى الهند، وذلك لعدم وجود روابط قومية قوية مع شركائهم فى الوطن. ومن

التناقضات التي وقع فيها المسلمون وألهبت مشاعرهم ضد بريطانيا، ودفعتهم - في نفس الوقت- إلى الانضمام إلى حركة الخلافة، أن معظم الجنود الذين حاربوا الدولة العثمانية في الشرق، كانوا من مسلمي الهند، الذين اعتبروا ذلك عاراً لحق بهم. وحين انتهت الحرب، كان مسلمو الهند يتمنون لو أن تركيا "قتعت بالسلام مع الشرف"، ولو أن الخليفة استطاع ممارسة صلاحياته لتحقيق حكم إسلامي حر، يمتد ليشمل الأراضي المقدسة في الحجاز.(٢٧)

لقد أظهرت جمعية الخلافة إهتماما حقيقيا بمسألة الخلافة، وبمستقبل تركيا، واعتبرت ذلك شرفا يلحق بها. وكان محمد علي على استعداد لمناقشة هذا الأمر مع جميع المسلمين في الهند، واستطاع أن يوصل صوته إلى كل مكان، في القرى والمدن، ورأت بعض العناصر الإسلامية أنها إن لم تستطع أن تتحرر من الحكم البريطاني "المشرك"، فإن عليهم أن يهاجروا إلى بلد مسلم حر، يعبرون فيه عن آرائهم، ويمارسون فيه شعائرهم بحرية.(٢٨)

كان الهنود، مسلمون وغير مسلمين ، يسعون لتحقيق شيء من الإستقلال. ولكن بريطانيا كانت تعرف تلك الحقيقة التي يعرفها ماسو الهند جيداء وهي أن الهند ليست أمة، ولا حتى مجموعة أمم متجانسة، وربما أدى تخفيف قبضتها على هذه البلاد إلى دخول قوى أخرى مثل روسيا. ولكي تحافظ بريطانيا على وضعها في الهند، كان لابد أن تؤكد عليه مهما كان الثمن. لذلك كان قرارها بتأجيل الإصلاحات والوعود التي سبق أن قدمت ، فأدى ذلك الى انطلاق المظاهرات في كل مكان ضد بريطانيا من مختلف العناصر الهندية، عندئذ فقط أظهر البريطانيون بعض المرونة.(٢٩)

في هذه الظروف، ظهر غاندي يدعو إلى فكرة العصيان المدني، أو المقاومة السلبية، أو عدم العنف، وكان المسلمون أسرع العناصر الهندية فهما للحركة

واستجابة لها. كانت حركة الخلافة هي البادئة بقبول برنامج غاندي، وحدد اليوم الأول من أغسطس ١٩٢٠ بداية لتلك الحركة[٣٠]، التي كان يسعى غاندي من ورائها إلى تأسيس حركة قومية تجمع كل الاتجاهات، ولم يكن اتجاه المسلمين الانفصالي من القوة - في ذلك الوقت- بحيث يحول دون انضمام باقي المسلمين إليه، ومع ذلك فلم تكن فكرة إنشاء حكم محلي يرعى شئونهم مجدية، لأن هذا الأسلوب -في تقديرهم- لن يقود إلى حكم اسلامي؛ ذلك أن الوحدة القومية ستؤدي إلى ذوبان ربع سكان الهند من المسلمين في باقي السكان من الهندوس والسيخ والمسيحيين وغيرهم، ولم تكن هذه النتيجة تروق للمسلمين.[٣١]

ومهما يكن من أمر، فقد أسفر المؤتمر الوطني الهندي في عام ١٩٢٠ عن قرارات تربط قضايا الهند القومية بالقضايا الاسلامية العامة، حين وضع مطلبين محددين أمام بريطانيا:

المطلب الأول ، أن تمنح بريطانيا الحكم الذاتي للهند،

والمطلب الثاني، أن تسمح بريطانيا لتركيا بسلام مشرف

ولكن عدم الثقة في وعود بريطانيا جعل غاندي يشن حملة واسعة من أجل عدم التعاون معها، وبالتالي تركت مسألة " السلام مع الشرف" في العراء للمسلمين وحدهم، ولم تكن للمسلمين حتى ذلك الوقت صفة سياسية خاصة بهم، ليتحاوروا مع بريطانيا.[٣٢]

فالاتجاه القومي في نظر المسلمين هو ذلك الاتجاه الذي ينسجم مع تراثهم الاسلامي ويحقق لهم على أرض الهند دولة إسلامية خاصة بهم. ولم يكن غاندي يعتقد في ذلك، ولا في أن بإمكان الهنود أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم في إطار من العدالة، وأن الأمر في نظره يحتاج إلى سنوات من الإعداد والتهيئة. أما

المسلمون فقد أصيبوا بخيبة أمل كبيرة، فلا هم حققوا بأنفسهم الوطن القومي على أرض الهند، ولا الحماية تحت الظلة الاسلامية، لأن الأتراك تخلصوا من السلطان وألغوا الخلافة(٣٣)

ففي ٢٩ اكتوبر ١٩٢٣ أعلن تكوين الجمعية الوطنية التركية، التي انتخبت مصطفى كمال رئيسا لها، وكانت الرغبة متجهة نحو الاحتفاظ بالخلافة مؤقتا، ولكن مصطفى كمال سرعان ما أدرك أن مجرد وجود زعيم ديني خليق بأن يصبح بمثابة مركز الدائرة التي يلتف حوله المسلمون وأدت توجيهات مصطفى كمال نحو الحضارة الغربية إلى الانصراف كلية عن الماضي الاسلامي، لأن الارتباط بالماضي -في نظره- كان سيعوّقه عن بلوغ أهدافه، ولذلك اتخذت الجمعيه الوطنية قراراً بإلغاء الخلافة وإخراج الخليفة من البلاد.(٣٤)

كان لهذه الخطوة صدى استياء عنيف لدى مسلمي الهند، الذين علقوا على تركيا آمالا كبارا في الخلاص من الاستعمار البريطاني، وانقسم مسلمو الهند على أنفسهم، فتقدم محمد علي زعيم حركة الخلافة الهندية للدفاع عن مصطفى كمال، واعتبر أن ما أقامه من حكم جمهوري لا ديني في أنقرة، هو أقرب إلى نظام الحكم في الاسلام. وأيد التجربة التركية عدد كبير من المسلمين، مؤكدين على أنه لا سبيل لنهوض المسلمين إلا بالتخلص من نفوذ العلماء والمشايخ والسير على خطة الأتراك بينما راح سليمان الندوي يوظف مجلته "معارف" للدفاع عن الإسلام(٣٥).

الأمر الذي لا خلاف حوله هو أن الفجوة بين مسلمي الهند وبريطانيا أصبحت أوسع منها في أي وقت مضى، ذلك "أن الدولة التي تدوس الخلافة الاسلامية تحت أقدامها، ولا تندم على ما اقترفته في الهند من الفظائع والمنكرات، لا تستحق أن يخلص لها أحد من أبناء هذه البلاد، لأنها بأعمالها،

أصبحت عدوا للإسلام والمسلمين".(٣٦)

لقد أصبحت بريطانيا مستهدفة من مسلمي الهند، على مستوى شبة القارة، في سعيهم إلى الاستقلال، كما أصبحت مستهدفة أيضا في مناطق نفوذها في العالم الإسلامي، وقد عبر محمد علي، زعيم حركة الخلافة عن هذا الاتجاه حين قال: " إنني أنتمي إلى دائرتين متساويتين في الحجم إلا أنهما لا تتحدان في المركز، إحداهما الهند، وأما الأخرى فهي العالم الاسلامي".(٣٧) هذه الدائرة الثانية هي التي سيركز -من خلالها- محمد علي وحركة الخلافة ومسلمو الهند اهتمامهم بشئون قلب العالم الاسلامي في إحدى مراحل التغير السياسي فيه.

التغيرات الجيوبوليتية في الحجاز ١٩٢٤-١٩٢٥:

كما حاولت بريطانيا أن تلعب لعبتها الدبلوماسية في إحداث التوازن بين القطبين الرئيسين في الهند (المسلمون والهندوس)، وهو ما ساعد على بلورة الشخصية السياسية لمسلمي الهند في نهاية الأمر، رأى صناع السياسة البريطانيون - على اختلاف اتجاهاتهم- أن السباق الذي جرى بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين على جانبي شبه الجزيرة العربية، يجب أن ينتهي لصالح الخطة الاستراتيجية البريطانية، وليس لصالح قضية إقامة دولة عربية كبرى، تحت حكم هذا أو ذاك؛ لأن إقامة مثل هذه الدولة كان - في نظر كبار الساسة البريطانيين- "أخطر على الدول المسيحية من دولة عثمانية قوية". وبدا المسئولون البريطانيون معنيين بضرورة حفظ التوازن بين شرقي شبه الجزيرة العربية وغربيها، بدلا من تلك السياسة العرجاء، التي تعتمد على أحد القطبين مرة، وعلى القطب الآخر مرة أخرى.(٣٨)

لقد نشأت السياسة البريطانية العرجاء من : ١ - تبني حكومة الهند البريطانية -بالضرورة- للاتجاه الإسلامي ، تفاديا للقلاقل السياسية في الهند، وفي غيرها من المستعمرات، التي يوجد بها أعداد كبيرة من المسلمين، ومن ٢ - تبني المكتب العربي بالقاهرة لسياسة مناصرة الاتجاه العربي، كسبا لتأييد العناصر العربية لبريطانيا في الحرب العالمية الأولى. ولا يعني ذلك التناقض الظاهري أن السياسة البريطانية كانت متناقضة، فليس من الضروري أن يعزف جميع السياسيين البريطانيين نوتة موسيقية واحدة في سبيل تحقيق المصالح البريطانية العليا. ولهذا فإن تصوير السباق بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين، في شبه الجزيرة العربية، بأنه رهان بريطاني على جوادين في سباق واحد، هو تصوير خاطيء تماما، لأنه كان في الواقع رهانا على جوادين في سباقين مختلفين.(٣٩)

كانت الاستراتيجية البريطانية تسعى جادة إلى تكوين سلسلة من البلدان الخاضعة للنفوذ البريطاني - في شكل أو في آخر- ما بين شرق البحر المتوسط وجنوب شرقي آسيا، وإعاقة الإتصال بين الشمال والجنوب في هذه المنطقة، لإجهاض المخططات الروسية. وبينما تمسكت الهند البريطانية بهذه السياسة حرفيا، كانت وزارة الخارجية البريطانية أكثر مرونة. ولكن يبقى أن نوضح أن هذه المنطقة ذاتها، أو أجزاء منها على الأقل، كانت داخلة في برنامج جمال الدين الأفغاني لتكوين دول إسلامية كبرى، وكانت داخلة، في نفس الوقت، في برنامج الإتحاد السوفيتي -فيما بعد- لضم ما يمكن ضمة منها، أو تفريغها من الوجود الأوروبي على الأقل.(٤٠)

ومع أن بريطانيا وضعت حدا للطموحات الألمانية والعثمانية في الحرب العالمية الأولى، إلا أنها لم تستطع أن تضع حدا للتطورات التي جرت في شبه

الجزيرة العربية، بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين. فقد فشل مؤتمر الكويت(١٩٢٣ -١٩٢٤) في التوفيق بين الزعيمين، ورأت بريطانيا أنها لم تعد بحاجة إلى أي منهما. في هذه الظروف، رأى عبد العزيز آل سعود أن تسوية خلافاته مع الشريف حسين وأبنائه، لن تتم إلا بالقوة، وذلك حين نبه إلى عدم إيقاع اللوم بنجد "إذا اتخذت وسائل أخرى أضمن لحياتها وأحفظ لمركزها".(٤١)

وساعد إلغاء زعماء تركيا الجديدة لمنصب الخليفة، وإعلان الملك حسين نفسه خليفة المسلمين، في احتفال أقيم في شرق الأردن في منتصف مارس ١٩٢٤، على تنمية الإتجاه باستخدام القوة عند عبدالعزيز آل سعود الذي كان من أوائل من سارعوا بمعارضة هذه الخطوة، التي لم يستشر الملك حسين المسلمين بشأنها. وكان ذلك أحد المبررات التي دفعت عبد العزيز لمحاربة الحسين. فقد عُقد في الرياض -حول ذلك الوقت- اجتماع عام، برئاسة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، والد السلطان عبد العزيز ، الذي خاطب الناس مشيرا إلى تذمرهم من عدم أداء فريضة الحج، بقوله: "وصلني كل ماكتبتموه وأحطت علما بكل ماشكوتموه. إن لكل شيء نهاية، فلا تيأسوا، وإن الأمور مرهونة بأوقاتها".(٤٢)

ولكن صبر الإخوان المتحمسين نفد، وعبر عن ذلك أحد زعمائهم، سلطان بن بجاد، حين وجه حديثه إلى عبد العزيز، قائلا: " حتا تبغى الحج، ولا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا ... ليست مكة ملكا لأحد، ولا يحق لأحد أن يمنع المسلمين، أو يصد المؤمنين عن أداء فريضة الحج، نريد أن نحج ياعبد العزيز، فإذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة. وإذا كنتم ترون أن من المصلحة تأجيل الحج هذا العام، فلابد من غزو الحجاز لتخليص البيت الحرام من أيدي

الظالمين المفسدين".[٤٣]

كان عبد العزيز آل سعود قد منع النجديين من الحج لمدة خمس سنوات، تفاديا لوقوع صدامات بين رجاله والأشراف في الحجاز. ولكنه قال في الرد على ابن بجاد"...لست أري في تطور الأمور ما ينعش الأمل، بل أري الأمور تزداد شدة وارتباكا، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا". يقول الريحاني، عندئذ هتف الجميع " توكلنا على الله...الى الحجاز.. إلى الحجاز".[٤٤]

أما عبد العزيز آل سعود فأعلن – بعد استفتاء العلماء – "إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة... فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطئ للشريعة"[٤٥]، وهكذا بدأت الحرب من أجل الحجاز، بعد ستة أشهر فقط من مؤتمر الكويت.

في هذه المرحلةتحرك مسلموالهند معارضين الشريف حسين، لإعلانه نفسه خليفة للمسلمين، واعتبروه خائنا للدين، ومتمردا على الخليفة الشرعي ، منذ إعلانه الحرب عليه، وقد نسقت جمعية الخلافة الهندية، التي تبنت هذا الإتجاه، معارضتها للحسين، مع عبد العزيز آل سعود[٤٦]. ولكن عامة مسلمي الهند بدأوا يتخوفون من إحتمالات تهديد الإخوان النجديين لأمن الحجاج في الأراضي المقدسة، إذا قدر لهم أن يضعوا أيديهم عليها. خاصة وأن نشاطاتهم التخريبية على حدود العراق وشرق الأردن، وما أعملوه من تدمير وتقتيل، أثناء هجومهم على الطائف، قد انتشرت أخبارها بسرعة بين المسلمين عامة.

ومع أن نتائج منحة الطائف قد بولغ فيها، إلا أن أصداءها كانت عنيفة في الهند وفي غيرها، أكثر من أي أعمال أخري. يقول فيلبي، الذي كان

معاصرا للأحداث: "ومع أن عدد القتلى لم يتجاوز ٣٠٠، إلا أن هذا كان كافيا لبث الرعب والذعر في مكة البعيدة وفي جدة"(٤٧). ويقول أمين الريحاني، الذي كان هو الآخر معاصرا للأحداث: " كان لحوادث التخريب في الطائف أثر سيء في نفس عبد العزيز، فأمر بتأليف لجنة لتقرير الخسائر، والتعويض عن المنكوبين من الأهالي ومن الهنود والجاويين"(٤٨). وفي نفس الوقت أصدر عبد العزيز أوامره إلى قوات الإخوان المتحمسة، كي تربيء الهجوم على المدن الحجازية، وتتجنب الأعمال الحربية في الأراضي المقدسة واضطر عبد العزيز إلى إصدار بيان حول مسألة الطائف، أعرب فيه عن أسفه لما جري من أعمال تخريبية، وأرجع بعضها إلي قوات البدو، التي كانت قد رافقت الأمير علي بن الحسين (الملك علي فيما بعد) حين استغلت فرصة إنسحابه ، وباشرت نشاطها التخريبي.(٤٩)

أدت أحداث الطائف إل اضطراب في معظم المدن الحجازية، وخاصة في مكة والمدينة وجدة. وسارع الأعيان والتجار لانقاذ بلادهم من الدمار، الذي يمكن أن يلحق بها، لو دخلها الاخوان بالقوة. ورأى أهل جدة أن يتنازل الحسين لابنه علي، إنقاذا للموقف، وتفاديا للصدام مع عبد العزيز وقواته، على أن يصبح علي "ملكا على الحجاز فقط، مقيدا بالدستور، شريطة أن ينزل على رأي المسلمين وأهل الحجاز، في تحقيق آمالهم ورغائبهم، في إصلاح شئون البلاد المادية والمعنوية". واقترح أعيان جدة ومكة معا تشكيل مجلسين، أحدهما نيابي وطني لإدارة الأمور الداخلية والخارجية، والآخر مجلس للشوري ينتخب أعضاؤه من بين المسلمين على اختلاف بلادهم، ومهمته الإرشاد وتقديم العون والإصلاح. ومع أن الملك حسين رفض هذه الأفكار عدة مرات، إلا أنه امتثل في نهاية الأمر(٥٠). وفي ٤ أكتوبر بويع علي ملكا على الحجاز، طبقا لشروط وضعها الأعيان، منها ترك مسألة الخلافة للعالم الاسلامي

لم يقتنع عبدالعزيز أو الاخوان بفكرة تنازل الحسين لابنه، وأصروا على إخراجهما معا من الحجاز، فتقدمت قوات عبد العزيز نحو مكه، واحتلتها في ١٣ اكتوبر ١٩٢٤، أي بعد أسبوع واحد تقريبا من تولي الملك علي الحكم ولكن عبد العزيز أراد أن يدفع عن نفسه أي اتهام بتحقيق طموحات شخصية في الأراضي المقدسة، فأعلن أن هدفه الرئيسي هو تطهيرها من الفساد. ولكي يضع هذه الأفكار موضع التنفيذ، طلب إلى العالم الاسلامي أن يرسل مندوبين عنه إلى مكه ليناقشوا معه مستقبل الحجاز(٥١)

وفي الوقت نفسه، أبرقت لجنة الأعيان الحجازية إلى مختلف أقطار العالم الاسلامي، تدعو للتدخل لوقف القتال، وإرسال وفود تمثلهم في مهمة الوساطة وطالب الأعيان عبد العزيز بهدنة مؤقته، إلى أن تصل وفود العالم الاسلامي(٥٢) وبينما كانت زعامات إسلامية وعربية كثيرة مشغولة بقضاياها، استجابت جمعية الخلافة الهندية للنداءين، فقد كانت زعامة الجمعية أكثر ميلا لعبد العزيز آل سعود، وأكثر حرصا على تأمين طموحاتها، بتكوين حكومة إسلامية ديمقراطية في الحجاز.(٥٣)

لقد كانت جمعية الخلافة الهندية تتكلم باسم العالم الإسلامي، واستمد عبد العزيز من تأييدها له في الحجاز قوة على قوته، فشوع هو الآخر يخاطب العالم الاسلامي . ويناشده إخراج الحسين وأولاده من الحجاز. وكتب – بناء على ذلك– إلى الملك علي يقول:"...إذا كنتم تحبون السلام وحقن الدماء، اخلوا الحجاز، وانتظروا حكم العالم الإسلامي، فإن اختاركم أو اختار غيركم، فنحن نقبل حكمه بارتياح. أما إذا بقيتم في أرض الحجاز ، فإن مسئولية ما قد يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا".(٥٤)

رأت جمعية الخلافة الهندية إرسال وفد لاستطلاع الموقف في الحجاز، واتصل شوكت علي، زعيم الجمعية بمحمد الطربل، رئيس الحزب الوطني الحجازي وناظر الجمارك، في النصف الثاني من اكتوبر يبلغه باستعداد الجمعية لأن تتوسط بين سلطان نجد وملك الحجاز. فوصل إلي الحجاز وفد من سبعة أشخاص، يمثلون جمعية الخلافة، اجتمعوا بالملك علي فور وصولهم، ثم التقوا بالسلطان عبد العزيز في مكة، ولم تسفر هذه الإجتماعات عن موقف حاسم محايد لتحقيق مصالح الحجاز، فقد رأي الوفد" أن الملك علي يطمح إلي توطيد عرشه، علي حساب شعوب الهند الاسلامية.. وأن واجب الشعوب الإسلامية، أن تتحد وتتضامن، لإيجاد حكومة راقية في الحجاز، تتولي حماية الحجاج وتسهر علي راحتهم".(٥٥)

امتثل عبد العزيز للهدنة التي طلبها الحجازيون، انتظارا لموقف واضح من العالم الإسلامي، تاركا الملك علي في جدة، بينما استغلت حكومة الحجاز ظروف الهدنة، وارسلت وفدا رسميا إلي الهند، في يوليو ١٩٢٥، بهدف تسوية خلافاتها مع جمعية الخلافة والتقي رئيس الوفد (محمد الطربل) بشوكت علي (رئيس الجمعية) وبعض أعضائها، واتفق الطرفان علي أن تواصل الجمعية توسطها بين عبد العزيز وعلي ، وأن تتوقف عن الدعاية " للوهابية". ويبدو أن هذه المواقف كانت فردية، ولم تكن تعبر عن الموقف الرسمي للجمعية. وقد فتح الاختلاف في الرأي بين أعضاء الجمعية الباب لتوجيه الإتهامات إليها، بأنها كانت وراء الهجوم"الوهابي" علي الحجاز.

وحين حل موسم الحج لعام ١٩٢٥، جاءت الفرصة ليتنبه العالم الإسلامي للتطورات التي كانت تأخذ مجراها في الحجاز، فقد كان المسلمون الراغبون في زيارة الأماكن المقدسة تلقين على سلامتهم في التنقل بين الأماكن المقدسة لذلك أصدر السلطان عبد العزيز، في ٢٥ فبراير ١٩٢٥، إعلانا لجميع المسلمين

يرحب فيه بحجاج بيت الله، ويعدهم بضمان سلامتهم وأمنهم[٥٦]. وبالرغم من هذا العرض السعودي، الذي يتحمل السلطان عبد العزيز فيه - لأول مرة- مسئولية الأمن في الأماكن المقدسة، فقد شعر بعض المسلمين بالقلق من خطورة الموقف، وامتنعوا عن السفر إلى الحجاز. ومن جهة أخرى ، لم تشأ بعض الحكومات أن تسمح لرعاياها في هذه الظروف بالسفر للحج. إلا أن حكومة الهند البريطانية كانت من بين الحكومات التي أعلنت عن عدم تدخلها في شئون رعاياها المسلمين، سواء بمنعهم من أداء فريضة الحج، أو ضمان سلامتهم في حال سفرهم، وأعلنت في مناسبتين (أبريل ومايو ١٩٢٥) أن على كل من يريد الذهاب إلى الحجاز أن يتحمل نتيجة مغامرته[٥٧]

لقد حرصت حكومة الهند البريطانية، وهي حكومة غير إسلامية، أن تتجنب أية مشاكل تنتج عن اعتقاد بعض المسلمين، أنها حالت دون سفرهم لتأدية الفريضة، وبالتالي تبدو كما لو كانت معارضة للسلطان عبد العزيز، الذي كان يعنيه أن يتم موسم الحج بشكل طبيعي، في أول مرة يعلن فيها تحمله لمسئولية أمن الأماكن المقدسة. هكذا وُجدت بين الذين امتنعوا عن السفر خشية الخطر، والذين مُنعوا من السفر، أعداد قليلة سافرت إلى الأماكن المقدسة في عام١٩٢٥ .

ولكن حين عاود المتحاربون في الحجاز نشاطهم من جديد بعد انتهاء موسم الحج،أدرك العالم الإسلامي أنه معني إلى حد كبير بحاضر الأماكن المقدسة ومستقبلها، ففي ٢٠ أغسطس ١٩٢٥، أثناء هجوم الإخوان على المدينة ، التي سلمت دون مقاومة، أعلنت حكومة الحجاز الهاشمية أن الوهابيين أصابوا مقبرة الرسول، ودمروا جميع مقامات وأضرحة أئمة المسلمين الأولين. وطبقا لما أورده دوبني، فإن التقرير الذي بعث به الهاشميون عن الحادث، قد أثار حالة

من الغضب العنيف في العالم الإسلامي.(٥٨)

يقول الريحاني، وانتشرت الشائعات حول نشاط الإخوان في مكه، وخاصة عمليات هدم قبور الصحابة وآل البيت ، "فاجتمعنا في قنصلية هولندا ببعض الجاويين العائدين من مكة، وسألناهم أن يصدقونا الخبر، فقال أحدهم: أقمنا حفلة لنتلو المولد النبوى... ونصبنا قبة للاجتماع.. وجاء الإخوان فطردونا وهدموا القبة.. كانوا يشتمونا ويدعوننا مشركين... التدخين ممنوع في الأسواق.. لكن ما رأيتهم يضربون أحدا يدخن، هم يشتمون من يدخن، ويقطعونه جزاء ريع مجيدى".(٥٩)

جاء أول رد فعل على أحداث الحجاز من مصر، فأبرق الملك فؤاد يستوضح الموقف، وأكد له السلطان عبد العزيز، في سبتمبر ١٩٢٥، سلامة المقدسات من الأذى، وسمح للجنتين إحداهما مصرية والأخرى فارسية بزيارة المناطق المعنية، والوقوف على سلامتها(٦٠). وفى مطلع العام التالي (١٩٢٦) وصل الى الحجاز مندوبون غير رسميين، يمثلون جمعية الخلافة الهندية، برئاسة السيد سليمان الندوى، الذى أفاد تقريره عن مسألة هدم القبور" إن القباب والبيبان التى كانت علي القبور هُدمت وكُسرت ، ولكن القبور موجودة سالمة كما شاهدناها، والقبة التي كانت على قبر حمزة هدمت، والمسجد سالم. أما مسجد أبى قبيس فقد هدم جزء منه، فأسف السلطان عبد العزيز لذلك ، وأمر بترميمه".(٦١)

رأى عبد العزيز أن الموقف قد تعقد، وأن صبره قد نفد، ولم يسلم الملك علي، ولم يحسم العالم الاسلامي الموقف وأدرك أن بريطانيا، التي كانت تساند الأشراف، قد دخلت عنهم، ليس فقط بإعلان الحياد نحو حرب الحجاز، وإنما في

إرسال مندوب فوق العادة، في اكتوبر ١٩٢٥، هو سير جلبرت كلايتون، ليتفاوض معه حول حدود نجد الشمالية، في ظل التطورات الجديدة. وهي المفاوضات التي انتهت بعقد اتفاقيتي (بحره) في الأول من نوفمبر (وحدا) في الثاني منه[٦٢].

عندئذ، بعث عبد العزيز آل سعود إلي أهل جدة بهذه الرسالة:

"إن أغلب العالم الاسلامي قد أبدي عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده ، ونظرا لوجود الأمير علي بينكم وخروجه علي الرأى العام الإسلامي، فإنا نعرض عليكم الخروج من البلد والإقامة في مكان معين، أو القدوم إلي مكة، أو الضغط علي الشريف علي وإخراجه من بلادكم، فإن فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور، أو بولائه، فنحن معذورون أمام العالم الإسلامي، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من المسبب والسلام"[٦٣]

وقبل وصوله جدة، تلقي عبد العزيز رسالة من قناصل الدول الأوروبية ، تخبره بموقف دولهم الحيادى تجاه النزاع الدائر في الحجاز، فطلب إليهم أن يبقوا في مناطق إقامتهم، حتي لا تتعرض لهم قواته بسوء، أو أن يتركوا جدة إلي حيث شاءوا[٦٤]

هكذا كثف عبد العزيز حملاته ضد جدة، حتي أحكم الحصار عليها. عندئذ أعلن الوكيل والقنصل البريطاني (جوردن) انتهاء حياد بلاده المزيف، وذلك حين طلب إليه الملك علي، وهو تحت تأثير الحصار السعودي، أن يعطيه النصيحة[٦٥]. وبعد خمسة أيام، وفي ١٤ ديسمبر، عاد الملك علي وطلب إليه أن يتدخل رسميا لدى السلطان عبد العزيز. حين كتب إليه:

"لقد قررت أن أنسحب، وأن أترك البلاد... لأقيم في الأردن أو بغداد أو

فلسطين، وأفضل أن تتوسط الحكومة البريطانية في مسألة تسليم البلاد بالطريقة السلمية الهادئة، لأن ذلك سوف يضمن الأمن والسلامة للجميع".(٦٦)

وبينما اعتزم الملك علي في اليوم التالي(١٥ ديسمبر)الإعلان عن قراره الأخير في مجلس بعقد بجدة، وافقت لندن علي أن يلعب مندوبها هناك دور الوساطة. وعلي الفور بدأ جوردن نشاطه السياسي في الإتصال بالسلطان عبد العزيز في الرغامة (علي بعد ٨ أميال من جدة). وبعد مناقشات وافق السلطان عبد العزيز علي شروط الملك علي لتسليم جدة.(٦٧)

وأهم ما تضمنته تلك الشروط :

١ - يضمن السلطان عبد العزيز سلامة جميع الحجازيين ويمنحهم الأمان،،

٢ - ويسمح لمن يرغب من الجنود والضباط بمغادرة الحجاز متي أرادوا ذلك،

٣ - ويوزع ثلاثة آلاف جنيه استرليني علي الجنود في جدة،

٤ - ويبقي علي الكفاءات الادارية في وظائفها،

٥ - ويسمح للملك علي وأسرته باصطحاب أمتعتهم الخاصة وكل ما يمكن حمله إلى خارج الحجاز.

وفي المقابل علي الملك علي أن يسلم ما لديه من أسري، وأن يسلم جميع القوات الحجازية لسلطان نجد بأسلحتهم(٦٨) وطبقا لهذه الشروط، سلمت جدة في ٢١ ديسمبر ١٩٢٥، وفي اليوم التالي غادرها علي إلي منفاه الاختياري في العراق(٦٩) وفي ٣١ ديسمبر ١٩٢٥ بعث السلطان عبد العزيز إلي

جميع الدبلوماسيين الأجانب في جدة بخبرهم بما تم التوصل إليه، وبنهاية عهد الاشراف، وبداية عهد جديد.

وفي يوم الجمعة ٨ يناير ١٩٢٦ بويع السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملكا علي الحجاز في المسجد الحرام ومنذئذ صار عبد العزيز ملكا علي الحجاز وسلطانا علي نجد. هذا ، وقد بقي كل إقليم منهما مستقل عن الآخر ، وفي ١٣ يناير شكل حكومة خاصة بالحجاز، ووضع علي رأسها ابنه الأمير فيصل بصفته نائبا للملك في الحجاز.(٧٠)

هذه الأوضاع السياسية الجديدة في الحجاز، خلقت -بالطبع- ردود فعل جديدة من جانب مسلمي الهند، لقد كشف بعض مسلمي الهند عن أنهم لم يكونوا فقط راغبين في أن ينتهي حكم الأشراف في الحجاز، بل أن يحكموا هم فيه من خلال حكومة إسلامية عالمية، ولكن الملك عبد العزيز لم يمكنهم ، ولامكن غيرهم من تحقيق هذه التطلعات.

مسلمو الهند والحكم السعودي في الحجاز١٩٢٦:

في مطلع عام١٩٢٦، ومع بداية عهد الملك عبد العزيز بتحمل المسئولية رسميا في الحجاز، وصل إلي الأراضي المقدسة وفدان هنديان، للتحقيق في أحداث تتعلق بنشاط الاخوان وتدميرهم للمقابر، والاطمئنان علي سلامة مقبرة الرسول، صلي الله عليه وسلم ، ولا تخلو زيارة هذين الوفدين من دوافع سياسية، إضافة إلي الدوافع الدينية.

الوفد الأول، وفد جمعية الخلافة الهندية ، التي كانت من أقوي العناصر الإسلامية المؤيدة لعبد العزيز آل سعود ، ولكن موقفها اضطرب بعد حادث المساس بمقابر الصحابة وأسرة الرسول. وازداد غضب أعضائها، بعدما علموا أن

عبد العزيز آل سعود نفسه قد صار ملكا على الحجاز. فتحولوا من مساندته إلى إدانته، واقترحوا أن يُسند أمر إدارة الحجاز إلى هيئة ديمقراطية تمثل جميع المسلمين.(٧١)

الوفد الثاني، وفد جمعية خدام الحرمين، وهي جمعية أكثر تشددا في ميولها السياسية والدينية، وكان هذا الوفد من أقوى معارضي عبدالعزيزآل سعود في الهند، ورفض أعضاؤه مجرد الاستعداد للاعتراف به ملكا، واعتبروا وجوده في الأراضي المقدسة"صدمة لكثير من المسلمين الهنود، الذين يعتبرون الأراضي المقدسة ملكا خاصا". وحين وصل أعضاؤه الحجاز، رفضوا حضور حفل الاستقبال الذي أعده لهم الملك عبد العزيز في جدة. وأثناء إقامتهم في مكة، لم يفوّتوا فرصة لإعلان حملتهم ضده وضد أتباعه من الإخوان الوهابيين، وفوق ذلك طالبوه بمغادرة أرض المسلمين.(٧٢) وحين فاض الكيل بالملك طردهم من الحجاز، ولكنهم وزعوا منشورات معادية له قبل مغادرتهم الأراضي المقدسة.(٧٣)

وفور عودة وفد جمعية خدام الحرمين إلى الهند، أفادت التقارير، في منتصف يونيه، أن الوفد دعا إلى مظاهرات عامة، للتعبير عن غضب المسلمين ضد الملك عبد العزيز والوهابيين المتزمتين.(٧٤) وتلبية لتلك الدعوة خرج مهراجا محمد أباد وسط الجموع التي تدين الوهابيين، حيث عبر المتظاهرون عن اهتمامهم الشديد بما يجري في الحجاز. وقد تبلورت أفكارهم في عدد من القرارات، لعل أهمها،(٧٥)

١ - "إن هذا الاجتماع الاسلامي الموسع، الذي يحضره مسلمون من مختلف المستويات والاتجاهات الفكرية، ليعبر عن استيائه العميق وغضبه...

ويدين بشدة كل من مست يده مقدسات المسلمين بالتخريب، كما يدين أولئك الذين شجعوا أو حرضوا على القيام بهذه الأعمال...".

٢ - "إن الحكومة البريطانية، التي هي القيّم على مصالح مائة مليون مسلم في الهند، دخلت في معاهدات مع ابن سعود (إشارة إلى اتفاقيتي بحره وحدا) ووضعته وأراضيه تحت السيطرة البريطانية.. وهذا الاجتماع الضخم للمسلمين في لوكنو يحذر الحكومة (البريطانية) من أن ما قام به سلطان نجد وأتباعه... قد جرح مشاعر عامة المسلمين ... وأن أعمال التخريب تمت بالاتفاق مع بريطانيا، وأدى هذا إلى اضطراب صورة الموقف في أذهان عامة المسلمين فيما يتعلق بموقف بريطانيا وسياستها في الحجاز... إن أي مسلم... لا يستطيع أن يراقب ما يجري في صمت ... إن العالم الاسلامي يرفض تدخل غير المسلمين في شئون الحجاز...".

٣ - اقترح المجتمعون منع الحجاج من السفر إلى الحجاز" حتى يعاد بناء القابر (المهدمة) بالوضع والصورة التي كانت عليها".

٤ - كما اقترح المجتمعون إرسال برقية إلى المؤتمر الاسلامي المنعقد في مكة تفيد: "إن المسلمين الهنود، لا يثقون تحت أي ظرف في ابن سعود ولا في باقي النجديين...". كما اقترحوا إرسال طلب إلى الحكومات الإسلامية كي تستخدم كل "إمكانياتها لتحرير أرض الاسلام وتوجيه طلب إلى الحكومة البريطانية" ألا تعترف تحت أي ظرف بابن سعود ملكا على الحجاز، وألا تقدم له أي مساعدة... وألا تضع أية عوائق في سبيل طرد الوهابيين من الحجاز".

٥ - استحث المجتمعون بريطانيا والعالم المتحضر على "قطع علاقاتهم السياسية بالحاكم المسئول عن ... التخريب (في مقدسات المسلمين) وسحب جميع قناصلهم لديه".

وفي رامبور عقد اجتماع مماثل لاجتماع لوكنو السابق، حيث ناقش المسلمون مع نواب رامبور مسألة "التخريب التي جرت في الحجاز على أيدي ابن سعود (الذي) جرح مشاعرهم بتدمير مقبرة أسرة الرسول". ومن جانبه، ونيابه عن مسلمي الهند أبرق نواب رامبور إلى نائب الملك Viceroy في ٢١ يونية، يطلب اتخاذ موقف ضد الملك عبد العزيز، واعداً إياه "بتجميع الأموال لإعادة بناء المقبرة المدمرة".(٧٦)

وحرصا على تهدئة الأوضاع الداخلية في الهند، أبرق نائب الملك- على الفور- معبرا عن تعاطفه مع العناصر الإسلامية، مشيرا إلى أن سياسة الحكومة البريطانية ثابتة تجاه عدم التدخل سياسيا في أمور دينية خالصة، ولكنه وعد بنقل وجهة نظر مسلمي الهند إلى لندن.(٧٧)

وبينما انتشرت الحملات المعادية للوهابيين في الهند، لم يسلم الملك عبد العزيز من إتهامات الحجاج الهنود أثناء وجودهم في الحجاز، وطبقا لما أورده الوكيل السياسي البريطاني في جدة، كان " كل الحجاج الهنود" ضد الملك عبد العزيز.(٧٨)

وفي مواجهة هذا الموقف المعادي من جانب مسلمي الهند، وإرضاء لمنتقديه في مناطق أخري من العالم الإسلامي، كرر الملك عبد العزيز دعوته للعالم الإسلامي كي يبعث بمندوبيه لمناقشته في المسائل ذات الطبيعة الدينية، مؤكدا على أن "الحجاز للحجازيين"، لأن الحجازيين وحدهم أصحاب الحق في اختيار من يحكمهم طبقا للشريعة الإسلامية. لقد كان هذا الموقف الجديد للملك عبد العزيز ردّا غير مباشر على دعوة مسلمي الهند بأن"الحجاز لكل المسلمين" وأنهم مسئولون عن تقرير مصيره ومستقبله،وهكذا تعكس هذه العبارة جوهر الفكر

وكان الملك عبد العزيز قد بعث في اكتوبر ١٩٣٥، الي جميع الحكومات والجمعيات الإسلامية، ينفي رغبته في أن يكون"سيدا علي الحجاز"، موضحاأن الحجاز"أمانة" في يديه"حتي الوقت الذي يتمكن فيه الحجازيون من اختيار حاكمهم بأنفسهم". ومما له دلالة في هذه الرسالة إلي الحكومات الإسلامية، ماذكره الملك عبد العزيزمن أن الحاكم المنتخب في الحجاز يجب أن" يحكم تحت إشراف المسلمين".(٧٩)

وحتي أبريل ١٩٢٦، لم يتلق الملك عبد العزيز من زعماء المسلمين غير" ردود مختلطة ليس لها معني"(٨٠)، وما أن يربع ملكا في مطلع العام حتي أعترفت به أربع دول كبري، وبدأ يكسب الشرعية بالتأييد الداخلي والخارجي معا. عندئذ أدرك أن المسئولية تحتم عليه عدم التباطؤ في النهوض بأمن الأماكن المقدسة، ولايجب أن ينتظر حتي يحسم العالم الاسلامي أمره، خاصة وأن البيعة قد حررته من التزاماته السابقة التي قطعها علي نفسه. ومع ذلك فلم يكن مركزه في الحجاز مؤكدا، فتأسيس مجالس استشارية من الحجاز ، لتكون عامل مصالحه لم تكن كافية. لقد كان عليه أن يقدم مايقربه من العالم الاسلامي. وطبقا لخطته الأولي، أبرق الملك عبد العزيز في٢٨ أبريل ١٩٢٦، يدعو المسلمين من جديد إلي مؤتمر يعقد في مكة في أول يونية في نفس العام، ولكنه طور الهدف من وراء هذا المؤتمر ليصبح خدمة الاماكن المقدسة، وتأمين مستقبلها، وتنمية وسائل الراحة والخدمة للحجاج.(٨١)

لقد حرص الملك عبد العزيز، بتكرار الدعوة إلي المؤتمر، علي إمتصاص غضب العالم الأسلامي، وبالفعل بدأت بعض الوفود الاسلامية تصل إلي مكة، تلبية للدعوة. ولما كان الملك يقف علي طبيعة توجهات كثير من العناصر

الاسلامية، فقد حرص على الحيلولة دون مناقشة الوفود للقضايا السياسية، بل إنه حذر من التدخل في شئون الحجاز الداخلية[٨٢] ويعني مجرد فرض هذه الشروط المقيّدة لنشاط الوفود أن الملك كان لا يزال قلقا على مركزه، ولكنه – مع ذلك– كان حريصا على الوفاء بالتزاماته تجاه الأماكن المقدسة ، وتحقيق هذه الإلتزامات يستوجب بعض المال، الذي لم يكن من اليسير تدبيره بعيدا عن مساهمة جموع المسلمين. ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء الدعوة إلى المؤتمر.[٨٣]

أما الوفود الإسلامية فقد كانت لها تطلعات أخرى ، هي في معظمها تطلعات سياسية. كان التوجه العام الذي تزعمته الوفود الهندية هو استغلال فرصة المؤتمر للتنديد بالاستعمار البريطاني، الذي يحتل بلادهم، والذي يحاول أن يتدخل في شئون مقدساتهم في الحجاز.[٨٤]

وفي نفس الوقت ، كان لبعض الوفود تطلعات دينية إلى جانب تطلعاتهم السياسية. فقد كان أعداء الوهابيين من مسلمي الهند حريصون على إبراز سلبيات الوجود الوهابي في الحجاز، مذكرين العالم الاسلامي بما جرى من تدمير لقابر الصحابة وآل البيت، وبالتالي التشكيك في ضمان سلامة هذه البلاد تحت حكم الملك عبد العزيز. وإدراكا منه للمخاطر الناجمة عن ذلك التوجه بين الوفود، حرص الملك على منع مناقشة القضايا ذات الطابع الديني. ولكن الملك لم ينج من النقد، طالما أنه كان من المستحيل منع المناقشات حول هذه الموضوعات تماما بين التجمعات الكبيرة من الحجاج. فقد تجرأ أعضاء جمعية الخلافة الهندية، حين عبروا بوضوح وصراحة عن استحالة التعاون بين مسلمي الهند والوهابيين "طالما أنه لا يوجد هندي يقبل باتجاهاتهم وما أسفر عنه

السياسي لمسلمي الهند.

وكان الملك عبد العزيز قد بعث في اكتوبر ١٩٢٥، الي جميع الحكومات والجمعيات الإسلامية، ينفي رغبته في أن يكون "سيدا علي الحجاز"، موضحاأن الحجاز "أمانة" في يديه "حتي الوقت الذي يتمكن فيه الحجازيون من اختيار حاكمهم بأنفسهم". ومما له دلالة في هذه الرسالة إلي الحكومات الإسلامية، ماذكره الملك عبد العزيزمن أن الحاكم المنتخب في الحجاز يجب أن "يحكم تحت إشراف المسلمين". (٧٩)

وحتي أبريل ١٩٢٦، لم يتلق الملك عبد العزيز من زعماء المسلمين غير "ردود مختلطة ليس لها معني"(٨٠)، وما أن يربع ملكا في مطلع العام حتي أعترفت به أربع دول كبري، وبدأ يكسب الشرعية بالتأييد الداخلي والخارجي معا. عندئذ أدرك أن المسئولية تحتم عليه عدم التباطؤ في النهوض بأمن الأماكن المقدسة، ولايجب أن ينتظر حتي يحسم العالم الاسلامي أمره، خاصة وأن البيعة قد حررته من التزاماته السابقة التي قطعها علي نفسه. ومع ذلك فلم يكن مركزه في الحجاز مؤكدا، فتأسيس مجالس استشارية من حجازيين لتكون عامل مصالحة لم تكن كافية. لقد كان عليه أن يعيد مكانته في العالم الاسلامي. وطبقا لخطته الأولي، أعلن الملك عبد العزيز، في ٢٨ أبريل ١٩٢٦ يدعو المسلمين من جديد إلي مؤتمر يعقد في مكة في أول يونية في نفس العام، ولكنه طور الهدف من وراء هذا المؤتمر ليصبح خدمة الاماكن المقدسة، وتأمين مستقبلها، وتنمية وسائل الراحة والخدمة للحجاج.(٨١)

لقد حرص الملك عبد العزيز، بتكرار الدعوة إلي المؤتمر، علي إمتصاص غضب العالم الآسلامي، وبالفعل بدأت بعض الوفود الاسلامية تصل إلي مكة، تلبية للدعوة. ولما كان الملك يقف علي طبيعة توجهات كثير من العناصر

الاسلامية، فقد حرص على الحيلولة دون مناقشة الوفود للقضايا السياسية، بل إنه حذر من التدخل في شئون الحجاز الداخلية[٨٢] ويعني مجرد فرض هذه الشروط المقيّدة لنشاط الوفود أن الملك كان لا يزال قلقا على مركزه، ولكنه – مع ذلك– كان حريصا على الوفاء بالتزاماته تجاه الأماكن المقدسة ، وتحقيق هذه الإلتزامات يستوجب بعض المال، الذى لم يكن من اليسير تدبيره بعيدا عن مساهمة جموع المسلمين ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء الدعوة إلى المؤتمر.[٨٣]

أما الوفود الإسلامية فقد كانت لها تطلعات أخرى ، هي في معظمها تطلعات سياسية. كان التوجه العام الذى تزعمته الوفود الهندية هو استغلال فرصة المؤتمر للتنديد بالاستعمار البريطاني، الذى يحتل بلادهم، والذى يحاول أن يتدخل في شئون مقدساتهم في الحجاز.[٨٤]

وفي نفس الوقت ، كان لبعض الوفود تطلعات دينية إلى جانب تطلعاتهم السياسية. فقد كان أعداء الوهابيين من مسلمي الهند حريصين على إبراز سلبيات الوجود الوهابي في الحجاز، مذكرين العالم الاسلامي بما جرى من تدمير لمقابر الصحابة وآل البيت، وبالتالي التشكيك في ضمان سلامة هذه البلاد تحت حكم الملك عبد العزيز. وإدراكا منه للمخاطر الناجمة عن ذلك التوجه بين الوفود، حرص الملك على منع مناقشة القضايا ذات الطابع الديني. ولكن الملك لم ينج من النقد، طالما أنه كان من المستحيل منع المناقشات حول هذه الموضوعات تماما بين التجمعات الكبيرة من الحجاج. فقد تجرأ أعضاء جمعية الخلافة الهندية، حين عبروا بوضوح وصراحة عن استحالة التعاون بين مسلمي الهند والوهابيين "طالما أنه لا يوجد هندي يقبل باتجاهاتهم وما أسفر عنه

جهلهم.(٨٥)

أما عن الدافع وراء محاولة الملك عبد العزيز منع مناقشة شئون الحجاز الداخلية بين جموع المسلمين،فمرده إلي أن العالم الإسلامي بقي – حتي ذلك الوقت– رافضا الإعتراف بحكم الملك عبد العزيز للحجاز. لقد أدرك كثير من المسلمين ، وخاصه الهنود، أن تصريحات الملك السابقة حول أن "الحجاز للحجازيين" كانت خدعة وتحدى زعيما حركة الخلافة الهندية (محمد وشوكت علي) الملك عبد العزيز، وذكراه بأن ما تحقق له في الحجاز من انتصارات ما كان ليتم لولا تأييد مسلمي الهند. وحين قال الملك عبد العزيز إنه "أخذ الحجاز بالسيف" أجابه محمد علي بطريقة درامية" نعم، ولكننا نستطيع أن نأخذه منك بالمال". ولكن محمد علي تراجع في تصريحاته، وحاول أن يبدو معتدلا حين قال في مناسبة أخري، لو أن الوهابيين كانوا أقل تزمتا" لكان ابن سعود أنسب رجل في نظر مسلمي الهند، لأن لديه طموحات عظيمة".(٨٦)

وعلي العكس من جمعية الخلافة الهندية، وقفت جمعية الحديث الهندية مؤيدة ومساندة للملك عبد العزيز، ولم يكن هؤلاء وحدهم من بين المؤيدين، فقد ناصرتهم عناصر من جاوة، ومن فلسطين ومن سوريا، فضلا عن جمعية الخلافة المصرية.(٨٧)

تبلورت مشاعر المسلمين وميولهم قبيل انعقاد المؤتمر الإسلامي في مكة، خاصة وأن تأجيل عقد المؤتمر، لبعض الوقت، أتاح الفرصة أمام الأعضاء لإجراء مزيد من التشاور، بطريقة غير رسمية، حول مختلف القضايا التي تهم المسلمين. لقد كان الجميع يفكر خارج القاعات بصوت عال، بعيدا عن أية ضغوط سياسية قد تفرضها طبيعة جدول أعمال المؤتمر. ويمكن القول باطمئنان شديد أن الوفود الإسلامية اتفقت –دون خلاف– حول معارضة النفوذ البريطاني

في شبه الجزيرة العربية. واستثمرت العناصر الروسية هذا الجو المعادى لبريطانيا ورفعت شعار " وحدة الشرق"، وساندت الوفود الهندية هذا الشعار، الذي لم يعارضه الملك عبد العزيز، وإن كان قد تمنى لو أن المسلمين لم يهاجموا بريطانيا في بلاده.(٨٨)

وكان شعار "وحدة الشرق" عاما مبهما، ولكن من المؤكد أنه كان موجها ضد بريطانيا، التي كان يعاني من سيطرتها -بمختلف أشكالها- ملايين كثيرة من المسلمين ، ومن بينهم مائة مليون مسلم في الهند وحدها. ومع هذه المواقف المعادية، لم ييأس الملك عبد العزيز من محاولة كسب تأييد جمعية الخلافة الهندية. فشكرا لوساطة جمعية الخلافة المصرية، التي يسرت اللقاءات بين الطرفين، وأعادت العلاقات إلي سابق عهدها. وشكرا لمقترحات الوفد الحجازي في هذا المجال، وهي المقترحات التي كانت تهدف إلي حماية وحدة الإسلام.(٨٩)

وبعد ضمان التأييد المناسب، من الجانب الهندي افتتح الملك عبدالعزيز المؤتمر الاسلامي الأول بمكة في ٧ يونية ١٩٢٦ .وفي خطاب الإفتتاح، الذي قرأه الشيخ حافظ وهبه، عضو جمعية خدام الحرمين الهندية، ومستشار الملك عبدالعزيز، قال الملك:

"لقدمنحنا الله النصر، وساعدنا علي تطهير هذه الأرض المقدسة... ومكننا من الوفاء بوعودنا تجاه المسلمين".(٩٠)

ومن اللافت للنظر أن مسلمي الهند وصلوا إلي مركز قيادي في تشكيل نظام المؤتمر، فقد أختير سليمان الندوي (هندى) نائبا للرئيس ، بينما أسندت الرئاسة إلي شريف شرف عدنان (حجازى). وكان وصول عضو روسى إلي مركز

النائب الأخر للرئيس ، إنذارا حقيقيا بخطر محتمل ضد بريطانيا، التي كان الجميع متفق علي معاداتها وتحديها، ولعل الملك عبد العزيز أراد بهذه الترتيبات -إن كان قد أرادها- أن يخاطب العالم الإسلامي، الذي يتهمه بصداقة بريطانيا، وأن يبين أنه لا يدور في فلكها، بدليل إجراء انتخابات حرة، أوصلت اثنين من العناصر المناوئة لها إلي مراكز قيادية في المؤتمر ،أحدهما هندي والأخر روسي، وأنه لو أراد لهذه القيادات أن تكون من بين العناصر الموالية لبريطانيا لفعل. ولعل هذا الموقف من جانب الملك ، أكد علي حياده في التعامل مع بريطانيا، وساعد علي تحول كثير من الوفود لمناصرته.(٩١)

ولاشك في أن بريطانيا انزعجت كثيرا من ذلك التجمع الاسلامي الضخم، الذي أعلن نفسه منظمة تدعي "مؤتمر العالم الاسلامي"، يعقد سنويا ليناقش أحوال المسلمين وشئونهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية فضلا عن أمن الحجاز وسلامته.(٩٢) وحرصا من جمعية الخلافة الهندية علي تحقيق تطلعات المسلمين من خلال "مؤتمر العالم الاسلامي"، لقد محمد علي أنظار المؤتمرين إلي إحتمال فشل الأعضاء في الوصول إلي مكة، بسبب معوقات قد تضعها بريطانيا في طريقهم. وكان محمد علي يعتقد، منذ عام ١٩١٠، في أن بريطانيا هي العدو الأول للإسلام، ويقول إنها هي التي "أذلت الهند ومصر وكثيرا من بلاد المسلمين".(٩٣)

وبناء علي توجيهات محمد علي للمؤتمرين، قرر المؤتمر عقد جلساته -في حالةالضرورة- في أي بلد إسلامي حر، إذا لم يتمكن من عقده في الحجاز. ويبدو أن محمد علي لم يُفوّت فرصة واحدة للهجوم علي بريطانيا، وبيان سياتها تجاه المسلمين، فاندفع متحمسا للدعوة إلي فكرة تحرير شبه الجزيرة

العربية، التي تعني في نظره كل البلدان العربية الآسيوية من النفوذ الأجنبي، وأعلن عن استعداده الشخصي لتحمل مسئولية تحرير عدن من النفوذ البريطاني (٩٤)

وبالرغم من فصاحة محمد علي -الذي كان له " قلب نابليون ولسان بيرك Burke وقلم ماكاولي McCaulay"، وهو خريج جامعتي عليكرة(البريطانية في الهند) وأكسفورد ، وهو الذى كان يعشق الحرية- فإنه لم يستطع أن يحرر بلاده أصلا. فقد قال قبيل وفاته ببضعة أسابيع موجها خطابه للانجليز"...إنني أريد أن أعود إلي بلدي ... وفي يدي جسم الحرية ومادتها، وإلا فلن أعود إلي بلد مستعبد، إنني أفضل أن أعيش في بلد أجنبي، ما دام حرا، ولئن لم تعطونا الحرية في الهند، فإن عليكم أن تعطوني قبرا هنا".(٩٥) وحين مات محمد علي عن ٤٣عاما، لم يدفن في الهند المستعمرة البريطانية، ولا في بريطانيا الحرة، و إنما دفن بالمسجد الأقصي.

وحين ناقش مؤتمر مكة الإسلامي مسألة التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في الحجاز، اقترح مسلمو الهند ضرورة أن يكون ممثلو الدول جميعا من المسلمين، مؤكدين أن بريطانيا تستطيع أن تدبر ممثلا دبلوماسيا مسلما من بين المسلمين ذوي الكفاية. وعلق محمد علي علي ذلك ساخرا"إن بريطانيا العظمي التي تجد مسلمين هنوداً حكاما للأقاليم(في الهند) ووزراء للاجتماعات، لاتجد ممثلا مسلما لها في الحجاز، وتلوث الأرض المقدسة بحضور غير المسلمين".(٩٦)

صحيح أن محمدعلي لم يوفق إلي تحقيق أي من طموحاته، سواء فيما يتعلق بتحرير الهند، أو بتحرير شبه الجزيرة العربية، أو بفرض نص صريح يشترط ضرورة أن يكون ممثلو الدول الأجنبية في الحجازمن بين المسلمين. وكان غاضبا لرد الفعل الباهت والمواقف الضعيفة للوفود الإسلامية. وربما يرجع فشل محمدعلي إلي أن الملك عبدالعزيز قد فرض قيوداً علي الموضوعات ذات الطبيعة السياسية، وربما لأن تطلعاته كانت أكبر مما يحتمل التنفيذ في هذه

الظروف.

قال سردار إقبال علي شاه، الهندي الذي حضر المؤتمر بصفة شخصية، إن بعد نظر الملك عبدالعزيز، مكنه من إدراك أهمية الدعوة إلي مثل هذا المؤتمر سنويا، وتمكن بذلك من توظيف هذا الجمع الإسلامي في التأثير علي أكثر من مائة مليون مسلم يعيشون تحت العلم البريطاني في الهند وحدها، إضافة إلي ١٥٠ مليون مسلم في البلدان الأخري.(٩٧) لقد أراد إقبال أن يقول إن مركز الملك عبدالعزيز قد ازداد قوة، وأن المؤتمر حقق له النتائج التي كان يسعي من أجلها لتثبيت وجوده في الحجاز، وأن مائتين وخمسين مليون مسلم، أصبحوا الآن من مؤيدي الوجود السعودي في الحجاز، ويمكن للملك عبدالعزيز أن يستخدمهم- لو أراد- في الضغط علي أوربا.

وعلق محمد إقبال في كتابه"نشأة المملكة العربية السعودية" علي الانجازات التي تحققت للملك عبد العزيز نتيجة لعقد المؤتمر الاسلامي الأول في مكة، بقوله:

"لقد تركت الوفود الاسلامية الحجاز إلي الملك الجديد ليحكم فيه طبقا للقرآن والسنة، وليقيم الحدود التي فرضها الله في كل مكان من بلاده الواسعة، حيث يحكم بالعدل في هدوء وسلام".(٩٨)

لقد نجح الملك عبدالعزيز في أن يهزم التطلعات السياسية لمسلمي الهند، وأن يخيب الآمال التي غذاها وغاها أعضاء الوفود الهندية، من أجل استخدام المؤتمر لإقامة" الحجاز الإسلامي العالمي"International Islamic Hejaz أو علي الأقل إقامة"الحجاز الديمقراطي"Democratic Hejaz وحين أدركت الوفود الإسلامية عدم قدرتها علي تحقيق أي من هذه الآمال، سلمت بالأمر

الواقع، واعترفت بعبدالعزيز آل سعود ملكا علي الحجاز، بل إن بعض الوفود كانت تناديه بـ"الملك" منذ البداية. ولعل محمد علي كان أول من نادي بهذا اللقب، وتسبب ذلك في حدوث حالة من الاضطراب بين أعضاء المؤتمر، احتجاجا. ولكن مع نهاية المؤتمر اكتسب عبدالعزيز آل سعود الشرعية الكاملة بتأييد غير مباشر من ممثلي العالم الاسلامي.(٩٩)

يقول تويني: "لقد أثبت المؤتمر الاسلامي بمكة نجاحا علي عكس ماهو متوقع. ومع ذلك بقي الوجود الوهابي في الحجاز يقلق بعض المسلمين، ويعوق جهود أولئك الذين كانوا يعملون من أجل التضامن الإسلامي"(١٠٠) لقد كانت هذه الخلاصة لتوينبي صحيحة إلي حد كبير، فقد عادت الوفود الهندية إلي بلادها لتعبر عن غضبها، لا لأن عبدالعزيز آل سعود اكتسب شرعية كونه ملكا علي الحجاز، وإنما لأن جميع الوفود الإسلامية فشلت في الحيلولة دون ذلك.

هكذا دار الفكر السياسي لمسلمي الهند حول قضية الهوية القومية، التي تعني بإبراز ملامح شخصيتهم السياسية وبلورتها علي أرض الهند، من خلال زاد سياسي يمكنهم الحصول عليه بالارتباط بالدائرة السياسية الأوسع، ممثلة في حركة الجامعة الاسلامية في مرحلة، وفي دولة الخلافة العثمانية في اخري، وفي المشاركة في إقرار أوضاع الأراضي المقدسة في الحجاز في ثالثة.

ولعل من أهم الأفكار السياسية التي صاغها مسلمو الهند، أو شاركوا في صياغتها، أو أيدوها، مايلي:

١ - المطالبة بتحرير شبه القارة الهندية.

٢ - العمل على إنشاء وطن قومي خاص بهم علي جزء من شبه القارة الهندية.

٣ - الارتباط بحركة الجامعة الاسلامية.

٤ - محاولة الارتباط بدولة الخلافة العثمانية،

٥ - ترديد شعار "وحدة الشرق"

٦ - السعي للحكم في الحجاز أو المشاركة في تقرير مصيره،

٧ - المطالبة بتحرير شبه الجزيرة العربية،

٨ - المناداة بأحقية التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في الحجاز،

لقد وظف مسلمو الهند هذه الأفكار لخدمة قضية هويتهم القومية، فلم يوفقوا. ولعل تجربتهم تستحق التأمل في مراحلها الثلاث، وخاصة مرحلة الحجاز، لأنها المرحلة الوحيدة التي شاركت فيها عناصر إسلامية من مختلف المستويات الفكرية، والطبقات الاجتماعية، وكان لفشلها صدى عنيف، جعل مسلمي الهند ينكفئون على أنفسهم، يادئين من جديد رحلة البحث عن هوية. ولم يكن قد بقي بينهم وبين تحقيق الهدف غير مسافة زمنية طولها عشرين عاما. ففي عام ١٩٤٧ استقلت الهند وأقيم على بعض أجزائها كيان سياسي يشبع الطموحات القومية لمعظم المسلمين فيها.

الحواشي

١ - عبد المنعم النمر، *كفاح المسلمين في تحرير الهند* (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٦٤)، ص ١٢١، ١٢٢

٢ - شريف الدين بيرزاده، *نشأة باكستان*، تعريب: عادل صلاحي (جدة: الدار السعودية للنشر، ١٩٦٩) ص ٦٤ - ٦٧؛ إحسن حقي، *باكستان، ماضيها وحاضرها*، (بيروت: دار النفائس، ١٩٧٣)، ص ١٧٧ .

٣ - جمال محمود حجر، *بريطانيا والنشاط السوفيتي في الحجاز، ١٩٢٤ - ١٩٣٨*، (الدوحة: دار الثقافة، ١٩٨٨)، ص ٥٥ - ١١١.

٤ - *المرجع السابق*، ص ٦٧ ومابعدها.

٥ - حسن إبراهيم حسن، تقديم كتاب: محمد حسن الأعظمي، *حقائق عن باكستان* (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر د. ت). ص ١٥ - ٢١

٦ - *المرجع السابق*، نفس التقديم.

٧ - عبد المنعم النمر، *مرجع سابق*، ص ٥٢،٥٣.

٨ - *المرجع السابق*، ص ٥٩ ، ٦٠ .

٩ - شريف الدين بيرزاده، ، *مرجع سابق*، ص٨٩.

١٠ - عبدالمنعم النمر، *مرجع سابق*، ص ٦٠ .

١١ - مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٥٥ .

١٢ - مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٥٦ .

١٣ - انظر: خليل عبدالحميد عبدالعال، جوانب من *التراث الهندي الاسلامي الحديث*، (الاسكندرية: مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٧٩)، الفصلين الرابع والخامس

١٤ - مقتبس في: شريف الدين بيرزاده، مرجع سابق، ص ٦٩، ٧٠ .

١٥ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٧٧، ٧٨ .

١٦ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٨٠ .

١٧ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق ، ص٦٢ .

18 - Hodgson, G.S., *The Gunpowder Empires and Modern Times*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1974) p.332.

١٩ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٧١ .

٢٠ - انظر: شريف الدين بيرزاده مرجع سابق، ص ٩٠ - ٩٥ .

٢١ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٧٣ .

٢٢ - انظر: المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٧ .

٢٣ - محمد حسن الأعظمي، *نبي الهند وقصة الباكستان*، (القاهرة، دار الفكر العربي، د . ت) ، ص ٣١٨ .

٢٤ - انظر: محمد حسن الأعظمي، حقائق عن باكستان،(القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د . ت) ،ص ٧٩؛ إحسان حقي، *باكستان، ماضيها وحاضرها*،(بيروت: دار النفائس، ١٩٧٣)،ص١٧٩ .

25 - Hodgson, *op.cit.*, p.342;

محمد حسن الأعظمي، *حقائق عن باكستان*، ص ٣٢، ٧٩، ٨٠.

٢٦ – مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (بيروت: دار العربية، د. ت.)، ص٢٢٨.

27 - Hodgson,*op.cit.,p.* 341;

انظر أيضا: *مرافعة مولانا محمد علي في محاكمة كراتشي سنة ١٩٢١*، (بيروت: دار لبنان، ١٩٦٦)، ص٢٧.

28 - Hodgson,*op. cit.,p.*343;

29 - *Ibid.* p. 339.

٣٠ – عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٩٣.

31 - Hodgson,*op.cit.*, p. 341.

32 - *Ibid.* p. 342;

محمد حسن الأعظمي، حقائق عن باكستان، ص ٨٠

33 - Hodgson, *op. cit.*, p.342 - 345.

٣٤ – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط ٧، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧)، ص ٦٩٥

٣٥ – مسعود الندوي، مرجع سابق، ص٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤١.

٣٦ – كلمات مولانا أبي الكلام آزاد الذي سجنته الحكومة البريطانية في عام ١٩٢١، مقتبسة في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص١٢٦.

١٣ - انظر: خليل عبدالحميد عبدالعال، *جوانب من التراث الهندي الاسلامي الحديث*، (الاسكندرية: مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٧٩)، الفصلين الرابع والخامس

١٤ - مقتبس في: شريف الدين بيرزاده، مرجع *سابق*، ص ٦٩، ٧٠ .

١٥ - مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٧٧، ٧٨ .

١٦ - مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٨٠ .

١٧ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق ، ص٦٢ .

18 - Hodgson, G.S., *The Gunpowder Empires and Modern Times*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1974) p.332.

١٩ - مقتبس في: عبد النعم النمر، مرجع سابق، ص ٧١ .

٢٠ - انظر: شريف الدين بيرزاده مرجع سابق، ص ٩٠ - ٩٥ .

٢١ - مقتبس في: عبد النعم النمر، مرجع سابق، ص ٧٣ .

٢٢ - انظر: *المرجع السابق*، ص ٧٥ - ٧٧ .

محمد حسن الأعظمي، حقائق عن باكستان، ص ٣٢، ٧٩، ٨٠

٢٦ - مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (بيروت: دار العربية، د. ت.)، ص٢٢٨.

27 - Hodgson,*op.cit.,p.* 341;

انظر أيضا: *مرافعة مولانا محمد علي في محاكمة كراتشي سنة ١٩٣١*، (بيروت: دار لبنان، ١٩٦٦)، ص٢٧.

28 - Hodgson,*op. cit.,p.*343;

25 - Hodgson, *op.c*

ن، (القاهرة: دار الفكر

ستان،(القاهرة: الدار

حسان حقي، باكستان،

١٧٩.

٣٧ – شريف الدين بيرزاده، مرجع سابق، ص ١٣١ .

٣٨ – انظر: جمال محمود حجر، "المد والجزر في السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية: ٢ – بريطانيا بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين ١٩١٥ – ١٩٢٠"، *مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية*، جامعة قطر، العدد الثاني (١٩٩٠) .

٣٩ – انظر : جمال محمود حجر ، "مشروع جور لإعادة تنظيم الإدارة البريطانية في الشرق الأوسط عام ١٩٢٠" في كتاب المؤلف :

القوي الكبري والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، (الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩)، ص ١٥٩ومابعدها.

٤٠ – انظر: جمال محمود حجر، *بريطانيا والنشاط السوفيتي في الحجاز ١٩٢٤ – ١٩٣٨*، ، ص ١٩ – ٣٨ .

٤١ – طالب محمد وهيم، *مملكة الحجاز ١٩١٦ – ١٩٢٥ ، دراسة في الأوضاع السياسية*، (مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة،١٩٨٣)، ص ٣٤٣ .

٤٢ – أمين الريحاني، *تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها*،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)، ص ٣٢٦.

٤٣ – مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٣٢٦.

٤٤ – *المرجع السابق*، ص ٣٢٧.

٤٥ – انظر: جمال محمود حجر،"نهاية الامتيازات الأجنبية في الحجاز ١٩٢٦

- ١٩٢٧ في كتاب المؤلف: *القرى الكبرى والشرق الأوسط في القرن التاسع عشر والعشرين*، الفصل السابع.

٤٦ - طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٤٥ .

٤٧ - عبد الله فيلبي، *تاريخ نجد، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية*، تعريب: عمر الديراوي(بيروت: المكتبة الأهلية، د. ت.) ص٣٣٥ - ٣٣٦.

٤٨ - أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٣١ - ٣٣٥ .

٤٩ - عبد الله فيلبي، مرجع سابق، ص٣٣٦؛ طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٤٨ .

٥٠ - انظر: الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٣٦، ٣٣٧؛ فيلبي، مرجع سابق، ص ٣٣٦؛ طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص٣٤٩ .

51 - Toynbee, *A. Survey of International Affairs 1925,(London,*1927) pp.81-90.

٥٢ - طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٥٩ .

٥٣ - انظر: *أم القرى*، ٨، ٢٢ يناير ١٩٢٥، أحمد عبدالغفور عطار، *صقر الجزيرة*، (بيروت، مطبعة الحرية، ١٩٧٢)، ص ٨٩٦ - ٩٠٧ .

٥٤ - الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٥٤ .

٥٥ - مقتبس في: طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٧٠ .

٥٦ - *أم القرى*، ٢٧ فبراير ١٩٢٥ .

57 -Toynbee, A, *Survey of International Affairs 1925*, pp,305,306.

58 - *Ibid.pp.* 306, 307.

٥٩ – الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٦٩ .

60 - Jordan(Jeddah) to Chamberlain(London) 11 Aug. 1926, E 5064 / 20/ 91, F. O. 371/11433; Philby, J., Saudi Arabia(London: Ernest Benn1955), p.300;

المنار، مجلد ٢٧ ، ص ١٥ .

٦١ – مقتبس في: الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٧٠ .

62 - Jeddah Report , Dec 1925, F.O. 371/11442;

الريحاني، مرجع سابق، ٤٢٣ – ٤٢٦

٦٣ – مقتبس في : الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٦٦ .

٦٤ – انظر: *المرجع السابق*، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

65 - Jordan to Chamberlain, 28 Dec. 1925, F.O. 371/11432

66 - King Ali to Jordan, 14 Dec. 1925, E 363/11/91, F.O. 371/11432.

67 - Toynbee, *op,cit.*, p. 309; Jordan to Ibn Saud, 6 Dec. 1925, E367/11/91, F.O. 371/11432,

أم القرى، ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥، أحمد عبد الغفور عطار،

صقر الجزيرة، ص ٨٧٩، ٨٨٣ .

68 - Ibn Saud to Jordan, 17 Dec. 1925, E 363/11/91, F . O. 371/11432.

69 - Ibn Saud to Jordan, 18 Dec. 1925; King Ali to Jordan, 19 Dec. 1925, E 363/11/91, F . O. 371/11432.

٧٠ – أم القرى، ١٥و ٢٢ يناير ١٩٢٦ .

71 - Jeddah Report, Jan. 1926, F . O. 371/11442.

72 - Jeddah Report, Feb. 1926, F . O. 371/11442.

73 - Jeddah Report, March 1926, F . O. 371/11442.

74 - *Indian Daily Telegraph*, 15 June 1926.

75 - *Ibid.*

76 - The Nawab of Rumpur to the Viceroy, 21 June 1926, No. P 2433, F .O . 371/11433.

77 - The Viceroy to the Nawab of Rumpur, 24 June 1926, No. 552, F . O. 371/11433.

78 - Jordan to F . O., 8 June 1926, E3556/20/91, F. O. 371/ 11433.

79 - Toynbee, *Survey of International Affairs 1925*, pp. 308, 309; Jeddah Report, April 1926 F .O. 371/11442.

٨٠ – احمد عبد الغفور عطار ، مرجع سابق، ص ٨٩٦ – ٩٠٢ .

-81 - Jeddah Report, April 1926, F . O. 371/11442; *Revue du Monde Musulman*, Vol. 54 (1926) p. 12;

المنار، مجلد٢٦(١٩٢٦، ١٩٢٧) ص ١٩٥، ومجلد ٢٩ (١٩٢٨، ١٩٢٩)،ص ١٦٧ – ١٧٣ .

82 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, E 4186/20/91, F . O. 371/11433;

أم القرى، ١٤، ٢١، ٢٨ مايو ١٩٢٦ .

83 - A Statement by Sir A. Chamberlain to the Imperial conference. 20 oct. 1926, *Documents on British*

Foreign Policy 1919- 1939 (Series IA, II, 1968)pp. 919-958 .

84 - *The Times*, 21 July 1926.

85 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, E 4186/ 20191, F . O. 371/11433;

وحول مشاركة بعض المسلمين للهنود في هذا الإتجاه انظر: *أم القرى*، ٣٠ أبريل، ٢٨ مايو ١٩٢٦ .

٨٦ – *أم القرى*، ٥ يونية ١٩٢٦، المنار مجلد٢٩ (١٩٢٨ – ١٩٢٩)، ص ١٦٣ .

87 - *The Times*, 21 July 1926 .

٨٨ – جمال محمود حجر، بريطانيا والنشاط السوفيتي في الحجاز ١٩٢٤ – ١٩٣٨، ص ٨٥ .

89 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, *loc. cit.*

٩٠ – انظر نص الخطاب في *أم القرى* ١١ يونيه ١٩٢٦ .

٩١ – جمال محمود حجر، *بريطانيا والنشاط السوفيتي في الحجاز* ١٩٢٤ – ١٩٣٨، ص ٨٨ .

٩٢ – انظر المواد ١ ، ٢ ، ٣ عن طبيعة المؤتمر الاسلامي في :

Revue du Monde Musulman, Vol. 64 (1926) p. 213.

93 - Niemeijer, A . C., *The khilafat Movement in India 1919- 1924*(The Hague, 1972) p. 110.

94 - Jordan to Chamberlain, 28 July 1926, E 2921/20/91, F .O. 371/ 11433.

٩٥ – شريف الدين بيرزادة، نشأة باكستان، ص ١٣١ .

96 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, *loc. cit.*

97 - *The Times*, 11 Aug. 1926.

98 - Iqbal, M., *Emergence of Saudi Arabia: A Political Study of King Abd Al - Aziz Ibn saud* 1901 - 1953 (Sringar, 1977), p.204.

99 - Jordan's Report on the Conference, 23 June 1926, loc.cit.

100 - Toynbee, *Survey of International Affairs 1925, p. 319 .*

«السجون فى مصر الفرعونية»

دكتور/ أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم المساعد

قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

«ثُمَّ بَدَا لَهُم مِن بَعدِ ما رأوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِين»

صدق الله العظيم

(سورة يوسف الآية ٣٥)

يرتبط مفهوم الجريمة والعقاب والجزاء في أي مجتمع إنساني بعدة عوامل تحدد طبيعة الجرم والعقاب المناسب له. ومن هذه العوامل، العادات والتقاليد والأخلاق والمعتقدات الدينية وكذلك اتجاه الحاكم وفلسفته في إدارة وتنظيم الحكم.

وكان لعمق الشعور الديني عند المصري القديم أثره الكبير في طبيعة العقوبات، فقد نظر المصريون إلى فكرة العقاب بنظر راق، فلم يوجد أثر للإنتقام الشخصي في عقوباتهم منذ أقدم العصور، وكان على المصري أن يمتنع عن العقاب الشخصي وكذلك كان عليه أن يمنع غيره من الإقدام عليه.

ومما قد يشير إلى ذلك ما ذكره ديودور الصقلي [1] وجاء فيه، أن كهان منف قد أخبروه بأن الإلهه إيزيس وضعت لأجدادهم القوانين حتى يحل عمل العدالة المنظم من شخص لآخر، وتؤدي إلى الإحجام عن الأعمال غير القانونية والقوة الغشومة خشية العقاب.

وعرف المجتمع المصري القديم صورا مختلفة للعقاب، فإلى جانب عقوبة الإعدام، كانت هناك العقوبات البدنية كالجلد وجدع الأنف وقطع الأذنين، والعقوبات المالية كالغرامة والمصادرة، وذلك فضلاً عن العقوبات السالبة للحرية مثل النفي والسجن.

وسأتناول في هذا البحث ما يتصل بالسجون في مصر الفرعونية وذلك حسب الخطة الآتية:-

أولاً: الألفاظ الدالة على السجن.

ثانياً: الألفاظ الدالة على السجين أو المقيدة حريته.

ثالثاً: إدارة السجون.

رابعاً: طبيعة السجون وأنواعها.

---

(١) Diodorus of Sicily . with an English translation by C.H., Oldfather. vol.1, London. 1960, no.14. p.49.

أولا: الألفاظ الدالة على السجن

عبر المصرى القديم عن السجن بعدة مفردات وظهر ذلك بشكل واضح منذ عصر الدولة الوسطى، حيث لم يكشف عن مفردات تشير إلى السجن فى عصر الدولة القديمة، وظهرت إشارات قليلة فى العصر المتوسط الأول، واستمر استخدام بعض هذه المفردات خلال عصر الدولة الحديثة بالإضافة الى ظهور مفردات جديدة، وسنتناول هذه المفردات فيما يلى:

١- 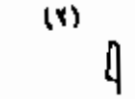 (١) var 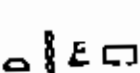 (٢)

ỉtḥ

بدأ استخدامها منذ العصر المتوسط الأول، ويبدو أنها مشتقة من أصل

---

(١) Wb.,I,148., Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, Oxford, 1982, U:31, p.519., p.556., Faulkner, R.O., Aconcise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1976, p. 34., Meeks, D., Annee Lexicographique, t.,1, Paris, 1980, p.51 (77.0517.).

(٢) Lesko, L.H., A Dictionary of Late Egyptian, vol.I, U.S.A., 1982,p.61., Peet, T.E., "The Great Tomb-robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty", in J.E.A., vol. 11(1925), pl.7, IV 5.

يلاحظ هنا أنه كثيرا ما استبدل المخصص بالمخصص . انظر: Wb., III, p. 295 ، ويذكر جاردنر أنه من الأمثلة التى استبدل فيها المخصص فى الخط الهيروغليفى بمخصص الأنف أو الكلمة *ssnt* التى تفيد معنى «نسمة» أو «نفس». انظر: Gardiner, A.H.,op.cit., U.31, p.519

وتجدر الإشارة الى ان هذين المخصصين قد استخدما فى معظم الاسماء التى تشير الى السجن. وفيما يتصل بالأنف فقد استخدمت كمخصص كذلك فى كلمة *tpt* التى تفيد معنى استنشق. كما ورد فى بعض النصوص ما يشير إلى أهمية التعبير عن الأنف كوسيلة لإستمرار حياة الانسان عن طريق التنفس، ومنها ما جاء فى قصة سنوهى «يعطى الحياة أو يتنفس من فتحة أنفه من الملك». انظر:

Lefebvre, G., Tableau des Parties du Corps Humain Mentionnees par les Egyptians, Supplement aux ASAE, Cahier no.17. le Caire, 1952, p.19. =

يتضمن تصور عن «الحجز» أو «التحفظ»[1] وكانت تفيد في إشاراتها المبكرة معنى «حصن» أو «مكان محصن»[2] وترجع أولى الإشارات التي وردت فيها كلمة ỉtḥ بمعنى «سجن» إلى العصر المتوسط الأول، وظهر ذلك في لوحة موجودة في متحف بروكلين تحمل رقم 1.39 حيث سجل عليها اللقب *ỉmy-r ỉtḥ* [3] الذي يفيد معنى «المشرف على السجن».

ولقد وردت هذه الكلمة في بردية Anastasi VI ، وهي محفوظه في

= ومنها كذلك ما سطر على جدران مقبرة الوزير رخمي رع، وجاء فيها: «نسيم الشمال العليل من أجل أنفك، والهواء لفتحة أنفك».

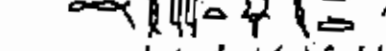

mḥyt nḏnt (n) fnḏ·k ṯ3w n šrt·k انظر: vrk., IV, 1166, 1.

وقد يستدل من ذلك أن استخدام الأنف كمخصص في الكلمة التي تشير إلى السجن إلى أهمية الأنف في استمرار الحياة، ونظرا لطبيعة السجن المقيدة لحرية الإنسان، فإن استخدام الأنف فيها كمخصص يدل على حبس حياة الانسان وتقييد حريته.

أما بالنسبة للعلامة ، فقد تشكك جاردنر فيما تشير إليه، وإن رأى أنها أداة تستخدم في عملية صنع الخبز، وربما كان ذلك راجعا إلى أنها قد استخدمت كمخصص في كلمة

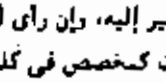
nḫty التي تفيد معنى «خباز». انظر:

Gardiner, A.H., op. cit., U.31, p. 519.

أما عن سبب استخدامها كبديل لمخصص الأنف في المفردات التي تشير إلى السجن، فمن الصعوبة بمكان معرفة مدلولها، وإن كان يظن - اعتمادا على ما ذكره جاردنر أنها أداة تستخدم في عملية الخبيز - أنها في هذه الحالة كانت تحمى في النار، ومن ثم فقد تكون قد استخدمت كأداة في عقاب المسجونين، وإن كان ذلك لا يمنع من إفتراض أنها قد استخدمت كأداة في تقييد حرية المساجين في السجن أو كبح جماحهم، ومما قد يرجح الراي الأخير أن علامة قد جاءت في بعض الأفعال في اللغة المصرية مثل 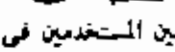 و 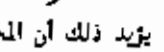
ḫnti *rtḥ*
وهي تفيد معنى بضبط أو بكبح، وقد يؤيد ذلك أن المخصصين المستخدمين في هاتين الكلمتين وهما و من المخصصات التي تعبر عن القوة.

(١) Wb., 1, 148, 12 ff.

(٢) Wb., 1, 148, 25.

(٣) Hayes, W.C., A Papyrus of The Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum [Papyrus Brooklyn 35.1446], Brooklyn, 1972, p.42

المتحف البريطانى تحت رقم ١٠٢٤٥، وقام بكتابتها الكاتب «إنناء» فى عهد الفرعون سيتى الثانى مرنبتاح (١٢١٤ - ١٢٠٨ ق.م).وقد جاء فيها[١]:-

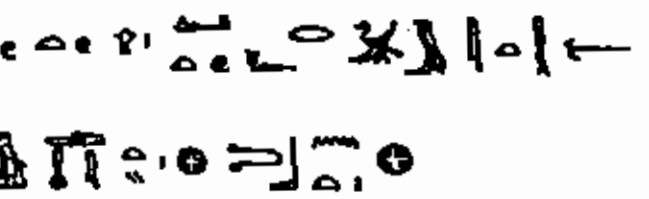

ḥm.tw ḥr dit.f r p3 iḫ m dmi (bn (t)

ولقد وضع فى السجن فى مدينة دبن»(٢).

كما ورد كذلك فى بردية Lansing المحفوظه فى المتحف البريطانى تحت

---

(١) Gardiner, A.H., Late Egyptian Miscellanies, Bruxelles, 1937,VII,2,2,p.73

(٢) يرى جوتييه H. Gauthier انها مدينة فى شرق الدلتا، ربما تكون تل دفنه التى ورد ذكرها فى كتابات الجغرافيين الإغريق والرومان وتوجد حاليا فى مركز فاقوس محافظة الشرقية Gauthier, H., Dictionnair des Noms Geographiques contenus dans les Textes Hieroglyphiques, T. 6. Osnabruck, 1975, p 73.

ويرى نفس الرأى كل من مونتييه وكيس، انظر :

Montet, P., La Geographie de L'Egypte ancienne, I, To-mehu, La Basse Egypte, Paris, 1957, pp. 191-192.,

Kees, H., Ancient Egypt, Acultural Topography, London, 1961, p. 207.

Ỉb-nỉr ولن كان جاردنر يرى أن تبن يمكن أن تكون تب نتر سيبينتيوس Sebennytes الاقليم الثانى عشر فى مصر السفلى وهى مسنود الحالية. انظر:

Gardiner, A.H., "Ramesside Texts on Taxation, Etc., of Corn", in J.E.A., vol., 27, p. 58, no. 2., Ancient Egyptian onomastica, vol. II, Oxford, 1947,195*.

بينما ذكر R.A. Caminos انها مدينة فى الدلتا لا يمكن تحديد موقعها بالضبط، انظر Caminos, R.A., Late Egyptian Miscellanies, London, 1954, p.283,no.10.

وتجدر الاشارة الى أنها قد وردت فى نبوءة أرميا ك "تحفنحيس" (ارميا ٧:٤٣، ٨، ٩، ١:٤٤، ١٤:٤٦). ووردت بنفس الاسم فى نبوءة حزقيال (١٨:٣٠). وورد فى قاموس الكتاب المقدس أنها تل دفنه الواقعة على بعد عشرة أميال غربى القنطرة. أنظر: قاموس الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٨١، ص٢١٢.

رقم ٩٩٩٤ وهى ترجع إلى أواخر الأسرة العشرين، وقام بكتابتها الكاتب Wn - m - dl - Imn وذلك من أجل سيده «نب ما عت رع نخت» الذى كان يشغل وظيفة «المشرف على قطيع آمون رع»، ويرجح من ذلك أن المكان الذى سجلت فيه هذه البردية كان طيبة.

وقد وردت كلمة ỉtḥ فى هذه البردية فى الجملة الآتية(١):

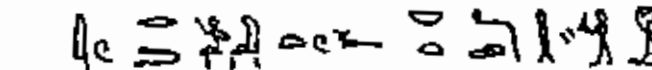

nbt ḏḏḥ(w) m ỉtḥ

والتى تفيد «إن كل أهله محبوس فى السجن»(٢).

٢- ومن أكثر المفردات التى استخدمت لتشير إلى السجن كلمة ḫnr.t وقد كتبت فى عصر الدولة الوسطى على النحو الآتى:

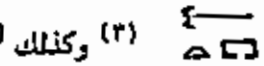 (٣) وكذلك (٤)

ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشرة، كتبت بالاشكال الآتية(٥)، وذلك بالإضافة إلى الأشكال السابقة:

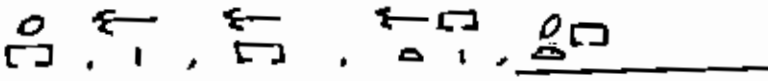

(١) Gardiner, A.H., Late Egyptian Miscellanies, X,10,7,p. 109.

(٢) Blackman, A.M., and Peet, T.E.,"Papyrus Lansing: A translation with notes", in J.E.A., vol.11, (1925), p. 293.

(٣) Faulkner, R.O., op. cit., p. 193

(٤) Wb., III, 296

ويلاحظ أن جاردنر قد كتب دلالتها الصوتية بـ ḫnt ورأى أنها تعادل ḫnrt

انظر :

Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, p. 146.

وكذلك فولكنر :

Faulkner, R.O., "Notes on the Admonitions of An Egyptian Sage", in J.E.A., vol. 50 (1964), p. 30.

(٥) Wb., III., 296-297.

ويرجح أن تكون كلمة ḫnr.t مشتقة من الكلمة ḫnr التى تعنى مكان تقييد الحرية[1] أو المكان المغلق غير المصرح بدخوله وقد كتبت فيما بعد 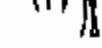 ḫni[2] ووردت كلمة ḫnrt أيضا بالإضافة إلى العلامات السابقة بعلامات أخرى مثل 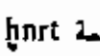 [3]

ومن النصوص التى وردت فيها كلمة ḫnrt وذلك في شكل فى عصر الدولة الوسطى ما سجل على الجدار الأيمن للحجرة الداخلية فى مقبرة تحوت حتب حاكم الأشمونين الذى عاصر حكم الملوك امنمحات الثانى (١٩٢٩-١٨٩٥) وسنوسرت الثانى (١٨٩٧-١٨٧٧) وسنوسرت الثالث (١٨٧٨-١٨٤٣) حيث ذكر أن أحد موظفيه ويدعى «نخت» قد أخذ لقب المشرف على السجن، وقد جاء فيه[4] :

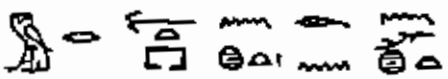

imy-r ḫnrt Nḫt ir n Nḫt

«المشرف على السجن «نخت» إبن (حرفياً: المولود لـ) «نخت»

وظهرت الكلمة ḫnrt بالشكل على تابوت أوخ حتب الخشبى الذى عثر عليه فى مير (غربى قرية «صنبو» فيما بين القوصيه وديروط بمحافظة أسيوط)، ويرجع إلى عصر الدولة الوسطى، حيث وردت عليه كلمة

---

(١) Gardiner, A.H., op. cit., p. 201

(٢) Lesko, L.H., A Dictionary of Late Egyptian, vol. II, U.S.A., 1984 p;. 183., Černy, J., "The will of Naunakhte and Related Documents", in J.E.A., 31 (1945), p. 36.

(٣) Lesko, L.H., op. cit., p. 184.

(٤) Newberry, P.E., EL Bersheh, Part I, (The Tomb of Tehuti-Hetep), London, 1892, pl. xxvii.

ḫnrt ثلاث مرات[1]:

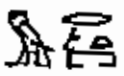

imy-r ḫnrt Wḥ-ḥtp

«المشرف على السجن أو خ حنب»

وفى عصر الدولة الحديثة ظهر الاسم ḫnrt بالشكل وذلك فى نصوص تحوتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) الحربية الخاصة بحصارة لمدينة مجدو والمسجلة فى الصرح السابع، بمعابد آمون رع فى الكرنك، وذلك على النحو الآتى[2]:

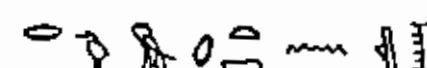

rdw m ḫnrk n kdt.sn

«(لقد) وضعوا فى سجن من بنائهم (بنوه)»

وورد نفس الشكل أيضا فى نصوص تحوتمس الثالث المسجلة على الصرح السادس بمعابد آمون رع فى الكرنك والخاصة بحصارة لمدينة مجدو، حيث جاء فى العبارة الآتية[3]:

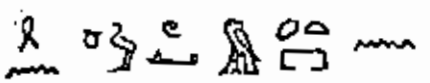

ỉsn niw m ḫnrt n kd·sn

«(لقد) حوصروا ووضعوا فى سجن من بنائهم (بنوه)»

---

(١) يوجد حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة، ويبلغ طوله ١٨٩سم، وارتفاعه ٤٧,٥سم، وارتفاع النطاء ٧سم، ويحمل رقم ٢٨٠٤٠، انظر :

Lacau, P., Sarcophages, (C.G.C) vol. I, (28001-28086), Le Caire, 1904, pp. 126,129,131.

(٢) Urk., IV (Sethe, K., Urkunden Der 18. Dynestie, Berlin, 1961), 184.

(٣) Ibid., 758,16.

وورد الشكل فى النصوص التى ترجع إلى عهد تحوتمس الثالث وذلك فى المراسيم الموجهة إلى الوزراء لتحدد أعمالهم، فقد جاء فيما يتصل بالتعليمات القضائية ما يلى[1] :-

ḫbnty wnn(w) m ḫnrt wr

«المذنب الكائن فى السجن الكبير»

وورد الشكل فى نصوص مقبرة الأمير امنمحات رقم ٨٢ (عهد تحوتمس الثالث) فى عصر الأسرة الثامنة عشرة، فقد جاء فيها[2] :

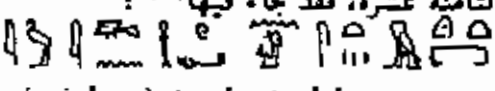

iw inḥ·n·i st m ḫnrt n ḳd·sn

«لقد حصرتهم فى السجون التى أقاموها».

٣- وكذلك [3]

mn ḳb.

ظهرت هذه الكلمة فى نقوش تمثال مصنوع من المرمر يرجع إلى عهد الملك اوسركون الثانى خامس ملوك الاسرة الثانية والعشرين، ويخص شخص يدعى نخت - ف - موت [4]

---

(١) Ibid., 1109,14.

(٢) Davies, N.G., The Tomb of Amenemhet, London, 1915, p. 27

(٣) Wb., II, 90,21.

(٤) عثر على هذا التمثال فى الكرنك ويبلغ ارتفاعه ٧٨سم، ويوجد حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة، انظر:-

Legrain, M., Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers, (C.G.C) nos (42192-42250), Le Caire, 1914, no.42208, pp. 20-23.

وهى تفيد أيضا معنى «سجن»[1]. وكتبت كذلك

ولقد ظهرت فى بردية ليوبولد الثانى[3] التى ترجع إلى العام السادس عشر من عهد رعمسيس التاسع (حوالي عام ١١٢٦ ق.م) وهى تبدأ بالتاريخ الذى سجلت فيه على النحو الآتى :

«العام السادس عشر، الشهر الثالث، من فصل الفيضان، اليوم الثانى والعشرون من عهد جلالته، ملك مصر العليا والسفلى، سيد الأرضين، نفر كارع ستبن رع، ابن رع سيد التيجان مثل آمون، رعمسيس حع ام واس مرى آمون، محبوب آمون رع، ملك الآلهة، رع حور آ- ى يعطى الحياة للأبد»[4].

ولقد وردت كلمة متصلة بمعبد آمون رع وذلك على النحو الآتى[5]:

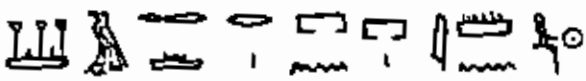

ḥ^c r n pr Imn-R^c

«سجن معبد آمون رع».

---

(١) Wb., IV, 421

(٢) Lesko, L.H., A Dictionary of Late Egyptian, vol.III, U.S.A., 1987, p. 163.

(٣) استكملت محتويات جزء البردية فى بردية Amherst التى كان قد كشف عنها فى وقت سابق للكشف عن هذه البردية.

(٤) Capart, J., Gardiner, A.H., and Van de Walle, B., "New Light on the Ramesside Tomb Robberies", J.E.A., Vol. 22(1936), pl. XVI.

(٥) Ibid., pl. XVI.

٥- وكذلك (٢)

ddḥ

وهى تفيد معنى «السجن»، ولقد وردت فى بردية ستراسبورج ١٢٢ الثانيه فى الشكل الآتى: 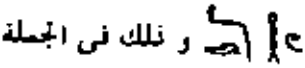 و ذلك فى الجملة الآتية(٣)،

ḫr-ꜥ m p3 ddḥ

"وصعدوا فى السجن"

ومن المفردات التى تفيد معنى السجن كذلك 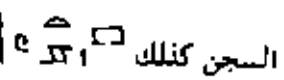 (٤) *ḫkr*

وأيضا 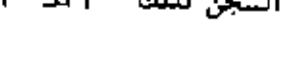 *rtḥ* (٥)

---

(١) Wb., II, 635,13.

(٢) Lesko, L.H., A Dictionary of Late Egyptian, vol. IV, U.S.A., 1989, p. 170.

(٣) Spiegelberg, W., "Briefe der 21.Dynastie aus El-Hibe" in Z A S, 53(1917), p. 24.

(٤) W b., V, 135, 3.

(٥) Meeks, D., op. cit., pp. 222 223.

ثانيا الألفاظ الدالة على السجين أو المقيدة لحريته

عبر عن السجين أو المقيد حريته فى اللغة المصرية القديمة بالعديد من المفردات التى تفيد معنى السجين أو المحبوس أو المقيدة حريته أو الممسوك أو المقبوض عليه وغيرها من المفردات التى تؤدى معنى الحبس أو تقييد الحرية، ومن هذه المفردات :

١-

3 mm

وهى تفيد معنى «قبض على» أو «امسك» أو «غل يده» وقد سجلت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة بالشكل وكذلك وبعد الأسرة الثامنة عشرة كانت تكتب كذلك بالشكل (١) وكذلك (٢).

ولقد وردت فى هذا الشكل الأخير فى نصوص رعمسيس الثالث المسجلة على جدران معبد آمون رع فى الكرنك وذلك فى الجملة الآتية (٣):

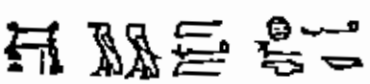

styw 3 mm m ḥfꜥ -k

«الآسيويين مقبوض عليهم فى قبضتك»

---

(١) Wb., I 10

(٢) Lesko, L. H. vol I, p. 7

(٣) Kitchen, K.A. Ramesside Inscriptions Historical and Bibliographical vol V, Oxford, p. 68.11

٢-

iỉỉy

وهى تفيد معنى المقبوض عليه أو المسوك، وكانت تكتب فى عصر الدولة الوسطى بالشكل وكذلك ، وكتبت فى عصر الأسرة التاسعة عشرة بالشكل وفى الأسرة العشرين بالشكل (١).

ومن الأدلة الأثرية والنصية التى ظهرت عليها، شاهدت قبر يرجع إلى عصر الدولة الوسطى ويخص رجل يدعى (٢)، كما وردت كذلك فى نصوص القائد أحمس بن أبانا فى سياق تسجيله لحملته على النوبه فى عهد الملك أحمس الأول وذلك فى الجملة الآتية: (٣)

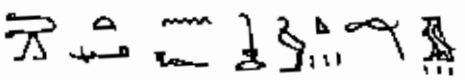

iỉt (.i) n.f nsyw mḥtyw

«قبضت له على الجنوبيين والشماليين»

ومن النصوص التى وردت فيها هذه الكلمة كذلك، البردية رقم 1.350 فى ليدن والتى يرجع نسخها إلى الفرعون رعمسيس الثانى، وذلك فى الجملة الآتية(٤)

(١) Wb., 1, 149, 12.

(٢) Lange, H.O., Schafer, H., Grab und Denksteine Des Mittleren Reichs Im Museum von Kairo, 1 Berlin, 1902 (C.G.C). Nr. 20071

(٣) Urk., IV, 5.

(٤) Gardiner, A. H., "Hymns to Amon from a leiden Papyrus" in Z.A.S, 42 - 1904), p. 13

bik nṯry pḏ dnḥwy ḫḫwy iṯy(t) ph sw m ḫm n 3t

«الصقر المقدس الذى ينشر جناحيه ينقض نازلا ويقبض على مهاجمه ويحجزها بسرعة (فى اللحظة)».

٣-

iṯr

وهى تفيد معنى سجين أو أسير أو عبد[١]. ولقد وردت فى نصوص الفرعون رعمسيس الثالث الخاصة بالحرب الليبية الثانية والمسجلة على جدران معبد مدينة هابو، حيث جاء فيها[٢]:

in·tw-w m iṯr m ḫ3k ḫmwt n p3 hh

«(لقد) أحضروا مسجونين وأسرت نساؤهم فى الأنفاس الحارة»

٤-

nḥ

وهى تفيد معنى يقبض أو يمسك أو يحجز[٣]. وحينما يكون المقصود بها المقبوض عليه أو المحبوس فإنه يضاف إليها حرف [٤]. ووردت

---

(١) Wb., 1, 151, 5., Lesko, L .H., op. cit., I, p 62.
(٢) Kitchen, K.A., op. cit., 71.13
(٣) Wb II. 119. 8.
(٤) أحمد بدوى وهو من كبار المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٠

كذلك فى الشكل [1] ولقد جاءت فى بردية Abbot فى الجملة الآتية[2]:

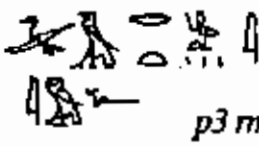

p3 rmṯ i·gmy im iw·tw mḥ im·f

«والرجل الذى وجد هناك كان محبوساً فيه»

ووردت كذلك فى الجملة الآتية[3]:

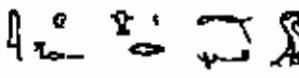

iw·f ḫr mḥ m im·i

«إنه محبوس بسببى»

٥- 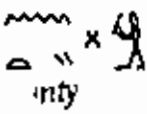

nty

وفى تفيد معنى «السجن»[4]، ولقد وردت فى بردية تورين فى الجملة الآتية[5]:

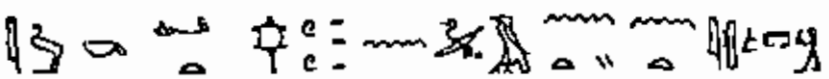

iw·k dit ṯ3w n p3 nty nti (m) ḫnt

«تعطى النسمه لذلك المحبوس فى السجن»

---

(١) Lesko, L.H., op. cit., vol. I, p. 231.

(٢) Wb., (Die Belegestellen), II, 119,8.

(٣) Inscriptions in the hieratic and demotic character from the collections of the British Museum, London, 1868, char. XVIII 563.1.10.

(٤) Wb. II 351 6

(٥) Rossi F. Pleyte, W. Papyrus de Turin. Leiden 1859. 26,3, 2.

٦- 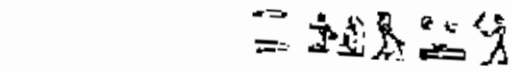

(٢) *rmṯ* ‹3›

وهى تفيد معنى «السجين»[١] كما وردت كذلك فى الشكل وجاءت فى هذا الشكل فى بردية امهرست Amherst [٣]. كما كتبت أيضا بالأشكال الآتية:

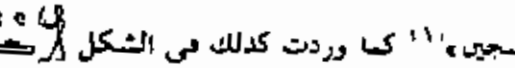

وعندما يضاف إليها العلامه 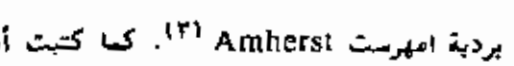 فإنها تفيد فى هذه الحالة معنى «حبس» أو «سجن»[٤].

٧-

nḥ

وهى تفيد معنى المقيدة حريته[٥]، وظهرت كذلك فى الشكل 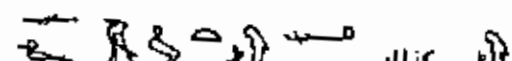 الذى يفيد معنى يكبح أو يقيد أو يضبط أو يحاصر[٦]. ولقد ظهرت فى هذا الشكل الأخير فى نصوص الفرعون رعمسيس الثالث المسجلة على جدران معبد مدينة هابو، وذلك فى الجملة الآتية[٧]:

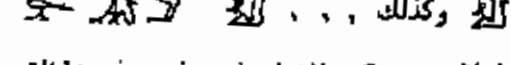

nḥ·n·k ḫ3ṯw ḫ3ṯ·k

حاصرت قلوب [٨] جثمانك

٨- 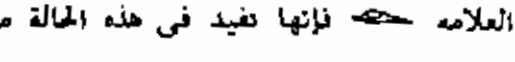

ḫ3ṯ

ولقد وردت كذلك فى الاشكال وهى

(١) Wb., II, 424, 8.
(٢) Wb., III, 417.، Lesko, L.H., vol. III, p. 7
(٣) Peet, T.E., The Great Tomb robberies of the twelfth Egyptian Dynasty , Oxford. 1930, pl. 5,4,2.
(٤) Wb., III. 418, 6.
(٥) Gardiner, A H., Egyptian Grammar. (31. p. 519
(٦) Lesko. L.H., vol II. p 73
(٧) Kitchen. K A op cit vol V 93.1
(٨) Lesko L H vol II p 97
(٩) Vb III 32 14

تفيد معنى المقبوض عليه أو المحاصر أو المسجون، وعندما يضاف إليها المخصص فإنها تفيد معنى «أسرى»[1].

وجاءت على لوحة للفرعون رعمسيس الثاني مصنوعة من الجرانيت، لم يتبق من نقوشها سوى الجزء الأسفل فقط، ويتضح منها أنها تحتفل بتسجيل انتصارات الفرعون في بعض حروبه التي قام بها، وهي تبدأ بحروبه في الجنوب، ثم تتحدث في نهايتها عن حروبه في الشمال الشرقي، وقد وردت هذه الكلمة في الجملة الآتية[2]

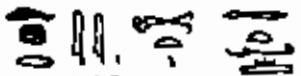

ir ḫryt ʿ3t m t3 n S3sw ḥ3k·f n3y·sn ṯswt

«أوقع الكثير من القتلى في أرض الشاسو، وقبض على جنود هذه المناطق»

ويذكر ناڤيل E. Naville [3] أنه اعتمد في هذه الترجمة على ما ورد في بردية انسطاس وكتب فيها كلمة *ḫ3* على النحو الآتي: 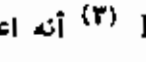 وهي تفيد معنى «قوات مجنده».

ويرى جاردنر[4] أن ترجمة عبارة «قبض على جنود هذه المناطق» غير دقيقة، ويترجمها «قبض على تلالهم» أو «سيطر على تلالهم»

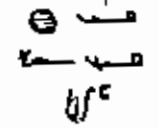

---

(١) أحمد بدوي وهر حن كيس: المعجم الصغير، ص١٥٢

(٢) Naville, E., "The Geography of the Exodus" An J.E.A., vol. 10 (1924), p. 20

(٣) Ibid

(٤) Gardiner, A.H., "The Geography of the Exodus: An Answer to Proff. Naville and others", in J.E.A.,vol. 10(1924), p. 89, no. 1

وهى تفيد معنى «يقبض» أو «يمسك»(١). ولقد وردت فى بردية Lansing بمعنى «يقبض» أو «يسيطر» وذلك فى الجملة الآتية(٢)

cn bw m ḫfc -k s3ḥ nb-k

«أن ساعد فى قبضتك (سيطرتك) لتفيد سيدك»(٣)

١٠-

وردت فى عصر الدولة الوسطى بالاضافة إلى الشكل السابق بالأشكال الآتية(٤) 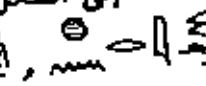

بالإضافة إلى ذلك، فلقد كتبت أيضا منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة بالأشكال الآتية(٥):

وهى ماخوذة من الفعل 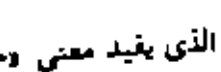 الذى يفيد معنى «حبس»، «حجز» «سجن»(٦) وورد الفعل كذلك فى شكل 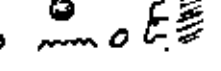 وهو يفيد معنى «يضبط»، أو «يقبض»(٧).

ولقد وردت فى نصوص الملك تحوتمس الثانى الخاصة بقمعه لتمرد فى النوبه»(٨)

---

(١) Lesko, L.H., vol. II, p. 174., Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, D.49, p. 584., Faulkner, R.O., op. cit., p. 190.

(٢) Gardiner, A.H., Late Egyptian Miscellanies, 10,13b,1,p. 112.

(٣) Caminos, R.A., op.cit., p. 420, 13, b1.

(٤) Faulkner, R.O., op. cit., p. 193

(٥) Wb., III, 296, 8-9.

(٦) احمد بدوى وهو من كيس : المرجع السابق، ص١٨٣

(٧) Lesko, L.H., op. cit , vol. II, p. 183.

(٨) Urk., IV 139, 8

-١١ 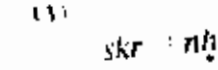
skr : nḫ[1]

وكانت تكتب كذلك بالشكل وهى تفيد معنى السجين الحى[2] أو الأسير أو الصريع الحى[3] أو الأسير الحى[4] وكذلك السجين[5]، وكانت تجمع فى الشكل 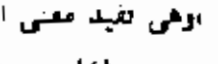 وكتبت كذلك

sḫr - ʿnḫw

بالأشكال الآتية[6] :

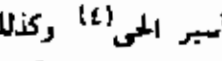

وقد وردت فى الشكل في نصوص الفرعون سيتى الأول وذلك فى مناظر حروبه المسجله فى الجانب الشرقى بالكرنك والتى ترجع إلى عام حكمه الأول، فلقد جاء فيها[7] :

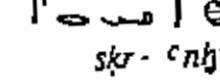

m sḫr ʿnḫ in r13 mw.

«إحضر السجين الحى إلى مصر»

-١٢ 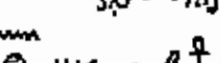
ḫpc

وهى تفيد معنى «يقبض» أو «يسجن» أو «يأسر» أو «يأخذ» وتستخدم هذه الكلمة كفعل واسم[8] وعلى ذلك فهى تعنى أيضا المقبوض عليه أو المأسور أو المسجون وقد وردت بالشكل السابق فى عصر الدولة الحديثة وبخاصة فى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين[9]، ولقد وردت فى

---

(١) Wb., IV, 307., Z A S, 50(1912), p. 81.
(٢) Lesko, L.H., op. cit., vol. II, p. 104.
(٣) احمد بدوى وهر من كيس : المرجع السابق، ص٢٣٤
(٤) Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, p. 592.
(٥) Moeks, D., op. cit., pp. 394-350.
(٦) Faulkner, R.O., op. cit., p. 250.
(٧) Kitchen, K. A., Ramesside Inscriptions, vol. I,9,8.
(٨) Gardnir. A.H., of p. 597
(٩) Wb V 121 10., Lesko, L.H., vol. IV (1989), p 39

العديد من المصادر النصية الخاصة بحوليات الفرعون تحوتمس الثالث[1]. وفى نصوص الفرعون رعمسيس الثالث الخاصة بحروبه ضد أقوام البحر والمسجلة على جدران معبد مدينة هابو، ومن هذه النصوص التى وردت فيها، نصوص المركب البحرية المسجلة على الجدار الشمالى للمعبد[2].

١٣- 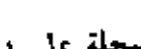
gw3w3

وهى تفيد معنى الأسور[3] والمقبوض عليه أو المحاصر[4] أو المقيدة حربته[5]، وقد وردت فى نصوص الأسرة الثامنة عشرة، وذلك فى نصوص القائد أحمس بن أبانا الخاصة بحملة النوبة التى تمت فى عهد الفرعون امنحتب الأول (١٥٥٠-١٥٢٨ ق.م)، فقد جاء فيها [6]:

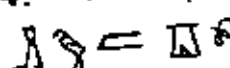
iniw m gw3w3

«أخذهم مقبوضا عليهم»

١٤- 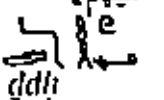
ddt

وهى تفيد معنى «السجين»[7]، ولقد وردت فى أشكال متعددة مثل[8]:

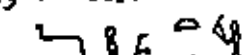

وكذلك وكذلك

ومن النصوص التى وردت فيها هذه اللفظه بردية انسطاسى الثالثة، حيث ورد فيها فيما يتصل بوصف الحالة السيئة للجندى من أنه "يؤخذ من

---

(١) Urk., IV, 698., 898,8.
(٢) Kitchen, K.A., Ramesside Inscriptions, vol. V, 32,11.
(٣) Wb.,V , 160,8.
(٤) Meeks, D., op. cit., p. 403.
(٥) Fulkner, R.O., op. cit., p. 288.
(٦) Urk., IV, 7, 4.
(٧) Gardiner, A.H., op. cit., p 604 Meeks, D. op. cit. p. 455.
(٨) Lesko, L.H., op. cit. vol IV pp 169-170 Wb. V 635, 6-12

ذراعيه كطفل ويسجن فى العسكر"(١)

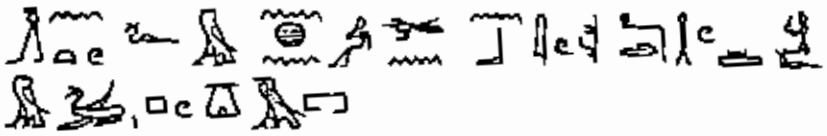

in-tw·f m nḫn nbi ḏdḥ.f m ṯpg

كما وردت كذلك فى نصوص الفرعون تحوتمس الثالث بالكرنك(٤)،

ووردت فى عصر الرعامسة وذلك فى بردية (٥) Pap. Bibl. Nat. 198, III

(١) Caminos. R., op. cit., p. 92,5,6-7.
(٢) Gardiner, A.H., late Egyptian Miscellanies., 3,5,7, p. 26
(٣) Caminos. R., op. cit., p. 92,5,7. Lesko, L.H., op. cit, p.109
(٤) Urk. IV 767,6., 788,5., 1076,2
(٥) Cerny : Late Ramesside letters Bruxelles, 1939,4 : R.12,P. 69.

ثالثا: إدارة السجون

يستدل من الأدلة الأثرية والنصية أن السجون في مصر الفرعونية قد نظمت تنظيما دقيقا بواسطة جهاز إداري ضم العديد من الوظائف المتصلة بالإشراف على تنظيم العمل بالسجون وتدوين وتسجيل كل ما يتصل بها من أعمال، وذلك بجانب الجهاز الأمني المنوط به حراسة السجون.

وكان التعيين في الوظائف المتصلة بالسجن وإداراته يتم بواسطة الملك نفسه أو بموافقته وذلك في عصر الدولة الوسطى(١). وتوضح نصوص مقبرة الوزير رخمي رع، أن من بين الواجبات الملقاه على عاتق الوزير: "وضع التسجيلات الجنائية التي توجد في السجن الرئيسي"(٢).

ونظرا لأهمية التدوين والتسجيل في إدارة السجون وكتابة السجلات الخاصةبالساجين والأحكام الصادرة ضدهم، وكذلك تسجيل موارد السجون وحساباتها، واحتفاظ السجون بسجلات كاملة لحالات المذنبين الموجودين تحت سلطتها(٣)، وامتلاك السجون لمجموعة من القوانين أطلق عليها "قوانين السجن" 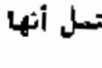 التي يحتمل أنها تكون قانون العقوبات(٤)،

ḥpw nw ḥnn

فقد عمل بالسجون جهاز كبير من الكتبه يدل عليه العديد من الألقاب التي تتصل بالأعمال الكتابية وحسابات السجون، ومن هذه الألقاب :

---

(١) Hayes, W.C., op. cit., p. 39.

(٢) Davies, N.De.G., The Tome of Rekh-mi-rec at Thebes, N.Y., 1943, p.91, pl. 26, Col. 14

(٣) Wilson, J.A., "Apapyrus of the Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum", in AJA, vol. 60(1956), p.69.

(٤) Seters, J., "A date for the "Admonitions" in the Second Intermediate Period", in JEA., vol. 50(1964), p. 18.

١- 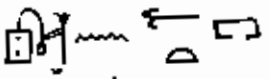

šs n ḫnrt

«كاتب السجن»

كان هذا اللقب من الألقاب الشائعة فى عصر الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، وتكرر ظهورة بعد ذلك بشكل غير منتظم(١)، وظهر هذا اللقب أيضا فى بعض النصوص السابقه للأسرة الثانية عشره وذلك فى الشكل 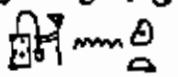 (٢)

ومن النصوص التى ورد بها لقب "كاتب السجن"، شاهد قبر يرجع إلى عصر الدولة الوسطى، وهو محفوظ فى المتحف المصرى بالقاهرة(٣). ولقد عثر عليه فى جبانه أبيدوس، وهو مصنوع من الحجر الجيرى، ويبلغ ارتفاعه ٥٢سم، وعرضه ٢٣سم ، ولقد تكرر اللقب فى الوجه الخلفى للوحة عدة مرات وذلك على النحو الآتي:

(٤) 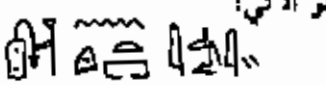

šš n ḫnrt ỉy

"كاتب السجن اى"

(٥) 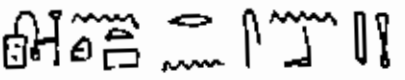

šš n ḫnrt m snb m3ᶜ - ḫrw

"كاتب السجن المدعو سنب المبرأ"

(٦) 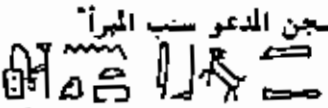

šš n ḫnrt Ib m 3ᶜ - ḫrw

---

(١) Hayes, W. C., op. cit., p.39.

(٢) Gardiner, A.H., The Admonitions of Egyptian Sage, Leipzig, 1909, p.47.

(٣) Lange. H.O., Und Schäfer, H., Grab und Denksteine des Mitderen Reichs, t.1, Berlin, 1902 (C.G.C nos 20001-20780), no 20023. pp. 24-26

(٤) Ibid., p 25,L

(٥) Ibid., p 25 M

(٦) Ibid p 25 N

"كاتب السجن إيب المرأ"

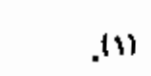
(١).

sš n ḫnrt Tiy m 3ᶜ- ḥnw,

"كاتب السجن حى المرأ"

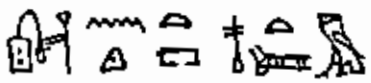
(٢).

"sš n ḫnrt Nfr- ỉm"

"كاتب السجن نفرتم"

وحمل هذا اللقب كذلك المدعو "سنبى" وذلك على لوحة عثر عليها شمال جبانة أبيدوس، وتبلغ أبعادها ٥٦ × ٣٢سم، وهى توجد حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٢٣١٢٠(٣).

٢-

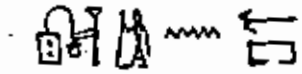

"šš wr n ḫnrt

"الكاتب الكبير للسجن"(٤).

ظهر هذا اللقب فى عصر الدولة الوسطى (٥)، فلقد وجد على شاهد قبر يرجع إلى عصر الدولة الوسطى، وهو يخص أحد الأشخاص ويدعى RS ويبلغ طول هذا الشاهد المصنوع من الحجر الجيرى ٤٦سم وعرضه ٢٩سم، ولقد جاء فيه(٦):

---

(١) Ibid., 0.
(٢) Ibid., p.
(٣) Simpson, W.K., The Terrace of the Great God at Abydos: The offering chapels of Dynasties 12 and 13, New Haven and Philadelphia, 1974, p. 22, no. 75.
(٤) Ward, W.A., Index of Egyptian Adminstrative and Religious titles of the Middle Kingdom, Beirut, 1982, p. 159(no. 1372)
(٥) Posener, G., La Premiere Domination Perse en Egypte, Recueil d'Inscriptions Hieroglyphiques, Le Caire, 1936, p.8.
(٦) Lange, H.O., und Schäfer, H., op. cit., (20322), pp. 334-335

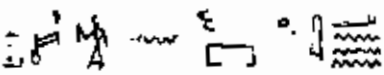

sš nr n ḫnrt Ib IG Rs

الكاتب الكبير للسجن فرح القلب رس

ويرى بعض الباحثين[٢] أن تعبير الذى ورد فى الكثير من النصوص التى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى وحمله العديد من الموظفين إنما يفيد معنى "الكاتب الكبير للسجن وليس "كاتب السجن الكبير" ومما قد يرجح هذا أن علامة يوصف بها الانسان وليس المبنى

ولقد ورد هذا التعبير فى العديد من النصوص ومنها، جزء من مائدة قرابين محفوظة فى متحف مرسيليا، كان قد عثر عليها فى أبيدوس، وهى مصنوعة من الحجر الجيرى، ويبلغ طولها ٤٢سم، وعرضها ٢٩سم، وقد ورد اللقب على النحو الآتى[٣].

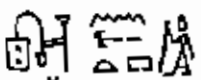

sš n ḫnrt wr

كما ظهر أيضا على شاهد قبر عثر عليه فى أبيدوس، وهو مصنوع من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعه ٦٨سم وعرضه ٥٠سم، وهو محفوظ فى المتحف المصرى بالقاهرة [٤] وورد اللقب على النحو الآتى [٥]:

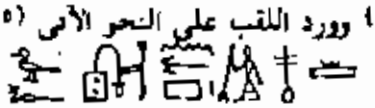

s3-f sš n ḫnrt wr Nfr-ḥtp

"ابنه الكاتب الكبير للسجن نفر حتب"

ومن الأدلة النصية التى ظهر عليها هذا اللقب أيضا، ما عرف باسم

---

(١) أحمد بدوى وهرمان كيس : المرجع السابق، ص١١

(٢) انظر: Gardiner, A.H., The Admonitions of Egyptian Sage, p. 47.,
Hayes, W.C., op. cit., p. 39.,
Posener, G., op. cit., pp. 8-9

(٣) Maspero, G., "Monuments Egyptians du Musee de Marseilie", in Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a L'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes, vol. 13,(1893), p.116.

(٤) Lange, H.O., Und Schafer, H., Grab und Denksteine des Mittleren Reiches im Museum von Kairo, t. II, (C G C nos 20400-20780), Berlin. 1908, no. 20427. pp 353-355

(٥) ibid. p. 355, fig 3

اللوحة القضائية التى عثر عليها chevrier فى صالة الأعمدة بالكرنك واستخدمت كمادة بناء فى اساسات الفرعون امنحتب الثالث، وقام Gunn بإيداعها المتحف المصرى بالقاهرة برقم (J.E. 52453) (١). وهى تتكون من خمسة وعشرين سطراً من نص يتصل ببيع وظيفة حاكم الكاب بين اثنين من القادة العسكريين، وذلك فى عهد الملك "سواج ان رع، نب اوى – رساو" سادس ملوك الأسرة السابعة عشرة (حوالى ١٦٢٦-١٦٠٧ ق.م)، حينما كان الجنوب تحت سيطرة حكام طيبة والهكسوس فى الشمال، وفيها يبيع أمير الكاب "كس" وظيفته التى ورثها عن أبيه "إى مرو" إلى رجل آخر من أسرته يدعى "سبك حتب" وربما كان أخوه، وقام بكتابة العقد الكاتب الكبير للسجن الذى كان يتبع مكتب الوزير(٢) ولقد ورد اللقب فى السطر الثانى عشر من اللوحة وذلك فى الجملة الآتية(٣):-

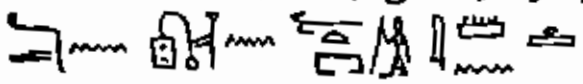

ḏd.n sš n ḫnrt wr Imn-Ḥtp

"قال الكاتب الكبير للسجن المدعو امنحتب"

كما حمل المدعو عنخو لقب "الكاتب الكبير للسجن" وذلك فى نقوش تمثاله المصنوع من الجرانيت، والذى عثر عليه فى منف، ولقد ورد اللقب على النحو الآتى(٤):

sš n ḫnrt wr ᶜnḫw m3ᶜ-ḫrw

(١) A.S.A.E., t. XXVIII, p. 123, XXIX, p. 94.

(٢) Spalinger, A., "Stele juridique" in L.A, VI, 1986, pp. 6-7.

(٣) Lacau, P., "Une Stele juridique de karnak", in ASAE, Cahier, 13(1949), p. 22.

(٤) Borchardt, L., Statuen und statuetten von königen und Privatleuten, t.2, (C.G.C. 1-1294), Berlin, 1925, no. 410.

"الكاتب الكبير للسجن، عنخو، المبرأ"

٣-

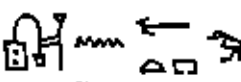

sš n ḫnrt wr

يرى W.A. Ward أنها تفيد معنى "كاتب السجن الكبير"(١). ولقد وردت بهذا الشكل في العديد من النصوص التي ترجع إلى عصر الدولة الوسطى، ومنها شاهد قبر عثر عليه في أبيدوس، ويوجد حاليا في متحف مدينة شتوتجارت، ويبلغ طوله ٤٣سم.وعرضه ٢٩,٥سم(٢)، وقد جاء فيه(٣):

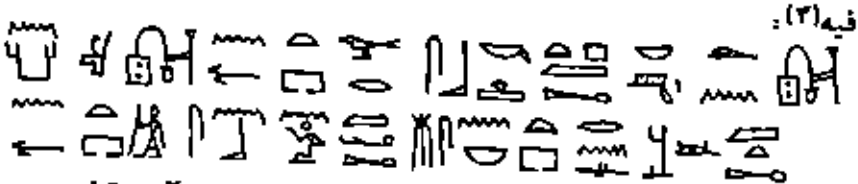

n k3 n sš n ḫnrt wr sbk-ḥtp m3ᶜ-ḫrw nb-im3ḫ ir(w)
n sš n ḫnrt wr Snb n.i m3ᶜ-ḫrw ms(w) n nbt pr
Rn-s m3ᶜ t-ḫrw.

"... إلى قرين كاتب السجن الكبير سو بك حتب المبرأ، الجليل، المولود للكاتب الكبير للسجن سنب نى المبرأ، المولود من سيدة البيت رنسي المبرأة"

ويلاحظ في النص السابق أن الكاتب قد استخدم في كتابته لكلمة " *wr* " كل من العلامتين ، ، وذلك مما قد يعني أنه ربما قصد في المرة الأولى أن يشير إلى السجن الكبير، وفي المرة الثانية إلى الكاتب الكبير للسجن وهو ما يتفق مع سياق الجملة ، حيث كان يعمل الابن كاتباً

---

(١) Ward, W. A., op. cit., p. 163, no. 1412.
(٢) Steindorff, G., "Ein Grabstein des Mittleren Reichs im Museum von stuttgart", in ZAS, vol. XXXIX(1901), pp. 117-119.
(٣) Ibid., Text, 4-5, p. 118.

والاب كاتبا كبيرا.

وربما يؤيد هذا الرأى كذلك ما ورد فى الامثلة التى لدينا، وجاء فيها علامة wr بعد كلمة مباشرة، كما جاءت أيضا بعد كلمة hnrt فى باقى الامثلة، بينما لم ترد علامه wr بعد كلمه ss ، مما قد يشير إلى أن الأولى ترتبط بالكاتب والثانية بالسجن، ومما قد يرجح هذا الرأى أن علامة يوصف بها الانسان وليس المبنى وذلك كما سبقت الاشاره

كما حمل المدعو "بتاح سكر" لقب "كاتب السجن الكبير" وذلك على النحو الآتى (١):

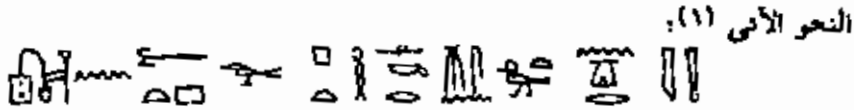

ss n hnrt wr Ptḥ-skr ms(w) n s3t-Ngr m3ᶜ - hrw

"كاتب السجن الكبير بتاح سكر المولود من سات نجر المبرأ"

وظهر هذا القب كذلك على لوحة ترجع إلى عصرالأسرة الثالثة عشرة، فقد حمله المدعو "نفر حتب"، وذلك على النحو الآتى(٢):

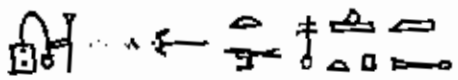

ss n hnrt wr Nfr- htp m3ᶜ hrw

"كاتب السجن الكبير نفرحتب المبرأ"

وورد هذا اللقب أيضا فى بردية بولاق رقم ١٨ Boulaq no. 18 التى

---

(١) Bergmann, E.V., "Inschriftliche Denkmaler Die Sammlung Agyptischer Alterthumer des ostern, Kaiser-hauses", in (R.T) Recueil de travaux relatifs a la Philologie et a L'Archeologie Egyptiennes et Assyrienne, 7,(1887), p. 183.

(٢) Bergmann, E.V., in R.T., vol. 9(1889), p. 36,6.

ترجع إلى عصر الأسرة الثالثة عشرة، حيث جاء فيها: (١).

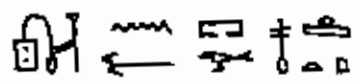

"كاتب السجن الكبير نفرحتب"

ومن الذين حملوا هذا اللقب أيضا فى عصر الأسرة الثالثة عشرة المدعو "سنب" ولقد اتخذه على لوحة مصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض عثر عليها فى أبيدوس، وتوجد حاليا فى متحف مرسيليا، وجاء فيها:(٢).

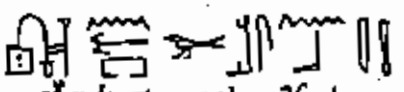

ss n ḫnrt wr snb m3ᶜ -ḫrw.

"كاتب السجن الكبير، سنب، المبرأ"

ويوجد فى متحف مرسيليا أيضا لوحة أخرى من الحجر الجيرى كان قد عثر عليها كذلك فى أبيدوس وهى تخص شخص يدعى "سب" من عصر الأسرة الثالثة عشرة وقد اتخذ لقب "كاتب السجن الكبير" وذلك على النحو الآتى: (٣).

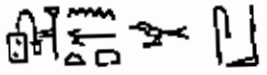

ss n ḫnrt wr Sbi

ولقد ورد تعبير "كاتب السجن الكبير" فى حالات نادرة فى الشكل الآتى(٤).

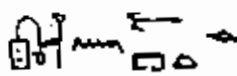

ss n ḫnrt ᶜ3

---

(١) Scharff, A., "Ein Rechnunsbuch des Königlichen Hofes aus der 13. Dynastie, (Papyrus Boulaq Nr. 18) in ZAS, 57 (1922), p. 51.

(٢) Maspero, G., op. cit., p. 116.

(٣) Ibid., p. 117 (no. 28,4).

(٤) Ward, W.A., op. cit., p. 163 (no. 1411)., Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae ..., in the British Museum, vol. 11,21.

وذلك باستخدام علامة ⟷ بدلا من علامة W٢٠

٤- 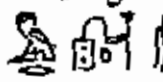

imy-r sš ḥnrt wr.

"المشرف على كتبة السجن الكبير"

ظهر هذا اللقب على العديد من الآثار التى ترجع إلى العصر الأخير من تاريخ مصر الفرعونية، وبخاصة منذ عصر الأسرة السادسة والعشرين وما بعدها ولقد ظهر على لوحة فى السيرابيوم توجد حاليا فى متحف اللوفر تحت رقم ٣٣٢ وذلك على النحو الآتى:-

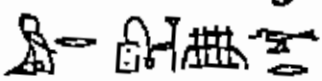

كما ظهر على جزء من تابوت محفوظ فى متحف تابولى تحت رقم ١٠٧ وذلك فى الشكل الآتى:-

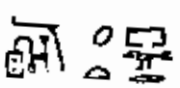

كما ظهر هذا اللقب أيضا فى الأشكال الآتية :-

(١) 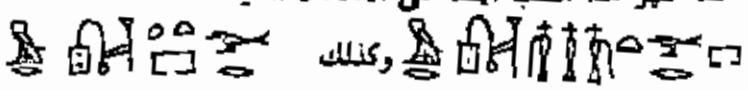 وكذلك

٥- 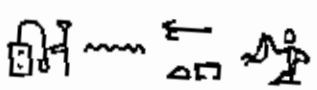

sš n ḥnrt n sḏm

"كاتب سجن التحقيقات"

الحق بالسجون قسم خاص بالمسجونين الذين يتم التحقيق معهم(٢)، وأطلق على الكاتب الخاص به لقب "كاتب سجن التحقيقات"، وظهر هذا

---

(١) Posener, G., op. cit., p. 8.
(٢) Hayes, W.C., op. cit., p. 38.

اللقب فى عصر الدولة الوسطى، وأثبتت الأدلة النصية وجوده على لوحتين على الأقل، توجد إحداهما فى متحف اللوفر[1] والأخرى فى المتحف البريطانى[2].

وتجدر الإشارة إلى أن صاحب اللوحة المحفوظة فى المتحف البريطانى يذكر أنه كان فى أول الأمر "كاتبا فى سجن التحقيقات" ثم أصبح "كاتبا فى السجن الكبير" ، ويستدل من ذلك أن سجن التحقيقات كان جزءا من السجن الكبير، أو أنه كان تابعا له[3].

ويرتبط بهذا اللقب أيضا، لقب آخر هو الذى يفيد معنى "كاتب محكمة السجن"[4]، وقد يشير ذلك إلى أنه الحقت بالمحاكم سجون.

ومما قد يشير الى الصلة الوثيقة بين المحكمه والسجن أن أحد الموظفين قد اتخذ اللقبين الآتيين [5]:

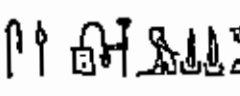

imy-r ss hnrt wr

shḏ ss m ḏ3ḏ3t

وهى تفيد معنى "مفتش الكتبه فى المحكمة، والمشرف على كتبة السجن الكبير"[6].

---

(١) يوجد فى متحف اللوفر تحت رقم C. 186.
(٢) توجد فى المتحف البريطانى تحت رقم 82818.
(٣) Hayes, W.C., op. cit., p. 38.
(٤) Ibid., pp. 38-39.
(٥) Posener, G., op. cit., p. 6
(٦) يرى G. Posener أن الجزء الأخير يترجم : "المشرف على كتبة السجن الكبير". انظر : Ibid., p. 7.

٦-

ḫsbsw ḫry-ḥ3t ḥnrw

وهو يفيد معنى "مسئولى حسابات الساجين"، ويشير هذا اللقب إلى وجود إدارة مالية خاصة بالسجون، وكانت مسئولة عن الحسابات المتصله بالساجين، ولقد ظهر هذا اللقب فى عصر الدولة الوسطى(١)

٧- وأخيرا فلقد حمل بعض موظفى السجن ألقابا تربطهم ببعض إدارات الدولة الأخرى، مثل الإدارة الزراعية وإدارة الأشغال العمومية، ويرجع ذلك إلى أنه كان من بين العقوبات التى يحكم بها على الساجين، عقوبة الأشغال الشاقة وكان يوجه فيها الساجين للعمل فى خدمة المشروعات العامة للدولة وأراضيها، وكان يصرف طعام الساجين العاملين فى هذه المشاريع من مخازن قمح الدولة(٢).

ومن موظفى السجون الذين كانت لهم صله بالإداريين السابقين فى عصر الدولة الوسطى، الوظف "سمونتو Simontu " وتوضح نقوش لوحته المحفوظه فى المتحف البريطانى تحت رقم "٨٢٨" انه كان يعمل كاتبا فى السجن الكبير، وحمل كذلك لقب *ss n ḫn3* ، ويبدو أن هذا اللقب يتعلق بالسلطة القضائيه، ويتصل بصفة خاصة بالمنازعات المتصلة بالأمور الزراعية(٣) وكذلك الأملاك العامة(٤)، وحمل أيضا لقب "كاتب حسابات الشعير الشمالى فى مصر العليا والسفلى" وكذلك "المشرف على الأشغال فى

---

(١) Ward, W. A., op. cit., p. 129 (no. 1105)., Hayes, W.C., op. cit., pp. 39-40,71,76,77,121,128,137.

(٢) Seters, J., "A date for the "Admonitions" in the second Intermediate Period" in J.E.A., vol. 50 (1964), p. 18.

(٣) Gardiner, A.H., The Wilbour Papyrus, vol. II, Commentary, Oxford, 1948, p. 83.

(٤) Ward, W.A., op. cit., p. 167, (no. 1450).

الأرض كلها(١).

ومما قد يشير إلى ذلك أيضا أنه قد ورد فى نصوص مقبرة "نحوت حتب" حاكم الأشمونين (٢) مناظر تمثل مجموعة من الوظائف المتصلة ببعضها وشاغليها، ولقد صوروا وهم وقوف وكل منهم وراء الآخر، فجاء المشرف على الحقول، ثم المشرف على الخزينة، فالمشرف على السجن، ثم المشرف على القضايا، وقد يوضح ذلك الصلة الوثيقة ما بين إدارة السجون والإدارات الأخرى فى الدولة وبخاصة إدارة الحقول والإدارة القضائية وكذلك إدارة المالية.

كما حمل المدعو "امنحتب" فى اللوحة القضائية التى عثر عليها فى الكرنك بالإضافة إلى وظيفته ككاتب للسجن، وظيفة "كاتب تقارير الأرض الشمالية"(٣).

وأوضحت الأدلة النصية المتفرقة التى أمكن الكشف عنها وجود جهاز إدارى خاص بالإشراف على السجون، فلقد حمل العديد من الأفراد ألقاب توضح صلتهم بالإشراف على السجون والمساجين، ومن هذه الألقاب التى أمكن التوصل إليها

١- 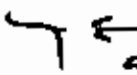

imy-r ḥnrt

يفيد هذا اللقب معنى "مشرف السجن"، وقد حمل هذا اللقب العديد من الموظفين وبخاصة فى عصر الدولة الوسطى، ومن أوائل الذين حملوا هذا

---

(١) Hayes, W. C., op. cit., pp. 39-40.

(٢) Newberry, P.E., El Bersheh, Part I, London, 1892, pl. XXVII, bottom.

(٣) Lacau, P., op. cit., p. 22.

اللقب فى عصرالأسرة الحادية عشرة، الوظف چار وذلك فى عهد الملك نب حبت رع منتوحتب، وتوجد مقبرة چار بجوار معبد منتوحتب الثانى وهى تحمل رقم "٣٦٦"(١).

ومن هؤلاء الذين حملوا هذا اللقب "نخت" الذى كان موظفا لدى تحوت حتب حاكم الأشمونين(٢) و"اوخ حتب"(٣) فى الاقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا (أطف بحث – القوصيه)، كما ظهر أيضا على مائدة قرابين عثر عليها فى أبيدوس وهى مصنوعة من الحجر الجيرى، ويبلغ طولها ٦٣,٥سم وعرضها ٤٩,٥سم، ولقد جاء فى نقوشها(٤):

imy-r ḫnrt wsrt-sn ir(w) n Nfrt m3ᶜ t-ḥrw

"مشرف السجن وسر المولود من نفرت البرأة"

ومن الذين حملوا هذا اللقب كذلك المدعو "سنب" وذلك على جزء من شاهد قبر، ولقد ورد اللقب على النحو الآتى(٥):

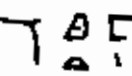

imy-r ḫnrwt m-f Snb

(١) Winlock, H.E., in BMMA, March, 1932, Sect. 11, pp. 32,34 Figs. 25-31.

(٢) Newberry, P.E., op. cit., Pl. XXVII, bottom

(٣) Lacau, P., Sarcophages, (C.G.C.), t.1, nos 28001-28086, Le Caire, 1904, no. 28040.

(٤) Kamal, A., Tables D'offrandes, (C.G.C), t.1, nos 23001-2356), Le Caire, 1909, no. 23027, p. 23.

(٥) Lange, H.O., Schafer, H., op. cit., no. 20487.

"المشرف على السجون اسمه سنب"

واتخذ كذلك المدعو "خنسو" لقب "المشرف على السجن" وظهر ذلك على شاهد قبر عثر عليه فى أبيدوس، وذلك على النحو الآتى(١):

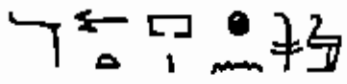

imy-r ḥnrt Ḫnsw

"المشرف على السجن خنسو"

كما ظهر هذا اللقب كذلك على لوحة جنزية ترجع إلى عصر الأسرة الثالثة عشرة وجاء اللقب على النحو الآتى(٢):

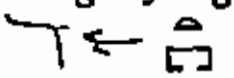

imy-r ḥnrt

"مشرف السجن"

٢-

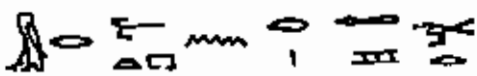

imy-r ḥnrt n r-ᶜ3 wr

"المشرف على سجن الحصن الكبير"(٣).

ورد هذا اللقب فى عصر الأسرة الحادية عشرة وذلك فى لوحة انتف *Intf* ابن دقى *Tfi* ، وقد عمل تحت حكم الملك منتوحتب الثانى، وتوجد هذه اللوحة فى قسم الفن المصرى بمتحف المتروبوليتان تحت رقم 57.95 وهى مصنوعة من الحجر الجيرى وتبلغ أبعادها ٧٨ × ١٤٢سم، ويتكون الجزء الأكبر من النص من مجموعة من الألقاب الشائعة فى لوحات المقابر التى ترجع إلى بداية عصر الدولة الوسطى، ولقد ورد هذا اللقب فى السطر الأول

(١) Ibid., no. 20724, p. 355, (d. 7).
(٢) Bergmann, E., op. cit., p. 36
(٣) Ward, W.A., op. cit., p. 40(no. 403).

من اللوحة وبداية السطر الثاني، وذلك على النحو الآتي(١):

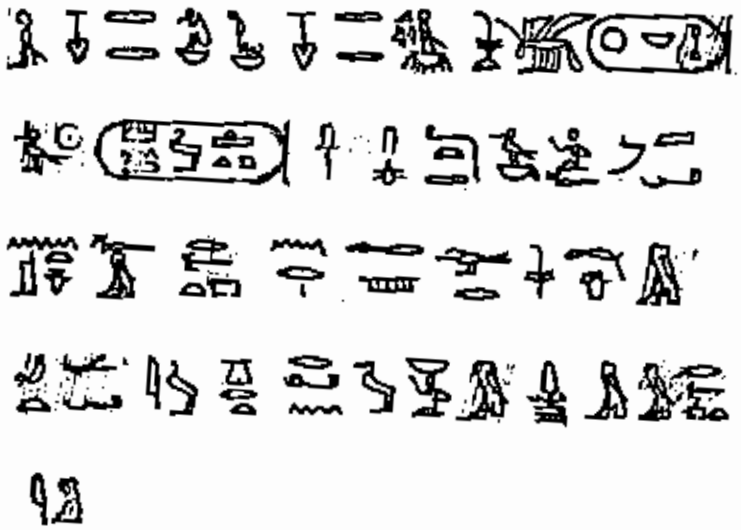

Ḥr sm3 t3wy nbty sm3 t3wy swty Ḥr nwb k3 nsw-bity

Nb-bḥty-Rᶜ s3 Rᶜ Mnṯw-ḥtp ᶜnḫ mi Rᶜ ḏt b3k-f m3ᶜ n

st ib-f imy-r ḫnrt n r-ᶜ 3 wr mḥ ib nsw m (sḏmt w)

iw grt rdi n wi nb-i m n ᶜrt m imy-r ḫnrt Im

(١) Fischer, H.G., "The Inscription of in - it. f, Born of I ii" in JNES., vol. 19(1960), pp. 258-268, pl. VII.

والتى ترجم:

"حور، موحد الأرضين، المتمى للسيدتين، موحد الأرضين، حور الذهبى، عالى الريشتين، ملك مصر العليا والسفلى، نب حبت رع بن الشمس متوحتب، يعيش للأبد مثل رع، إن خادمه الفعلى المقرب من عطفة المشرف على سجن الحصن الكبير(١)، الملهم بثقة الملك فى {التحقيقات السرية} الآن عينتى سيدى فى إقليم نعرت (هيراقيوبوليس / اهناسيا المدينة) مشرفاً على السجن الموجود بها".

٣- 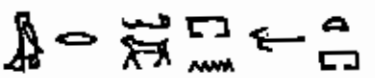

imy-r ḫnwty n ỉnnt

يفيد هذا اللقب معنى "المشرف على حجرة مقابلات السجن"(٢)، ولقد ظهر هذا اللقب فى بردية عثر عليها فى المقبرة رقم ٤٠٨ فى تجمع الدير (جنوب أخميم بـ ٤١كم وشمال تجمع حمادى بـ ٣٧كم)، وهى توجد حاليا فى متحف الفنون الجميله فى بوسطن وتحمل رقم 38,2062 ويرجح أنها ترجع

---

(١) يفيد تعبير *r ḫ3ỉ* أدبيا "المدخل" المؤدى إلى البلاد (Faulkner, R.O., op.cit., p. 146) وبد كوفيشر H.G.Fischer انها كانت تشير عادة فى الألقاب والصفات فى عصر الدولة القديمة إلى الممرات الجبلية، وكان يطلق على هذه الممرات أصلا كلمة "مداخل" وذلك لأنها كانت تمثل المداخل المؤدية إلى وادى النيل، ويمثل الباب حاجزا، كما يمثل مدخلا فى نفس الوقت، وعندما يكون من الضرورى وقف لمدخل الأجانب، فإن هذه المداخل تصبح ذات أهمية استراتيجية، كما تصبح أماكن محصنه حيث يمكن اغلاقها بواسطة بعض الطرق، ويجئ عصر الدولة الوسطى أخذ تعبير *r ḫ3ỉ* معنى محددا وهو "الحصن" ويشير إلى ذلك بعض نصوص الأسرة الثانية عشرة حيث ادعى حاكم اليفنتين أنه "قائد حامية الحصن" *Phỉ r-ḫ3ỉ* فى الأراضى الجبلية الجنوبية"، ومن قبله استخدم الملك واح عنخ انتف فى عصر الأسرة الحادية عشرة كلمه *ḫ3ỉ* "باب" لتفيد معنى "حاجز دفاعى"، وفى حالتنا هذه فإذا كان تعبير *wr ḫ3ỉ r-ḫ3ỉ* تعنى "المدخل الكبير" بمعنى "الحصن الكبير"، فإن كلمه *ỉnnt* "سجن" تصبح جزءا مكملا للحصن.

انظر: Fischer, H. G. op. cit. ,p. 262

(٢) Ward, W. A., op. cit., p. 17(no. 90)

إلى عهد سنوسرت الأول، وحمل هذا اللقب السيدة "سى ان حور"(١) ويثير هذا اللقب الاهتمام، وذلك حول علاقة المرأة بإدارة السجن، إذ يستدل منه على أن المرأة قد عملت فى إدارة السجون، ويرجح فى هذه الحالة أن تكون وظيفتها متصلة بالسجينات من النساء.

٤- 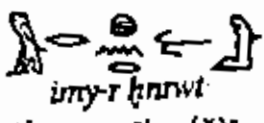
imy-r ḥnrwt imy-r ḥnrwt

وهى تفيد معنى "المشرف على المساجين"(٢)، ولقد ورد هذا اللقب فى مقبرة "تحوت نخت" بالبرشة(أبو قرقاص محافظة المنيا) وذلك على الجدار الشمالى الداخلى للحجرة الرئيسية فى المقبرة(٣).

٥- 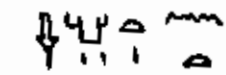

ḥrp k3t nt ḥnrt

وهى تفيد معنى "المسئول عن أعمال السجن"، وهى من الوظائف التى اثبتت الأدلة الأثرية وجودها وتتصل بالجهاز الإدارى الخاص بالسجون. ويبدو أن طبيعة هذه الوظيفة تتصل بتنظيم العمل داخل السجن(٤).

ويعتبر الجهاز الأمنى من الأجهزة الهامة المتصلة بالسجون، ولقد أولى المصريون أهمية خاصة لنظام حراسة السجون، فلقد تعددت أنواع

(١) Simpson, W.K., The Records of a Building Project in the reign of sesostris I, Papyrus Reisner I, Transcription and commentary, Boston, 1963, pp. 17,21,46.

(٢) ward, W. A., op. cit., p. 40, (nos. 298-299)

(٣) Griffith, F.L., and Newberry, P.E., El Bersheh, part II, p. 23, pl. VII.

(٤) Ward, W.A., op. cit., p. 137 (no. 1180).

الحراسة حول السجون وداخلها، ويشير إلى ذلك الألقاب التى اتخذها حراس السجون، فلقد كان هناك حراس مهمتهم حراسة منافذ السجن، واتخذ هؤلاء اللقب:

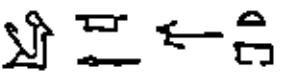

iry-ʿ3 ḫnrt

ويفيد هذا اللقب معنى " بواب السجن"(١) أو "حارس بوابة السجن"

وبالإضافة إلى هؤلاء الحراس، كان هناك حراس آخرون مهمتهم حراسة السجن نفسه، ويشير إلى ذلك الألقاب التى اتخذها العديد من الأفراد وكانت تفيد معنى "حارس السجن"، وظهر هذا اللقب على النحو الآتى(٢):

s3w ḫnrt

ولقد ظهر هذا اللقب على لوحة ترجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة، وتوجد حاليا فى متحف اللوفر(٣)، كما ظهر على لوحة غير منشور، ترجع إلى عصر الدولة الحديثة، وهى محفوظة حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة(٤).

---

(١) Ibid., p. 62(no. 504).,
Lüddeckens, E., Ägyptische Handschriften, I, Wiesbaden, 1971, no. 406.

(٢) Ward, W.A., op. cit., p. 146(no. 1259).

(٣) Gayet, E., Musee du Louvre, steles de la XIIe Dynastie, Paris, 1886, pl. 10.

(٤) Hayes, W.C., op. cit., p. 39.

رابعا: طبيعة السجون وأنواعها

يمكن القول بأن مباني السجون كانت شبيهه بالحصون، فيوضع المذنبون المحكوم عليهم بالسجن في حجرات ضيقة، أو في حجرات تحت سطح الأرض، وفي نفس الوقت فإنه يبدو أن السجون قد جهزت لتكون بمثابة معسكرات عمل ، وعلى ذلك فقد تضمنت بين جنباتها ثكنات عسكرية ومركز إداري للإشراف على إيواء المساجين وتأديبهم وتعويدهم على النظام والطاعة، وتوجيه مجهودات المساجين المحكوم عليهم، سواء أولئك المحكوم عليهم لمدد محدده أو المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة مع قيامهم بالأشغال الشاقة لمصلحة الدولة، وأيضا أولئك المحكوم عليهم بالإعدام وكانوا ينتظرون تنفيذ الحكم (١). كما وجد كذلك الحبس الاحتياطي.

ومن الحالات التي كان يتم فيها الحبس الاحتياطي انتظار المقبوض عليهم حتى تنتهي اجراءات التحقيق معهم ومحاكمتهم ، وكذلك كان من الحالات التي يتم فيها الحبس الاحتياطي، فرار العامل من خدمة الدولة، فكان يقبض على أفراد أسرته ويودعون السجن للتحقيق معهم، فإذا ما ثبتت براءتهم من اشتراكهم أو تواطئهم في عملية الفرار، فإنه كان يخلى سبيلهم، وتثبت التهمة بالكامل على المذنب الهارب(٢).

وكان الفرار من خدمة الدولة من الأعمال التي تعرض صاحبها لعقوبة السجن، إذ يعتقد أن للقوم قد كلفوا من قبل الحكومة في عصر الدولة الوسطى

---

(١) Ibid,., pp. 37,38

(٢) Wilson, J.A., "A Papyrus of the late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum", in AJA, vol. 60(1956), p.68.

للقيام ببعض الأعمال الخاصة بالمشاريع العامة للدولة كالزراعة والمشآت والمباني الحكومية وكذلك الانخراط في سلك الجيش، وكان ذلك يتطلب منهم بالطبع ترك أعمالهم الخاصة التي كانوا يعملون فيها، وكان بعض هؤلاء الأشخاص معارضا لإشتراكه في أعمال الدولة، ومن ثم فقد كانوا يهربون منها إلي أماكن نائية مثل الواحات.

ومما قد يشير إلى اتجاه الهاربين للهرب في الواحات، ما ورد في النص الخاص بالمدعو "كاي Kai بن بشت والذي حمل لقب " المشرف على صيادي الصحراء والمشرف على الصحراء الغربية" وهو يذكر أنه قد وصل إلى أراضي الواحات الغربيه حيث أحضر الهاربين الذين وجدهم هناك، وجاء ذلك في النص الآتي(١):

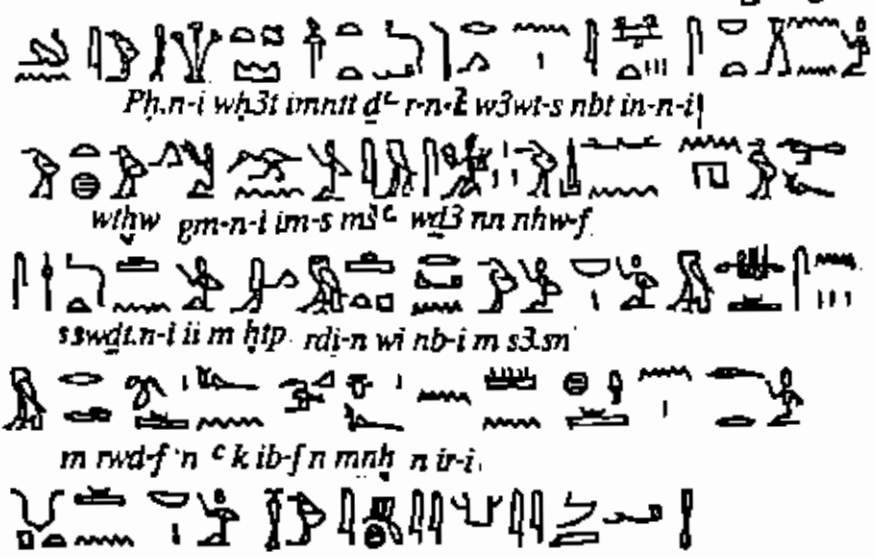

Ph.n-i wḥ3t imnt.t ḏr-r-n-ỉ w3wt-s nbt in-n-i

wtḥw gm-n-i im-s m3ᶜ wṯ3 nn nhw-f

sswḏt.n-i ii m ḥtp rdi-n wi nb-i m s3.sn

m rwḏ-f ᶜn ᶜk ib-f n mnḫ n ir-i

wpt n nb.i ḫsw im3ḫy ky m3ᶜ -ḫrw

---

(١) Anthes, R., "Eine Polizeistreife des Mittleren Reiches in die westliche Oase", in ZÄS, 65(1930), ss. 108-114.

والتى تترجم: "لقد وصلت إلى الواحة الغربية واستكشفت كل طرقاتها وقد أحضرت الهاربين الذين وجدتهم هناك، وكان الجيش سليماً بدون خسارة مما أرسلته عاد فى سلام، وجعلنى سيدى فى حمايتهم كمعاونه الموثوق به لأننى قمت بالمهمة التى أوكلها لى سيدى الممدوح، المبجل، كاى، المبرأ"

ولقد كان أكبر عقاب يتعرض له المذنب الهارب، الحكم عليه بعقوبة السجن مدى الحياة مع العمل فى مزارع الدولة(١).

ويوجد لدينا العديد من الأمثلة التى يستدل منها على طبيعة معاملة المساجين، والتى كان من أهم ما يميزها قيام المساجين بالعمل الإجبارى لصالح الدوله، وسأقتصر هنا على مثالين فقط، الأول منهما، كانت عقوبة السجن فيها قصيره ولمدة ثلاثة وعشرين يوما فقط، أما الأخرى فقد حكم فيها بالسجن لمدة طويلة.

ولقد سجلت الحالة الأولى على البردية المعروفة باسم "بردية انسطاس السادسة" وهى محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٠٢٤٥، وهى تؤرخ بعهد الفرعون سيتى الثانى، وقد جاء فيها أن أحد جنود الاسطول قد وضع فى سجن مدينة ثبنت، وأثناء قضائه لفترة العقوبة التى استمرت ثلاثة وعشرين يوما قام بزراعة الأراضى من أجل كاتب الجيش P3 imy-r .pw 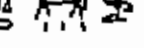 الذى يعيش فى مدينة ثبنت(٢).

أما الحالة الثانية، وهى التى حكم فيها بالسجن لمدة طويلة، وذلك لمدى الحياه، فهى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى، وترجع أهمية هذه الحالة، بالإضافة إلى أنه قد حكم فيها لمدة طويلة، إلى أن المحكوم عليها كانت

---

(١) Wilson, J.A op. cit., p. 69

(٢) Gardiner A.H Late Egyptian Miscellanies, p 73
Caminos R A op. cit p. 280

امرأة، كما أنه قد طبقت فى حالتها بعض الإجراءات التى كانت تتخذ فى حالة الفرار من خدمة الدولة أو الإعمال التى يكلف بها المواطن.

ترجع هذه الحالة[1] إلى عهد الملك امنمحات الثالث، وتدعى صاحبتها تتى ابنة سنحور، كانت تعمل بالزراعة فى مدينة طينة (ثنى)، وقد سجلت فى سجل العمل الخاص بإدارة الأراضى الزراعية الملحقة بمدينتها، وقد كلفته بالعمل تحت إشراف كاتب حقول طينة، ولما وجدت أن العمل المكلفة به شاق ولا يمكنها أن تتحمله قررت الهرب من المدينة.

وعندما تم اكتشاف أمر فرارها، قبض على أفراد أسرتها كضمان لعودتها، وتم ايداعهم إما فى السجن المحلى أو فى السجن الكبير فى طيبه وذلك تحت اشراف رئيس محكمة الجنوب، وأرسل اسمها والمعلومات المتصلة بها إلى السجن الكبير فى طيبة، حيث تم تسجيله فى قائمة الهاربين المسجلين فى أرشيف السجن، وسجلت نفس المعلومات أيضا فى مكتب الوزير بالعاصمة ايشت تاوى وفى إدارة السجلات الخاصة برئيس الجنوب فى طيبة.

ولما ثبت لسلطات التحقيق عدم تورط أهلها فى جريمة هربها، تم تقييد التهمة بالكامل على الهاربة، وصدرت التعليمات إلى السجن بأطلاق سراح أسرتها حسب الإجراءات القانونية، وأن تعاقب الهاربة طبقا لقانون العقوبات.ولقد سجل هذا الأمر بعد اسم "تتى" واسم عائلتها وذلك فى قائمه السجن الخاصة بالهاربين من الأعمال العامة.

---

(١) انظر : Hayes, W.C., op. cit., pp. 64,65.

وبعد عدة سنوات أمكن القبض على السيدة "تتى" حيث تم إيداعها السجن الكبير لتلقى جزاء هروبها، وبعد أن تمت إجراءات محاكمتها، سجل أمام حالتها: "لقد تم استكمالها".

ويلاحظ أنه فى حالة ثبوت تورط أهل الهارب معه فى جريمة الهرب من خدمة الدولة، فإن العقوبة فى هذه الحالة كانت تشمل أفراد أسرته المتورطين معه كذلك، دون أن يخفف ذلك من عقابه، ومن الأمثلة التى طبقت فيها هذه الحالة من العقوبات حالة المدعو "منتوحتب" فى عصر الأسرة الثانية عشرة(١).

وفيما يتصل بأنواع السجون، فلقد عرف المصريون أنواعا عديده من السجون، فكان منها السجون المدنية وكذا السجون الدينية، وسنتناول هذين النوعين بشئ من التفصيل، ونبدأ بالسجون المدنية

١- السجون المدنيه :

تعددت السجون المدنية فى مصر الفرعونية، وأوضحت الأدلة الأثرية النصية وجود العديد منها، وكان من أهمها السجون الموجودة فى المدن الكبرى وعواصم الأقاليم، وبجانب هذه السجون، وجدت سجون مدنية أخرى ألحقت بالحصون أو المنافذ المؤدية إلى داخل البلاد، كما ألحقت ببعض الإدارات الهامة فى الدولة سجون.

ومن أهم السجون المدنية التى لدينا أدلة أثرية نصية تشير إليها، السجن الكبير فى طيبه، والذى كان يشار إليه بالتعبير *ḫnrt wr*. ويرجع اختيار سجن طيبة ليكون السجن الكبير، إلى طبيعة موقع طيبة

---

(١) Ibid., p. 53.

الجغرافى وكذلك الإدارى.

ومن أشهر البرديات التى تشير إلى سجن طيبة الكبير، بردية بروكلين رقم 35.1446 والتى قام بنشرها وليم هيز، ولقد أعيد استخدام البردية للكتابة عدة أجيال، وبدأت الكتابة عليها فى أواسط الأسرة الثانية عشرة. ويتكون النص الرئيسى الموجود فى وجه البردية من تسجيل يتصل بالسجن الكبير فى طيبة، وصلته بأولئك الذين هربوا من العمل، ويضم هذا النص قائمة بأسماء ستة وسبعين شخصا من المقيمين بمصر العليا، والذين يبدوا أنهم فروا قبل أن يكملوا أو ليتجنبوا تنفيذ الأعمال المكلفين بها من الحكومة، ومجمل التعليمات الحكومية للسجن الكبير فى طيبة، وهى تعتبر قاعدة للتعامل مع أولئك الناس طبقا لقانون العقوبات، وملاحظات تسجل تنفيذ هذه التعليمات،وملخص بالحالات المتورطين فيها (١)، وتعتبر هذه أقدم وثيقة بردية تتصل بموضوع السجون، وهى ترجع إلى حوالى عام ١٨٠٠ ق.م.(٢)

ومن النصوص التى أشارت إلى سجن طيبه الكبير كذلك فى عصر الأسرة الثالثة عشرة بردية بولاق رقم ١٨، حيث كان يعمل المدعو "نفرحتب" كاتبا لسجن طيبه الكبير وذلك فى مكتب الوزير عنخو(٣). كما أشير إليه أيضا فى عصر الأسرة الثامنه عشره وذلك فى التعليمات الموجهة إلى الوزير

(١) Hayes, W.C., A Papyrus of the late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum, {Pappyrus Brooklyn 35.1446}, 1972.

(٢) Wilson, J.A., in A.J.A., 60(1956), p. 68.

(٣) Scharff, A., "Ein Rechnungsbuch des Königlichen Hofes aus der 13 Dynastie (Papyrus Boulaq Nr. 18), in ZÄS, 57(1922), p. 51.

رخمى رع فيما يتصل بتعامله مع المجرمين (١).

ولقد أشار أوسركون الثانى (٨٧٤ - ٨٥٠ ق.م) فى نقوش صالة احتفالاته فى تل بسطه إلى "السجن الكبير" حيث صور صف من الموظفين، أشير إليهم بأنهم "مجلس السجن الكبير" *d3d3t nt ḫnrt wr* (٢) وبجانب السجن الكبير، وجدت سجون أخرى محلية، وذلك فى المدن الكبرى، ولقد أمكن معرفة بعض هذه السجون من النصوص المتفرقة التى أشارت إليها بشكل مباشر أو غير مباشر، ويستدل من الأدلة الأثرية النصية وجود سجن فى الإقليم الثامن فى مصر العليا والذى كان يسمى "تا - ور" وكانت عاصمته طينه (ثنى) فلقد اتخذ العديد من الموظفين الألقاب التى تصلهم بالسجن وذلك فى لوحاتهم الجنائزيه التى عثر عليها فى حيانة أبيدوس، مما يشير إلى أنهم كانوا يعملون فى السجن المحلى الموجود فى هذه المنطقة، ومن هؤلاء الأفراد من كان يشغل وظيفة "كاتب السجن"، ومنهم نذكر كلا من : إى وسنب وايب وتتى ونفرتم(٣) وسنبى(٤). ومن هؤلاء الأفرد كذلك من شغل وظيفة "الكاتب الكبير للسجن"، ومن هؤلاء "نفر حتب"(٥)، كما شغل بعضهم أيضاوظيفة "المشرف على السجن"، ومن هؤلاء الذين اتخذوا هذا اللقب "خنسو"وذلك على شاهد قبر فى أبيدوس(٦).

ويؤيد وجود سجن فى مدينة طينة (ثنى) ما أشار إليه وليم هيز عند

---

(١) David, O., The Tomb of Rekh-mi-Rec, N.Y., 1943, 19, pl. XXVII

(٢) Hayes, W. C., op. cit., p. 46

(٣) Lange, H. O., und schäfer, H., op. cit, t.1, pp. 24-26.

(٤) Simpson, W. K., The Terrace of the Great God at Abydos, p. 22, no. 75.

(٥) Lange, H. O., Und, Schäfer, H., op. cit., t. II, no. 20427, p. 355, d. 3.

(٦) Ibid., no. 20724, p. 355, d. 7.

عرضه لحالة المتهمه "تتى"، من أنه تم القبض على أفراد أسرتها، حيث تم ايداعهم إما فى السجن المحلى تحت إشراف المجلس الإدارى، أو فى السجن الكبير فى طيبة(١).

وتوضح الأدلة الأثرية النصية كذلك وجود سجن فى آتف بحت (الاقليم الرابع عشر فى مصر العليا) "القوصية"، فلقد عثر فى جبانه مير إلى ما يشير إلى وجود سجن فى هذا الإقليم، فلقد اتخذ المدعو "أوخ حتب" لقب "المشرف على السجن" وذلك فى نقوش تابوته(٢).

كما وجد سجن كذلك فى الاقليم الخامس عشر من اقاليم مصر العليا، وهو اقليم "خمنو" (الاشمونين)، حيث أوضحت نقوش المقبرة رقم (٣) التى عثر عليها فى جبانه البرشا أن المدعو "تخت" قد اتخذ لقب "المشرف على السجن"(٣)، وكان تخت هذا يعمل موظفا لدى "تحوت حتب" حاكم الأشمونين.

ومما يؤيد أيضا وجود سجن فى الأقليم الخامس عشر اتخاذ "تحوت تخت الاول" حاكم الاشمونين لقب 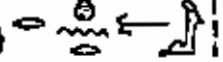 *imy-r ḥnrw* وهو يفيد معنى "المشرف على الساجين"(٤). ويفيد ذلك وجود سجن فى الأشمونين، كان له جهازه الإشرافى، حيث يتبع الإشراف على الساجين حاكم الإقليم مباشرة، بينما كان يشرف على شئون السجن أحد موظفيه.

وتشير بردية برلين رقم ١٠٠٢١ بشكل خاص إلى السجن الموجود فى اللاهون(٥) 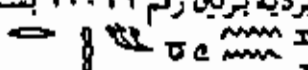 *r-n-ḥn(t)* والتى يفيد اسمها معنى "مدخل البحيرة"(٦) وهى تقع شمال الفيوم بحوالى ٢٥ كيلومترا.

---

(١) Hayes, W. C., op. cit., p. 64.
(٢) Lanat. p., Sarcophages, (C.G.C), t.I, no. 28040.
(٣) Newberry, P. E., op. cit., pl. 27, bottom.
(٤) Griffith, F. L., Newberry, P E., El Bersheh, Part II p. 23. pl. VII.
(٥) Hayes, W. C., op. cit., p. 41.
(٦) Gardiner, A. H., Ancient Egyptian Onomastica, vol II, no. 392A, p. 116.

ومن ناحية أخرى فإنه يستدل من بعض الأدلة الأثرية النصيه إلى وجود سجون في الدلتا. فقد عثر على تمثال مصنوع من الجرانيت في منف وهو يخص شخص يدعى "عنخو". فقد حمل لقب "الكاتب الكبير للسجن"(١) مما قد يشير إلى وجود سجن في منف.

وبالإضافة إلى هذه السجون، فلقد أقام المصريون السجون عند المنافذ المؤدية إلى البلاد وفي المناطق التي تتميز بأهمية موقعها الجغرافي أو ذات الأهمية الإقتصادية، وكانت هذه السجون أشبه بالحصون منها بالسجون، ويبدو محتملا أن السجون المصرية المبكرة كانت سجون مظلمة ملحقة بالحصون، وكانت السجون على مر العصور تكون جزءا مهما من الحصون أو أنها كانت تلحق بها(٢)، ومما يؤكد ذلك أن الكلمة المصرية 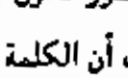 *ith* تؤدى معنى "السجن" وكذل أيضا "الحصن"(٣). وكان الغرض من هذه السجون هو فرض هيبة الدولة وقوتها على ردع القاطنين خارجها أكثر من مواطنيها.

ومن السجون المعبرة عن هذا النوع، ووصلتنا نصوص تشير إليها، سجن إقليم نعرت (هيراقليوبوليس ماجنا / اهناسيا المدينه) ويميز هذا الإقليم بموقعه المتوسط بين الشمال والجنوب وسهولة اتصاله بآسيا وحوض البحر المتوسط.

ويتضح لنا من ملاحظة طرق القوافل الرئيسية في الصحراء الغربية، أن رحلة القوافل من واحة سيوه إلى وادى النيل كانت تتجه إلى الفيوم

---

(١) Borchardt, L., Statuen und statuette von königen und Privatleuten, t. 2 (C.G.C), no. 410.

(٢) Hayes, W.C., op. cit., p. 41, no. 149.

(٣) Wb., 1, 148.

واهناسيا، كما أن الطريق من واحة الفرافرة والبحرية كان يتجة ناحية الشمال الشرقى إلى البهنسا واهناسيا والفيوم، وانعكس ذلك فى ظهور المعبود "حرشف" على العديد من الآثار فى واحات مصر الغربية(١).

وأدى موقع أهناسيا بالقرب من مدخل الفيوم وتحكمها فى طرق الواحات إلى أنها أصبحت البوابة المواجهة لليبيين الذين يحاولون الإتجاه الى وادى النيل من الصحراء الغربية طوال تاريخ مصر الفرعونية، وعلي ذلك فلقد كانت أهناسيا هى المدخل الطبيعى إلى وادى النيل الذى اتجهت إليه الموجات الليبية المتلاحقة بهدف الوصول إلى وادى النيل(٢).

ويتضح أهمية الموقع الجغرافى لإهناسيا كبوابة أمام الليبيين، فى ضرورة تحصين منافذها وإقامة الحصون عليها، وتوضح الأدلة الأثرية النصية وجود هذه الحصون منذ عصر الدولة الوسطى على الأقل، فلقد حمل المدعو "انتف بن ثفى" الذى كان يعمل فى عهد الملك "ثب حبت رع منتوحتب الأول" لقب "المشرف على سجن الحصن الكبير"(٣)، وذلك كما سبقت الإشارة. وقد يشير ذلك إلى وجود أكثر من حصن فى منطقة اهناسيا، وذلك على أساس تمييز أحدها بتعبير "الحصن الكبير".

وازدادر الاهتمام بتحصين اهناسيا منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة، حيث أقامت فرقة من جنود المشردان فى حصن اهناسيا الكبير(٤). وكشف

---

(١) Gamal El-Din Mokhtar, M., Ihnasya El-Medina (Herakleopolis Magna), Its Important and Its Role in Pharaonic History, (Publications de L' Institut Francais D'Archeologie Orientale du Caire), Le Caire, 1983, pp. 18-22.

(٢) Ibid., pp. 22-24.

(٣) Fischer, H. G;, op. cit., p. 260.

(٤) Gamal El-Din Mokhtar, M., op. cit., p. 24.

وليم فلندرز بترى W.F. Petrie فى حفائره التى أجراها فى معبد المعبود حرشف فى أهناسيا عن لوحتين اشير فيهما إلى وجود حصون ومعسكرات للجنود الشردان فى إهناسيا، وتخص الأولى منهما المدعو "سث ام حب وجاء فيها: "قرابين مقدمه إلى بتاح سيد جداره الجنوبى، سيد عنخ تاوى، من أجل روح حامل المروحه، الكاتب الملكى، قائد الجيش، حارس الشون، سث ام حبو...أمير المدينه فى حصن الشردانا"(١).

أما اللوحة الثانية، فهى خاصة بأحد الجنود الشردان ويدعى "باچس اف ونقوش اللوحة مهشمة إلى حد كبير، وقد حاول شبيجلبرج Spiegelberg دراسة العلامات الموجودة بها، وأمكن معرفة بعض المعلومات منها، وهى أن هذا الجندى الشردانى كان يعمل فى حصن اهناسيا الكبير، والذى كان يطلق عليه "حصن ومرماعت رع"، ويرجح بترى أن هذه اللوحة ترجع إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين(٢).

وكما سبق القول، فإنه كان يلحق بالحصون سجون لفرض هيبة الدولة وقوتها، ومما يدل على ذلك ، أن حصن اهناسيا قد ألحق به سجن، ويشير إلى ذلك لوحة انتف بن ثفر التى سبق الاشارة إليها، حيث يذكر" ... إن خادمه الفعلى المقرب منه، المشرف على سجن الحصن الكبير، الملهم بث - الملك فى (التحقيقات السرية) الآن عينني سيدى فى إقليم نعرت مشرفاً على السجن الموجود بها"(٣)ومن هذه السجون كذلك سجن ثينت الذى أقيم على المنفذ المؤدى إلى مصر من جهة الشرق عند القنطرة (تل دفنة)، وذلك كما سبقت الإشارة(٣).

(١) Petrie, W. M. F., Ehnasya, London, 1905, p. 22, pl. XXVII, 1.
(٢) Ibid., p. 22, pl. XXVII, 2.
(٣) Fischer, H.G., op. cit., p. 260.

وقد ألحقت سجون صغيرة أو ما يمكن تسميته حاليا بـ "الحجز" ببعض الإدارات الهامه بالدولة التى كان يتطلب طبيعة عملها حجز المتهمين حتى يتم التصرف فيهم، ومن هذه الإدارات، إدارة التحقيقات، ولقد أطلق على السجن الملحق بها سجن التحقيقات(١)، وكان يودع فيه المتهمون عند القبض عليهم للتحقيق معهم، وتشير الأدلة الأثرية النصية إلى العديد من الحالات التى كان يحال فيها المتهمون عند القبض عليهم إلى سجن التحقيقات(٢).

ومن الإدارات التى الحق بها سجون كذلك ، إدارة المالية، وربما كان ذلك راجعا إلى طبيعتها الخاصة، ومن الأمثلة التى تشير إلى وجود سجن بها ماورد فى بردية ليدن الأولى رقم ٣٦٨ ، وجاء فيها أن سته عبيد قد هربوا، وعند إلقاء القبض عليهم أودعوا فى "السجن الصغير للمشرف على الخزانة"(٣).

كما يستدل كذلك مما ورد فى تحقيقات سرقات المقابر التى تمت فى عهد الفرعون رعمسيس التاسع، وجود سجن ملحق بإدارة عمدة غربى طيبه، فقد ذكر أحد اللصوص الذين كان يحقق معهم أنه عندما "... سمع مشرفو أحياء طيبه أننا كنا نسرق فى الغرب، قبضوا علىّ وسجنونى فى إدارة عمدة طيبة"(٤)

٢- سجون المعابد :

توجد بعض الإشارات التى يمكن إن يستدل منها على وجود سجون

---

(١) W.b., IV, 387.

(٢) أنظر: Hayes, W. C., op. cit., pp. 38, 49, 91.

(٣) Ibid., p. 42.

(٤) Capart, J., Gardiner, A.H., and Walle, B., "New light on the Ramesside Tomb-Robberies", in J.E.A., 22 (1936), p. 171, 3,1.

ملحقة بالمعابد الكبرى، ومن هذه المعابد ، معبد آمون رع فى طيبه. ويستدل مما ورد فى نصوص الفرعون سيتى الأول أن السجن الملحق به كان يوجد عند بوابه المعبد. فقد ورد فى نصوصه الخاصه بتحذيراته لمن ينتهك حرمة مبانيه بأن يوضع فى سجن البوابه(١).

ووردت الإشاره إلى سجن معبد آمون رع أيضا فى عهد الفرعون رعمسيس التاسع، وذلك فيما يتصل بمحاكمات لصوص المقابر، وذلك فى العام السادس عشر من عهد الفرعون، وتأتى الإشارة إلى سجن معبد آمون رع فى الفقرة الآتية:(٢)

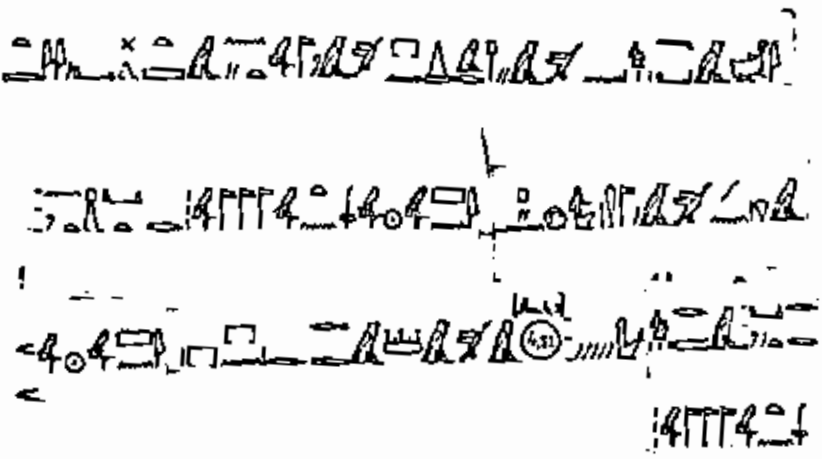

i.ʒiw n p3 mr n p3 nṯr nty m tȝ dit m ḥr n pȝ

ḥm-nṯr tpy n Imn-R ᶜnsw nṯrw rdit int-w

r rdit-w m s3w m p3 šᶜr n pr Imn-R nsw nṯrw

---

(١) Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt, Chicago, 1927, III, paragraph, 180, a.

(٢) Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt, IV, paragraph 541 , Peet, T.E., The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 1, text, Oxford, 1930, p. 49., Capart, J., Gardiner, A. H., and Walle, B., op. cit., p. 173, pl XVI

والتى تترجم: "إن لصوص هرم الإله الذى يقع تحت إشراف الكاهن الأول لآمون رع ملك الآلهة، والذى عهد بإحضارهم وايداعهم كمساجين فى سجن معبد آمون رع ملك الآلهة"

وجاء فى إحدى البرديات المحفوظه فى المتحف البريطانى وهى التى تعرف بالبردية رقم ١٠٠٥٣، وتتصل بمحاكمة اللصوص المتهمين بسرقة مقبرة ايزيس زوجه رعمسيس الثالث، أن المتهمين وعددهم ثمانية قد تم حجزهم فى معبد الإلهة ماعة فى طيبه بالمسروقات التى تم ضبطها معهم وذلك تحت إشراف الوزير والكاهن الأكبر ووردت نفس الإشارة فى البردية رقم ١٠٠٦٨ المحفوظه أيضا فى المتحف البريطانى(١).

ويستدل من هذه الإشاره إلى وجود سجن فى معبد الالهة ماعة بطيبة، ثم حجز هؤلاء المتهمين فيه أثناء إجراءات محاكمتهم.

وهناك إشارة أخرى يستدل منها على وجود سجون فى المعابد منفصله عن السجون المدنية، ومما يشير إلى ذلك:(٢)

iw n3 mnt-s3w m niwt m t3 ḥwt ,

"المساجين فى المدينة والمعبد"

وبالإضافة إلى النصوص السابقة التى أوردناها عن السجون والمساجين

---

(١) Peet, T. E., op. cit., pp. 72-74.

(٢) Wb., (Die Belegstellen), II, 424, 8.

فى مصر الفرعونية، فهناك كذلك العديد من النصوص التى أشارت إلى السجن بشكل عام دون تحديد لنوعه أو مكانه، ومنها ما ورد فى بردية وستكار والتى تعرف باسم "قصة خوفو والسحرة"، ففى ثنايا القصة أخبر الأمير حرددف والده الملك خوفو بأنه يوجد رجل يدعى "ددى" له فى السحر باع طويل وحيل كثيرة، ومنها أنه يستطيع أن يعيد الرأس المقطوعة إلى مكانها مرة ثانية، وعندما حضر "ددى" إلى القصر الملكى، قال له الملك: "أحق ما يقال من أنك يمكنك أن تركب ثانية رأسا قد قطع؟" فرد عليه درى قائلا: "نعم أعرف ذلك ياأيها الملك، يامولاى"، فقال جلالته: "احضروا لى سجينا من السجن حتى يوقع عليه عقابه"(١)

وفى العصر المتوسط الأول جاء فى النصائح الموجهة إلى الملك مرى كا رع مايلى: "لا تقتل، فإن ذلك لا يعود عليك بالفائدة، بل عاقب بالضرب والحبس"(٢)

وفى عصر الدولة الحديثة، يرجع إلى عهد الفرعون مرنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م) لوح محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة يحمل رقم ٣٤٠٢٥ يعرف باسم "لوح اسرائيل" ولقد ورد فى السطر السادس عشر من هذا اللوح على لسان الفرعون: "لقد أطلقت سراح الكثير من المساجين فى كل منطقة"(٣).

---

(١) Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, A Book of Reading, vol. I, The Old and Middle Kingdom, London, 1975, pp. 217-219.

(٢) Ibid., p. 100., Wilson, J. A., "Egyptian Instructions", in ANET, Princeton, 1969, p. 415.

(٣) Petrie, W.M.F., Six Temples at Thebes, London, 1897, pls. XIII. XIV, p. 27., Wilson, J. A., "Egyptian Hymns and Prayers", in ANET, p. 377.

وجاء في بردية Abbott المحفوظه في المتحف البريطاني تحت رقم ١٠٢٢١، وترجع إلى عهد الفرعون رعمسيس التاسع وتتصل بسرقات المقابر أنه في العام السادس عشر، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع عشر "سيق إلى المقابر معصوب العينين برصفه سجينا مقبوضا عليه"(١).

ويفهم مما ورد في مقدمه تعاليم عنخ شاشنقي أنه قد كتبها وهو في السجن، حيث طلب من سجانه حين أحس بدنو أجله أن يحضر له لوحة كتابة وبردية، حيث أن له ولدا لم يستطع أن يثقفه، وفي ذلك يقول: "عسى أن أكتب (كتاب) تهذيب له، وعساه أن يؤخذ إلى أونو فيتثقف به (فيها) فلما صعب عليه الحصول على البردية وتيقن أنه سيظل في السجن ... كتب على اللخاف الأمور التي ود أن يؤدب ولده بها"(٢).

وخير ما أختتم به هذا البحث عن السجون في مصر الفرعونية، الإشارة إلى ما ورد عنها في القرآن الكريم ويتصل بقصة يوسف عليه السلام(٣)، وذلك في سورة يوسف، وتبلغ الآيات الكريمة التي تتصل بالسجن وعقوبته تسع آيات، وفي ذلك يقول جل من علا: "واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم" (آية ٢٥).

وفي هذه الآية الكريمة نجد إمرأة العزيز حينما فوجئت بزوجها عند الباب عندما كانت تتبع يوسف عليه السلام بعد أن قدت قميصه، تقول لزوجها

---

(١) Peet, T. E., op. cit., p. 40(5,1)

(٢) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٧٩-٨٠

(٣) يرى العديد من الباحثين أن فترة وجود يوسف عليه السلام في مصر كانت في عصر الهكسوس وبخاصة الأسرة الخامسة عشرة، أنظر :
محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم . جـ٢ ، في مصر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٩٩-١٠٥.

متنصله من جرمها ورامیه به یوسف علیه السلام، ما جزاء من أراد الفاحشة بأهلك إلا أن يسجن أو يعذب عذابا شديدا، وفي ذلك دليل على وجود عقوبة السجن، وأنها يمكن أن تستبدل بالعقاب البدني.

وجاء في الآيتين الكريمتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين قوله تعالى: "قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين، قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين".

وتشير الآية الكريمة الخامسة والثلاثون إلى عقوبة السجن المؤقته، وفي ذلك يقول سبحانه: "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين".

وتشير الآية الكريمة السادسة والثلاثون إلى بعض الجرائم التي كان يعاقب مرتكبوها بعقوبة السجن، وجاء فيها قوله تعالى: "ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله، إنا نراك من المحسنين".

ويرى بعض المفسرين أن هذين الفتيان كان أحدهما ساقي الملك والآخر خبازه، وأن الملك قد توهم بأنهما تآمرا على قتله بوضع السم له في طعامه وشرابه (١)

وفي الآيتين الكريمتين التاسعة والثلاثين والحادية والأربعين يخاطب فيها يوسف عليه السلام الفتيان اللذين دخلا معه السجن ويبدأهما بعبارة :

(١) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٨١، ص٢٤٩.

"ياصاحبى السجن".

أما الآيه الكريمه الثانية والأربعون فتشير إلى بقاء يوسف عليه السلام فى السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاث إلى التسع ، وان رأى بعض المفسرين أنها سبع سنوات[1]، وفى ذلك يقول سبحانه: "وقال للذى ظن أنه ناج منهما إذكرنى عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين".

وفى الآية المائه يخاطب يوسف عليه السلام والده ذاكرا فضل ربه عليه إذ أخرجه من السجن وجاء بأهله من البادية، وفى ذلك يقول الله تعالى : "وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم" صدق الله العظيم.

ويشير القرآن الكريم أيضا إلى وجود السجون على أيام موسى عليه السلام، إذ قال الله تعالى على لسان فرعون ، وهو يهدد النبى الكريم "لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين"[2]، ورغم اختلاف المؤرخين فى عصر موسى عليه السلام، وخروج بنى اسرائيل من مصر، فإنهم يجمعون على ان ذلك إنما كان فى عصر الدولة الحديثه (١٥٧٥-١٠٨٧ ق.م) وان دارت معظم آرائهم بين تحوتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م)، أو ولده أمن حتب الثانى (١٤٣٦-١٤٠٥ ق.م) وبين رعمسيس الثانى (١٢٩٠-١٢٢٤ق.م) أو ولده "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م)[3]

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٥١، وانظر تفسير الطبرى ١١٦/١٦-١١٥ (دار المعارف ١٩٦٩)

(٢) سورة الشعراء، آيه ٢٩.

(٣) محمد بيومى مهران : اسرائيل، الجزء الأول، الاسكندرية ١٩٧٨. ص٣٥٧-٤٣٩

أنماط العمران في شرق الاسكندرية
مع التطبيق على قرية أبيس الثانية

دكتور
محمد فريد أحمد فتحى
مدرس بقسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

تركز اهتمام الباحثين فى جغرافية العمران - على تحديد فواصل شبه صارمه بين نمطى العمران الرئيسيين ، الريفى والحضري ، باعتبارهما المظهران السائدان للعمران البشري . وظهرت الكثير من الكتابات تتناول مفهوم الحضر وتعريفه وتحديد مواصفاته وخصائصه ، حتى يمكن تمييزه عن الريف الذي يبدو أكثر وضوحا فى تعريفه وتحديده بحكم وظيفة الأرض وشكل المحلة العمرانية وخصائصها السكانية .

بيد أن الملاحظ فى دراسة نمو المدن وامتدادها ، ظهور نمط انتقالى على أطرافها ، يحمل فى طياته صفات الريف والحضر فى آن واحد . وتتباين سمات أيهما وفق عوامل متباينة ترتبط بمدي التأثير التبادل بين القرية والمدينة من ناحية ، وعامل الموقع (المسافة) والجوار من ناحية أخري ، مما أدي الى صعوبة حد فاصل بين ماهو ريفى وما هو حضري . حتى أن هذه المنطقة الانتقالية يمكن أن تكون النمط الثالث للعمران البشري (١) . فهذه المنطقة ذات خصائص مميزه ليست بالحضر ولا بالريف ، ولكنها تجمع بعضا من خصائص كل منهما وسماته.

وفى ضوء ذلك فان هناك سمتان متميزتان فى هذا النطاق الانتقالى الريفى الحضري - الأولى السمات الطبيعية للبيئة والثانى الخصائص الاجتماعية للسكان . ومن هنا تحظى هاتان النقطتان بالأهمية الكبري فى دراسة هذا النطاق الذي يتميز بصفات خاصة فى إستغلال الأرض من ناحية ، وبأنه يمثل منطقة انتقالية فى عملية التحضر من ناحية أخري .

ففى مجال استغلال الأرض يكون هذا الاستغلال موجها نحو المدينة . فالأرض الزراعية يخصص معظمها لتموين المدينة من الخضر والفاكهة ومنتجات الألبان ، فضلا عن الطفيان المستمر للمنشآت التى تحتاجها المدينة مثل محطات الكهرباء والمياه والصرف الصحى ومستودعات البترول والمخازن

الضخمة ، بالاضافة الى المنشآت الصناعية التى قد تظهر لتلبية احتياجات المدينة أو كنشاط اقتصادي لها . وغالبا ماتكون هذه الاستخدامات دون خطة موضوعة سلفا ، لذا يبدو فى مظهره النهائي خليطا من الوظائف المتباينة فى أطراف المدنية ، ومايلبث النمو الحضري أن يحيط بها وتصبح داخل الأحياء السكنية مع مايجلبه من مظاهر سيئة لهذه الأحياء .

وقد حدد GOLLEDEGE فى دراسة عن مدينة سيدنى سبعة فروض عن الهالة الحضرية (٢) يمكن تلخيصها فى أن نمط استخدام الأرض دائم التغير - صغر حجم المزارع - الانتاج الكثيف للمحاصيل - أن السكان ليسوا ثابتين بل متحركين - التوسع السكنى السريع - النقص فى الخدمات والمرافق - انتشار المضاربة فى المبانى .

ويجتذب النطاق الحضري الريفى فى أطراف المدن سكانا متحركين من الطبقة الوسطى غالبا مايعيشون ويعملون منفصلين اجتماعيا وسكانيا عن السكان الأصليين ، حيث يمثلون قطاعا من المجتمع يقل فى حجمه بالبعد عن المدينة ، فتوجههم دائما ما يكون الى المدينة ويظهر ذلك فى رحله العمل اليومية التى تبلغ ذروتها فى الصباح الباكر نحو المدينة وبعد الظهر نحو الأطراف .

والنطاق الشرقى من مدينة الاسكندرية - المعروف الآن بضاحيتى الرمل والمنتزة والذي كان حتى أوائل هذا القرن ، عبارة عن مجموعة من القري والعزب المتناثرة ، لم يكن العمران الحضري لمدينة الاسكندرية قد امتد اليها ، لذلك فقد الغى قسم الرمل (والذي كان يشغل المنطقة فيما بين بولكلى غربا وقصر المنتزة شرقا) وأصبح مركزا اداريا يتبع " مديرية " البحيرة فى تعداد ١٩١٧ وسمي " بمركز الرملة " (٣) . وفى هذا دليل على أنه حتى ذلك التاريخ كان النطاق الشرقى لمحافظة الاسكندرية مجرد مجموعة من القري القريبة من الاسكندرية مثل حجر النواتية ، فلمنج ، الظاهرية ، القصعى ، باكوس ، شوتس ، السيوف

(بحري) ، سيدي بشر (بحري) ، ذات مظهر ريفى بحت وذات تجمعات سكانية صغيرة ، يعمل سكانها بالزراعة أساسا .

ومع الزحف العمرانى لمدينة الاسكندرية والذي كان يتجه نحو الشرق باطراد سريع ، حتى التحمت المدينة الكبري بهذه القري الصغيرة . ومعنى ذلك أن الالتحام العمرانى قد حدث بين أكثر من نواه ، فهو من نوع الالتحام عديد النوي (٤) . وما لبثت هذه القري أن اختفت وأصبحت مجرد أحياء وشياخات بنفس أسمائها ، داخل ضاحية الرمل وبالتالى داخل حدود محافظة الاسكندرية ،حيث فصل " مركز الرملة " من مديرية البحيرة عام ١٩٢٧ وأصبح تابعا لمحافظة الاسكندرية منذ ذلك التاريخ .

وفى عام ١٩٥٥ أنشئ " قسم النزهة " تابعا لمحافظة الاسكندرية عن طريق فصل بعض النواحى " القري " من مركز كفر الدوار وهى : السيوف " قبلى" - سيد بشر " قبلى " - المندرة - المعمورة ، أبوقير ، القومبانية الانجليزية (الطرح) - المنشية البحرية - التوفيقية - المحروسة - الصبحية (٥) . وقد ترتب على ذلك اتساع محافظة الاسكندرية من ناحية الشرق وتراجعت حدودها شرقا وجنوبا واستقرت على هذا الوضع حتى الوقت الحضار .

وهناك عوامل عديدة أدت الى نمو مدينة الاسكندرية واتساع عمرانها نحو الشرق بصورة سريعة منذ بداية القرن الحالى ، بشكل واضح ومستمر على طول ساحل البحر المتوسط حتى اتصل حاليا بأبى قير فى أقصى الشرق ، ملتهما تلك القري والغرب التى تقع فى طريقه والتى مازالت آثارها شاهدا على وجودها بمظهرها الريفى حتى الأمس القريب . ومن هذه العوامل نذكر مايلى:-

١ - كان نمو المدنية واتساع رقعتها فى اتجاه الغرب محدودا وبطيئا ، بسبب وجود الميناء وتركز المنشآت الصناعية جنوبه وانتشار الأحياء العمالية

العشوائية ، مما جعل اختراق هذه المنطقة نحو الغرب يمثل مشكلة أمام الرحلة اليومية بين وسط المدينة وغربها.

٢ - انشاء خط سكة حديد الرمل (ترام الرمل) والذي بدأ عام ١٨٦٣ من محطة الرمل وحتى بولكلى وتم كهربته ومده حتى المراي (السيوف بحري) فى عام ١٩٠٤ (٦) . وفى عام ١٩٣٧ بدأ تشغيل خطوط منتظمة للحافلات العامة (الأتوبيس) من ميدان المنشية الى ضواحى الرمل (٧) لمواجهة ضغط الركاب المتزايد على ترام الرمل .

٣ - يعد إنشاء طريق الكورنيش على ساحل البحر فى الاسكندرية عام ١٩٣٤، من أهم العوامل التى ساعدت على سرعة الزحف العمرانى فى الاتجاه الشرقى . فقد أدي انشاؤه الى زيادة العمران بمنطقة الرمل بدرجة كبيرة . ومما ساعد على ذلك ، ظهور بدعة بين الموسرين والأغنياء - الذين كانوا يسكنون على ضفاف ترعة المحمودية ومنطقة وسط المدينة (فيما بين المنشية ومحطة الرمل) ، وهى بناء فيلات وشاليهات ومنازل يقيمون فيها فى فصل الصيف ، أو للاقامة الكاملة خاصة وبعد أن تعرضت منطقة محرم بك الى نزوح الكثير من العمال والمهاجرين الى المدينة والاقامة فيها قريبا من المصانع التى بدأ عددها يتكاثر حول ترعة المحمودية ، مما أدي الى هجرة أفراد الطبقات العليا والمتوسطة من محرم بك الى منطقة الرمل ، وما صاحب هذه الهجرة من إنشاء العمارات السكنية التي تطل على البحرمباشرة (٨) .

٤ - إنشاء خط سكة حديد أبوقير - عام ١٨٧٥ - فيما بين محطة الاسكندرية وأبوقير وامتداده الى رشيد وقد تم ازدواج هذا الخط - عام ١٩٦٤ - حتى أبو قير ليستوعب أعدادا أكثر من القطارات ولتقليل زمن الرحلة بسبب الضغط المتزايد للركاب .

٥ - التنمية الصناعية التى حدثت فى مدينة الاسكندرية فى السنوات القلائل قبيل الحرب العالمية الثانية والتى مازالت مستمرة حتى الوقت الحاضر ، اذ أنشئت العديد من المصانع فى أطراف المدينة خصوصا الشرقية منها ، فى منطقة السيوف قريبا من ترعة المحمودية ، وفى منطقة الرأس السوداء (جنوب سيد بشر قبلى) والى الجنوب من أبى قير على ساحل خليج أبى قير .. وقد أدي ذلك الى أن أصبحت هذه المناطق مراكز جذب قوية للعديد من المهاجرين من وسط الاسكندرية التى ضاقت بسكانها أو الوافدين الى الاسكندرية من القري المجاورة وباقى جهات مصر .

٦ - الساحل الشرقى للاسكندرية ، يعتبر من أجمل شواطئها وله شهرته الخاصة فى مصر ، مثل شواطئ ستانلى - جليم - سان استفانو - سيدي بشر - العصافرة - المنتزة - المعمورة -أبو قير . ولهذا العامل أثره فى ازدياد النشاط العمراني فى هذه الجهات وجذبه للسكان من مدينة الأسكندرية .

٧ - تجفيف البحيرات الواقعة فى شرق الاسكندرية ، مثل بحيرة أبو قير ، التى تم تجفيفها عام ١٨٩١والتى تعرف أراضيها باسم القوميانية الانجليزية" وأصبحت من أخصب الأراضى فى هذا النطاق ، حيث خلقت مجموعة من القري والعزب وكونت ظهيرا زراعيا هاما لمدينة الاسكندرية . وبحيرة الحضرة التى كانت ملكا ليوسف سموحة وقام بتجفيفها عام ١٩٢٤ (٩) والتى أفادت كثيرا فى توسيع رقعة العمران فى منطقة سموحة . كما قامت مصلحة الأملاك الأميرية بتجفيف الأجزاء الشرقية من بحيرة مريوط عام ١٩٤٨ التى كانت تمتد على شكل ملاحات وبرك وظهرت مكانها منطقة أبيس بصورتها الحالية لتضيف رصيدا جديدا من الأراضى الزراعية للنطاق المحيط بالاسكندرية . (١٠)

٨ - ورغم تجفيف البحيرات لتحل محلها الأراضى الزراعية . ثم تسلم هذه

الأراضى الزراعية فى هذا النطاق من الزحف العمرانى ، رغم صدور القوانين التى تمنع البناء عليها . وذلك بسبب رخصها فى أول الأمر ، ومع زحف العمران إليها تزايدت أسعارها (وصل ثمن الفدان فى قرية أبيس الثانيه الى خمسين ألف جنيه) مما أصبح يمثل إغراءاً بكثير من المزارعين على بيع أراضيهم لاستثمارها فى البناء وساعد على ذلك النمو المطرد للسكان .

٩ - انشاء ضاحية المعمورة عام ١٩٦٠لتكون مصيفا متميزا بالاسكندرية وما تبعه من اعتداء على الأراضى الزراعية المجاورة لها شرقا ، مع اقبال المستثمرين على شراء الأراضى فى هذه المنطقة ، حتي أن شركة المعمورة للاسكان والتعمير تستصدر قرارات نزع حيازة بعض المزارعين لاستغلال الأراضى فى البناء (١١) . مما أدي الى امتداد ضاحية المعمورة شرقا حتي أحاطت بقرية المعمورة التي مازال مظهرها الريفى واضحا فى قلب نطاق من العمائر الحديثة ذات المواصفات المعمارية الخاصة بهذه الضاحية .

١٠ - قيام هيئة الأوقاف المصرية باستغلال الأراضى التى تمتلكها بالناصرية (الى الجنوب من قصر المنتزة) ، فى انشاء العديد من العمارات السكنية . وقد شجع ذلك شركات الاسكان والتي قام عديد منها باقامة أحياء سكنية كاملة على هذه الاراضى الزراعية ، وعلى سبيل المثال فالشركة المتحدة للاسكان والتعمير ، تعمد كل عدة سنوات الي إغراء بعض المزارعين فى منطقة السيوف بهبات مالية كبيرة للتنازل عن حيازاتهم لاستغلال الأراض فى اقامة مجمعات سكنية ضخمة .

١١ - انخفاض القدرة الانتاجية للاراضى الزراعية المتاخمة للعمران وعدم وجود شبكة للصرف الصحى ، مما أدي الى ارتفاع منسوب الماء الارضى وكذلك صرف مخلفات الصانع الموجودة فى المنطقة فى المصارف العامة . الأمر الذي تدهورت معه انتاجية هذه الأراضى الزراعية فى الوقت الذي ترتفع فيه

أثمانها كأراض للبناء .

ونتيجة لهذه العوامل امتد العمران فى شرق الاسكندرية حتي وصل الى أبى قير وامتد الى الجنوب منها على ساحل خليج أبى قير حيث توجد العديد من المنشآت الصناعية . كما بدأ العمران يتجه نحو الداخل ، خصوصا فى المنطقة الوسطى من هذا النطاق، معتدا على محاور الطرق التى تتجه جنوبا وعلى ترعة المحمودية حتى وصل الى غرب نوبار وعزبة خورشيد . والخريطتان رقمى (١ . ٢) تبين تطور العمران فى شرق الاسكندرية فيما بين عام ١٩٤٨ ، ١٩٨٨.

نمو السكان .

يبين الملحق رقم (١) تطور الزيادة السكانية فى شرق الاسكندرية فيما بين تعدادي عامى ١٩٣٧ ، ١٩٧٦ - أي نحو أربعين عاما ، ومنه يتضح أن السكان قد تضاعفوا حوالى ٥ . ٧ ضعف ماكانوا عليه . فقد ارتفع عدد السكان من نحو مائة ألف نسمة الى نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة خلال أربعون عاما بمتوسط زيادة سنوية يبلغ ١٦٢ ٪ سنويا . فى حين تضاعف جملة سكان محافظة الاسكندرية من ٣٦٩ر٧١٧ نسمة عام ١٩٣٧ الى ٥ . ٧ر٣١٧ر٢ نسمة عام ١٩٧٦ (١٢) ، أي ٢٥ر٣ ضعفا فقط بمعدل زيادة سنوية للسكان قدره ٥ر٧٪ سنويا ، وبينما كان سكان المناطق الشرقية يمثلون ٤ر١٤٪ من جملة سكان الاسكندرية عام ١٩٣٧ ، أصبحوا يمثلون ٧ر٣٢٪ من جملة السكان عام ١٩٧٦ ، وفى عام ١٩٨٦ - ارتفع عدد السكان الى ١٥٥ر٢١٥ر١ نسمة مجموع سكان محافظة الاسكندرية ٤٥٩ر٨٩٦ر٢(١٣) بنسبة ٤٢٪. ومعنى ذلك أن مركز الثقل السكانى لمدينة الاسكندرية يتجه شرقا نحو هذا النطاق الذي يمثل منطقة الجذب السكانى الرئيسية فى الاسكندرية .

ومن الملحق رقم (١) والخريطة رقم (٣) يمكن تقسيم النطاق الشرقى للاسكندرية تبعا لمعدلات الزيادة السنوية للسكان الى :

١ - مناطق منخفضة فى نموها السكانى :

حيث يبلغ معدل الزيادة السنوية للسكان فيها أقل من ١٠٪ سنويا وتتمثل فى ثلاث مناطق هى :

أ - المنطقة الغربية المندمجة فى مدينة الاسكندرية : فلمنج - زعربانه والحمام - العاقصة وباكوس وهه الشياخات من التوبات القديمة العمران والتى بدأ التركز السكانى فيها مبكرا ولم تعد قادرة على استيعاب وافدين جدد الا بقدر محدود .

ب - المنطقة الشرقية (باستثناء ضاحية أبى قير) وتشمل : المعمورة - ظلمات الطابية - الناصرية المتدرة بحري . ومعظم الأراضى الزراعية فى هذه المنطقة كانت ملكا " للخاصة الملكية " أو ملكيات فردية كبيرة المساحة ، ثم آلت ملكيتها الى الدولة بعد ثورة ١٩٥٢ وصدور قوانين الاصلاح الزراعى لتحديد الملكية ، مثل أوقاف النزة وتفتيش الاصلاح الزراعي بالمعمورة (١٤) . فالمزارعين هنا (مستأجري الارض الزراعية) لايملكون التصرف فيها بالبناء أو البيع ، وهذا ماعرقل موجة الزحف العمرانى فى هذا الاتجاه ومن ثم كانت الزيادة السكانية فيها تتسم بالبطء والانخفاض .

ج - الأطراف الجنوبية وتشمل التوفيقية - خورشيد البحرية والقبلية - أبيس . وهى أكثر المناطق تطرفا نحو الجنوب والجنوب الغربى والبعيدة عن الزحف العمرانى للاسكندرية ومازالت معظم أراضى هذه القري زراعية ، كما أن أبيس ذات وضع خاص ، فهى منطقة مستجدة بعد تجفيف الأجزاء الشرقية من بحيرة مريوط واستصلاحها زراعيا ، ولم يبدأ تعميرها بالسكان الا بعد

عام ١٩٥٦ .

٢ - مناطق متوسطة فى نموها السكانى :

وفيها يبلغ متوسط الزيادة السكانية مابين ١٠٪ ، ٢٠٪ سنويا . وتشمل الهوامش الغربية والجنوبية المحيطة بمنطقة التركز السكانى الرئيسية ، فإلى الغرب : سان استفانو - القصعى (قبلى وبحرى) - الظاهرية وعزبة الصفيح - حجر النواتية . وهى منطقة بلغها الزحف العمرانى فى فترة لاحقة وبدأت موجته فى الانحسار عنها وبالتالى ازدحمت سكانيا وبدأت معدلات الزيادة السكانية فى الانخفاض فيها . والى الجنوب : المنشية البحرية - العمراوي - القرداحى . حيث تمثل هذه الشياخات - مقدمات لموجة الزحف العمرانى الحديث ومناطق التوسع العمرانى المستقبلية وبالتالى بدأت معدلات الزيادة السكانية فيها فى الارتفاع .

٣ - مناطق مرتفعة فى نموها السكانى :

حيث يزيد متوسط الزيادة السكانية عن ٢٠٪ سنويا . وتشمل وسط نطاق شرق الاسكندرية (المحروسة - دنا الجديدة - السيوف (بحري وقبلى) - سيدي بشر (بحري وقبلى - المندرة قبلى) بالاضافة الى ضاحية ابى قير . ففى هذه المنطقة تبلغ موجة الزحف العمرانى والسكانى أوج قمتها ، حتي أن متوسط الزيادة السنوية للسكان يصل فى سيدي بشر (بحري وقبلى) ٥ر١٪ سنويا وفى دنا الجديدة ١٨٩٪ وفى أبى قير ٤١٪ . وقد ساعد على تركز السكان وزيادتهم بهذه الصورة المفاجئة عدة عوامل يعتبر أهمها مايلى :

أ - انتشار الصناعة ، حيث يمكن تمييز ثلاث مناطق تتركز فيها الصناعة وهى منطقة حجر النواتية على ضفاف ترعة المحمودية (مصانع النحاس - النسيج - صناعات هندسية وكيميائية) ومنطقة الرأس السوداء جنوب سيدي بشر

القبلية (صناعات نسيج وأغذية) وعلى خليج أبى قير (مصانع الورق - الأسمدة - البتروكيماويات) . بالاضافة الى المصانع الصغيرة والورش التى تنتشر فى هذه المنطقة ، مما كان له أثره الواضح فى جذب السكان وتزايد أعدادهم للاقامة بالقرب منها .

ب - تيسر طرق التنقل والمواصلات التى تمتد فى هذه المنطقة ومن أهمها خط سكة حديد أبي قير وأهم محطاته الظاهرية ، فيكتوريا ، سيدي بشر ، المندرة . وترام الرمل الذي ينتهى عند فيكتوريا (السيوف بحري) ، بالاضافة الى خطوط النقل العام (الحافلات) والتى تبدأ من محطة مصر أو ميدان المنشية بوسط المدينة متجهة نحو الأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية مرورا بهذه المنطقة وكذلك النقل الخاص (المشروع) والذي أخذت أهميته تتزايد فى الفترة الأخيرة لما يوفره من راحة للركاب وتقارب سعر النقل للركاب بينه وبين الحافلات العامه .

أنماط العمران :

يتميز النطاق الشرقى لمدينة الاسكندرية بتعدد أنماط العمران التى تظهر فيه ، تبعا لدرجتى التحضر والحضرية . وتقاس درجة التحضر بعوامل سكانية - اجتماعية ، مثل كثافة السكان ، الزيادة الطبيعية ، النشاط الاقتصادي ، الحالة التعليمية وغيرها من العوامل الاجتماعية والسلوكية للسكانيه . أما درجة الحضرية فتقاس بعوامل أخري مثل تخطيط الطرق والشوارع وارتفاعات المبانى وطرزها المعمارية وتوفر المرافق والخدمات ومدي كفاءتها وغيرها من العوامل المرتبطة بشكل العمران . وينبغى أن نذكر فى هذا الصدد أن التطور السريع والتغيرات المستمرة التي تشهدها المجتمعات الحضرية والريفية - على السواء - تجعل عملية التصنيف غاية فى التعقيد بحيث يصعب أحيانا وضع الحدود الفاصلة بين خصائص الحياة الحضرية وخصائص الحياة الريفية ، كما أنه

من الصعب وضع حدود لتميز خصائص الحياة الحضرية بدرجاتها المختلفة .

وفى سبيل تمييز هذه الأنماط العمرانية الحضرية فى نطاق شرق الاسكندرية ، فقد تم الاعتماد على ثلاثة أسس . تتمثل فى النشاط الاقتصادي للسكان والحالة التعليمية للسكان لما لهما من ارتباط بدرجة التحضر ، بالاضافة الى الدراسة الميدانية الحقلية مع التركيز علي دراسة شبكات الطرق وتخطيطها وارتفاعات المباني وطرزها المعمارية ومدي وجود المرافق والخدمات ودرجة كفاءتها . وبناء على هذه الأسس الثلاثة تم انشاء الخريطة رقم (٤) والتى تميز ثلاثة أنماط من العمران هى :-

١ - **العمران الحضري المخطط (الراقى).**

وتظهر فى الأحياء التى تنتشر فيها المبانى ذات الفن المعماري المتناسق ، وتطل على شوارع متسعة تتميز بتخطيطها وتخدمها شبكات المرافق المختلفة بكفاءة عالية ، وتنتشر خلالها منشآت الخدمات الادارية والتعليمية والصحية وغيرها من الخدمات التي يحتاجها السكان . كما تتميز معظم المباني بمساحاتها الكبيرة نسبيا ، تحيط ببعضها الحدائق الخاصة وقد يوجد بأسفل بعضها " الجراجات " .

ويتمثل هذا العمران " الراقى " فى الجزء الشمالى الغربى لمنطقة الدراسة ، محصورا بين ساحل البحر المتوسط شمالا وسكة حديد أبى قير جنوبا وينتهى فى الشمال الشرقى عند ضاحية المعمورة ويشمل شياخات فلمنج (أحياء بولكلى - جليم - فلمنج) وسان استفانو (أحياء زيزينيا - سان استيفانو - ثروت - لوران - السراي) وسيدي بشر بحري والمندرة بحري (أحياء ميامى - العصافرة - المندرة) بالاضافة الى الجزء الشمالى الغربى من شياخة المعمورة . فهذه المنطقة ذات موقع ممتاز ، حيث توجد شواطئ الاستحمام (البلاجات)

وكانت معظم مبانيها فى الماضى عبارة عن " فيلات " ذات حدائق خاصة لأغنياء الاسكندرية الذين هجروا وسط المدينة واتجهو نحو الشرق طلبا للهدوء والراحة والمنظر الجميل - - وقد أعطتها بلدية الاسكندرية أهمية خاصة فقامت بتخطيط شوارعها وعززتها بالمرافق المختلفة . ومع أزمة الاسكان التى تعانيها مدينة الاسكندرية بصورة عامة ، بدأ معظم أصحاب هذه " الفيلات" فى هدمها وبناء " عمارات " ذات ارتفاعات شاهقة (أبراج) خصوصا على طريق الكورنيش . ولذلك أصبح استخدام الأرض ذات قيمة اقتصادية مرتفعة ، وانعكس ذلك على نوعية السكان ودرجة تحضرهم . فمعظم السكان من أصحاب المهن الفنية والعلمية والمديرين ورجال الأعمال والعاملين بالأعمال الكتابية والخدمات ، كما ترتفع بينهم نسبة المتعلمين وأصحاب المؤهلات العليا . ويمثل سكان هذا النطاق ٧ر٣٤٪ من جملة سكان شرق الاسكندرية . ومن الملحقين رقمى (٢ . ٣) يمكن أن نتبين مايلى :-

* يتركز فى هذه المنطقة ٦ر٧٢٪ من مجموع العاملين بالمهن الفنية والعلمية بنطاق شرق الاسكندرية . كما يسكنها ٣ر٤٢٪ من مجموع العاملين بالأعمال الكتابية والخدمات ، فى حين تبلغ نسبة العاملين بالانتاج الصناعي والتجارة والنقل ٢ر٣١٪ والعاملين بالزراعة والصيد ٣ر٦٪ فقط

* تبلغ نسبة ذوي المؤهلات العليا (الجامعية وفوق الجامعية) ٨ر٨٪ عن مجموع ذوي المؤهلات العليا بنطاق شرق الاسكندرية (١٥) ، كما تبلغ نسبة الأمية نحو ٢ر٢٤٪ من مجموعهم الكلى .

ومامن شك أن أصحاب هذه المهن ومعظمهم من ذوي المؤهلات العليا ، من ذوي النشاط الاقتصادي المرتفع الدخل .

*يلاحظ أن نسب العاملين بالمهن الفنية والعلمية ونسب الحاصلين على المؤهلات العليا تبلغ أقصاها فى شياختى فلمنج (٦ر٤٤٪ ، ٨ر٢١٪ على الترتيب) وسان استفانو (٩ر٤٥٪ ، ١ر٢٤٪ على الترتيب) ، ثم تقل هذه النسب تدريجيا بالاتجاه شرقا ، حيث يليهما فى الترتيب سيدي بشر بحري ثم السيوف بحري ثم المندرة بحري ، حيث تتراوح بين ٩ر٢٨٪ ، ٦ر٢٤ ٪ للعاملين بالمهن الفنية والعلمية و ٩ر١١٪ ، ٣ر٩٪ لذوي المؤهلات العليا .

*وتقل هذه النسب بصورة فجائية فى الشياخات الجنوبية (زغربانه والحمام (جنوب فلمنج) والقصعى بحري (جنوب سان استفانو) وسيدي بشر قبلى ، حيث تتراوح نسب العاملين بالمهن الفنية والعملية بين ٤ر١٥٪ ، ٠ر١٢٪ وذوي المؤهلات العليا بين ٩ر٤٪ ، ٢ر٤٪ . وهذه الشياخات الجنوبية تعتبر مرحلة انتقالية بين هذه النمط العمراني المرتفع في درجة التحضر والحضرية والنمط العمرانى العشوائى شبه المخطط الذي يليه جنوبا. ففى هذه الشياخات ترتفع نسبة العاملين بالانتاج الصناعي والنقل والتجارة (تتراوح بين ٤ر٥٨٪ ، ٣ر٥٩٪) كما ترتفع نسبة الأمية بين سكان هذه الشياخات اذ تتراوح بين ٩ر٢٧٪ ، ٠ر٣٣٪ .

٢ - النطاق العشوائى وشبه المخطط :

وينتشر الى الجنوب من خط سكة حديد أبى قير ، ويحده غربا خط سكة حديد الاسكندرية / القاهرة ، ويمتد نحو الشمال الشرقى حتى يتصل بضاحية أبى قير ، أما حدوده الجنوبية فمتداخلة مع نطاق العمران الانتقالي الحضري / الريفى .

ويشمل هذا النطاق شياخات القصعى قبلى - دنا الجديدة - المحروسة

الظاهرية وعزبة الصفيح - العاقصة وباكوس (من قسم الرمل) وشياخات السيوف قبلى - المندرة قبلى - العمراوي - أبو قير الغربية - أبو قير الشرقية (من قسم النتزة) .

وهذا النطاق قد امتد اليه العمران دون ما تخطيط أو نظام فى معظم أجزائه . ويتميز بشوارعه الضيقة والمتعرجة وأزقته غير المرصوفة والمسدودة فى غالب الأحيان . وتنتشر فيه المصانع والورش ، كما فى مناطق الظاهرية وباكوس وحجر النواتية والسيوف قبلى وسيدي بشو قبلى (الرأس السوداء). ومعظم البناءات السكنية على مساحات صغيرة من الأرض بعضها مرخص وبعضها الآخر غير مرخص ومعظمها مخالفة لقوانين التنظم ، لذلك فهى تفتقر الى الجوانب الصحية ، فالتهوية سيئة والغرف ضيقة ومظلمه ويخلو بعضها من المرافق الأساسية من مياه وكهرباء وصرف صحى . كما أنها تتباين من حيث الارتفاعات ، وان كان معظمها لا يتعدي الطوابق الأربعة . وبسبب الضغط السكانى في هذه المناطق ، يلجأ العديد من السكان الى تحويل الشرفات - رغم ضيقها - الى غرف أو (عشش) لتربية الدواجن . والى جانب هذا النمط من المباني السيئة توجد المباني و (الأبراج) التى ترتفع الى أكثر من عشر طوابق . فالسكن هنا يناسب جميع مستويات الدخل ، اذ يبدأ بالغرفة الواحدة والسكن المتواضع الى الاسكان الفاخر .

وفى بعض أجزاء هذا النطاق العشوائى السرطانى ، توجد مناطق ذات تخطيط جيد للشوارع ، وتتمثل بصورة أساسية فى الاسكان الحكومى أو الشركات العاملة بهذا النشاط ، والذي تشيد وحداته وفق تخطيط جيد وبناءات ذات نماذج محددة هندسيا ، وتتعدد أنماطها من اسكان فاخر (عمارات المنتزة) واسكان متوسط (المندرة قبلى وفيكتوريا) واسكان شعبي (غبريال -الظاهرية - شوتس - أبوقير) . وفى مناطق الاسكان الشعبي لم تسلم المساكن من تحول

معظم شرفتها الى غرف أو " عشش" كما أن بعض السكان يستغنون عن المطبخ ويستبدلونه بحجرة للنوم سعيا وراء مزيد من المساحات لمواجهة الكثافة السكانية الشديدة . وتحولت المساحات التى تفصل بين " البلوكات " السكنية والمخصصة كمساحات خضراء حسب التصميم المبدئى - الى أماكن لتجمع القمامة الملقاة من المساكن المحيطة بها ولمياه الصرف المتسربة من الأبنية ويغلب عليها طابع الاهمال والقذارة .

وجدير بالذكر أن الخدمات والمرافق التى تزود بها هذه النطاقات العشوائية ، تعجز أمام ظاهرة الضغط السكاني والاسكانى المستمرين ، عن العمل بكفاءة مرضية . فالفصول بالمدارس ذات كثافة عاليه وكلها تعمل فترتين أو ثلاث يوميا وتكثر ظاهرة انقطاع التيار الكهربى وعدم كفاية المياه النقية وطفح المجاري .

ومامن شك أن سكان هذا النطاق أقل فى تحضرهم من سكان النطاق السابق ، فمعظمهم من الوافدين الى مدنية الاسكندرية من المناطق الريفية . وتعكس دراسة السكان فى هذا النطاق الكثير عن المستوي الاقتصادى والاجتماعي والثقافي للسكان . كما تعد انماط السكن وصفاتها انعكاسا لظروف المنطقة واستخدام الأرض . فمعظم السكان من العاملين بالانتاج الصناعى والأعمال الكتابية والخدمات ، كما ترتفع فى بعض المناطق نسبة العاملين بالزراعة . أما من الناحية التعليمية ، فتقل نسبة الحاصلين على الشهادات الجامعية وترتفع نسبتى الحاصلين على شهادات متوسطة أو أقل من المتوسطة . ويبلغ سكان هذا النطاق ٤ر٥٦٪ من جملة سكان شرق الاسكندرية.

ومن الملحقين رقمى (٣.٢) يتضح مايلى :-

*ترتفع نسبة العاملين بالانتاج الصناعي والنقل والتجارة حيث تتراوح بين

٥ر٤٣٪ (أبوقير الشرقية) و ٧٣٪ (عزبة المحروسة) . وتعتبر عزبة دنا الجديدة أكبر تجمع للعاملين بهذه الحرف حيث تبلغ نحو ثلاثين ألف نسمة يشكلون نحو ثلاثة أرباع ذوي النشاط الاقتصاد بها ، أو ٣٨٪من جملة العاملين بهذه الحرف في هذا النطاق (كما يمثلون ٥ر٢٤٪ من جملة العاملين بهذه الحرف فى شرق الاسكندرية) . ويرجع ذلك الى قربها من العديد من المصانع الضخمة والتى من أهمها مصانع النحاس والعديد من المنشآت الصناعية والورش والتى تقع على ضفاف ترعة المحمودية بمنطقة حجر النواتية .

* تتباين نسبة العاملين بالانتاج الزراعي والصيد فى هذا النطاق، اذ تبلغ أدناها حيث تتراوح بين ٦ر٪ ، ٢ر٤٪ فى الأجزاء الشمالية ، وترتفع الى مابين ٧ر١٩٪ ، ٣ر٢٤٪ فى الأجزاء الهامشية الجنوبية (حجر النواتية – العمراوي) والشمالية الشرقية (أبوقير الشرقية) .

* تنخفض نسب العاملين بالمهن الفنية والعملية والمديرين اذ يبلغ متوسطها فى هذا النطاق ٩ر٥٪ من جملة ذوي النشاط الاقتصادي . وتتراوح نسبتهم بالنسبة لشياخات هذا النطاق بين ٦ر٢٪ (حجرالنواتية) و ٦ر٨٪ (القصعي قبلى) باستثناء شياخة أبو قير الغربية حيث ترتفع هذه النسبة الى ٦ر١٢٪ من جملة ذوي النشاط بها .

* يمثل أصحاب المؤهلات التوسطة ودون المتوسطة نحو ٥٥٪ من جملة الأفراد (أكثر من ١٠ سنوات) فى هذا النطاق ، كما يمثل الأميون ٥ر٤٣٪ ، أما الحاصلون على مؤهلات عليا فلا تزيد نسبتهم عن ٥ر١٪ فقط . ويلاحظ أن نسبة الامية ترتفع فى بعض الشياخات فتصل الى ٧ر٥٩٪ (حجر النواتية) وتبلغ أدناها فى العاقصة وياكوس وأبوقير الغربية حيث تبلغ ٤ر٣٤٪ ، ٧ر٣٤٪ فى كل منهما على الترتيب .

٣ – النطاق الانتقالى الحضرى / الريفى .

ويظهر فى الأطراف الجنوبية حيث امتد العمران العشوائى الى أراضى كانت زراعية لم يتم اعتماد تقسيمها كأراضى للمبانى ، والتحمت به القرى الريفية التى وقعت فى اتجاه الزحف العمرانى ، ويبدو هذا النمط العمرانى على شكل " حزام" يحيط بالعمران فى شرق الاسكندرية ، كما يظهر أيضا فى القرى المتناثرة التى تتناثر فى الأراضى الزراعية . ففى هذه القرى – التى يمارس سكانها حرفة الزراعة – أصبح يشارك سكانها وافدون جدد ، قادمون من المناطق الريفية المجاورة ، أو من ذوى المستوى الاقتصادى والاجتماعى المنخفض والذى تعجز مواردهم عن توفير السكن فى النطاق الحضرى العشوائى قادمون من مدينة الاسكندرية . وهؤلاء الوافدون يعملون فى حرف أغلبها هامشية وطفيلية بسبب مستواهم الاجتماعى والتعليمى المنخفض وكذلك حرف الصناعة والنقل والتجارة .

ويتمثل النطاق المتصل من العمران الانتقالى الحضرى / الريفى ، فى شياخات : المنشية البحرية (عزب المنشية – خطاب – ممتاز) ، عزبة المهاجدين ، عزبة خورشيد البحرية (والعزب التابعة لها والمعروفة بعزب نوبار) ، عزبة خورشيد القبلية [١٦] ، بالضافة الى شياخة المعمورة (عزبة المعمورة). أما القرى التى تبعد عن هذا النطاق وتظهر منفصلة عنه فتوجد فى شياخات طلميات الطابية (عزب هريدي – نشأت – الهلالية) ، الناصرية (عزب أبو سلطان – فرعون) ، قرية أبيس الثانية .

وفى هذا النطاق من العمران الانتقالى يمكن تمييز نمطين من السكن : الأول ريفى بحت وان تغيرت مادة بناء معظم هذه المساكن من الطوب اللبن الى الطوب الأحمر والاسمنت المسلح ، ورغم هذا التطور الحضارى فمازال القش والحطب تعلو أسقف المساكن ومازالت الحظيرة جزء من المسكن ، وأغلب

المساكن من طابق واحد أو طابقين ، تسكنه عائلة واحدة غالبا ماتكون مالكة للمسكن . ومعظم هذه العائلات من أجيال متعاقبة تشمل الأب صاحب المسكن وأول من أقام به (أو ورثه عن أجداده) ثم جيل أبنائه ثم جيل أحفاده فى بعض الأحيان ولايفرق هذا الوضع بين الذكور والاناث والنمط الثانى عبارة عن مبانى ذات مظهر معماري بنائى ذو لمسات ريفية المظهر ، ترتفع طابقين أو ثلاثة وفى كل طابق شقتان فى الغالب أو ثلاثة تبعا لمساحته ، وتمتد البانى متجاورة بصورة عشوائية دون أي تخطيط ولا تتوافر الشروط الصحية والهندسية فى معظمها لبنائها بدن ترخيص ، ولاتمتد اليها المياه النقية ، وذات صرف صحى خاص (بيارات) وان كانت معظم المساكن متصلة بشبكات الكهرباء . وتعانى هذه المناطق من طفح المجاري وخصوصا فى فصل الشتاء . وسكان هذه المبانى من العمالة الوافدة وأسرهم ، وقد يشترك فى المسكن الواحد أكثر من أسرة ، وغالب هذه المساكن بالايجار .

ويبلغ سكان هذا النطاق العمرانى الانتقالى نحو ٩٪ من جملة سكان شرق الاسكندرية وبمراجعة الملحقين رقمى (٢ . ٣) يتبين مايلى :-

* تبلغ نسبة العاملين بالزراعة فى هذه المناطق ٢ر٦٠٪ من جملة العاملين بالنشاط الزراعى والصيد فى نطاق شرق الاسكندرية . وترتفع نسبة العاملين بهذا النشاط فى القري البعيدة عن العمران المتصل (الناصرية – التوفيقية – القرداحى) اذ تتراوح بين ٧ر٧٨٪ ، ٧ر٧٦٪ من جملة ذوي النشاط الاقتصادي فى هذه القري ، بينما تقل نسبتهم فى المناطق القريبة من العمران المتصل ،المتداخلة فيه كما فى قريتى المهاجرين (٤ر٢١٪) والمعمورة (٣ر٣٠٪) .

* وعلى العكس من ذلك تزداد نسب العاملين بالانتاج الصناعى والنقل والتجارة فى المناطق المتداخلة مع هذا النمط من العمران (تبلغ نسبتهم فى

قرية المهاجرين ١ر٦٣٪ من جملة ذوي النشاط الاقتصادي بها) ، بينما تقل هذه النسبة فى القري البعيدة عن العمران (فى قريتى الناصرية والتوفيقية .ر١٤٪ ، ٨ر٨٪ فى كل منهما على الترتيب) .

*ترتفع نسبة الأمية فى هذا النمط من العمران بصورة واضحة فهى تتراوح بين ٨ر٤٨٪ (المعمورة) و ٢ر٩٥٪ (القرداحى) بمتوسط قدره ١ر٦٧٪ من جملة الأفراد أكثر من ١٠ سنوات ، أما ذوي المؤهلات المتوسطة أو فوق المتوسطة والعليا فتبلغ متوسط نسبتهم ٩ر٩٪ فقط وهذه النسبة تمثل أدنى مستوي لها بالمقارنة مع النمطين السابقين . وتتراوح هذه النسبة فى قري هذا النطاق بين ١٪ (فى القرداحى) و ١ر١١٪ (فى المعمورة).

قرية أبيس الثانية - نموذج للحافة الريفية الحضرية

تم اختيار القرية الثانية بأبيس للدراسة الميدانية ، كنموذج للعمران الريفى المخطط أصلا ، وماأدي اليه الزحف العمرانى الحضري - بسبب قربها من مدينة الاسكندرية - من تغير عمرانى وسكانى لهذه القرية . فقد أدي قرب هذه القرية - حوالى خمسة كيلومترات فقط - من الاسكندرية ، الى أن تكون هدفا للباحثين عن السكن المناسب لدخولهم ، فالجهوا اليها أملا فى الاستقرار ، مما أدي الى تضخم هذه القرية سكنا وسكانا بصورة سريعة ، وقد انعكس ذلك على شكلها الأصلى ومورفولوجيتها من حيث الامتداد وارتفاعات المبانى وخطة الشوارع ، كما أثر على تركيبها السكانى ديموجرافيا واقتصاديا .

ولاجراء الدراسة الميدانية ، تم تصميم صحيفتى استبيان خاصة بالمسكن وسكانه (ملحق رقم ٤). والهدف منها ابراز خصائص السكان الديموجرافية ومدي التغير فى التركيب الديموجرافى والنشاط الاقتصادي ومدي ارتباط ذلك بالمظهر العمرانى للقرية . وقد بلغ عدد أفراد العينة ٢٠٤ فردا تمثل ٦ر٢٢٪ من سكان القرية .

وتعتبر منطقة أبيس من أقدم مناطق الاستصلاح الزراعى فى مصر . فقد بدأت عمليات الاستصلاح بها عام ١٩٤٨ بمعرفة مصلحة الأملاك الأميرية ، عن طريق تجفيف الأجزاء الجنوبية الشرقية من بحيرة مريوط ، وشق المصارف اللازمة لتحسين خواص التربة ، بهدف استصلاح واستزراع ٥٣٣١ فدانا. وفى عام ١٩٥٤ تسلمتها الهيئة المصرية الأمريكية لاصلاح الريف ، حيث تولت عمليات الاستصلاح والاستزراع وزادت المساحة الى ٢٢٠٠٠ فدان بالاضافة الى بناء ست قري نموذجية . وفى عام ١٩٦٠ تم اضافة ٨٠٠٠ فدان (سميت بمنطقة الامتداد) فأصبحت المساحة الكلية لمنطقة أبيس ٣٠٠٠٠ فدان ، فضلا عن انشاء أربع قري جديدة ليصبح مجموع قراها عشرة . وفى نهاية عام ١٩٦٢

يظهر من الجدول أن ٦ر٦١٪ من جملة المنتفعين ، ينتمون أصلا الى محافظتى البحيرة (وعلى وجه الخصوص مركز كفر الدوار) والاسكندرية، فى حين يمثل المنتفعون الوافدون من المناطق البعيدة (محافظتى المنوفية والدقهلية) ٤ر٣٧٪ من جملة المنتفعين . وكان نصيب قرية أبيس الثانية ٥٧٤ منتفعا بنسبة ٦ر١١٪ من جملتهم . ومن أسف فان البيانات المتاحة لم تحدد المناطق التى وفدوا منها .

الاستغلال الزراعى –

تنقسم منطقة أبيس الى أربعة مناطق هى القلعة ، البيضا ، الدشودي ، الامتداد . ويشترك سكان القريتين الأولى والثانية فى زمام زراعة القلعة [١٩١] التى تبلغ مساحتها ٥٤٤٥ فدانا ، منها ٤٥٨٥ فدانا أراضى زراعية بنسبة ٢ر٨٤٪ و ٨٦ فدانا مخصصة للمنافع العامة بنسبة ٨ر١٥٪ .

ويسود نظام حيازات الملك ، حيث لايجز القانون تأجير الأراضى المملكة للغير . ورغم ذلك فقد لوحظ أثناء الدراسة الميدانية ، حالات مستترة ، حيث قام بعض المنتفعين بتأجير حيازته بالكامل أو جزء منها للغير " من الباطن " خصوصا للأقارب الوافدين من القرى الأصلية لهؤلاء المنتفعين . كما أنه فى حالات أخري تصرف بعض المنتفعين فى حيازته التى تملكها – أو جزء منها – ببيعها للغير بعقد بيع غير مسجل لتعارض ذلك مع القانون ، وقد شجع على ذلك ارتفاع أسعار الأرض حيث يتراوح سعر الفدان – كما سبقت الاشارة – بين ٢٥ ، ٥٠ ألف جنيه (عام ١٩٨٨).

وقد انعكس هيكل الحيازة الزراعية ونظمها على أنماط استغلال الأرض .

نقد أدت قزمية الحيازات – حيث تتراوح المساحة المملكة بين ٣ ، ٥ر٤ فدان ، وعدم زراعة القطن لعدم ملائمة التربة ، أدي ذلك الى عدم وجود دورة زراعية محددة الأبعاد . لذلك تحددت أنماط الاستغلال الزراعى وفق رغبات المنتفعين التى يحددها بصورة مباشرة العائد المالى للمحاصيل المزروعة ، مما أدي الى انتشار زراعة الخضروات التى تمثل أفضل استغلال لهذه المساحات القزمية . فقد بلغت مساحة الخضروات نحو نصف المساحة المحصولية ويتضح ذلك من الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢) المحاصيل الزراعية بزراعة القلعة موسم ١٩٨٧/٨٦ *

الموسم الشتوي	فدان	الموسم الصيفى	فدان	أراضى الحدائق	فدان
برسيم	٢٠٧١	أرز	١٣٠٠	كمثري	٥٠
شعير	٤٥٤	ذرة سكرية	٥٠٠	جرافة	٤٠
خضر شتوية	١٨٧٧	خضر صيفية	٢٣٤٢		
		بطاطس	١٥٠		
المجموع	٤٤٠٢	المجموع	٤٢٩٢	المجموع	٩٠

* المصدر : سجلات مراقبة الانتاج الزراعى – منطقة أبيس (أرقام غير منشورة .

يوضح الجدول أن زراعة الخضر أهم أنماط الاستغلال الزراعى فى منطقة الدراسة ، فهي الأكثر ربحا نتيجة لعامل القرب الشديد من الأسواق الاستهلاكية الكبيرة بمدينة الاسكندرية وسهولة نقل الانتاج اليها وانخفاض تكلفته . كما أن الخضر تمكث فى الأرض مدة قصيرة ، تتراوح بين شهرين وأربعة أشهر ، وعلى ذلك فرأس المال يدور فى زراعتها مرات أكثر من زراعة المحاصيل التقليدية ، وينتج ربحا أوفر . فضلا عن أن زراعة الخضر تحتاج الى

أصبحت منطقة أبيس تابعة للمؤسسة المصرية العامة لاستغلال وتنمية الاراضى المستصلحة . وتعتمد الأراضى الزراعية بمنطقة أبيس فى ريها على ترعة العمودية حيث تخرج منها ٧ ترع تتراوح أطوالها بين ١ ، ١٦ كيلومترا وتتراوح زمام كل منها بين ١٠٠٠ ، ٨٠٠٠ فدان . كما تعتمد فى صرف المياه الزائدة على ١١ مصرفا يتراوح طول كل منها بين ٣ ، ١٠ كيلومترات . وتتراوح زمام كل مصرف مابين ٣٥٠٠ ، ٨٠٠٠ فدان تصرف كلها الى مصرف العموم الرئيسى.[١٧]

وتتألف منطقة أبيس من ١٠ قرى تتخذ أرقاما من رقم واحد الى رقم عشرة . وتتبع القرية الثانية قسم الرمل حاليا بعد أن كانت تابعة لقسم المنتزة حتى عام ١٩٦٦ . والقريتان السابعة والعاشرة تابعتان لقسم محرم بك . أما باقى القرى فهى تابعة لمركز كفر الدوار – محافظة البحيرة . والخريطة رقم (٥) تبين توزيع هذه القرى وتوابعها .

وقد روعى فى تخطيط قرى أبيس نمطين ، النمط الأول ، وهو القرى المركزية (القريتان الأولى والثانية) حيث أنشئت كل مساكن المنتفعين متجاورة يتوسطها باقى المنشآت الخدمية كالمدرسة والمستشفى والجمعية التعاونية والمسجد ومساكن الموظفين . والغرض من ذلك أن يشعر السكان بالأمن والطمأنينة ، كما كانوا فى قراهم الأصلية التى تتميز بالاندماج ، فضلا عن سهولة تأدية الخدمات بأقل التكاليف . وفى القرية الأولى أنشئ ٣٩٤ مسكنا عام ١٩٥٤ وفى القرية الثانية أنشئ ٥٧٢ مسكنا عام ١٩٥٦، وهاتان القريتان أقدم المراكز السكنية فى منطقة أبيس .أما النمط الثانى ، فهو القرى ذات التوابع ، والقرى من الثالثة وحتى العاشرة من هذا النوع وفيها تتركز المنشآت الخدمية والمرافق ومساكن الموظفين والعمال فى مكان وتتناثر حوله توابع يسكنها المزارعون . ويبلغ مجموع التوابع لهذه القرى ٥٩ وحدة . وتتراوح عدد التوابع للقرية الواحدة مابين ٤ الى ١٥ وحدة تبعا لمساحة زمام كل قرية . كما يتراوح عدد المساكن

فى الوحدة الواحدة مابين ٤٠ الى ٩٠ مسكنا . وتتمتع هذه القري العشرة بشبكة للمياه النقية وأخري للكهرباء ، أما الصرف الصحى فهو محلى (نظام البيارات) .

وقد تم توزيع ١٩٤٢٩ فدانا من أراضى أبيس المستصلحة على المنتفعين ، تمثل ٦٤ر٨٪ من جملة الأراضى المستصلحة فى أبيس [١٨] . وتم توزيع الأراضى بمساحات تتراوح بين ٣ ، ٤ر٥ فدان للمنتفع الواحد . وتم تسليم الارض والمسكن على ست دفعات فى الفترة مابين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٦ . وقد روعى فى اختيار هؤلاء المنتفعين أن يكونوا من المعدمين العاملين بالزراعة ، ويتراوح سنهم مابين ٢٤ ، ٣٥ سنة ومن القري ذات الكثافات السكانية المرتفعة والتى لايوجد بها أراضى تابعة للاصلاح الزراعى ، وبعد اختبارهم طبيا للتأكد من خلوهم من الأمراض الخطيرة واختبارهم نفسيا لمعرفة مدي تقبلهم للتأقلم فى هذا المجتمع الجديد . باستثناء طائفة الصيادين الذين كانوا يرتزقون من حرفة الصيد فى بحيرة مريوط . وقد بلغ جملة المنتفعين ٤٩٥٨ منتفعا . والجدول رقم (١) يوضح المناطق التى وفد منها هؤلاء المنتفعون .

جدول رقم (١) تصنيف المنتفعون تبعا للمناطق الوافدين منها . *

جهة الوفود	عدد المنتفعين	٪
المناطق المجاورة بمحافظة البحيرة	١٤٨٣	٢٩ر٩
العمال الذين قاموا بعمليات الاستصلاح من محافظتى البحيرة والاسكندرية	١٢٤٩	٢٥ر٢
محافظة الدقهلية	٩٣٧	١٨ر٩
محافظة المنوفية	٩١٦	١٨ر٥
الصيادون (من سكان المنطقة)	٣٢٥	٦ر٥
المحاربون القدماء	٤٨	١ر٠
المجموع	٤٩٥٨	١٠٠ر٠

* المصدر : محمد خميس الزوكة – مناطق الاستصلاح الزراعى فى غرب دلتا النيل الاسكندرية ١٩٧٩ ، ص ٣١ .

عمل كثير وخدمة مستمرة وعلى ذلك فهى تتفق مع الكثافة السكانية المرتفعة حيث تقدم العمل المناسب لكل فرد من أفراد الأسرة . لذلك بلغت مساحة الارض المزروعة بالخضر بموسميها الشتوي والصيفى ٤٣٦٩ فدانا بنسبة ٤ر٥٪ من جملة المساحة المحصولية خلال الموسم الزراعى ١٩٨٧/٨٦ . وهى نسبة تبرز أهمية هذا النوع من الاستغلال الزراعى . وجدير بالذكر أن محافظة الاسكندرية أصدرت قرارا فى فبراير ١٩٩ ، بنقل سوق الخضر الرئيسى من الخضرة (على ترعة المحمودية) الى قرية أبيس الثانية .

ويأتى فى المقام الثانى محاصيل العلف (البرسيم والذرة السكرية) والتى تمثل جملة مساحتهما ٢٥٧١ فدانا بنسبة ٦ر٢٩٪ من جملة المساحة المحصولية. وتمثل زراعة البرسيم ٤٧٪ من مساحة الموسم الشتوي . وتعود زراعة البرسيم الى دورة فى تقليل درجة تماسك التربة الطينية متماسكة البناء المنتشرة فى منطقة الدراسة . كما تجود زراعة الذرة السكرية فى أبيس والتى تستخدم علفا أخضر للماشية بديلا عن البرسيم فى فصل الصيف . وكلا المحصولين من الزراعات التى تحقق عائدا ماليا كبيرا ، لشدة الحاجة اليهما فى تموين حظائر تربية الماشية والتى تمون أسواق مدينة الاسكندرية بمنتجات الألبان أو اللحوم ، فضلا عن انخفاض تكلفة الانتاج لكل منهما وكذلك قلة العمليات الزراعية .

ويأتى الأرز فى الترتيب الثالث من حيث مساحته التى بلغت ١٣٠ فدانا بنسبة ١٥٪ من جملة المساحة المحصولية و ٣ر٣٠٪ من مساحة الموسم الصيفى . والأرز هو المحصول الوحيد الذي يفرض على المزارعين زراعته فى مساحات تحددها وزارة الزراعة كل عام . وان كان بعض المزارعين يتهربون من زراعته لتخصيص أكبر مساحة ممكنة من الارض الزراعية لزراعة الخضر الأكثر ربحا.

ولاتمثل حدائق الفاكهة أهمية تذكر فى منطقة الدراسة ، حيث لاتزيد مساحتها عن ٩٠ فدانا فقط بنسبة ٢٪ من مساحة الارض الزراعية ، رغم أن الفاكهة تعتبر من الزراعات الحضرية ، وتنتشر حدائقها على الأطراف الشرقية لمدينة الاسكندرية (فى المعمورة - المنشية البحرية - الناصرية - خورشيد) . ويرجع ذلك الى ارتفاع مستوي الماء الارضى ونوعية التربة فى أبيس ، الأمر الذي يؤدي الى ضعف انتاجية الأشجار من ثمار الفاكهة . بالاضافة الى أن حدائق الفاكهة من سمات الحيازات الكبيرة نسبيا وليست من سمات الحيازات القزمية ، حيث أنها تحتاج الى امكانيات مادية ودون انتظارلعائد نقدي خاصة فى السنوات الأولى من زراعة الحديقة ، وذلك أمر يصعب تحقيقه عند مالكى المساحات القزمية ، فضلا عن عدم توفر الخبرة الكافية فى زراعة الفاكهة لدي مثل هؤلاء الزراع .

ولايجود فى منطقة أبيس (زراعة القلعة) سوي زراعة الكمثري والجوافة. ومرد ذلك أنهما من الأصناف التى يمكن زراعتهما فى التربات الحديثه الاستصلاح والتى عادة ماتتميز بارتفاع نسبة الأملاح فى تربتها وقرب مستوي الماء الأرضى ، بالاضافة الى قلة حاجتهما لعمليات الخدمة الزراعية ، خاصة لدي المزارعين غير المتفرغين تماما للعمل الزراعى . وتظهر حدائق الجوافة والكمثري على شكل مساحات صغيرة - تتراوح بين ربع فدان وفدان ونصف - متناثرة بين الأراضى المخصصة لزراعة الخضر . وقد أدي ذلك الى انخفاض مستوي الخدمة الزراعية لهذه الحدائق وضعف فعاليتها ، الى جانب انتشار الزراعة التحميل ، حيث تسود زراعة الخضر أو البرسيم تحت أشجار الفاكهة وخاصة التى لم تثمر بعد .

خصائص السكان :

ارتفع عدد سكان قرية أبيس الثانية من ٣٤٤٤ نسمة عام ١٩٦٦ الى ٥٣٣٦ نسمة طبقا لتعداد السكان عام ١٩٧٦ ، بمعدل نمو سنوي قدره ٤ر٣٨٪ . وباستخدام المعادلة الأسيه - وبفرض ثبات معدل النمو السنوي - لتقدير عدد سكان القريه عام ١٩٨٨ (وقت اجراء الدراسة الميدانية) ، فان عدد السكان يقدر بنحو ٩٠٢٤ نسمة [٢٠] . أى أن السكان قد تضاعف عددهم أكثر من مرتين ونصف (٢٦٢٪)في خلال ٢٢ سنة . ومازالت الهجرة الوافدة الى القرية لثانية مستمرة . فقد أظهرت الدراسة الميدانية لعينة من أسر القرية - بلغت ٢٩٢ أسرة - أن عدد الأسر التى وفدت الى القرية قبل عام ١٩٦٦ - ٩٠ أسرة بنسبة ٦٥٪ ، والأسر الوافدة فيما بين ١٩٦٦ ، ١٩٧٥ - ٤٦ أسرة بنسبة ٨ر١٥٪ ، والأسر الوافدة فيما بين ١٩٧٦ ، ١٩٨٨ - ٥٦ أسرة بنسبة ٢ر١٩٪ . ومعنى ذلك أن نحو ٣٥٪ من أسر العينة من المهاجدين الجدد ، مما يدل على أن قرية أبيس الثانية مازالت مركزا لجذب السكان الجدد .

كما توضح الدراسة الميدانية أن أصول سكان القرية قد تغيرت بعد مرور نحو عشرين عاما وهذا مايوضحه الجدول رقم (٣) .

جدول رقم (٣) تصنيف سكان قرية أبيس الثانية تبعا لمحال الميلاد - بالعينه *.

محل الميلاد	العدد	٪	ملاحظات
قرية أبيس الثانية	١٢٤١	٦٠٨ر	من مواليد شياخة أبيس
محافظتى الاسكندرية والبحيرة	٣٧٦	١٨ر٥	من باقى محافظة الاسكندرية ومحافظة البحيرة
المحافظات الأخري	٤٢٣	٢٠٧ر	من محافظات المنوفية / الدقهلية كفرالشيخ / مطروح
المجموع	٢٠٤٠	١٠٠ر	

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير - مارس ١٩٨٨

يتبين من الجدول ارتفاع نسبة الذين ولدوا فى قرية أبيس الثانية ، اذ تصل نسبتهم الى ٨ر٦٠٪ من جملة أفراد العينة . وما من شك أنهم يمثلون الأجيال الجديدة بعد الاستيطان فى هذه القرية منذ عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٨٨ . وبالتالى تراجعت نسب الوافدين الى القرية . فمواليد محافظتى الاسكندرية بلغت نسبتهم ٥ر١٨٪ (بعد أن كانت ٦ر٦١٪ عند بدء تعمير القرية) ، بينما تبلغ نسبة مواليد المحافظات الأخرى ٧ر٢٠ ٪ (بعد أن كانت ٣ر٣٧٪). ويرجع تزايد نسب الوافدون من المحافظات الأخرى ، الى انه عندما استقر المنتفعون الجدد فى منطقة أبيس ، جلب معظمهم أقاربهم وذويهم للاقامة معهم ، بالاضافة الى وفود عدد من المهاجرين الجدد من الريف للمعاونة فى الأعمال الزراعية .

أما عن متوسط عدد أفراد الأسرة ، فيغلب عليها الطابع الكبير العدد ، اذ يبلغ متوسط عدد أفراد الأسرة ٧ أفراد ، فقد أظهرت الدراسة الميدانية على عينة الأسر ، أن :-

عدد أفراد الأسرة أقل من ٥ أفراد ٨٥ أسرة بنسبة ١ر٢٩٪ .

وعدد أفراد الأسرة يتراوح بين ٦-١٠ أفراد ١٦٦ أسرة بنسبة ٨ر٥٦٪ .

وعدد أفراد الأسرة من ١١ فرد فأكثر ٤١ أسرة ١ر١٤٪ .

يتضح من ذلك أن أكثر من نصف أسر العينة (٥٦,٨٪) يتراوح عددها مابين ٦-١٠ أفراد . ويرجع ذلك الى الجذور الريفية التى ينتمى اليها معظم الأسر من ناحية ، بالاضافة الى أن النشاط الزراعى ، هو النشاط الاقتصادي الغالب بين السكان ومايتطلبه من أيدي عاملة رخيصة ، اذ تنتشر زراعة الخضر التى تحتاج الى أعداد كبيرة من الأيدي العاملة ، مما أدي الى زيادة التسل لاستخدام الأطفال فى الأعمال الزراعية للاستغناء عن الاستعانة بالعمال الأجراء . فضلا عن ارتفاع نسبة الأمية بين سكان القرية (٥٤٪ من جملة سكان القرية - تعداد عام ١٩٧٦) ، وماله من أثر كبير فى عدم ضبط التسل، شأنهم فى ذلك شأن كل سكان الريف المصري .

وتبين دراسة التركيب العمري لسكان القرية - من واقع العينة المختارة - أن :

عدد صغار السن أقل من ١٥ سنة ١٨٣ فردا بنسبة ٥٣,١٪.

وعدد متوسطى السن من ١٦سنه الى ٦٠ سنه ٩٣ أفراد بنسبة ٤٤ر٣٪.

وعدد كبار السن من ٦١ سنة فأكثر ٥٤ فردا بنسبة ٦ر٢ ٪

وتظهر هذه الأرقام ارتفاع نسبة فئة صغار السن (٥٣ر١١٪) وأن الهرم السكانى لهذه القرية يرتكز على قاعدة عريضة وذو قمة مدببة . وذلك صفة من صفات المجتمعات السكانية الفتية ، كما أن ذلك من خصائص المجتمعات الريفية أيضا ، اذ ينظر الى الأطفال على أنهم قوة اقتصادية تزيد من دخل الأسرة . وجدير بالذكر أن ارتفاع نسبة صغار السن يؤدي الى ارتفاع نسبة الخصوبة الطبيعية للسكان ، كما تؤدي الى ارتفاع نسبة الاعالة حيث تبلغ ٣,٦ لكل شخص يعمل [٢١] ، مما يترتب على ذلك انخفاض مستوي المعيشة للأسرة.

ومن الأهمية بمكان دراسة النشاط الاقتصادي للسكان ، لما فى ذلك من بيان لمدي ارتباط قرية أبيس الثانية بمدينة الاسكندرية وهذا مايوضحه الجدول رقم (٤) .

جدول رقم (٤) النشاط الاقتصادي لسكان قرية أبيس الثانية - بالعينة - ١٩٨٨.*

نوع المهنة والنشاط	عام ١٩٧٦ (أ)		عام ١٩٨٨ (ب)	
	العدد	٪	العدد	٪
المهن الفنية والعلمية والكتابية والخدمات	٣٣١	٢٧,٣	١٨٣	٣٢,٣
الانتاج الصناعى والبناء	٢٣٦	١٨,٢	١١٤	٢٠,١
التجارة والنقل	٤١	١,٩	١٥	٢,٦
الزراعة والصيد	٦٠٤	٤٩,٨	٢٥٥	٤٥,٠
المجموع	١٢١٢	١٠٠,٠	٥٦٧	١٠٠,٠

* المصدر :

أ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ - تعداد السكان - النتائج التفصيلية - محافظة الاسكندرية - ص.١٧.

ب - الدراسة الميدانية - فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

ج - الأفراد ١٥ سنة فأكثر .

يظهر من الجدول أن العاملين بالزراعة يحتلون المركز الأول بين الأنشطة الاقتصادية المختلفة ، اذ يمثلون ٤٥٪ من جملة العينة عام ١٩٨٨ - بعد أن

كانوا يمثلون ٤٩,٨٪ عام ١٩٧٦. يليهم فى الترتيب العاملومن بالمهن الفنية والعلمية والأعمال الكتابية والخدمات (٣٢,٣٪) ثم العاملون بالانتاج الصناعى والبناء والتشييد (١٠,٢٪) . أي أن ٥٥٪ من أفراد العينة يمتهنون حرفا غير حرفة الزراعة ، وأن نسب العاملين بالزراعة تتناقص لصالح المهن الأخري غير الزراعية . فقد ارتفع مجموع نسب العاملين بالمهن غير الزراعية نحو ٥٪ فيما بين عامى ١٩٧٦ ، ١٩٨٨. مما يدل على أن هناك تحولا بين سكان قرية أبيس الثانية من حرفة الزراعة الى الأنشطة الاقتصادية الأخري غير الزراعية . ويرجع ذلك الى ثبات مساحة الأرض المزروعة ، الأمرالذي لا يمكن معه أن تستوعب أية عمالة جديدة الا فى أضيف الحدود ، وتحول العمال الى احتراف المهن الأخري غير الزراعية وقد ساعد على ذلك القرب من مدينة الاسكندرية وتوفر فرص العمل بها.

وحيث أن الأجهزة الادارية والخدمات والمنشآت الاقتصادية فى القريه محدودة ، فان جزءا من هذه العماله يعمل خارج نطاق القرية . وعند تصنيف العاملين بالأنشطة المختلفة - بالعينة - تبعا لمكان العمل الوارد باستمارات الاستبيان أمكن تكوين الجدول رقم (٥)

جدول رقم (٥) تصنيف العاملين بالأنشطة الاقتصادية بقرية أبيس الثانية تبعا لمقر العمل - بالعينة - عام ١٩٨٨ .*

مقر العمل	العدد	٪	ملاحظات
قرية أبيس الثانية	٣٢٣	٥٧,٠	منهم ٢٣٤ يعملون بالزراعة.
شرق الاسكندرية	٨٤	١٤,٨	قسمى الرمل والمنتزة .
وسط الاسكندرية	٦٧	١١,٨	أقسام سيدي جابر/باب شرقى/العطارين/محرم بك.
غرب الاسكندرية	٢٢	٣,٩	باقى أقسام المدينة .
مدينة كفر الدوار	١٤	٢,٥	
مدينة دمنهور	٨	١,٤	
محافظات أخري	٤٩	٨,٦	محافظات القاهرة/ مطروح/ الغربية /المنوفية/ كفر الشيخ.
	٥٦٧	١٠٠	

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

يبدو من الجدول أن ٤٣٪ من جملة أفراد العينة يعملون خارج قرية أبيس الثانية ومعظمهم من ذوي المهن غير الزراعية . وتعتبر مدينة الاسكندرية هى الوجهة الأولى لهؤلاء العاملين (٣٠,٥٪) بينما كان نصيب محافظة البحيرة ٣,٩٪ فقط . ويظهر الجدول أيضا ارتباط رحلة العمل اليومية بالمسافة وسهولة المواصلات ، حيث تقل نسبة العاملين كلما بعد مقر العمل من القرية وكلما قلت سبل المواصلات المباشرة .

وقد تبين من الدراسة الميدانية أن وسائل النقل بأنواعها المختلفة – العامة والخاصة – المتجهة الى شرق الاسكندرية أكثر فى عددها وفى فترات تقاطرها عن تلك المتجهة الى وسط المدينة فهناك ثلاث خطوط للحافلات التابعة للهيئة العامة لنقل الركاب بمحافظة الاسكندرية ، تعمل فيما بين القرية وشرق المدنية ، خطان منهما ينتهيان عند محطة سيدي جابر وخط ينتهي عند ميدان الساعة بفكتوريا ، ويبلغ متوسط عدد الدورات فى اليوم الواحد لكل خط ٢٧ دورة بفترة تقاطر كل نصف ساعة ومتوسط عدد ركاب الدورة الواحدة ٨١ راكبا. بينما يتجه الي وسط المدينة محطة مصر – خطان فقط ، متوسط عدد الدورات اليومية لكل خط ١٥ ورة وتبلغ فترة التقاطر نحو الساعة ومتوسط ركاب الدورة الواحدة ٦٩ راكبا [٢٢] . هذا بالاضافة الى سيارات " المشروع " وهى تابعة للقطاع الخاص وتشرف عليها جمعية تنمية المجتمع المحلى بمحافظة الاسكندرية ، والتى تعمل فيما بين قرية أبيس الثانية وكل من ميدان الساعة بفيكتوريا (١٢سيارة) ، محطة سيدي جابر (٩ سيارات) ميدان عرابى (المنشية) (٧ سيارات) . أما الانتقال فيما بين القرية الثانية ومدينتى كفر الدوار ودمنهور فتخدمه سيارات الأجرة فقط وهى أكثر تكلفة سيارات المشروع بسبب قلة الضغط عليها .

ولا يقتصر نقل الركاب فيما بين قرية أبيس الثانية ومدينة الاسكندرية على العاملين فقط ، بل هناك أسباب أخري أمكن تصنيفها ص واقع الدراسة الميدانية من عنية بلغت ١٣٠٣ أفراد وتم انشاء الجدول رقم (٦) .

جدول رقم (٦) الرحلات اليومية والمتقطعة من قرية أبيس الثانية الى الاسكندرية ١٩٨٨ . *

نوع الرحلة	السبب	العدد	٪
رحلة يومية	العمل	١٧٤	٤٧,٢
	الدراسة	١٠٢	٢٧,٦
	تأدية مصالح	٢٢	٦,٠
	الحصول على سلع أو لوازم	٣٥	٩,٥
	أسباب أخري	٣٦	٩,٧
	مجموع الرحلات اليوميمة	٣٦٩	٣٨,٢
	رحلة واحدة اسبوعيا	٢٤٦	٢٥,٥
	رحلة أو رحلتان فقط فى الشهر	١٥٧	١٦,٢
	التردد فى المواسم والأعياد والأجازات	١٩٤	٢٠,١
	المجموع الكلى	٩٦٦	١٠٠,٠

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير - مارس ١٩٨٨

يبدو من الجدول أن الرحلة اليومية الى الاسكندرية هى الظاهرة الغالبة (٣٨,٢٪) يليها التردد الأسبوعى (٢٥,٥٪) ثم التردد فى المواسم والأعياد والأجازات (٢٠,١٪) ثم التردد مرة أو مرتان فى الشهر. أما الرحلة اليومية ، فيلاحظ أن السبب الرئيسى لهذه الرحلة هو العمل (٤٧,٢٪ من جملة الرحلات اليومية) يليه الدراسة ٢٧,٦٪ . وتكاد تتفق أسباب التردد المتقطع على مدينة الاسكندرية مثل : زيارة الأهل - قضاء واجب عائلى - العلاج - تأدية مصالح - الحصول على سلع غير موجودة بالقرية - التنزه - الترفيه بالاضافة الى أسباب أخري أقل أهمية .

نخلص من ذلك أن قرية أبيس الثانية تمثل أحد المراكز الهامشية لمدينة الاسكندرية تعمل على جذب السكان اليها. وقد اتضح ذلك من الدراسة الديموجرافية لسكانها (بالعينة) فرغم أن المجتمع السكانى فيها يمثل مجتمعا شبه ريفى ، تظهر فيه بعض خصائص سكان الريف مثل ارتفاع متوسط عدد أفراد الأسرة ، ارتفاع نسبة فئة صغر السن ، ارتفاع نسبة الأمية ، ارتفاع نسبة العاملين بالزراعة . الا أن هناك ظواهر أخري تعتبر امتدادا للتأثير الحضري لمدينة الاسكندرية وربما كان أهم هذه الظواهر هو تزايد نسبة العاملين بالأنشطة الاقتصادية غير الزراعية وأن نحو ٤٪ من السكان العاملين بالقرية يعملون خارجها وعلى الأخص فى مدينة الاسكندرية ، وأن ثلاثة أرباع سكانها يترددون على الاسكندرية فى رحلات يومية أو متقطعة .

خصائص العمران :

أنشئت قرية أبيس الثانية عام ١٩٥٦ بشكل مخطط ، توضحه الخريطة رقم (٦) على مساحة مائة فدان . وكانت تتألف من ٥٧٢ منزلا منها ٥٥٢ منزلا للمنتفعين موزعة على ٦٤ "بلوكا" ، يشمل البلوك الواحد ٨ أو ١٢ منزلا من دور واحد فى صفين متلاصقين بالاضافة الى ٥ " بلوكات " كل منها به ٤ مساكن للموظفين العاملين بمراقبة أبيس الزراعية وكل مسكن من دورين وأمامه حديقة صغيرة .

وقد زودت القرية بالخدمات والمرافق اللازمة والمناسبة لحجمها ، فقد تم انشاء المستشفى والمدرسة الابتدائية والمسجد ومركز الاتصالات (بريد - برق - هاتف) ونقطة الشرطة ونقطة المطافئ بالاضافة الى مبنى الادارة وجمعية تعاونية للسلع الغذائية والمنزلية وجمعية زراعية ومركز للشباب وتقع كل هذه المبانى - باستثناء المستشفى - فى وسط القرية وقرب مدخلها .

وتفصل بين المبانى شوارع عرضها يتراوح بين ٦ أمتار ، ١٠أمتار وكلها مرصوفة وذات أرصفة عريضة . وروعى أن تكون هناك أراضى فضاء (أجران) بين " البلوكات" السكنية ، لكى يستخدمها المنتفعون فى تخزين الحطب والقش ومعداتهم الزراعية.

وقد زودت القرية بالكهرباء والمياه النقية ، أما الصرف الصحى فقد كان - في أول الأمر - محليا عن طريق البيارات أسفل الحوض السماوي الموجود في المنازل .

وتم استخدام الطوب الأحمر كمادة للبناء لسهولة الحصول عليه من مصانع الطوب المنتشرة على طول الترع الرئيسية فى غرب الدلتا ، والأسقف من الخرسانة المسلحة المائلة قليلا لتنحدر عليه مياه الأمطار ، وروعى فى تصميمها الا تكون مسورة وأن تكون بارزة عن حوائط المنازل ، حتى لاتعطى الفرصة لاستخدامها . والمظهر الخارجى لمنازل المنتفعين متشابهة ، فالجدران مغطاة بالمونة والجير مما أعطاها لونا أبيضا موحدا .

ويتكون منزل المنتفع من حجرتين وصالة وحوش سماوي به فرن ، بالاضافة الي المرحاض وبه نوافذ كثيرة لتجديد الهواء من الخشب فقط دون الزجاج . أما أرضيات الغرف فهى عبارة عن طبقة رقيقة من الأسمنت المخلوط بالرمل . والتصميم الداخلى لكل المنازل في القرية واحد وغير متعدد . وكان الهدف أن يكون المنزل مريحا ونظيفا وصحيا الى أقصى الحدود ، حتى يشعر المنتفع بالفارق الكبير بين هذا المسكن ومسكنه القديم [٢٣] .

ورغم الجهود الكبيرة التي بذلت فى بناء هذه القرية النموذجية والتى أخذت فى الاعتبار عند تصميمها وتخطيطها تفادي الأخطاء والعيوب فى القري المصرية . فمن أسف أن معظم المنتفعين لم يحافظوا على نظافة هذه المنازل

التى تملكوها ، اذ سرعان ماغطيت معظم جدران المنازل باللون الأسود الناتج عن احراق الحطب والقش المستخدم فى الأفران . كما أساء البعض استخدام حجرات المنزل ، واستخدموها فى مبيت ماشيتهم ، رغم انشاء حظائر للماشية فى "بلوكات" مستقلة حول النطاق السكنى للقرية . ولكن عارض المنتفعون هذا النظام وصمموا على مبيت الماشية داخل منازلهم حتى تكون تحت ملاحظتهم المستمرة . كما أنه سرعان ماأصبحت أسطح المنازل مكانا لتخزين القش والحطب ، كما هى العادة فى معظم القرى المصرية ، وغطيت الطرق المرصوفة بالأتربة والقمامة ومخلفات الماشية .

وقد تغير شكل قرية أبيس الثانية – بعد اثنين وثلاثين عاما من انشاءها وتعميرها بالمنتفعين وأسوهم – فقد أضاف السكان معظم الرصيف الى مساكنهم بغرض توسيعها ، فضاقت الشوارع ، وارتفعت المبانى الى أعلى وازدحم الميدان الرئيسى بالمحلات التجارية وكذلك على طول الطريق المؤدي الـ القرية ، واحتلت المبانى الجديدة تلك الساحات والأجزان التى كانت موجوده بين المساكن ونمت القرية وزادت رقعتها نحو الأطراف بمبان سكنية لم يراعى فيها التخطيط وبصورة عشوائية ، فظهرت الحارات الضيقة والملتوية والمسدودة فى بعض الأحيان . وتبين الخريطة رقم (٧) شكل القرية أثناء الدراسة الميدانية عام ١٩٨٨ . وفيما يلى نتائج هذه الدراسة .

١– ملكية المبانى :–

وزعت الدولة المنازل والأرض الزراعية على المنتفعين بغرض تملكهما ، عى أن يقوم المنتفع بدفع ثمنهما على أقساط سنوية فى مدي أربعين عاما بفائدة بسيطة قدرها ١٪ تبدأ من عام ١٩٦٠ وتنتهى عام ٢٠٠٠ . ومع اتساع رقعة القرية وبناء المساكن الجديدة التى اقامتها الأهالى ، بدأ نظام الملكية يتغير . فبعد أن كانت نسبة التمليك الحكومى ١٠٠٪ ، اتضح من

المسح الشامل أثناء الدراسة الميدانية ، أن نسبة التمليك الحكومى تراجعت الى ٤ر٦٢٪ ونسبة الملكية الخاصة ٦ر٣٧٪ (ببلغ عدد المبانى السكنية فى القرية ١٦٦٢ مبنى). كما بدأ يظهر فى القرية نظام المساكن المؤجرة للغير ، حيث تبلغ نسبتها ٣ر٣٨٪ من جملة المبانى (الحكومية والخاصة). ومعظم هذه المساكن المؤجرة تسكنها أسر وافدة من الاسكندرية حيث يعمل أربابها ، بسبب رخصها وعدم استطاعة هذه الأسر - محدودة الدخل - من دفع مقدمات باهظة لتملك "شقة" بالاسكندرية أو دفع مقدم كبير للحصول على "شقة" بالايجار. ووجود مساكن للايجار فى قرية أبيس الثانية ، يعتبر من غير شك مظهرا حضريا .

٢ - مادة البناء -

مع زيادة حجم الأسر وتزايد عمر أفرادها ، وزواج بعضهم وتكوين أسر جديدة تشارك باقى الأسرة فى المسكن (غرفتان وصالة) ، بدأت الحاجة الملحة الى توسيع المسكن وذلك باقامة أعمدة خرسانية خارج المسكن (على الأرصفة) وتقوية السقف لانشاء دور ثان وثالث .. ومع تناقص الطوب الأحمر ، ومنع تصنيعه ، بدأت الاستعانة بالطوب الجيري (الأبيض) ، وساعد على ذلك قرب القرية من محاجر العامرية التى تقع الى الغرب منها ، وكذلك الاستعانة بالطوب الأسمنتى . ومع ذلك لم يخلوا الأمر من بناء مساكن بالطوب اللبن وقد أوضح المسح الشامل للمبانى تزايد نسبة المبانى المنشأة بالخرسانة المسلحة مع استخدام الطوب الأحمر أو الجيري أو الاسمنتى حيث بلغت نسبتها ٥ر٦٨٪ بينما بلغت نسبة المبانى المنشأة بالطوب الأحمر فقط ٧ر٢٣٪ يليها المبانى التى استخدم الطوب الجيري فى انشائها ٦ر٧٪ ، أما المساكن المبنية من الطوب اللبن فلا تتعدي نسبتها ٢ر٠٪ فقط .

٣ - ارتفاعات المباني :-

أختفت الظاهرة الغالبة فى مبانى القرية ، المساكن ذات الطابقين حيث تبلغ نسبتها ٥ر٦٤٪ ، وذات الطوابق الثلاثة ١ر٢٢٪ . أما المبانى ذات أربعة طوابق فأكثر فلا تتعدي نسبتها ٤ر٣٪ .ومن الطريف أن هناك ستة منازل فقط من منازل المنتفعين مازالت بصورتها الأصلية دون أية اضافة أو توسع . والخريطة رقم (٨) تبين ارتفاعات المباني بقرية أبيس الثانية .

٤ - السكن من الداخل :-

مع هذا التطورالذي شهدته قرية أبيس الثانية ، تغير شكل المسكن من الداخل . فاختفت الحظيرة من معظم المساكن وساعد على ذلك استخدام الآلات الميكانيكية فى العمليات الزراعية . فقد أصبح الجرار الزراعى الآلة الرئيسية فى الاستخدام سواء فى الحرث أو التقصيب أو فى نقل الأسمدة أو المحا يل . وحلت ماكينة المياه محل الساقية وأظهرت الدراسة الميدانية أن ٦ر٢٤٪ من جملة مبانى القرية مازالت بها حظيرة للمواشى . كما أختفى الفرن من معظم المساكن أيضا ، وفى أحيان قليلة يوجد الفرن خارج المسكن (فى الدريق ١١١) وحلت محله المواقد الحديثة التى تعمل بالغاز .

أما عن عدد غرف المسكن فيوضح الجدول رقم (٧) توزيعها فى عينة من المساكن بلغت ٢٧٠ مسكنا بنسبة ٢ر١٦٪ من جملة مساكن القرية ، وهى التى أمكن زيارتها من الداخل .

جدول رقم (٧) عدد الغرف فى المساكن بقرية أبيس الثانية - بالعينة - ١٩٨٨

عدد الغرف	٢ حساله	٣-٤ حساله	٥-٦+ حساله	٧ فأكثر + حساله	المجموع
عدد الوحدات السكنية	٤٨	١١٧	٥٨	٤٧	٢٧٠
٪	١٧٫٨	٤٣٫٣	٢١٫٥	١٧٫٤	١٠٠٪

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨.

يبدو من الجدول أن هناك نسبة لابأس بها من مساكن العينة - تتميز بكثرة عدد الغرف فيها ، اذ تبلغ نسبة المساكن التى تشمل ٥ غرف فأكثر - بالاضافة الى الصاله - ٣٨٫٩٪ يليها المساكن ذات الغرف الثلاث أو الأربع (٤٣٫٣٪) وتأتى فى النهاية المساكن ذات الغرفتين وصاله (١٧٫٨٪) .

وتظهر الدراسة أن معظم المساكن التى يزيد فيها عدد الغرف عن ٥ حجرات من المساكن الأصلية فى القرية ، وفى الغالب تسكنها أسرتان أو ثلاث بينها علاقة قرابة خصوصا الآباء والأبناء وهذه الأسر من سكان القرية أصلا أو أقاربهم الذين وفدوا وأقاموا معهم . أما المساكن التى تشمل حجرتين أوثلاث فقط ، فتنتشر فى المبانى الجديدة التى ظهرت على أطراف القرية . فالمبنى مكون من دورين فى الغالب وفى كل دور " شقتان" يقطنها الأسر الوافدة من الاسكندرية .

ومع التوسع فى المسكن وزيادة عدد الغرف به ، ومع زيادة التحضر الناتج من الاحتكاك مع الوافدين من الاسكندرية ، بدأت تظهر أنماط جديدة فى استخدام الغرف. فأصبح المطبخ مستقلا فى معظم مساكن القرية ، وجدير بالذكر أن المصبغ لم يكن مخصصا له مكان فى المنزل أصلا . وخصصت حجرة لاستقبال الزوار "صالون" ، واستبدلت أرضية المسكن بالبلاط بدلا من الأسمنت . ومن مظاهر الحضرية أيضا التى لوحظت ، وجود الأثاث والأجهزة الكهربائية مثل الثلاجة وغسالة الملابس والتليفزيون .

٥ - الخدمات والمرافق :-

تعاني قرية أبيس الثانية من نقص حاد فى الخدمات والمرافق ، بسبب التزايد المستمر السكنى والسكانى . ففى المدرسة الابتدائية ، أضيفت اليها دور ثان به ١٢ فصلا للمرحلة الاعدادية . والمدرستان تعملان فترتان يوميا (أي أربع مدارس فى مبنى واحد) . ورغم ذلك فكثافة التلاميذ فى الفصل مرتفعة اذ تبلغ ٦٥ تلميذا فى الفصل فى المرحلة الابتدائية و٤٦ تلميذا فى الفصل فى المرحلة الاعدادية . كذلك المستشفى ، انشئ بجوارها وحدة صحية لاستقبال الحالات الخارجية بالاضافة الى عيادات خاصة للأطباء بلغ عددها سبعة وثلاثة مستوصفات خاصة يعمل فيها نفس الأطباء جزءا من الوقت .

أما الكهرباء والمياه والصرف الصحى فيبين الجدول رقم (٨) توزيع هذه المرافق على مبانى القرية .

جدول رقم (٨) توزيع مبانى قرية أبيس الثانية تبعا للمرافق ١٩٨٨أ

المرافق	الكهرباء		المياه		الصرف الصحى		جملة المساكن
عدد المبانى	مزود بالكهرباء	بدون	مزود بالمياه	بدون	على الشبكة العامة	بيارات	
	١٦١٥	٤٧	١٤١٤	٢٤٨	٩٤٥	٧١٧	١٦٦٢
٪	٩٧ر٢	٢ر٨	٥٨ر١	١٤ر٩	٥٦ر٩	٤٣ر١	١٠٠٪

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

يظهر الجدول أن السواد الأعظم من مبانى القرية متصل بشبكة الكهرباء (٢ر٩٧٪) وذلك لسهولة توصيلها الى المساكن . أما المياه فهناك نحو ١٥٪ من مبانى القرية غير مزودة بالمياه النقية ، خصوصا فى الامتدادات الحديثة للقرية وذلك لصعوبة مد شبكات المياه اليها . ومع ذلك فهناك مشكلة انخفاض التيار الكهربائى وانقطاعه المستمر لكثرة التحميل عليه . وكذلك مشكلة

ضعف تصرف المياه فى المساكن لصغر قطر أنابيب شبكة المياه الرئيسية.

وتظهر المشكلة بصورة أكبر وأخطر فى الصرف الصحى . فعلى الرغم من انشاء شبكة عامة للصرف الصحى فى القرية عام ١٩٧٤ [٢٥] ، الا أن هذه الشبكة لم تمتد لكل مبانى القرية وأقتصرت على المساكن الأصلية بالاضافة الى بعض المبانى التى أنشئت فى الساحات والأجران فقط ، فضلا عن صغر قطر المواسير مما يقلل من كفاءتها. وتمثل المبانى التى تتصل بالشبكة العامة للصرف الصحى ٩ر٥٦٪ بينما تبلغ نسبة المبانى التى تعتمد على البيارات ١ر٤٣٪ . ومع تزايد سكان القرية وزيادة استخدام المياه ، بدأ يظهر طفح المجاري نتيجة لعجز شبكة الصرف الصحى وكذلك نشع البيارات وتزيد هذه الظاهرة سوءا فى فصل الشتاء ، فأصبحت معظم الشوارع مليئة بطفح المجاري ، مما حدا ببعض السكان الى حفر مجاري مكشوفة فى وسط الشوارع .

أما الشوارع ، فقد اختفت الطبقة الأسفلتية فى معظمها ، بسبب الحفر المستمر فيها دون إعادة الرصف . وضاقت الشوارع نتيجة للاعتداء على الأرصفة وضمها للمنازل - كما سبق الذكر . بل أن البعض قد اعتدي على نهر الطريق نفسه بالبناء عليه عند توسعة منزله . وفى الامتدادات الحديثة للقرية ، وكلها عشوائية ، تظهر الأزقة المتعرجة الضيقة التى لايزيد عرضها عن ثلاثة أمتار والمسدودة فى بعض الأحيان .

٦ - المنشآت الاقتصادية :-

يبلغ عدد المنشآت الاقتصادية بقرية أبيس الثانية ٧٦ منشأة ، معظمها عبارة عن محلات تجارية ، موزعة على النحو الذي يبينه الجدول رقم (٩) .

جدول رقم (٩) أنواع المنشآت الاقتصادية بقرية أبيس الثانية - ١٩٨٨

نوع المنشأة	العدد	٪	ملاحظات
محلات غذائية	٢٩	٣٨ر٢	بقاله - خضر وفاكهة - مطعم - جزارة .
محلات غير غذائية	٢١	٢٧ر٦	ملابس - أحذية - خردوات - أدوات منزلية أخشاب - صيدلية .
خدمات شخصية	١٦	٢١ر١	نجار - ترزي - كهربائي - تصوير - حلاق - سباك .
ورش	٧	٩ر٢	ميكانيي - سمكره - حدادة - كهرباء - تصنيع أبواب وشبابيك - بلاط
معامل صغيرة	٣	٣ر٩	البان ومنتجاتها .
المجموع	٧٦	١٠٠ر٠	

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

ومعظم هذه المنشآت الاقتصادية حديثة النشأة . فقد كان عدد هذه المنشآت قبل عام ١٩٦٠ - خمسة فقط ، ارتفع عددها الى ١٢ منشأة فيما بين ١٩٦٠ - ١٩٧٠ ، وحتى عام ١٩٨٠ زادت الى ٢٥ منشأة وبلغت عدد المنشآت التى بدأت نشاطها فى السنوات الثمانى الأخيرة ٥١ منشأة بنسبة ٦٧ر١٪ من جملة المنشآت الاقتصادية .

وعن مصادر امداد هذه المنشآت بالسلع والبضائع ومستلزماتها ، تبين من الدراسة الميدانية ان المصدر الأول هو مدينة الاسكندرية حيث تستمد ٦٠ر٥٪ من جملة هذه المنشآت احتياجاتها من الاسكندرية خصوصا معظم متاجر البقالة والملابس والأحذية والأدوات المنزلية والأخشاب وبعض الورش . ويأتى فى الترتيب الثانى منطقة أبيس (١٩ر٧٪) وعلى الأخص محلات الخضر والجزارة وبعض محلات الخدمات الشخصية ، ثم تأتى محافظة البحيرة

فى الترتيب الثالث ٩ر١١٪ ، بسبب ارتباط بعض أصحاب هذه المنشآت بأقارب لهم يمارسون نفس نشاطهم .

أما عن الجهات التى وفد منها أصحاب هذه المنشآت الاقتصادية . فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن معظمهم من سكان قرية أبيس الثانية . ٩ر٥٣٪) وجدير بالذكر أن نصفهم من الترفية أصلا وكانا يحترفون الزراعة ، ومع كبر سنهم تركوا مهنة الزراعة لأولادهم واتجهوا الى التجارة ويليهم الوافدون من الاسكندرية (٩ر٢٩٪) ثم الوادون من محافظة البحيرة (٣ر١٢٪) .

وتتركز هذه المحلات والورش فى منطقتين . الأولى فى وسط القرية ، حيث تنتشر المحلات الغذائية (وأهمها الجمعية التعاونية الاستهلاكية) ومحلات الخدمات الشخصية وبعض المحلات غير الغذائية . أما المنطقة الثانية فتقع على جانب الطريق المؤدي الى مدخل القرية حيث تتركز متاجر الأقمشة والأحذية والأدوات المنزلية والورش .

خلاصة القول ، يتضح من هذه الدراسة لقرية أبيس الثانية ، مدي ماتمثله هذه القرية كنمط من أنماط العمران الانتقالى بين الحضر والريف . فالقرية بها من سمات الريف وخصائصه السكانية والاجتماعية والعمرانية ، وبها أيضا بعضا من سمات الحضر . فالبيت " الملك " والسكن الأسري ووجود الحظيرة والفرن داخل المنزل وضيق الحارات والأزقة من سمات الريف المصري بصفة عامه . بينما ارتفاعات المبانى والمساكن المؤجره للغير والأجهزة المنزلية الحديثةوالطرق الأسفلتية وشكبات الصرف الصحى والورش ، كلها من سمات الحضر ، وكلاهما يظهر فى القرية . بل ان هناك تحولا وتغيرا مستمرا من السمات الريفية الى السمات الحضرية واختلاط الخصائص الريفية مع الخصائص الحضرية فى هذه القرية يجعلها نموذجا للحافات الحضرية الريفية للمدن حتى أنه يمكن أن نطلق عليها " قرية متمدينه " .

صورة رقم (١) منزل منتفع لم تطرأ عليه أي توسعات في حين توسعت المنازل المجاورة له وبرزت الى الشارع كما ارتفعت الى أعلا .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨).

صورة رقم (٢) بناء دور ثان فوق المنزل الأصلى - لاحظ ميل سقف المنزل الأصلى .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٣) أحد البلوكات السكنية وقد تم توسيع منازلها على حساب الرصيف واستغل أحد السكان ذلك التوسع فى اضافة " محل " الى منزله .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٤) أحد الشوارع الضيقة والملتوية فى منطقة الامتداد الحديث للقرية.

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨) .

صورة رقم (٥) الفرن - أصبح مكانه خارج المنزل

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٦) سوء حالة الصرف الصحى بأحد شوارع قرية أبيس

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٧) واحد من الأزقة الضيقة المسدودة بالقرية فى منطقة الامتداد الحديث .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٨) "البلوكات" الخاصة بالموظفين ، وقد توسع أحدهم فى منزله أفقيا "فى الخلف مكان الحديقة" ورأسيا

(قرية أبيس الثانية مارس ١٩٨٨)

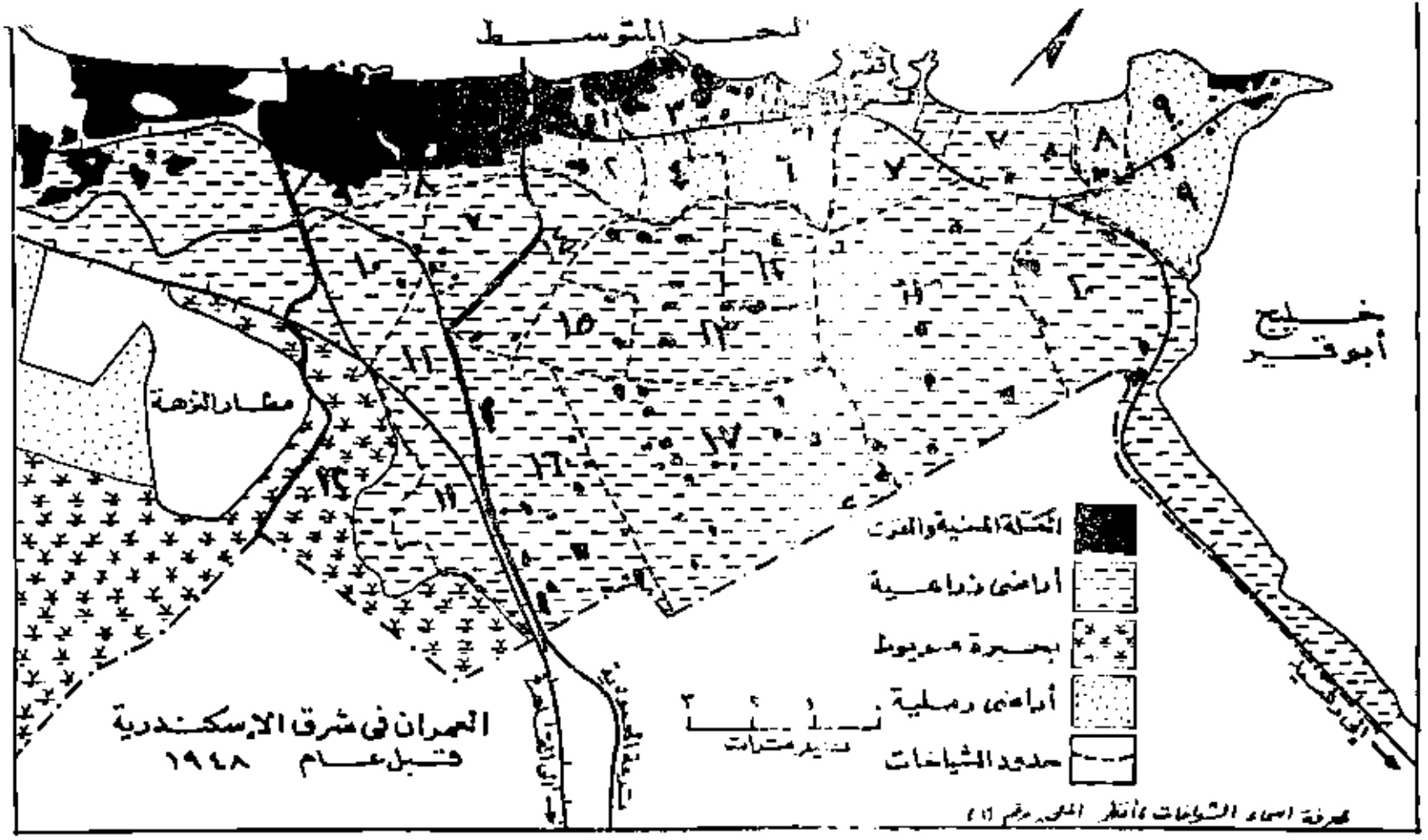
البحر المتوسط
خليج أبوقير
مطار النزهة
العمران فى شرق الإسكندرية
قبل عام ١٩٤٨
الكتلة العمرانية والقرى
أراضى زراعية
بحيرة مريوط
أراضى رملية
حدود الشياخات
كيلو مترات

خريطة رقم (١)

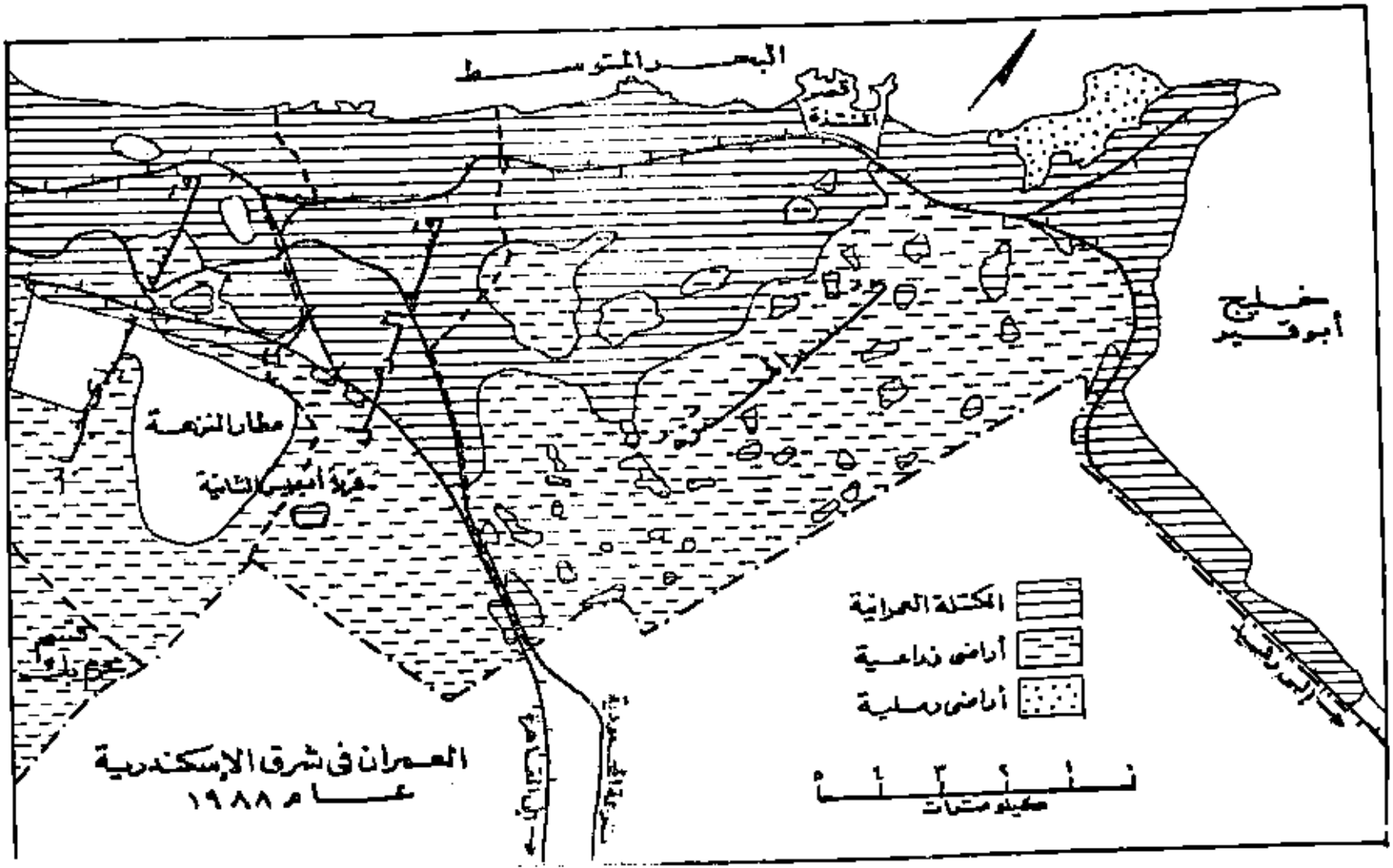
البحر المتوسط
قصر المنتزة
خليج أبوقير
مطار النزهة
هيئة أبيس الثانية
الكتلة العمرانية
أراضي زراعية
أراضي رملية
العمران في شرق الإسكندرية
عام ١٩٨٨
كيلومترات

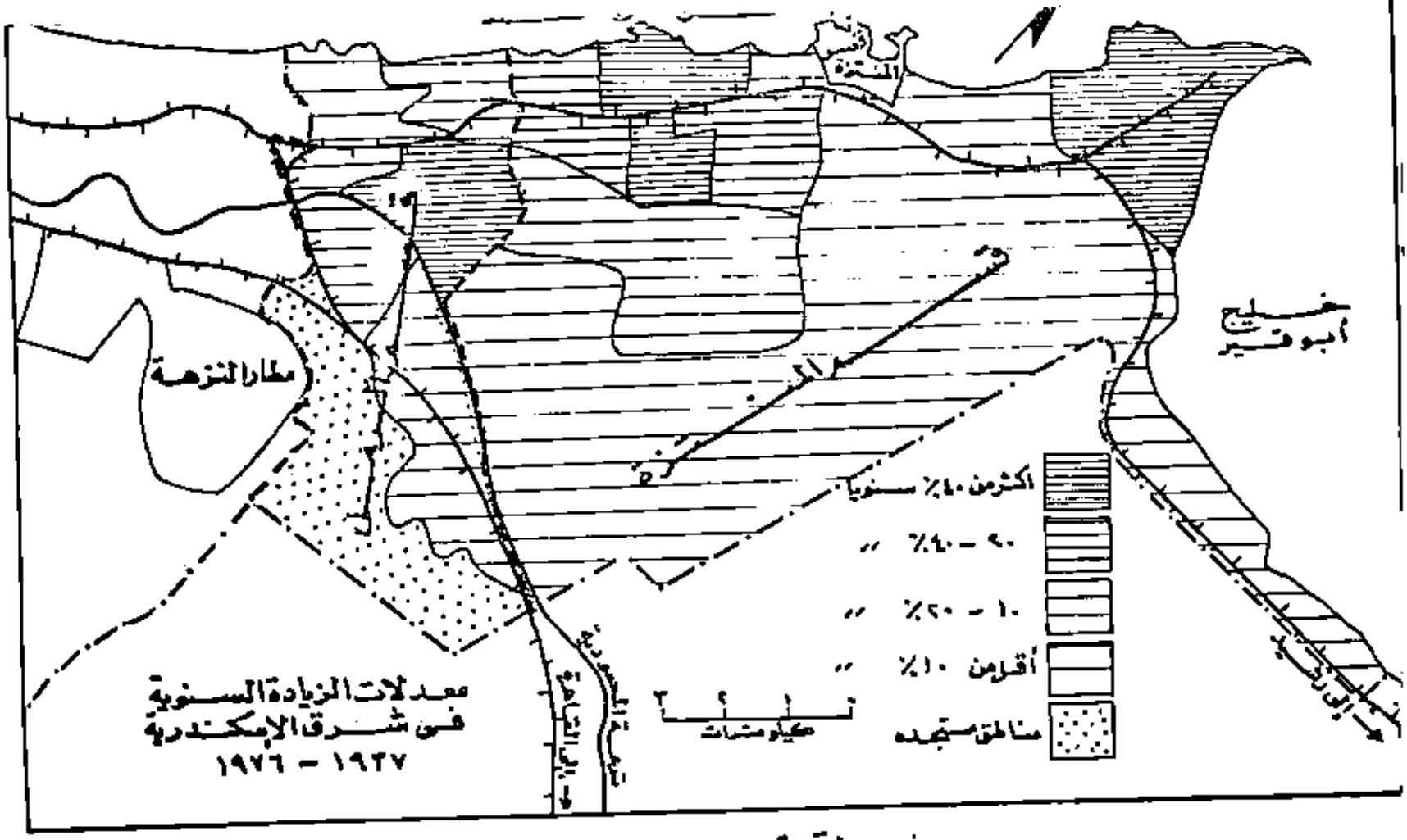
المنتزه
مطار النزهة
خليج أبو قير
أكثر من ٤٠٪ سنويا
٣٠ - ٤٠٪ ،،
١٠ - ٢٠٪ ،،
أقل من ١٠٪ ،،
مناطق مستجده
كيلو مترات
معدلات الزيادة السنوية
فى شرق الإسكندرية
١٩٢٧ - ١٩٧٦

خريطة رقم (٣)

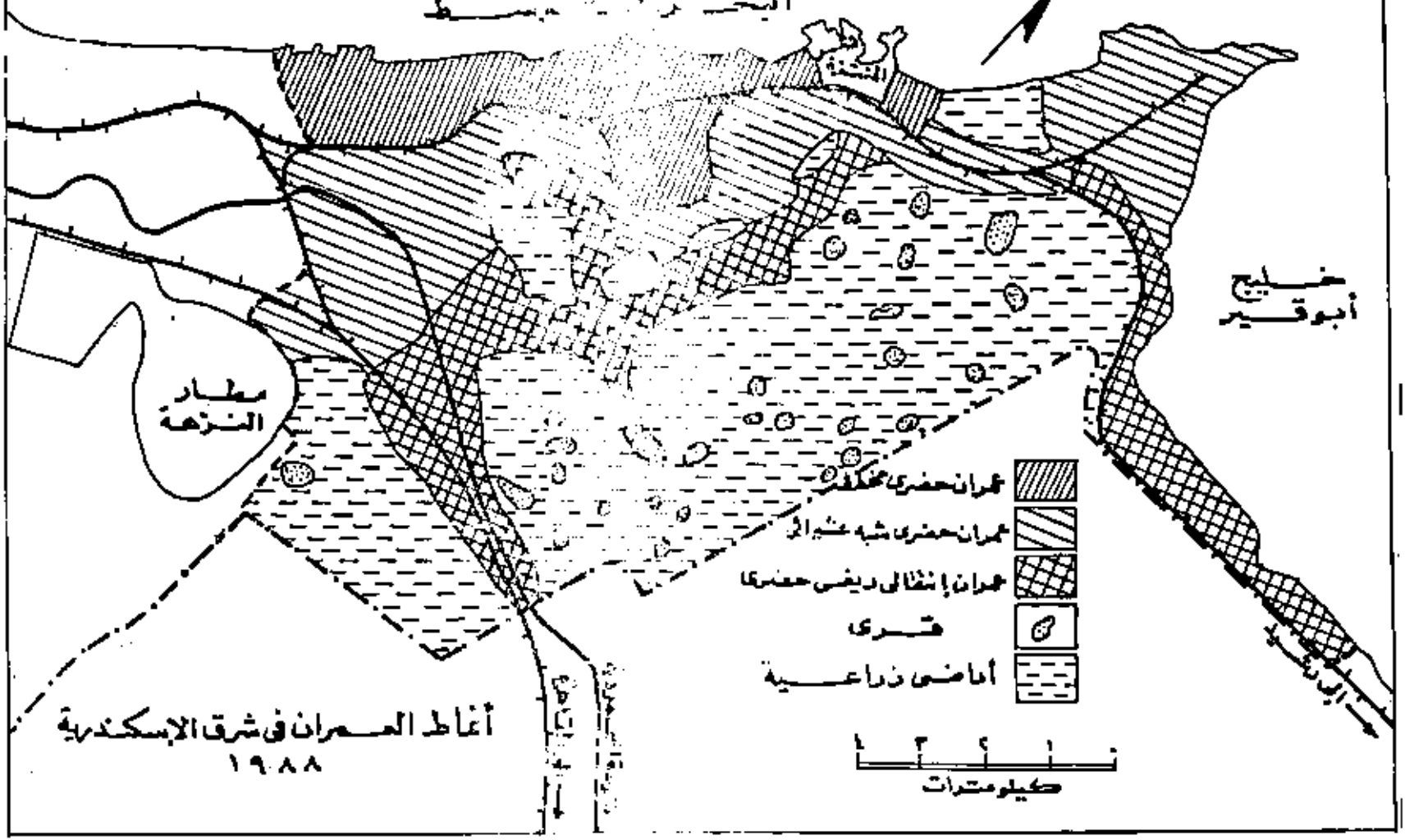
خليج أبوقير
مطار النزهة
عمران حضري متكثف
عمران حضري شبه متكثف
عمران إنتقالي ريفي حضري
قرى
أراضي زراعية
كيلومترات
أنماط العمران في شرق الإسكندرية
١٩٨٨

خريطة رقم (٤)

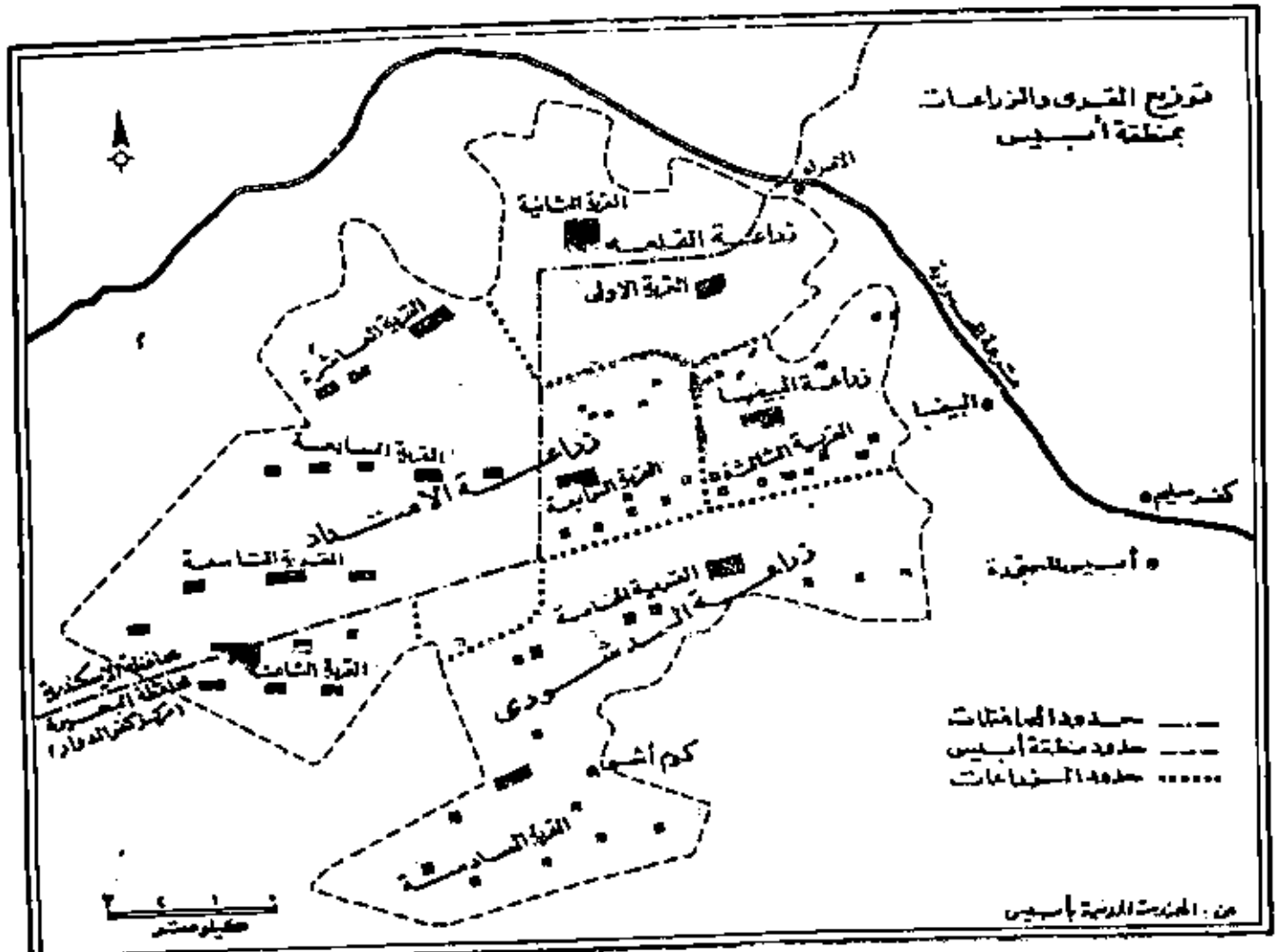
توزيع القرى والزراعات
بمنطقة أبيس
الترعة
الترعة الشرقية
البيضا
كفر سليم
أبيس البحرية
ناحية القلعة
القرية الثانية
القرية الأولى
ناحية البيضا
القرية الثالثة
ناحية الأمتداد
القرية السابعة
القرية الخامسة
القرية الثامنة
ناحية القرية السادسة
كوم أشعاب
القرية السادسة
حدود المحافظات
حدود منطقة أبيس
حدود الضياعات
كيلو متر
من : الجغرافيا الزراعية بأبيس

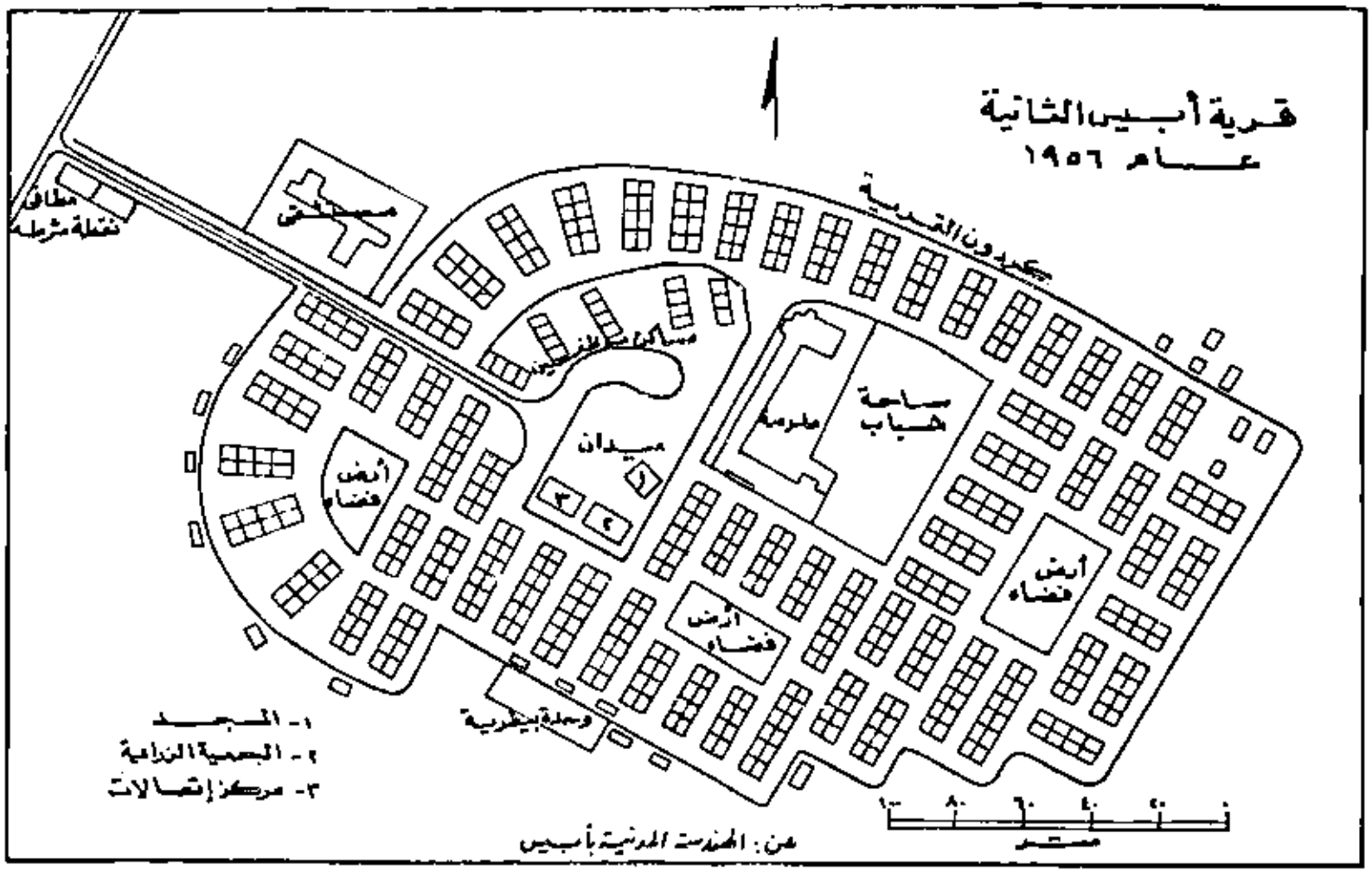

عن: الهندسة المدنية بأبيس

جدول رقم (٦)

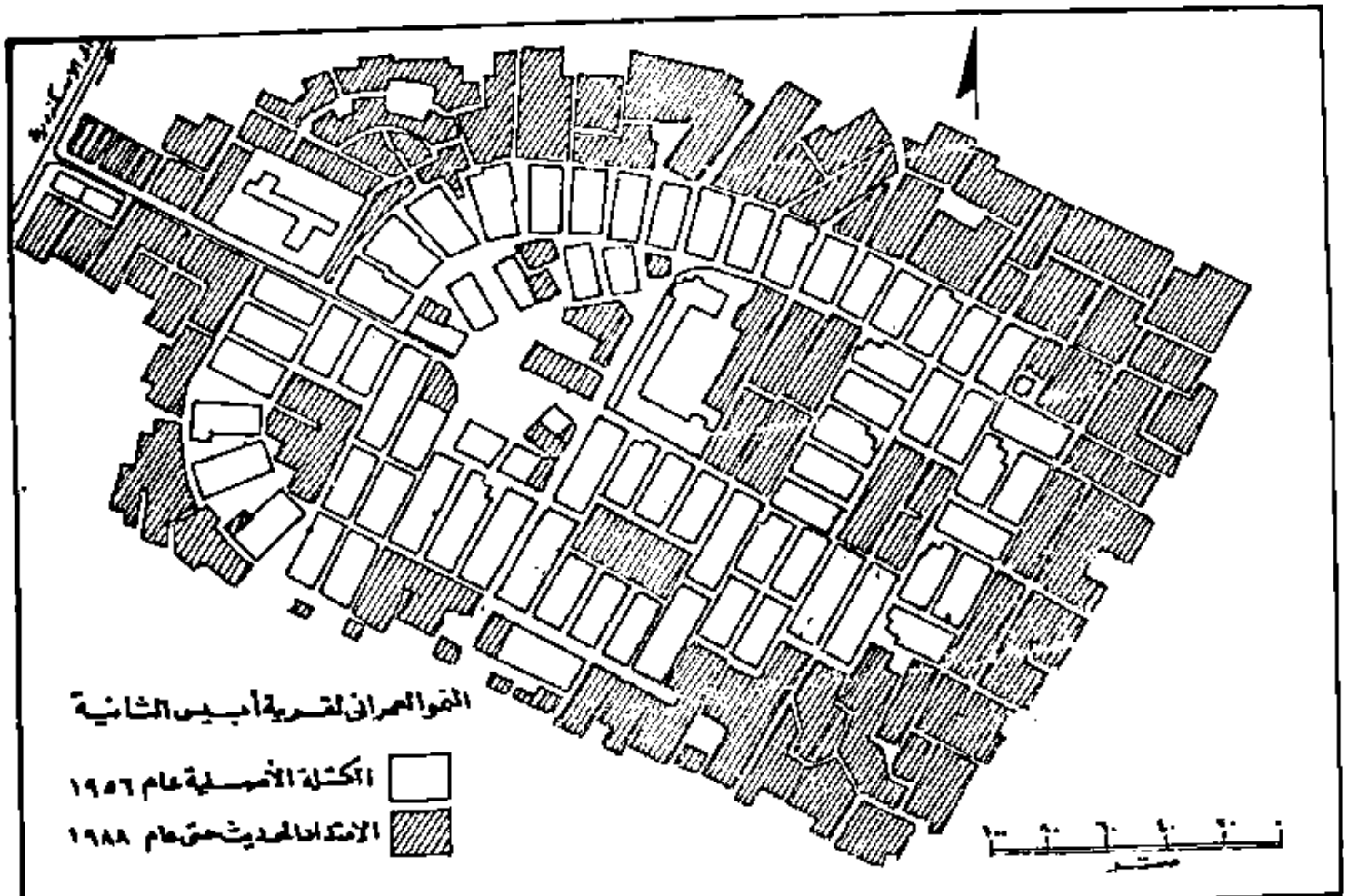
النمو العمراني لقرية أبيس الثانية
الكتلة الأصلية عام ١٩٥٦
الامتداد الحديث حتى عام ١٩٨٨
متر

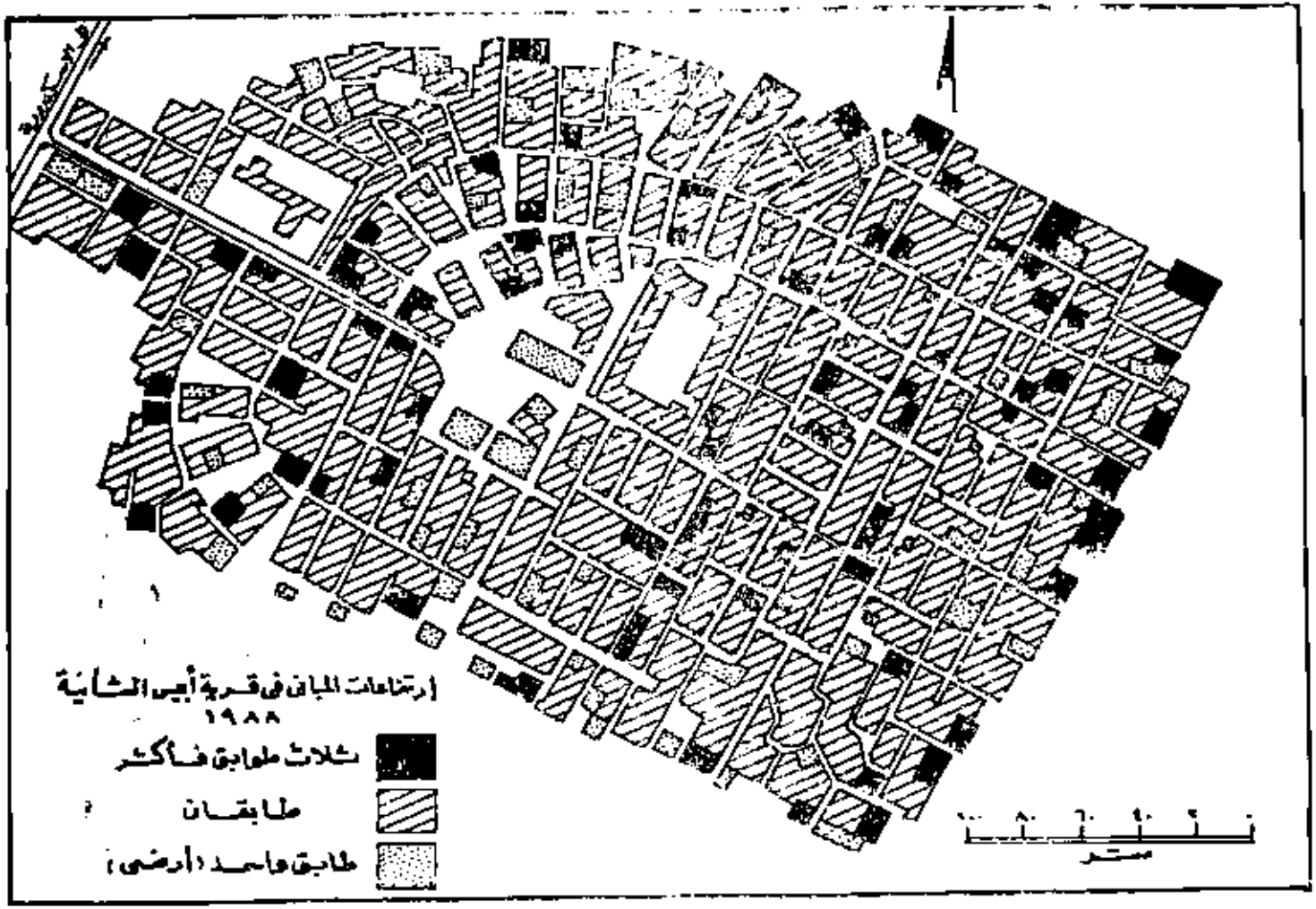
ارتفاعات المباني في قرية أبي الشامة
١٩٨٨
ثلاث طوابق فأكثر
طابقان
طابق واحد (أرضي)
متر

خريطة رقم (٨)

صورة رقم (١) منزل متمم لم تطرأ عليه أى توسعات فى حين توسعت المنازل المجاورة له وبرزت الى الشارع كما ارتفعت الى أعلا . (قرية أبيس الثانية ٨مارس ١٩٨٨).

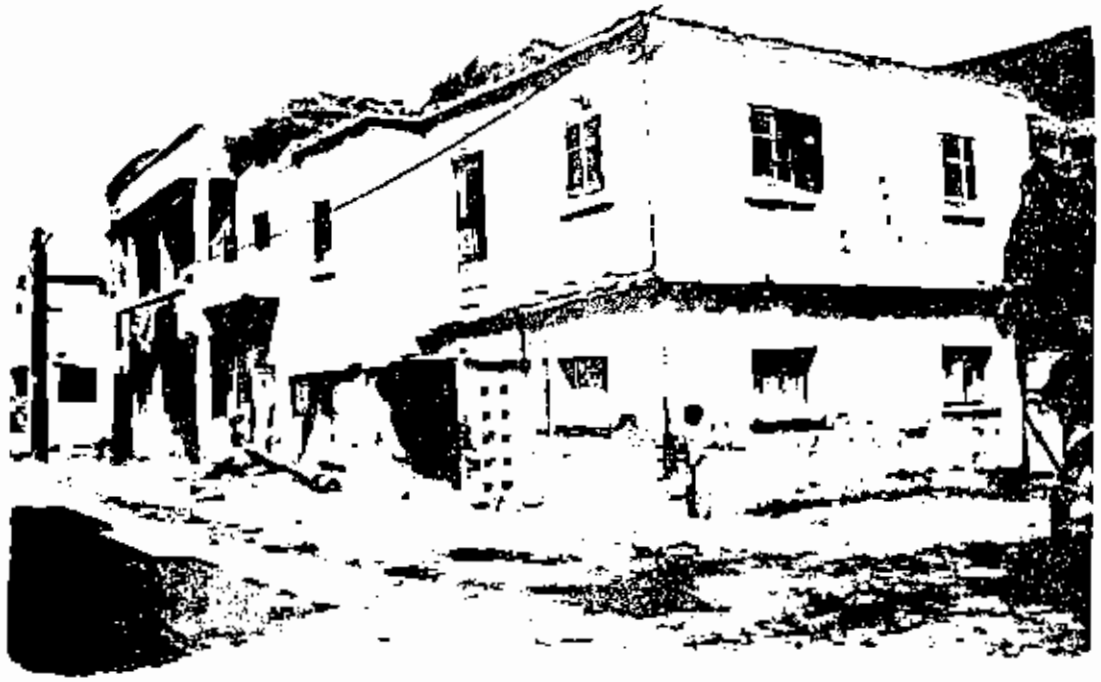

صـــوره رقم (٢) بناء دور ثان فوق المنزل الأصلى ـ لاحظ ميل ســقف
المنزل الأصلـــــــى . (قرية أبيس الثانية ٥ مارس ١٩٨٨)

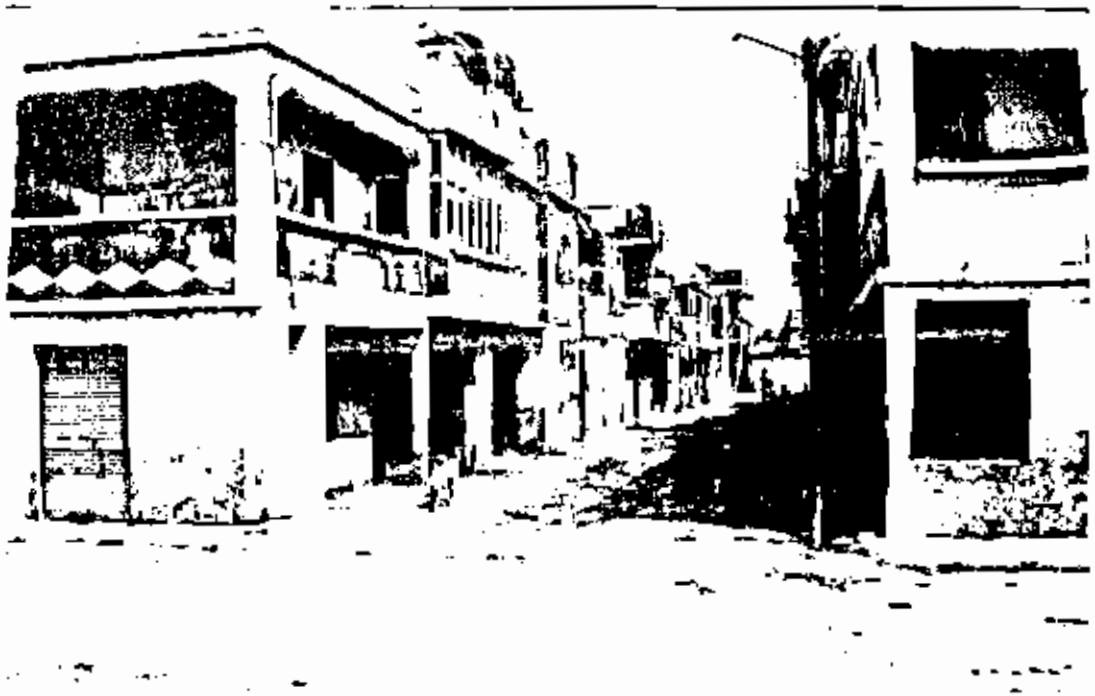

صورة رقم (٣) أحد المساكن وقد تم توسيع منازلها على حساب الرصيف واستغل أحد السكان ذلك التوسع فى اضافة "محل" الى منزله . (قرية أبيس الثانية ٥ مارس ١٩٨٨)

صـــورة رقم (٤) أحد الشوارع الضيقة والملتوية فى منطقة الامتداد الحديث للقريـــــة • (قرية أبيس الثانية فى مارس ١٩٨٨) •

صـــــورة رقم (٥) القـــرن ـ أصبح [illegible] المـــنزل

(ا [illegible] أبيس الثانية عام ١٩٨٨)

صورة رقم (٦) سوء حالة الصرف الصحى بأحد شوارع قرية أبيـــــس
(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨) .

صورة رقم (٧) واحد من الأزقة الضيقة المسدودة بالقرية فى منطقة الامتداد الحديـــــث.
(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٨) أحد "البلوكات" الخاصة بالموظفين وقد توسع أحدهم في منزله أفقيا "في الخلف مكان الحديقة" ورأسيا (قرية أبيس الثانية مارس ١٩٨٨)

ملحق رقم (١) الزيادة الكلية والسنوية لسكان شرق الاسكندرية ١٩٣٧/١٩٧٦

الشياخة	رقم الشياخة	القسم	عدد السكان ١٩٣٧	عدد السكان ١٩٧٦	٪ للزيادة الكلية	٪ للزيادة السنوية
فلمنج	١	الرمل	٨٣٩٤	٢٧٦٩٧	٢٣٠ر٠	٥ر٩
زعربانه والحمام	٣	–	١٥٤٤٤	٣٤٢٨٢	١٢٢ر٠	٣ر١
العاقصة وباكوس	٤	–	٧٣١٠	١٦٤٧٢	١٢٥ر٣	٣ر٢
المنزة بحري	٥	المنتزة	٤١٤٦	٩٥٧١	١٣٠ر٩	٣ر٤
المعمورة	٧	–	٣١٠١	٩٨٥٨	٢١٧ر٩	٥ر٦
الناصرية	١١	–		٦٩٣٢		
طلمبات الطابية	١٠	–	٣٧٣٥	٨٣٤١	٣٠٨ر٩	٩ر٢
التوفيقية	١٧	–	٣٤١٨	٤٥٢٨	٣٢ر٥	٠ر٩
خورشيد البحرية	١٦	–		٦٣٨٢		
المهاجرين	١٥	–	٣٨٧٤	٤٦٠٨	٢٩٣ر٢	٧ر٢
خورشيد القبلية	١١	الرمل		٤٢٤٢		
الظاهرية وعزبة الصفيح	٩	الرمل	٨١٩٢	٤٣٢٢٤	٤٢٧ر٦	١١ر٠
سان استفانو	٢	–	٤٢٨٩	٢٦٤٥٠	٥١٦ر٧	١٣ر٣
حجر النواتية	١٠	–	١٥٤٣	١٠٨٢٥	٦٠١ر٦	١٥ر٤
القصعى بحري	٥	–		٤٩٠٣		
القصعى قبلى	٦	–	١٠٧٩٤	٣٤٧٠٤	٦٧٥ر٥	١ر٣
المنشية البحري	١٣	المنتزة		٩١٢٣		
العصراوي	١٢	–	٢٣٨٤	٥٠٥٥	٦٢٩ر٥	١٦ر٢
القرداحى	١٤	–		٣٢١٣		
المحروسة	٨	الرمل	٣٠٦٣	٣٨٦٧٣	١١٦٢ر٦	٢٩ر٨
دنا الجديدة	٧	–	٢٠٧٦	١٥٥٠٦٦	٧٣٦٩ر٥	١٨٩ر٠
الصيوف بحري	١	المنتزة		٢٥٩٥٥		
الصيوف قبلى	٢	–	٨١٨٠	٥٤٨١٥	٨٨٧ر٤	٢٢ر٨
سيدي بشر بحري	٣	–		١٦١٨٣		
سيد بشر قبلى	٤	–	٢١٩٠	٧٥٧٥٨	٤٠٩٨ر٢	١٠٥ر١
المنزة قبلى	٦	–	٥٢٠٥	٥٠٥٦٩	٨٧١ر٦	٢٢ر٣
أبو قير الشرقية	٩	–		٥٩٥٧		
أبو قير الغربية	٨	–	٦٣٣٩	١٥٠٩٣	١٥٩٩ر٠	٤١ر٠
أبيس	١٢	الرمل	٠٠	٥٣٣٦		
الجملة				٧٥٧٩١٥	٦٣١ر٧	١٦ر٢

المصدر ١ - مصلحة التعداد والاحصاء - التعداد العام للسكان عام ١٩٣٧

٢ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ - النتائج التفصيلية محافظة الاسكندريه الجزء الأول القاهرة ص ٤٧ ٤٨ ٥٤ ٥٥ ٥٦

ملحق رقم (٢) توزيع السكان حسب الحالة التعليمية فى شرق الاسكندرية ١٩٧٦

الشياخة	جملة الأفراد	مؤهل جامعى وفوق الجامعى	٪	مؤهل متوسط وفوق المتوسط	٪	مؤهل فوق المتوسط	٪	أمى	٪
فلمنج	٢٢٣٥٤	٤٨٦٥	٢١٫٨	١٠٥٣٠	٤٧٫١	٣٩٩٨	١٧٫٩	٢٩٩١	١٣٫٢
سان استفانو	٢٩٢٣٠	٥١٨٠	١٧٫٤	٩٧٣١	٣٣٫٥	٣٣٧١	١١٫٥	٢٩٤٣	١٠٫٨
سيدي بشر بحري	١٢٩٥٠	١٥٣٧	١١٫٩	٥٨٥٠	٤٥٫٢	٣٠٢٦	٢٣٫٣	٢٥٣٧	١٩٫٦
السيوف بحري	٢٠٥٨٢	٢٢٣٣	١٠٫٨	٨٦١٨	٤١٫٩	٥٠٢١	٢٤٫٤	٤٧١٠	٢٢٫٩
المندرة بحري	٧٣٤٤	٦٨٢	٩٫٣	٢٨٠١	٣٨٫١	١٩٢٩	٢٦٫٣	١٩٣٢	٢٦٫٣
القصص بحري	٢٨١٩٦	١٨٨٣	٤٫٩	١٤٩٨٠	٣٩٫٢	١٠٦٨٥	٢٨٫٠	١٠٦٤٨	٢٧٫٩
زعربانه والمسام	٢٧٢٣٠	١١٣٣	٤٫٢	٨٦٧٢	٣١٫٨	٨٤٤٠	٣١٫٠	٨٩٨٥	٣٣٫٠
سيدي بشر قبلي	٥٥٧٨٥	٢٤٩٨	٤٫٥	١٩٨٧٢	٣٥٫٦	١٦٢٨٣	٢٩٫٢	١٧١٣٢	٣٠٫٧
الجملة	٢٠٥٩٧١	٢٠٠١١	٩٫٨	٨١٠٥٩	٣٩٫٤	٥٢٧٥٣	٢٥٫٦	٥١٨٤٨	٢٥٫٢
الظاهرية وعد الصفيح	٣٢٥٦٦	٣٢٩	١٫١	٦٧٨٤	٢٠٫٨	١٢٠٤٤	٣٧٫٠	١٣٤٠٩	٤١٫١
المحروسة	٢٧٣٦٩	٣٢١	١٫٠	٤٩٩٩	١٨٫١	١٠١٧٤	٣٧٫٢	١١٩٥٠	٤٣٫٧
القصص قبلي	٢٦١٨٧	٩٤٧	٣٫٦	٦٣٨٤	٢٤٫٤	٩١٨٦	٣٥٫١	٩٩٧٠	٣٨٫٠
العاقصة وباكوس	١٣٢٥٥	٢٧٠	٢٫٠	٤٠٧٣	٣٠٫٧	٤٣٥٨	٣٢٫٩	٤٥٥٤	٣٤٫٤
دما الجديدة	١٠٥٨٤٣	٨٨٢	٠٫٨	١٧٥٤٠	١٦٫٦	٣٥٩٨٤	٣٤٫٠	٥١٤٣٧	٤٨٫٦
حجر النوائمة	٧٤٤٢	٤٣	٠٫٦	٧٩٨	١٠٫٠	٢١٤٤	٢٨٫٩	٤٤٢٠	٥٩٫٧
السيوف قبلي	٣٠٦٢٨	٨٩٤	٢٫٩	٨٩٨١	٢٩٫٣	١٣٠٦٦	٣٢٫٥	١٦١٨٣	٤١٫٩
المندرة قبلي	٣٦٤٢٤	٦٨٠	١٫٩	٩١٤٠	٢٥٫١	١٢٣٦٥	٣٣٫٨	١٤١٣١	٣٩٫١
الصواري	٣٩٦٧	٦٩	١٫٧	٨٠٢	٢٠٫٣	٩٠٦١	٢٥٫٥	١٦٨٦	٤٢٫٥
أبو قير الغربية	١١٥٠٤	٣٩٤	٣٫٤	٤١٩٦	٣٦٫٥	٢٩٧٢	٢٥٫٤	٣٩٩٢	٣٤٫٧
أبو قير الشرقية	٤٦١٠	٨٥	١٫٨	١٢٨٥	٢٧٫٨	١٢٧٢	٢٧٫٦	١٩٧٣	٤٢٫٨
الجملة	٣٠٧٧٨	٤٥٧٨	١٤٫٩	٦٤٩٥٢	٢١٫١	١٠٤٤٢٨	٣٣٫٩	١٣٣٨٢٠	٤٣٫٢
المشية البحري	٦١٤٢	١٦	٠٫٢	٤٠٩	٦٫٧	١٧٨٧	٢٩٫٠	٣٩٣٠	٦٤٫٠
المهاجرين	٣١٠٩	٨	٠٫٢	٣٥٨	١١٫٢	٩٤٤	٢٠٫٧	٢١٠٩	٦٧٫٨
خورشيد البحرية	٤٣٨٢	١٨	٠٫٤	٣٨٢	٨٫٧	١٢١٠	٢٧٫٦	٢٧٧٦	٦٣٫٣
خورشيد القبلية	٢٧٩٣	٩	٠٫٣	٢٩١	١٠٫٤	٩١٣	٣٢٫٧	١٨٨٠	٦٧٫٣
البيس	٢٦٢٠	١٩	٠٫٧	٤٤٨	١٧٫٢	٧٢٧	٢٨٫١	١٤١٦	٥٤٫٠
المعمورة	٧١٢٩	٦٧	٠٫٩	١٢٩٥	١٨٫٢	٢٢٨٦	٣٢٫١	٣٤٨١	٤٨٫٨
طلبات الطابية	٥٨٠١	٣١	٠٫٥	٥٥٦	٩٫٦	١٢٦٧	٢١٫٨	٣٩٥٧	٦٨٫٢
الناصرية	٤٦٩٠	٨	٠٫٢	١٩٢	٣٫٥	٦٧٠	١٤٫٣	٣٨٤٥	٨٢٫٠
التوفيقية	٣٠٦٥	٤	٠٫١	٧٨	٢٫٥	٣٢٤	١٠٫٨	٢٦٤٩	٨٦٫٥
القرداحى	٢١٤١	٣	٠٫١	١٩	٠٫٩	٨٢	٣٫٨	٢٠٣٧	٩٥٫٢
الجملة	٤١٨٧٣	١٧٣	٠٫٤	٣٩٩٣	٩٫٥	٩٦٣٠	٢٣٫٠	٢٨٠٧٧	٦٧٫١
جملة نطاق شرق الاسكندرية	٥٥٤٣٢٢	٢٤٣٦٢	٤٫٥	١٥٠٠٠٤	٢٧٫٠	١٦٦٨١١	٣٠٫٠	٢١٣٧٤٥	٣٨٫٥

المصدر : الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان الاسكان ١٩٧٦ - النتائج التفصيلية محافظة الاسكندرية - الجزء الأول - القاهرة ١٩٧٨ ص ١٤٧/١٤٨/١٥٤/١٥٥/١٥٦ .

ملحق رقم (٣) توزيع المكان حسب أقسام المهنة

الشياخة	جملة ذوي النشاط	٪	الادارة العامة والخدمات	٪	الاعمال الكتابية والخدمات	٪	الانتاج صناعي والنقل والتجارة	٪	الزراعة والصيد	٪
ثلاثة	٨٧٠٩	٤٤٫٦	٣٨٨٨	٤٥٫٩	٢٤١٣	٢٧٫٨	٢٣٣٥	٢٧٫٨	٧٣	١٫١
سان استفانو	٨٨٤٢	٤٥٫٩	٤٠٦٠	٤٨٫٥	٢٤٤٣	٢٧٫٦	٢٢٤٥	٢٦٫٨	٩٥	١٫٠
سيدي بشر بحري	٤٨٨٤	٢٨٫٥	١٤٢٩	٢٩٫٣	١٤٢٩	٢٩٫٣	٢٠١٢	٤١٫٢	٣٦	٠٫٧
السيوف بحري	٧٧١٧	٣٧٫٧	٢١١٨	٢٧٫٤	٢١١٨	٢٧٫٤	٢٣٩١	٤٣٫٩	٧١	١٫٠
المنشرة بحري	٢٩٢٤	٢٤٫٦	٧١٨	٢٤٫٠	٨١٨	٢٨٫٠	١٢٣٦	٤٣٫١	١١٢	٣٫٨
القصص بحري	١٣٦٣٤	١٥٫٤	٢٠٩٨	٢٥٫٣	٣٤٥٢	٢٥٫٣	٧٩٥٩	٥٨٫٤	١٢٥	٠٫٩
زعربانه والحمام	٩٨٤٥	١٢٫٠	١١٧٩	٢٧٫١	٢٧٢٠	٢٧٫١	٥٨٣٧	٥٩٫٣	١٠٩	١٫١
سيدي بشر قبلي	٢١٨٩٩	١٤٫٤	٣١٦١	٢٩٫٢	٥٧٢٢	٢٩٫٢	١٢٨٦٥	٥٨٫٧	١٥١	٠٫٧
الجملة	٧٨٤٥٥	٢٣٫٨	١٨٦٤٨	٢٩٫٩	٢١١١٥	٢٩٫٩	٢٣٩٢٠	٤٨٫٣	٧٧١	١٫٠
القاهرة بعد الصنيع	١١٣٧٥	٥٫٤	٥١٢	٢٢٫٢	٢٥٢٥	٢٢٫٢	٨١١٨	٧١٫٤	٢٢٠	١٫٩
المحروسة	١٠٨١	٤٫٢	٤٣٢	٢١٫١	٢١٦١	٢١٫١	٧٣٦٦	٧٢٫٠	١١٧	١٫١
النصص قبلي	٩٠٨٧	٨٫١	٧٨٣	٢٢٫٧	٢٠٦٢	٢٢٫٧	٦٠٨٠	٦٦٫٩	١٦١	١٫٨
العاقصة وباكوس	٤٨٦٢	٧٫٣	٣٥٣	٢٥٫٠	١٢٣٨	٢٥٫٠	٣٢٤١	٦٦٫٦	٣٠	٠٫٦
دنا الجديدة	٤٠٦٩٩	٣٫٨	١٥٥٦	٢٢٫٩	٩٣٠٥	٢٢٫٩	٢٩٣٩٢	٧٢٫٢	٤٤٦	١٫١
حجر الزراعية	٢٨٥٨	٢٫١	٧٤	١٤٫٧	٤٢٠	١٤٫٧	١٨٠٠	٩٢٫٠	٥٦٤	١٩٫٧
السيوف قبلي	١٤٩٢١	٨٫٠	١١٨٨	٢٥٫٨	٣٨٥٤	٢٥٫٨	٩٢٥٢	٦٢٫٠	٦٢٧	٤٫٢
المنشرة قبلي	١٤١٢٨	٧٫٨	١٠٩٨	٢٤٫٧	٣٤٩٥	٢٤٫٧	٩٠٦٩	٦٤٫٢	٤٦٦	٣٫٢
العمراوي	١٢٣٦	٥٫٠	٦٧	٢٩٫٥	٣٦٥	٢٩٫٥	٤٦٥	٣٧٫٦	٣٠٩	٢٫٠
أبو قير الغربية	٤١٥١	١٢٫٦	٥٢٢	٢٨٫٧	١١٩٢	٢٨٫٧	١٨٦٧	٤٥٫٠	...	١٢٫٠
أبو قير شرقي	١٦٩٧	٧٫٧	١٣١	٢٤٫٥	٤١٥	٢٤٫٥	٧٣٦	٤٣٫٥	٤١٢	٢٤٫٣
الجملة	١١٥٠٩٥	٥٫٩	٦٧١٦	٢٣٫٥	٢٧٠٣٧	٢٣٫٥	٧٧٣٨٩	٦٧٫٢	٣٠٠٣	٠٫٣
المنشية البحري	٢٢٧٥	١٫٧	٣٨	٩٫٣	٢١٢	٩٫٣	١١٤٥	٥٠٫٣		٣٨٫٧
المهاجرين	١١٥٠	١٫٧	١٩	١٣٫٨	١٥٩	١٣٫٨	٧٢٦	٦٣٫١	٢٤	٢١٫٠
خورشيد البحرية	١٥٥٠	٢٫٠	٣٦	٠٫٧	١٨١	٠٫٧	٨٤٧	٥٤٫٦	٤٩١	٣١٫٧
خورشيد القبلية	٩٢٥	٢٫٣	٢١	١٨٫٨	١٧٤	١٨٫٨	٢٦٥	٢٨٫٦	٤٦٥	٥٠٣
أبيس	١٢١٢	٣٫٩	٤٧	٢٢٫٤	٢٨٤	٢٢٫٤	٢٧٧	٢٢٫٩	٦٠٤	٤٩٫٨
المعمورة	٢٥٦٥	٣٫٢	٩٠	١٥٫٦	٤٠٠	١٥٫٦	١٢٩٧	٥٠٫٩	٧٧٨	٣٠٣
طلمبات الطابية	٢١٧٣	١٫٨	٤٠	١١٫٢	٢٤٣	١١٫٢	١٢٥٣	٥٧٫٧	٦٣٧	٢٩٫٣
الناصرية	١٦٨٣	٢٫٦	٣٧	٥٫٦	٩٤	٥٫٦	٣٣٥	١٤٫٠	١٣٢٧	٧٨٫٧
التوفيقية	١١٧٧	٠٫٦	٨	٢٫٩	٤٦	٢٫٩	١٠٣	٨٫٨	١٠٢٠	٨٦٫٧
الفراهى	٨٤٥	٠٫٧	٦	١٫٧	١٤	١٫٧	١١١	١٣٫١	٧١٤	٨٤٫٥
الجملة	١٥٥٥٠	٢٫١	٣٢٧	١١٫٦	١٨٠٧	١١٫٦	٩٢٥٩	٤٠٫٢	٧١٦٢	٤٦٫١
جملة نظار شرق الاسكندرية	٢٠٩١٠٥	١٢٫٣	٢٥٦٩١	٢٣٫٩	٤٩٩٥٩	٢٣٫٩	١٢١٥٦٨	٥٨٫١	١١٨٨٧	٥٫٧

المصدر : الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ - النتائج التفصيلية لمحافظة الاسكندرية - الجزء الاول - القاهرة ١٩٧٨ ص١٦٩/ ١٧٠/١٧٦/١٧٧ .

ملحق رقم (٤) مشروع الدراسة الميدانية لقرية أبيس الثانية

(البيانات الواردة في هذه الاستمارة سرية ولايجوز تداولها الا لغرض البحث العلمي)

موقع المسكن : .....

اسم رب الأسرة : .....

سنة الوفـــرد : عدد الأسر بالمسكن جملة الأفراد .....

أفراد الأسرة	العلاقة	السن	محل الميلاد	المهنة	مكان العمل	وسيلة النقل	مباشر أوغير	اشتراك أو بدون	عدد المرات في الاسبوع
رب الأسرة									

المسكن : (من الخارج)

طابق واحد به فناء مسقوف / غير مسقوف / بدون

ملحق به حظيرة دواجن / أغنام / مواشي / استخدامات أخري (تذكر)

طابق أرضي وعلوي خاص

متعدد الطوابق عدد الطوابق أرضي + عدد الوحدات السكنية .....

مادة البناء ك بالأسمنت المسلح / طوب فقط / طوب لبن / خشب / صفيح / مواد أخري(تذكر)

المسكن (من الداخل)

ملك / تمليك حكومي / ايجار خاص / ايجار حكومي

عدد غرف المسكن :

به دورة مياه مستقلة / مطبخ مستقل/ غرفة مستقلة للزوار / عدد غرف النوم

مزود بالكهرباء / بدون ..... مزود بالمياه / بدون الصرف الصحي عام / خاص

أثاث المسكن: راقي / متوسط / أقل من المتوسط .

الأجهزة الكهربائية : براجاز / مروحه / تليفزيون / فيديو / غسالة / أجهزة كهربائية أخري

الهوامش والمراجع

١- فتحى محمد أبو عيانه – جغرافية العمران ، دراسة تحليلية للقرية والمدنية – الاسكندرية ١٩٩١ ، ص ٢٠٢

(2) Carter, H.; The Study of Urban Geography pp.305-306

٣ – فتحى محمد أبو عيانه– سكان الاسكندرية – الاسكندرية ١٩٨٠ ص٣.

٤ – محمد صبحى عبد الحكيم – مدينة الاسكندريه – القاهرة ١٩٥٨ ص ١٦٦

٥ – فتحى محمد أبو عيانه (١٩٨٠)مرجع سبق ذكره ص ٤– ٥ .

٦ – محمد أمين حسونه – مصر والطرق الحديدة – القاهرة ١٩٣٨ – ص٢٣٨–٢٣٩ .

٧ – أ . محمد صبحى عبد الحكيم – مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٩

ب. كتاب غرفة الاسكندرية التجارية – عام ١٩٤٩ – ص ١٧٧ – ١٨٠.

٨ – حسن الساعاتى – التصنيع والعمران – بحث ميدانى للاسكندرية وعمالها – القاهرة ١٩٥٨.

٩ – سعد قسطندي ملطى – بحيرات مصر الشماليه – دراسة طبيعية بشرية – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٠ – ص٢٢٩.

١٠ - محمد خميس الزوكة - استغلال الأرض فى نطاق الزراعة الحضرية للاسكندرية - بدون سنة للنشر ، ص ٧ .

١١ - محمد خميس الزوكة - المرجع السابق ، ص ٨ .

١٢ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ ، النتائج التفصيلية - محافظة الأسكندرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .

١٣ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام ١٩٨٦ - المجلد الأول - خصائص السكان والظروف السكنية - محافظة الاسكندرية - القاهرة ١٩٩٠ - ص ٩ .

١٤ - تشكل أراضى الاصلاح الزراعى فى هذه المنطقة نحو ٧٣٪ من جملة المساحة، راجع : محمد خميس الزوكة - مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧ .

١٥ - يبلغ عدد الحاصلين على درجتى الماجستير والدكتوراه ومايعادلهما فى هذه المنطقة ٨٠٤ أشخاص بنسبة ٥ر٩١٪ من مجموعهم الكلى بنطاق شرق الاسكندرية .

١٦ - يلاحظ أن الاسم الشائع لهذه التجمعات لهذه التجمعات السكنية عزب (وليست قري) رغم تزايد أعداد السكان فيها والتحامها بالعمران .

١٧ - محمد خميس الزوكة - مناطق الاستصلاح الزراعى فى غرب النيل - دراسة جغرافية - الاسكندرية ١٩٧٩ - ص ٢٩/٣٠، ١٠٢/٢٠٣ ، ٢٣٧/٢٤٠ .

١٨ - أما باقى المساحة ، فقد خصص ٣٣٩٩ فدانا بنسبة ١ر١١٪ لبعض الهيئات كالقوات المسلحة والاذاعة وغيرهما و١٩٢٩ فدانا بنسبة

٤ر٦٪ للمنافع العامة و ٣٨٦٣ فدانا بنسبة ٩ر١٢٪ للايجار و ١٣٨٠ فدانا بنسبة ٦ر٤٪ للمهاجرين من السويس وعددهم ٥٥٢ مزارعا .

١٩ - على الرغم من أن القرية الأولى تتبع مركز كفر الدوار - محافظة البحيرة اداريا .

٢٠ - تم حساب معدل النمو السنوي بين عامى ١٩٦٦ ، ١٩٧٦ وكذلك اسقاط السكان لعام ١٩٨٨ ، مع الأخذ فى الاعتبار ثبات معدل النمو السنوي ، باستخدام المعادلة الأسية

$$س_{٢} = س_{١} \times ي \times ر \times ن$$

حيث س ٢ عدد السكان فى التعداد اللاحق ، س١ عدد السكان فى التعداد السابق و ي رقم ثابت ٤٣٤٣ر. ، ر معدل النمو السنوي فى الألف ، ن الفترة الزمنية .

أنظر : فتحى محمد أبو عيانه - جغرافية السكان ، الاسكندرية ١٩٨٨ .

٢١ - يبلغ عدد الأفراد الذين يعملون بالأنشطة الاقتصادية المختلفة ٥٦٧ فردا من جملة العينة البالغ عددها ٢٠٤٠ فردا بنسبة ٨ر٢٧٪ .

٢٢ - الهيئة العامة لنقل الركاب بمحافظة الاسكندرية - الاحصاء السنوي العام عن أعمال الهيئة عن المدة من أو يوليو ١٩٨٨ الى آخر يونيو ١٩٨٩ ص ٣١/٣ ، ٧٧/٧٦ ، ٨١/٨٠ ، ٨٦/٨٥ .

٢٣ - محمد خميس الزوكة (١٩٧٩) - مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٤ - ٢٥٨

٢٤ - محمد خميس الزوكة (١٩٧٩) - مرجع سبق ذكره ،ص ٢٩٩ .

٢٥ - مقابلة مع السيد المهندس مدير الهندسة المدنية بمراقبة أبيس الزراعية - مارس ١٩٨٨ .

تنمية الساحل الجنوبي الشرقي لمصر
نظرة جغرافية

إعداد

د. عيسى علي ابراهيم

قسم الجغرافيا - كلية الآداب

جامعة الاسكندرية

١٩٩١

تنمية الساحل الشرقي لمصر
نظرة جغرافية

تتناول هذه الدراسة الساحل الجنوبي الشرقي لمصر الممتد على البحر الأحمر بين سفاجا شمالا وبير شلاتين جنوبا حيث تقع نقطة الحدود الادارية بين مصر والسودان وهي مسافة تبلغ زهاء ٥٠٠ كيلو متر طولا وتمثل ٣٥٫٧٪ من امتداد الساحل المصري على البحر الأحمر وخليج السويس البالغ ١٣٨٦ كم، وتتراوح عرض المنطقة الساحلية هذه بين ٢ - ١٠ كيلو متر في المتوسط من الشمال إلى الجنوب.(١)

وقد دفع الباحث لدراسة المنطقة اعتبارات عدة منها أهمية الاقليم الاقتصادية بما يملكه من موارد متنوعة لا تستثمر حاليا بالصورة المرضية . فواجهته البحرية ذات طبيعة شريطية محاذية لإقليم جنوب الصعيد الأمر الذى يساعده في إقامة علاقات تسهم فى تنمية القطاع الصحراوى الأوسط وتدعم التنمية في الأقاليم الثلاثة، كما أنه يقابل الساحل السعودى على الجانب الآخر ويقرب الأراضي المصرية كثيرا منه. ويضم بجانب هذا إمكانات ترفيهية جيدة "أكدت الدراسات(٢) تزايد أهميتها خلال العقدين الماضيين كمتجهات مستقبل أعدادا كبيرة من السائحين للتمتع بمزاياها العديدة سواء على المستوي المحلي أو الدولى، ويلاحظ أن سياحة السواحل لا تتطلب كثيرا من الاستثمارات لاستغلالها كقطب جاذب وهو ما يتفق مع الظروف الاقتصادية المصرية.

وسواء اعتبر الترويح استخداما للأرض أم نشاطا اقتصاديا أم مكونا من مكونات السلوك البشرى فهو يدخل ميدان جغرافية التنمية التي تصنف الموارد الترويحية كميا وتتعرف علي خصائصها وتحدد امكانية نظمها في استخدام معين أو توجيهها لاستخدامات بديلة وهو ما يعنى به إلى حد كبير متخذ القرار.(٣)

كما أن الساحل يملك إمكانات صيد لا بأس بها وبخاصة في الجنوب، ومن ثم يمكن توظيف مجموعة من المرافيء لخدمة هذا النشاط واستيعاب أعداد من الوافدين للعمل وسد جانب من حاجات الانسان المتزايدة للحوم في مناطق العمور المصري.

والتعدين نشاط اقتصادي ثالث يتركز في الظهير وبصفة خاصة إلى الجنوب من طريق قنا- سفاجا وحتى الحدود السياسية، ويستخرج هنا مجموعة من المعادن الفلزية واللافلزية تدخل في صناعات محلية أو تصدر للخارج، الأمر الذي دفع لظهور مجموعة من الموانى والمرافيء قامت عليها في الأصل ثم تطورت لتقدم خدمات نقلية متنوعة.

ويضاف لكل هذا الرعي وجمع النباتات الطبية- على نطاق محدود- ومحاولات التنمية الزراعية في أقصى الغرب عند هوامش وادي النيل وبالذات في شرق حوض كوم أمبو وفي وادي عبادي بإدفو.

ولما كانت الدراسات الإقليمية غالبا ما تكون مقدمة للتنمية، فإن التركيز على فهم ما يترتب من نتائج تفاعل الإنسان مع البيئة يعد أمرا ضروريا بالنسبة للجغرافي والمخطط في آن واحد[٤] للوصول لقيمة تطبيقية لهذه الدراسات.

والملاحظ أن الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والعمرانية وجه منذ نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ لسواحل البحر الأحمر، ولكنه تركز في المنطقة الواقعة شمال سفاجا حيث أقيمت سلسلة من المشروعات السياحية ساعدت على النهوض بمشروعات البنية التحتية لها. غير أن المنطقة الجنوبية من الساحل لم تحظ بنفس العناية ولذا يرمي هذا البحث إلى :

أولا:

التعرف على معطيات الإقليم البيئية والتركيز على علاقاته بالظهير البري وامتداداته شمالا وجنوبا ونظيره البحري وأهمية شبكات النقل في ذلك.

ثانيا:

دراسة الأنشطة الاقتصادية الحالية وتقويمها مع بيان دورهـا في مواقـع وأحجام ووظائف مراكز العمران.

ثالثا:

وضع تصور لإمكانات تنمية الأنشطة الاقتصادية واستغلال الموارد المتاحة مستقبلا.

رابعا:

بلورة أهم المشكلات المعوقة لاستثمار موارد البيئة بصورة أفضل مما هي عليه الآن مع اقتراح بعض الحلول لها.

وبعد جمع البيانات الأولية من الحقل والتحدث إلى الناس بصورة مباشرة في إطار المكان[٥] وسيلة تساعد في تفسير طبيعة العلاقات القائمة بين السكان والمكان ونتائجها المتمثلة في استثمار موارد البيئـة والمظاهر البشرية المرئية ثم الانتقال بعدها لتحليل أسباب التخلف ومشكلات اعادة توزيع الموارد و السكان، و تشجيع القرارات التنفيذية الصائبة في هذا المجال.

أولا: معطيات البيئة الطبيعية:

(١) الموقـــــع

يمثل الساحل الجنوبي الشرقي لمصر وظهيره الصحراوي إقليما متميزا في موقعه فهو بحكم امتداده نحو الجنوب الشرقي بعد أقصى إقليم يقترب من سواحل شبه الجزيرة العربية الغربية، فالمسافة بين رأس بناس وينبع مثلا ٢٣٠ كم، وبين القصير والوجه ٢٥٠كم أما جدة فلا تبعد عن رأس بناس سوى ٤٥٠كم وعن مرسي علم ٦٠٠كم والقصير ٧٠٠ كم وسفاجا ٨٠٠كم، ويوضح ذلك أهمية الاقليم اقتصاديا واستراتيجيا بالنسبة لعلاقات مصر بكل دول شبه الجزيرة.

كذلك يجاور الإقليم منطقة شمال شرق السودان ويقترب من باب المندب ذو الأهمية الاستراتيجية ملاحيا وفي نفس الوقت تعد منطقة بحيرة السد العالي ووادي النيل في أسوان وقنا ظهيرا له في الغرب بل أنه يقوم علي خدمة بعض مناطق الصحراء الغربية (هضبة أبو طرطور)[٦]، ولاشك أن تنية النيل عند قنا قربت المسافة إلى البحر الأحمر واقتطعت جزء من امتداد الطرق العرضية الصحروية بدفعها لنجع حمادي في نفس الوقت للغرب.

وقد كانت لمنطقة تنية قنا أهميتها كطريق دولي قبل حفر قناة السويس عندما استفادت من الملاحة النيلية ومن الأودية الجافة كطرق قوافل من ناحية، ومن مواجهة الموانيء المصرية لموانيء الساحل السعودي من ناحية أخرى ولذلك برزت مدن قوص وقفط والقصير وعيذاب كمدن تجارية ذات شأن في العصور الوسطي.[٧]

(٢) التركيب الجيولوجي ومظاهر السطح:

يمثل الإقليم جزء من منطقة البحر الأحمر بالأخدودية النشأة، ولذا فالسهل الساحلي ضيق بصفة عامة وإن اختلف اتساعه من الجنوب للشمال، فهو يؤلف نصف دائرة بين حلايب أو رأس بناس ويتسع هنا ليبلغ بضع عشرات من الكيلومترات عند مصب وادي الحوضين، بينما لايتعدي اتساعه الكيلو مترين كثيرا في معظم المناطق الأخري شمالا حتي سفاجا، ويتوقف عرض السهل الساحلي علي تأثيرات الحركات الباطنية والتعرية البحرية وإرسابات الأودية الجافة التي حدثت في المنطقة.

ويمكن اعتبار خط كنتور ٢٠٠متر حدا غربيا للمنطقة الساحلية وبذلك تضم كل الأرصفة البحرية السبعة المحاذية لخط الساحل باستثناء أقدمها التي يرتفع لمنسوب ٢٥٠متر[٨]

وصخور القاعدة الأرضية هي السائدة في الداخل وتحت [illegible]

عمرا والتي تشمل رواسب الرمال البحرية والقارية وإرسابات بطون الأودية الجافة والأرصفة البحرية والشعاب المرجانية، وفي بعض المواضع تقترب التكوينات الكريتاسية والجيرية من الساحل ويحتمل وجود قدر من المياه الجوفيه بها.(٩)

ويمكن تقسيم أشكال سطح المنطقة عرضيا إلي:

الرف القاري والجزر، الرؤوس والمراسي والشروم، الشواطئ، السهل الساحلي، المدرجات أو الأرصفة البحرية، الأودية الساحلية.

ويختلف اتساع الرف القاري من منطقة لأخرى وإن كانت خطوط الأعماق تشير إلى امتداده الأكبر عند مصبات الأودية وفي مناطق الرؤوس البارزة وحول الجزر الشاطئية، وضيقه في الشمال عن الجنوب. ويبدو أن المناطق الغنية بالأسماك تتركز في الجنوب بسبب هذا الاتساع النسبي وما قد تلقيه الأودية من مياه ورواسب أحيانا بصورة أكبر.

أما الجزر فهي إما قريبة من الساحل وإما بعيدة عنه والأولي أكثر عددا وأهمية من الثانية وعددها ثماني وترى بالعين المجردة، ومعظمها اقتطع من اليابس بفعل عوامل التعرية أو تكون بفعل تضافر الإرساب البحري والقاري وهي علي الترتيب من الجنوب مرير ومكوع ومحابيس وشواريط وسيال وجزاير قلعان ووادي جمال وسفاجا(شكل١). والملاحظ أنها تقع غالبا قريبة من مصبات الأودية الجافة أو علي امتداد الرؤوس البارزة، ويمكن استغلالها في إقامة منشآت سياحية أو لتوفير الحماية لبعض أنواع الرياضيات المائية.

وتمثل جزيرة الزبرجد(٤٥كم من الطرف الجنوبي لرأس بناس، ٦٥ كم من خط الساحل) أول الجزر البعيدة وترتفع لمنسوب ٢٠٠ متر وصخورها نارية، ويمكن استغلالها سياحيا بربطها باليابس عند رأس بناس في صورة رحلات بحرية، أما الجزيرة الثانية فشعب ديدالوس علي خط عرض مرسي علم، وتبعد ٩٠كيلو مترا عنها وهي أبعد جزر البحر الأحمر قاطبة عن الأراضي المصرية،

وآخر الجزر في الأخوان تجاه القصير وتبعد ٦٥ كم عنها، ونظرا لبعدها الكبير وصغر مساحاتها يصعب في الوقت الحالي استخدامها إلا في الأغراض الملاحية أو العسكرية.

ويبرز من خط الساحل مجموعة من **الرؤوس** ذات صخور نارية مثل رأس الشيخ بناس أو رسوبية مثل بغدادي وطرمبي وصمداي تاركة بينهاوبين الساحل جيوبا حائية صغيرة تمثل شروما أو خلجانا يمكن استغلالها في مجالات الصيد والسياحة وإقامة المرافي»، كما يساعد امتدادها علي الاقتراب من الجزر الشاطئية والبعيدة.

ومعظم **المراسي والشروم** يستغل حاليا في ميادين التعدين وبعضها يحتضن قاربا أو اثنين للصيد، والثالث مايزال دون استخدام. ويمثل النوع الأول مرسى علم وأم غميج وعجلة وأم جريفات، والثاني طرمبي ومبارك وتنضبة ووادي لحمي وحميرة. أما الشروم فأهمها البحري والقبلي واللولي ورحبة وكلالات وبرانيس [١٠]، (شكل ١)، وتمثل هذه الشروم خلجانا صغيرة محميةمن أخطار بعض أسماك البحر الأحمر للسائحين.

أما **الشواطيء** فهي رملية صالحة كمواقع ترفيهيةأو لإقامة بعض قرى الصيد الصغيرة أو المراكز العمرانية الأخري الخدمية، وترتفع أعدادها في الشمال بين سفاجا والقصير ومرسي علم - أبو غصون ونقل في الوسط والجنوب.

وربما كانت **الأودية الجافة** أهم ظاهرات السطح من حيث تأثيرها على أنشطة السكان في المنطقة ، وهي قصيرة الامتداد بصورة عامة في المناطق الوسطي والشمالية على التوالي، وتزداد طولا في الجنوب، وتعد وادى حوضين أهمها على الإطلاق، وقد أشار حمدان إلي اتساع حوضه بحيث لايقل عن مساحة الصعيد كله [١١]، ويليه على الترتيب من الجنوب أودية رحبة وكلالات وبرانيس حتي رأس بناس، ثم أودية لحمي وجمال والعلم ودبر وأم غميج

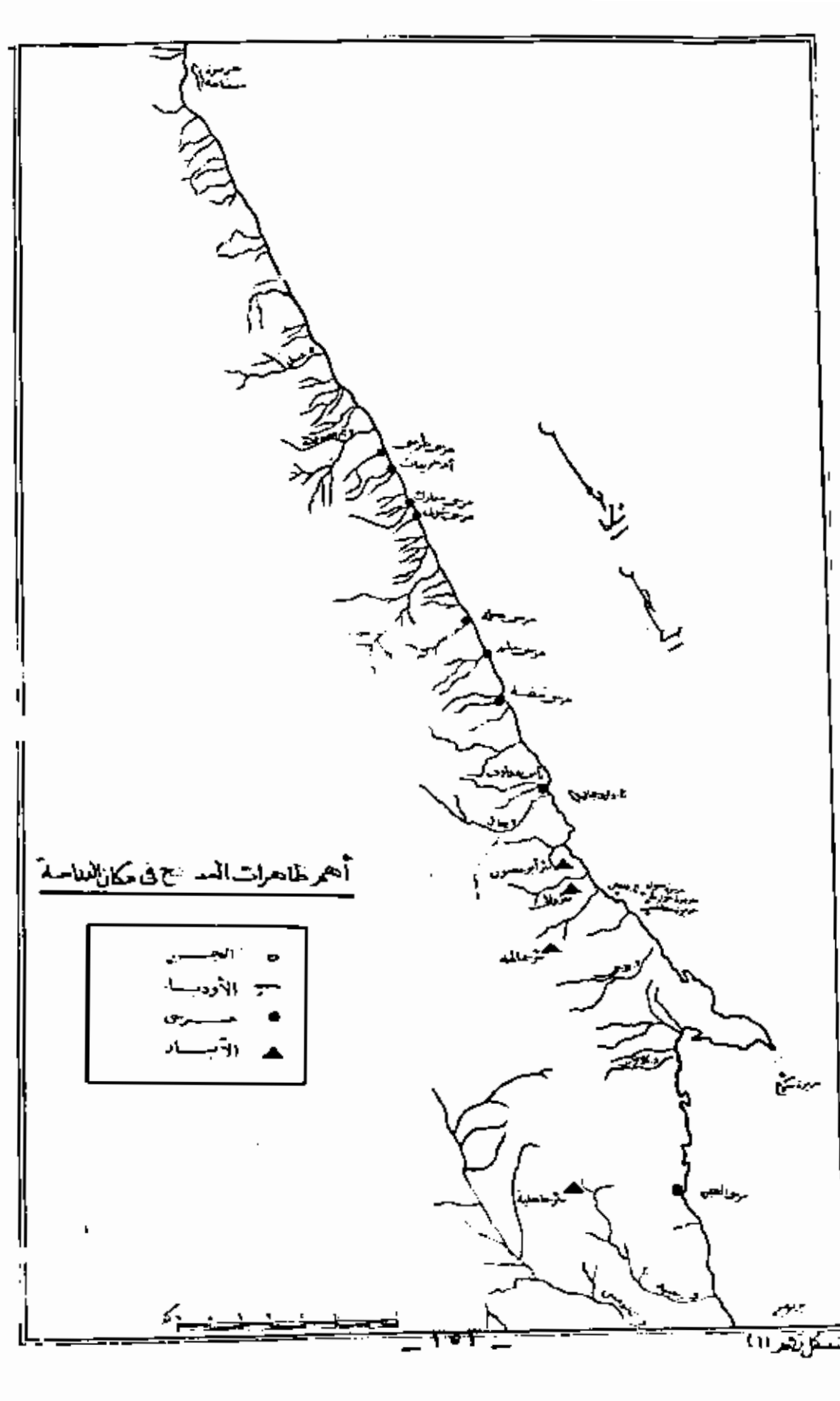

شكل (رقم ١١)

وعسل وكريم وأبوشجيله وجاموس وسفاجا والبارود. والملاحظ تكاثف الأودية وقصرها في الشمال عن الوسط والجنوب.

ولهذه الأودية أهمية كبيرة في فتح ثغرات عبر الشعاب المرجانية بما تلقيه من رواسب بحيث تجعل خلجانا معينة صالحة كمراسى، وقد تكون بعض الجزر الشاطئية أمامها أو تؤثر في تعاريج خط الساحل، بجانب أن فرشاتها المروحية الفيضية الصغيرة تصلح للزراعة، كما أن بطونها تضم آبارا أو عيونا تجمع فيها المياه، وتؤدي بامتدادها للكشف عن الرواسب المعدنية وإقامة مراكز التعدين ولاستخدامها كطرق عرضية تقطع سلسلة المرتفعات الساحلية لتربط الساحل بالغرب، ويبين الجدول رقم(١) وشكل(١) توزيع الأودية وكثافتها في منطقة البحث:

جدول رقم (١) توزيع الأودية الجافة وكثافتها في منطقة الدراسة.(١٢)

الموقع	عدد الأودية	النسبة ٪	الكثافة / كم
بيرانيس - أبو غصون	١١	٢٠٫٤	٦٫٥
أبو غصون -مرسى علم	٩	١٦٫٧	٨٫٩
مرسى علم - القصير	٢١	٣٨٫٩	٦٫٣
القصير - سفاجا	١٣	٢٤٫-	٦٫٢
المجموع	٥٤	١٠٠	٦٫٨

ويتألف السهل الساحلي من أراضي منبسطة يختلف اتساعها تبعا للعوامل سابق الإشارة إليها، غير أن أكثر أجزائه ضيقا في المنطقة بين مرسى علم والقصير (١٣٣كم) وتليها القصير - سفاجا ثم يتسع في الجنوب تدريجيا ويظهر تأثير الدلتا والجزر فيه بوضوح أكبر بسبب انخفاض منسوبه واتساعه.

٣ - المناخ والحياة النباتية:

والإقليم بعد مناخيا ضمن المناطق المدارية شديدة الجفاف والمتأثرة بدرجات متفاوتة بالمؤثرات البحرية الضعيفة في رطوبة الهواء، وتشير بيانات سفاجا والقصير لمتوسطات حرارة عظمي تتراوح بين ٣٢ - ٣٤ وصغري في حدود ١٠° شتاء، وترتفع هذه القيم قليلا بالاتجاه جنوبا، وفي الصيف بتراوح متوسط الدرجة العظمى في المدينتين بين ٣٤°، ٣٨° والصغري من ٢٦° إلى ٣٠° (١٣)، ومن ثم يلاحظ أن المدي الحراري اليومي والفصلي أقل من مدن الوادي الواقعة في ذات العروض.

وترتفع الرطوبة النسبية خلال الشهور من مايو إلى ديسمبر لما بتراوح بين ٧٣٪ - ٨٠٪، وتنخفض إلى ٥٠٪ في أواخر الشتاء وأوائل الربيع، ويسمي السكان الرطوبة العالية في المنطقة "الأدب" ويدركون خطورة تأثيرها عليهم وعلي المنشآت القريبة من الساحل.

أما المطر فكميته محدودة وتقل بالاتجاه شمالا، وتظهر خطوط المطر المتساوي تقاربا مكانيا وارتفاعا كميا في الجزء الجنوبي حتي رأس بناس، ثم يسود الجفاف شبه الكامل في الشمال، وعلي سبيل المثال يمر خط المطر المتساوي (١٠٠مم كمتوسط سنوي) بحلايب ويليه خط ٥٠ مم عند دائرة عرض ٢٢° بالقرب من بئر شلاتين، ثم خط ٢٥مم عند رأس بناس، ١٠ مم عند مرسى علم.

ويمكن الاستفادة من المطر القليل المتفاوت السقوط كما وزمنا إذا أقيمت بعض السدود في مواقع مختارة بعناية على الأودية الجافة. وفي الوقت الحالي تنمو بعض الأشجار في بطون هذه الأودية وعند مصباتها اعتمادا علي المياه

لوحة (١) - منظر عام لمصب وادى جمال

"الصورة مجمعة إلتقطها الباحث"

بتاريخ ١٨/٣/١٩٩١

المختزنة تحت السطح وتزدهر بعض الأعشاب الهزيلة المؤقتة عقب سقوط المطر أحيانا، ويتفق عرفا بين بطون قبيلة العبابدة على مناطق حيازة الأراضي ذات الأهمية من هذه الناحية سواء على الساحل أو في الداخل، وفوق كل ذلك تنمو بعض الأشجار التي تتكيف مع الملوحة على الساحل مباشرة في الجنوب وذلك في حدود مناسيب المد والجزر مثلما هو الحال عند الكيلو ١١ جنوب أبو غصون وتسمي محليا باسم "الشورابا" وهي نوع من أشجار المانجروف وترعي أوراقها الأبل. والملاحظ أن المنطقة الوحيدة الغنية بغطائها النباتي نسبيا في الإقليم هي مصب وادي جمال (٤٩ - ٥٣جنوب مرسي علم) حيث تظهر أشجار النخيل للمرة الوحيدة من سفاجا إلى برانيس (الرحة١).

والخلاصة أن الفقر الشديد في الحياة النباتية سمة سائدة للإقليم وإن اعتمد العبابدة على المراعي الهزيلة والأشجار المبعثرة في رعي حيواناتهم "والاحتطاب" للحصول علي الوقود أو دعامات المساكن المؤقتة التي تقام علي الساحل ويظهر ذلك بوضوح أكثر في الجنوب.

وفي نفس الوقت يعتمد علي الاشعاع الشمسي وقوة الرياح كمصدر للطاقة لأغراض مختلفة (السخانات والثلاجات في أبي غصون)، ولكنها لاتعدو مجرد محاولات تجريبية تستخدم في إدارة مراوح تكفل الطاقة لثلاجة صغيرة في نفس المنطقة تقوم بإنتاج كميات محدودة من الثلج المجروش.

ثانيا: الانشطة الاقتصادية ومراكز الاستيطان البشري:

١ - التعدين والموانيء ومرافيء التصدير:

يظهر التعدين باعتباره أكثر الأنشطة الاقتصاديةتأثيرافي المنطقة، فمراكز العمران ذات الأهمية حجما ووظائفا وعلاقات استندت إليه. صحيح أن بعضها جذب بمزاياه الموقعية وظائف أخرى وتوسع وما بها، ولكن النشأة كانت غالبا من خلال التعدين، وبقوم استغلال المعادن في الأودية والمناطق الجبلية الواقعة خلف

الإقليم الساحلي، ويستتبع ذلك اختيار مرسى أو مرفأ صغير ملائم يقترب مكانيا من مراكز التعدين ويتمتع بسهولة الوصول ، وتجمع فيه الخامات وتعالج (طحن - غربلة - غسيل - تركيز) وتصدر بعدها عن طريق البحر أو تشحن برا بالشاحنات للمناطق الصناعية في الوادي والدلتا[١٦]

وتنقسم مراكز العمران القائمة على خدمة التعدين في النطاق الساحلي الى مجموعتين: الأولى، الموانىء القديمة نسبيا وتمثلها القصير وسفاجا [١٧]. وتعتبر مدينة القصير الأقدم حيث تشير أطلالها الأثرية لأهميتها التاريخية (القصير القديم شمال الموقع الحالي ب ٦ كيلو متر. ولوكيس ليمن (الميناء الأبيض) في عهد البطالمة والرومان)، وهي ماتزال رغم منافسة سفاجا الحادة لها مدينة تجارية أكثر سكانا، حوالي ٢٠ ألف نسمة عام ١٩٨٦ مقابل ١٥ ألف نسمة لسفاجا)[١٨]. وتؤدى خدمات لكل المراكز الأصغر الواقعة جنوبا حتى شلاتين، غير أن مرسى علم بدأت تبزغ كمركز عمراني يمكن أن يقوم بهذا الدور مستقبلا وخصوصا بعد تعبيد طريقها مع إدفو (٢٢٦كم) بصورة جيدة ليصبح أكثر أهمية من طريق القصير - قفط ورغم قصر هذا الأخير إلا أن انتهائه عند قرية "ابو شعر قبلي" جعله أقل أهمية من طريق مدينة إدفو بسبب تمير الأخيرة.

ولاشك أن موانىء التعدين ومراسيه الحالية أفادت من مواقع ومواضع الموانىء القديمة أحيانا ويظهر ذلك واضحاً في حالة القصير وسفاجا، غير أن الظروف التاريخية تدفع بعضها للنمو الازدهار في فترات وللتراجع والانكماش وأحيانا التلاشي في فترات أخرى، فالقصير مثلا تخلت عن خدمات الاستيراد والتصدير والحجاج لسفاجا ولم تعد تصدر سوى الفوسفات بصورة رئيسية، وقد صدرت منه عام ١٩٩٠ حوالي ١٧ ألف طن (مقابل ١٠ ألف فقط لسفاجا).[١٩]

غير أن ميناء سفاجا اتسع مدى خدماته النقلية جغرافيا ليستورد القمح

لمحافظات جنوب الصعيد وخامات الالمنيوم لتجمع حمادي، كما يصدر منه فوسفات أبو طرطور، وهنا كانت عوامل قرب المسافة، وأفضلية الطريق البر، ومعاونة السكة الحديد[٢٠]، وتوفر المياه، وتجهيزات الميناء، وأهمية لنا كنقطة اقتراب من ساحل البحر الأحمر مسئولة عن المنافسة غير المتكافئة.

والنوع الثاني من مراكز التعدين هو المرافىء الصغيرة التى تتراوح أطوال أرصفتها بين ٥٠ - ١٠٠ متر وغالبا ما تحتوى على رصيف واحد فقط أعد لشحن الخامات واستقبال سفنا لإمداد بالمياه والمواد الغذائية أحيانا، وغالبا ما تكون هذه أحدث عمرا وأصغر حجما وأشد التصاقا بالتعدين كنشاط اقتصادى، ويمثلها الحمراوين ومراسي: أم جريفات وأم غيج ،علم، ثم أبو غصون وحماطه، وساعد وجود رواسب الفوسفات والتلك والفلسبار والاسبستوس والمنجنيزيت على الاهتمام بتنمية الظهير والساحل في آن واحد وتقوية العلاقة مع وادى النيل باجتذاب العاملين، ومن ثم ازداد سكان هذه المراكز تدريجيا، فالحمراوين مثلا قدر عدد سكانها بحوالي ٧٠٠٠ نسمة(١٩٩٠)ومرسي علم بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ نسمة وأبو غصون حوالي ٣٠٠ نسمة، وهذه المراكز الثلاثة تلي سفاجا والقصير في الأهمية بل إن مرسي علم تطورت بسرعة كبيرة بعد تحسين طريقها إلي ادفو، أما مراسي عجلة (٦كم شمال مرسي علم) وأم جريفات (٥٢كم شمال مرسى علم أيضا) فلا يتعدى سكانهما ٧٥ - ١٠٠ نسمة (شكل٢).

ويتوقع أن يكون لمرسي علم أهمية أكبر في المستقبل بسبب ارتباطها بمنطقة "روض عشاب" والتي لا تبعد سوى ٩٠ كيلو مترا وتقع في وسط الصحراء الشرقية كمركز إدارى لخدمة مناجم الفلسبار والكوارتز ومناجم البرامية لتعدين الذهب، وفوق هذا تتميز مجموعة الأودية الواقعة بينها وبين إدفو (بيزح والبرامية وعبادى) بوجود مساحات واسعة من الأراضى ذات التربات الجيدة يمكن زراعتها، وقد نمت المدينة في خلال بضع سنوات من مجرد مركز لهيئة

المساحة الجيولوجية لتتحول إلي قرية عام ١٩٨٧ ثم تحولت إلى مدينة عام ١٩٩٠ غير أنها رغم هذا المسمي الحضرى ما تزال كتلتها السكنية محدودة المساحة جدا لا تجاوز ٢ كيلو متر مربع، وتتألف من ثلاث مجموعات من المباني تتجمع حول الطريق الساحلي المزدوج وطريق ادفو ،معظمها مساكن حكومية (١٥٠مسكنا) أو مباني خدمات عامة، ومن المفترض نمو المدينة فى إطار أربعة عشر كيلو مترا بمحاذاة الساحل [٢١]. أما حماطة فهي مرفأ تعديني صغير يقع علي الساحل ويتكون من حوالي ٤٠ مسكنا ومحطة لمقاومة الجراد

٢ - الصيد والرعي وحملات الصيد الصغيرة

يعتبر الرف القارى محدود الاتساع بين سفاجا ورأس بناس وبذلك يتم الصيد من اللاجونات المرجانية المتناثرة ذات القيعان الطينية والرملية، وفي جنوب برانيس يتسع الرف القارى ويصبح أكثر غنى نسبيا، وفي كل الحالات يقدر محصول الصيد في منطقة البحر الأحمر كلها بحوالي ٢٥ طن من الأسماك سنويا [٢٢] يأتي معظمها من منطقة خليج السويس وعلي سبيل المثال لايتجاوز عدد القوارب في ميناء سفاجا والقصير ٤ - ٥ قوارب، وتتناثر بضع أخرى منها لاتزيد على اثنين أو ثلاثة من الدرجة الثالثة في المراسي والشروم المتبقية جنوبا.

وعلي ذلك يمكن القول إن الصيد في المنطقة ما يزال حرفة ثانوية لبعض العاملين بأنشطة أخرى من أجل سد حاجاتهم الخاصة أو الحصول علي دخل إضافي ضئيل في ضل محدودية الطلب ورخص أسعار الأسماك، ومن ثم لاتخرج كميات تذكر علي المستوي التجاري من المنطقة.

أما عن قري الصيد فهي عبارة عن حملات صغيرة يصعب إطلاق مسمي القري عليها لقلة أعداد مساكنها حيث لا تتعدي في كل الحالات ١٥ مأوى،

وفي أحيان ينخفض العدد إلى ما بين ٣ مأوى إلى خمسة، وتتخذ مواقعها في السهل الساحلي عند الشروم أو الراسي أو قريبا من مراكز التعدين لتتبادل معها الحاجات الاقتصادية حيث يباع السمك مقابل المواد التموينية ويتسم بعض هذه القري بالاستقرار الدائم بينما يتنقل البعض الآخر حسب توافر فرص الصيد ولذا تبني مأويها غالبا من الصفيح أو الخشب المتخلف عن شحنات السفن أو ما يلفظه البحر وقلما يستعمل الطوب أو الحجر، وعلي كل حال يبلغ عدد حلات الصيد في المنطقة عشرين حلة، وهي عموما أكثر عددا وتقاربا في الجنوب.

ويمكن بصورة عامة توزيعها من الشمال إلي الجنوب كما يتضح من الشكل(٢) علي النحو التالي:

١ - قرية واحدة في المنطقة بين سفاجا والقصير عند الكيلو ٣٢

٢ - ثلاث قري بين القصير مرسي علم عند مرسي طرمبي ومرسي مبارك ومرسي شوني.

٣ - خمس قرى بين مرسي علم وأبو غصون، أولاها عند مرسي نضيه ثم تتابع بعد ذلك عند رأس درة بغدادي وفي شمال وادي جمال وعند شرم اللولي.

٤ - خمس قرى بين أبو غصون وبرانيس وتقع عند مصب وادى لحمي وكراع الهرتواي ورأس بناس وميناء برانيس ثم عزبة صالح وهي قرية صغيرة أقيمت كمشروع لتوطين العابدة بمعرفة الولايات المتحدة تقع عند نقطة تفرع الطريق الساحلي ليتجه شرقا لميناء برانيس (٦٠ كم من أبي غصون، ١٢ كم من برانيس) وتعتبر أكبر مركز عمراني ريفي حجما ولا يعمل سكانها بالصيد، وإنما بالرعي وجمع النباتات الطبية وتجارة التجزئة لمعسكرات الجيش والتهريب، ويبلغ عددهم حوالي ٣٠٠ نسمة يقيم معظمهم في مساكن نطية عددها ٤٠ وحدة (لوحة رقم ٢) تتألف من حجرتين وصالة ويجانبها بعض أكشاك من الصفيح

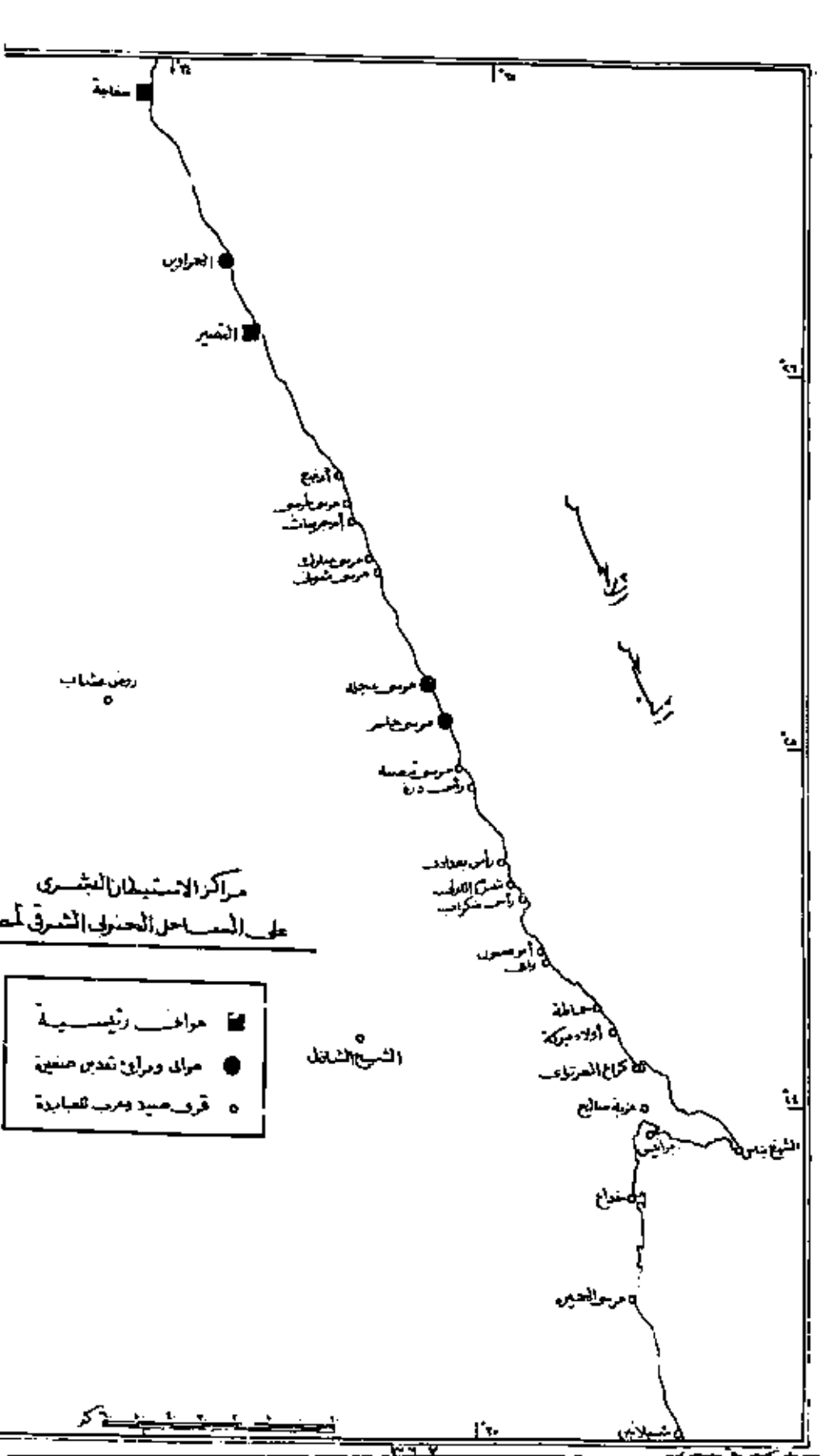
مراكز الاستيطان البشري
على السواحل الجنوبي الشرقي
مواقف رئيسية
مراسي وموانئ تقدس صغيرة
قرى صيد وعرب للعبابدة
سفاجة
القصير
مرسى علم
رأس بناس
مرسى الكلاب
مرسى شونة
مرسى عجلة
مرسى خاسر
رأس بعوادي
رأس شكراب
أبو صعود
الشيخ الشاذلي
أولاد بركة
مزيرة سالم
مرسى الحمرة
شلاتين

والملاحظ أن أحد المستثمرين أقام مشروعا يسمي مشروع أدميرال لإنتاج وتجميع الأسماك عند الكيلو متر ٣٦ جنوب أبو عمرو يتكون من قرية صيد صغيرة (٨ مساكن)علي الساحل ولكنه تعثر بسبب عدم توافر مقومات الإعاشة الأساسية

والي الجنوب من برانيس وحتي الحدود الإدارية عند بئر شلاتين تقع ثلاثة مراكز عمرانية ريفية الطابع هي خداع (٣٠كم) ثم شلاتين ذاتها (١١٠كم). والأولي والثانية عزب صغيرة، أما الثالثة فيقدر سكانها بحوالي ٢٠٠٠ نسمة، يعملون بالتجارة في سلع معينة عبر الحدود الإدارية مثل الأسلحة التي تهرب لمحافظات الصعيد، ويضاف إلى هذه المراكز الساحلية قرية الشيخ الشاذلي الواقعه إلي الداخل ويقدر عدد سكانها بالبراوح بين ٥ - ٦ نسمة وتقوم بخدمة زوار الضريح(١٣٢)

ويضاف لهذه المراكز العمرانية قرية سياحية واحدة شمال القصير بحوالي ٥ كم وبعض المراكز ذات الطابع العلمي مثل محطات مقاومة الجراد وأبحاث اليورانيوم والمواقع العسكرية المتناثرة علي طول الساحل إما كمعسكرات وإما كمطارات أو موانيء أو نقاط مرور وحرس سواحل لمنع التهريب وهي أكثر المحطات السكنية المؤقتة انتشارا.

ويتعتبر الرعي أقل الحرف أهمية في المنطقة فإنتاجه معاشي وضئيل ويرتبط ببطون الأودية في ظهير الساحل وتتفاوت تقديرات أعداد الحيوانات في المنطقة الجنوبية الشرقية كلها بين ١١ ألف رأس، ٢٠٠ألف رأس(١٣٤)، ويبدو علي كل حال أن العبابدة المقدر عددهم بحوالي ١٥ ألف نسمة(١٣٥) في عام ١٩٩ يحترف عدد محدود منهم رعي الأغنام والماعز لأن معظمهم استقروا في السنوات الأخيرة في مناطق الاستصلاح في كوم أمبو والرديسية وإدفو وفي المراكز العمرانية الساحلية.

ثالثا: امكانات تنمية الأنشطة الاقتصادية:

١- التعدين:

يتوقف دور التعدين في تنمية المنطقة الساحلية مستقبلا على الجهود المبذولة لاستغلال الاحتياطيات المعدنية في الظهير والتي تضم أكبر مجموعة من المناجم في الأراضي المصرية تتناثر جنوب طريق قنا - سفاجا وتحوي عددا كبيرا من المعادن الفلزية وبعض الخامات اللافلزية، وهناك احتمالات لاستغلال بعض المعادن المشعة واكتشاف مناجم أخرى إضافية، والملاحظ أن مشكلات الموقع النائي عن المناطق الصناعية ونقص المياه وقلة الطرق المعبدة وطبيعة وجود الخامات في مناطق الصخور النارية واحتمالات نفاذ احتياطياتها وتكاليف الإنتاج تعوق استثمار بعض الموارد المتاحة سواء بإضعاف قدرتها على المنافسة في الأسواق الخارجية أو استهلاكها في الداخل.

حقيقة أن بعض محاولات التجهيز تجرى عند فوهات المناجم أحيانا وفي مواقع ساحلية اختيرت لدوافع عديدة ،لكن يبقي التساؤل هل يمكن قيام صناعات في نفس المنطقة ؟ لقد اقترحت مواقع معينة لصناعة الحديد والصلب في منطقة البحر الأحمر عند المقاضلة بين المزايا الموقعية أحيانا، وكان عامل الخامات أحد أسبابها غير أن قوى الطرد كانت أكبر بحيث ظلت خامات الإقليم دون تصنيع فيه ، وهكذا كان الحال في الفوسفات وغيره من الخامات الأخرى التي تصدر للخارج أو تنقل لتصنيعها في أماكن أخري في الداخل.

ومن الممكن في الوقت الحالي الاستفادة من قوة دفع حركة التعدين في تدعيم شبكات الطرق وتوصيل المياه وحفز الهجرات للعاملين وأسرهم واقامة تجهيزات الموانىء والتخطيط لتكامل المجتمعات الصحراوية بحيث تسد احتياجاتها ذاتيا من المنتجات الزراعية والحيوانية.

لوحة رقم (٩)

مساكن توطين العبابدة فى عزبة صالح

الصوره التقطها الباحث بتاريخ

١٩٩٧/٢/٨

٢ - الصيد والرعي والجمع:

رغم غنى الاقليم في قسمه الجنوبي بالثروة السمكية إلا أن الصيد ما تزال ضئيلة الأهمية بسبب ضعف شبكات الطرق، فالطريق الساحلي متدهور جدا جنوبي أبو غصون حتي برانيس ، كما أن المياه والغذاء لا يتوفران بقدر كاف في مراكز العمران الساحلية الرئيسية المتباعدة جدا عن بعضها، ويضاف لذلك قلة أعداد السكان وضعف قدرتهم الشرائية، وعدم توافر وسائل الحفظ وأدواته للصيادين، وبعد المنطقة مرفقا عن محترفي هذه المهنة في شمال الدلتا أو حتي صيادو الوجه القبلي في محافظتي سوهاج وقنا، ويقدم فشل مشروع "أدميرال" سابق الاشارة إليه دليلا علي تأثير المعوقات في سبيل الانتاج السمكي .

غير أن ذلك لا يعني استبعاد هذا المورد كعامل جذب للتعمير والاسهام في تنمية دخل السكان ، فهناك مواقع عديدة علي طول الساحل وخصوصا في الجنوب يمكن أن تقوم فيها قرى صغيرة للصيادين حالما ذللت العقبات، وقد وضعت خطة من قبل وزارة التعمير قدرت فيها كميات الإنتاج السمكي المتوقع الحصول عليها من المنطقة وما توفره من فرص عمل محتملة والاستثمارات المطلوبة لها، ووزعت جغرافيا علي النحو الذى يبينه الجدول رقم(٢)، ومنه يتضح إمكانية الحصول علي ٨٥٠ طنا من الأسماك سنويا وإتاحة ٢٦٠ فرصة عمل من استثمارات قدرها حوالي ٤,٦ مليون جنيه. ولاشك أن هذه الأرقام تكشف تواضع الجهود المبذولة في التخطيط لتنمية الثروة السمكية في هذا الجزء من محافظة البحر الأحمر قياسا بالمناطق الواقعة في الشمال كما يلفت النظر في نفس الوقت تركز ما يقرب من خمسي فرص العمل في أقصي الجنوب بالقرب من الحدود، ولذا تعد مشكلة الاتفاق علي الحدود والمياه الاقليمية - وتنظيم عمليات الصيد بالتبعية - مع السودان ضرورة لدفع التنمية في المنطقة.

جدول رقم (٢) توزيع الكميات المتوقع صيدها من الأسماك وفرص العمل المحتملة والاستثمارات المطلوبة في منطقة البحث حتي عام ٢٠٠٥(٢٦)

المنطقة	الانتاج (طن)	٪	فرص العمل	٪	الاستثمارات (الف جنيه)	٪
القصير	٢٥٠	٢٩ر٤	٧٥٠	٢٨ر٨	١٣٧٥	٣٠ر١
شرم اللولي	١٥٠	١٧ر٦	٤٥	١٧ر٣	٧٥٠	١٦ر٤
كراع الهرتواى	١٠٠	١١ر٨	٣٥	١٣ر٥	٥٠٠	١٠ر٩
برانيس	٣٥٠	٤١ر٢	١٠٥	٤٠ر٤	١٩٥٠	٤٢ر٦
الجملة	٨٥٠	١٠٠	٢٦٠	١٠٠	٤٥٧٥	١٠٠

وفى واقع الحال يبدو أن خطط وزارة التعمير لتنمية بعض المناطق النائية في مصر ومنها هذه المنطقة لا ينفذ منها سوى القليل [٢٧] والدليل علي ذلك خطط تنمية المصايد التي لم ينفذ منها شيء بعد رغم أنها قدرت الإنتاج السمكي من خليج فول وحده بسبعة آلاف طن سنويا بالإضافة إلي ما يقدر بألفي طن أخرى إلى الشمال حتى الغردقة.

أما **الثروة الحيوانية** فيمكن تنميتها خاصة في المنطقة الجنوبية الشرقية لتلقيها كما أكبر من الأمطار، وتوافر عدد من الآبار العذبة المياة وشدة التضرس بما يؤثر في غنى المرعي ، وتحتاج التنمية في هذا القطاع العناية بالسلالات الجيدة من الحيوانات ورعايتها بيطريا وتوعية الرعاة وتوفير الرعاة وتوفير الأعلاف بزراعة بعض أنواع النباتات المقاومة للجفاف في الداخل وللملوحة عند

الساحل للتقليل من حركة الرعاة لمسافات طويلة الأمر الذى يؤدى لانهاك الحيوانات وتقليل إنتاجها أحيانا بل وإلى هلاكها في أحيان أخرى.

وما يزال جمع النباتات الطبية يتم حتي الآن لاستخدامها في بعض الأغراض العلاجية من خلال تجارب سابقة لسكان الوادى[٢٨]، وتعتبر أسوان أهم مدينة تبيعها وغالبا ما يقوم بها البشاريون وبعض العبابدة وهي علي كل حال تمثل مصدراضئيل الأهمية لدخولهم.

٣-الزراعة:

يمكن أن تقوم الزراعة في بعض الأودية الساحلية مثل وادى جمال بين مرسي علم وأبو غصون والذى تتميز دلتاه المروحية الصغيرة بجودة تربتها حيث يصل سمكها الي ٣ أمتار علي الساحل، ويمتد مجرى الوادى بعرض زهاء كيلومترين وتغطيه أيضا الرواسب الفيضية في جزئه الأدنى، ويحتاج ذلك لإقامة سد ركامي عليه وتخزين مياه السيول ثم الاستفادة منها.

كذلك تتركز بعض الأراضي السهلية في الجنوب بين أبوغصون وبرانيس ويمكن زراعة مساحات منها بإقامة محطات لإعذاب مياه البحر سواء بالقرب من مراكز العمران الحالية أو في مناطق جديدة.

ولاشك أن بعض الأودية المنحدرة لنهر النيل يمكن أن تمثل ظهيرا زراعيا للاقليم وهي وادى اللقيطة، وقدرت الساحات القابلة للزراعة فيه ب ٨١٥٠ فدانا ووادى عبادى ٩٦٠٠ فدان ، ووادى نتاش ٦٨٢٥ فدانا[٢٩]، وهذه المساحات تمثل ٨٢,٥٪ من المساحات القابلة للاستزراع في محافظة البحر الأحمر وتقع كلها في الجنوب ويمكنها زراعة محاصيل تمد مجتمعات التعدين والصيد والسياحة بحاجاتها.

٤-السياحة:

تعتبر أهم الأنشطة التي يجب استثمارها في المنطقة فالبحر ذاته والمنظر

الساحلي وملاءمة المناخ، وتوافر الأرض، والشواطىء الجيدة، والجزر الشاطئية والبعيدة، والريف القاري وما يضمه من حياة فطرية نباتية وحيوانية، وطول الجبهة الساحلية وامتدادها الشريطي كلها مقومات جيدة للسياحة الساحلية.

والمتفق عليه أن معرفة الموارد السياحية وتصنيفها أحد مهمام الجغرافيا، وقد أصبحت كمية هذه الموارد وخصائصها وإمكانات نظمها واستخدامها تحظي بقدر كبير من الاهتمام من متخذي القرار.

وقد قدمت نظريات ونماذج كثيرة حول تنمية صناعة السياحة في البلدان المتخلفة منها ما قدمه كاسي Kasse عام ١٩٧٣ حول التأثير التضاعفي للسياحة في توفير فرص العمل وتحقيق عائد وفرائض من النقد الأجنبي بتوجيه بعض الاستثمارات لمشروعات البنية الأساسية. كذلك عرض فان دورن Van Doorn عام ١٩٧٩ مراحل التنمية السياحية وربط بينها وبين التنمية الاقتصادية ووضع نموذجا لذلك من ثلاث مراحل يبدأ باستكشاف الموارد للسياحة ثم ينتقل لاستجابة المجتمعات المحلية وينتهي باقامة المؤسسات واتخاذ القرار في التخطيط السياحي، أما بتلرButler فقد طبق عام ١٩٨١ فكرة دورة الإنتاج في نموذجه المكون من ست مراحل عن التنمية السياحية. وأكد جورمسن Gormsen عام ١٩٨١ علي أهمية التنمية المكانية - الزمنية للسياحة البحرية الدولية، وزيادة الاسهام الاقليمي فيها من خلال دراساته عن سواحل شمال أفريقيا وغربها والبحر المكاريبي.(٣٠)

وطبقا لهذه النماذج مازال منطقة البحر الأحمر الجنوبية في مرحلة الاستكشاف للموارد السياحية، فليس هناك تأثير يذكر حتي الآن للسياحة في مضمار تنميتها ، والجهود المبذولة في التخطيط سياحيا تركزت مكانيا في القسم الشمالي (بين السويس وسفاجا) من ساحل البحر الأحمر، ويمكن علي كل حال الاستفادة من تجربتها وذلك بتشجيع المستثمرين علي إقامة المشروعات، وتقديم تيسيرات خاصة في أسعار الأرض وإقامة المشروعات الأساسية، وحفز المواطنين ممن يرغبون في قضاء إجازاتهم من العاملين بالصناعة ومن سكان

الحضر في الصيد وسكان القاهرة الكبرى عن طريق تنظيم رحلات بأسعار متميزة.

كما يساعد تدفق السياح الأجانب علي جنوب الصعيد لزيارة المعالم الأثرية في امكان تنظيم رحلات ترفيهية للمنطقة وخصوصا أن المتوقع زيادة أعداد السياح مستقبلا سواء علي المستوى الدولي أو القومي بسبب التغيرات الاقتصادية والاجتماعية المتمثلة في ارتفاع مستويات التعليم وسهولة الحركة وزيادة أوقات الفراغ والرغبة في الترويح عن النفس لدى الأفراد، واختلاف معدلات التنمية جغرافيا، وزيادة السكان وعمرهم بدرجة كبيرة في الدول المتقدمة والي حد ما في الدول الفقيرة.

والحقيقة أن تخطيط الإقليم سياحيا يمكن أن يركز علي المشروعات المتوسطة أساسا لاجتذاب السياحة المحلية ذات الانفاق الأقل والسياحة الخارجية المتوسطة الانفاق واستغلال الإمكانات السياحية المتاحة والتي من أهمها:

أ - الشواطىء الرملية والجزر.

ب - الرياضيات المائية في منطقة الرف القاري.

ج - الهوايات مثل صيد الأسماك والغطس.

د - المراكز العلمية والتعليمية للبحوث البحرية والصحراوية ويشمل ذلك المحميات الطبيعية علي اليابس وفي الماء داخل اطار الأرصفة القارية.

هـ - المزارات الدينية مثل الشيخ الشاذلي.

وتعتبر الشواطىء الرملية أهم هذه الموارد وقد حصرتها وزارة السياحة ضمن خططها لتنمية السياحة [٣١]، واتضح أن عددها يبلغ ٤٤ شاطئا صنفت إلى مستويات ثلاثة معظمها من النوع المتوسط الصلاحية وتوزعت علي النحو التالي:

جدول رقم(٣)

توزيع الشواطىء السياحية في منطقة البحث وكثافتها

الموقـــــــع	عدد الشواطىء	٪	المسافة	الكثافة / كم
سفاجا – القصير	١١	٢٥ر٠	٧٢	٣ر٧
القصير – مرسى علم	١٤	٣١ر٨	١٣٣	٥ر٩
مرسى علم – ابو عصون	١١	٢٥ر٠	٨٠	٣ر٧
ابوغصون – برانيس	٨	١٨ر٢	٧٢	٩ر٠
الجملة	٤٤	١٠٠	٣٦٥	٨ر٢

ويبدو من الجدول أنها مرتفعة العددنسبيا في الشمال وتقل في الجنوب والوسط وتشير أرقام الكثافة لاحتلال قطاع القصير – مرسى علم المرتبة الأولى، وربما تكون السياحة أهم موارده لأنه يعتبر أفقر جهات الساحل في الموارد الأخرى مثل المصايد وأعشاب المرعي.

وهكذا يتضح أن المنطقة تملك إمكانات جيدة للتنمية الاقتصادية ومع ذلك ظلت مهملة فما هي المعوقات أو الأسباب المؤدية لهذا التخلف ؟ هذا ما سيرد ذكره مع بعض الاقتراحات للتغلب عليه في الصفحات التالية.

خلاصة:

يتضح مما سبق أن منطقة الساحل الجنوبي الشرقي لمصر ما تزال اقليما مغلقا سكانيا علي الرغم مما يملكه من موارد متنوعة تجرى بعض محاولات لاستثمارها ، ولكنها دون المستوى المطلوب المواكب للرغبة في التعمير واستقطاب السكان من الوادى والدلتا المكتظان سكانا. حقيقة أن المنطقة تقع ضمن الاقاليم الصحراوية القاحلة عند هامش الصحراء الكبري الافريقية الشرقى وتقل بها إمكانات المياه الجوفية غير أنها بالمقابل تتمتع بالاشراف علي البحر الأحمر بجبهة ساحلية طويلة لم تستثمر جيدا بعد وتحتاج لجهود تنظيمية كبيرة لاستغلالها.

وهناك معطيات أخرى هيأتها البيئة للانسان مثل الطاقة الشمسية التي تعد موردا متجددا له مزايا كثيرة استفادت منها بعض الدول المتقدمة تقنيا(٣٢) والمتمتعة بقدر أقل من الاشعاع الشمس، ولا شك أن توظيف القدرات البحثية المحلية وإمكان تصنيع وحدات للخلايا الشمسية بطريقة بسيطة ومحدودة التكاليف سيوفر قدرات جيدة لتحلية المياه وتوفير تكاليف نقل أنواع الوقود الاخرى. ويضاف إلى ذلك الموارد المعدنية الكامنة ،المراعى الفقيرة، والقليل من الأمطار الرعدية. وعلي كل حال تقف بعضُ المشكلات في سبيل التنمية الاقليمية للمنطقة هي :

مشكلة المياه

تجمع المنطقة استخدامات ثلاثة أنواع من المياه : الآبار (عذبة وغدقة) ومياه النيل المنقولة وبعض محطات إعذاب ماء البحر الصغيرة، وتحاول جهات عدة تدبير حاجات السكان والاستخدامات الأخرى من المياه، ولكنها لا تنسق فيما بينها ،وينجم عن ذلك إقامة مشروعات صغيرة لاتفي بالاحتياجات

وتعد ندرة المياه أكبر معوقات تنمية المنطقة بصفة عامة، ولذا يمكن النظر لمياه النيل المنقولة بالأنابيب ، ممثلة في خط قنا - سفاجا (قطره ١٢ بوصة وطاقته ١١ ألف متر٣ يوميا) باعتبارها أهم المصادر التي تغذى سفاجا والقصير والمناطق المحيطة بهما. غير أن سعر المياه المنقولة مرتفع نسبيا حيث يباع الطن في سفاجا ب ٣ جنيهات، وقد كانت المدن الواقعة علي طول ساحل البحر الأحمر تزود جميعها بالمياه بواسطة السفن من السويس قبل إقامة الخط، وغالبا ما تصلها علي فترات متباعدة حسب حركة نقل الخامات المعدنية ،مثلت مراسى علم وأبو غصون وحماطة وبرانيس محطات لذلك، أما الآن فتقوم السيارات (الصهاريج) بامدادها والتجمعات السكانية الأخري بحاجاتها من المياه العذبة إما من القصير أو سفاجا.

وتدعم الآبار الواقعة في بطون الأودية الجافة أو قرب مصباتها المياه المنقولة في سد الحاجات المنزلية والصناعية - حسب جودتها - وربما كانت بئر ام خليجية القريبة من مرسى علم (تنتج ١٠٠ متر مكعب يوميا) وبئر أم جاهلية في مواجهة مرسي الحميرة ثم آبار حماطه وقلعان ووافى وأبو غصون مصادر هامة للمياه ويضاف اليها إمكانات بعض الأحواض المحيطة بالقصير (٤أحواض كبيرة، ٦ صغيرة) والتي تضم أحتياطيا جيدا من المياه الجوفية (أربعة آلاف متر مكعب).

أما المصدر الثالث فهو محطات إعذاب مياه البحر وأغلبها صغير الحجم جدا وقديم ولذلك لاتعمل بكفاءة دائما ودورها محدود في الوفاء بحاجات المنطقة، وتتوزع في المراكز الرئيسية، ففي سفاجا وحدة قديمة تنتج ٣٠ متر٣يوميا، وفي الحمراوين ٥ وحدات تنتج٥٠٠ متر٣ للأغراض الصناعية والاستخدامات المنزلية للعاملين بشركة مصر للفوسفات، وفي القصير وحدتان طاقاتهما ١٠٠٠ متر مكعب يوميا، وفي برانيس وحدة طاقتها اليومية ١٠٠ متر مكعب ولكنها لاتعمل حاليا.

ولحل مشكلة المياه يقترح الباحث ما يأتي:

١ - دراسة موارد المياه الجوفية في المنطقة وتقدير احتمالاتها وبالذات في بعض أحواض الصخور الرسوبية المكونة من الحجر الرملي أو الجيري وفي السهل الساحلي.

٢ - تخزين مياه السيول بإقامة السدود على أودية مختارة جيمورفولوجيا بدقة.

٣ - تزويد الاقليم بخطوط أنابيب اضافية لنقل المياه من قنط للقصير ومن إدفو لمرسى علم بمن كوم أمبو لبرانيس.

٤ - إقامة محطة اعذاب لمياه البحر في الجزء الجنوبي (جنوب برانيس) واستغلال مياهها في تعمير المنطقة زراعيا ورعويا وتعدينيا وتزويد مراكز الصيد الكثيرة نسبيا بحاجاتها من المياه.

٥ - ترشيد استخدامات المياه فى الأغراض المختلفة.

مشكلات النقل:

وهي الثانية في الترتيب، فالاقليم لا يفتقر لطرق النقل الجيدة فحسب ولكن لعدم العناية بها وضعف الحركة عليها دور آخر في إعاقة التنمية، ويمكن أن يستفاد من البحر كطريق للنقل الرخيص إلى السويس وبورسودان والموانى السعودية، كذلك يمتد محوران طوليان أحدهما فى شرق الاقليم على الساحل والآخر في أقصي الغرب علي طول وادي النيل ، ويمكن إضافة طريق ثالث طولي عبر وادي قنا يربط جنوب البحر الأحمر بمركز الثقل السكانى في العاصمة وما حولها.

أما المحاور العرضية فيمثلها طريق قنا - سفاجا (١٦٠كم) وإدفو- مرسى علم (٢٢٦كم) وهما معبدان جيدا، أما الثالث الممتد بين قنط والقصير (١٨١كم)فما يزال تعبيده دون المستوى الملائم في بعض أجزائه.

ويمكن إضافة ثلاث طرق أخرى هي (شكل٣):

١ - طريق كوم أمبو- رأس كنكوراب مخترقا وادى شعيت ثم وادى جمال، ومنه يمكن الوصول للشيخ الشاذلي من مسافة أقل (٤٠كم) نحو الجنوب مما هو عليه الحال الآن حيث تصل إلي ٧٠ كم من طريق إدفو - مرسى علم

٢ - طريق كوم أمبو - وادى الخريط - وادى لحمي لمرسى وادى لحمى ويمكنه أن يتصل بعد ذلك ببرانيس.

٣ - طريق أسوان - وادى نعام - وادى طوده مرسي الحميره أو عبر وادي حوضين إلى بئر شلاتين، وقد كان من المزمع تعبيده منذ عشر سنوات ولكن لم ينفذ منه سوي جزء ضئيل شرقي أسوان.

أما خط السكة الحديد فرغم ربطه الوادى بساحل البحر إلا أن الحركة مازال عليه قاصرة على البضائع، كما أن السيول كثيرا ما تعطله كما لوحظ ذلك أثناء الدراسة الحقلية عند الكيلومتر ٧٠ من قنا، ويمكنه أن يخدم نقلا ت أكثر للسلع والبضائع لمحافظات جنوب الوادى بجانب توصيل حجاج الوجه القبلي لميناء سفاجا، وخدمته لعمال المناجم في منطقة القصير - الحمراوين.

وتحتاج المنطقة للاستفادة من المطارات العسكرية المهجورة حاليا (٣٤) إنشاء مطارات جديدة في منطقة برانيس والاستفادة من مطار الأقصر الدولي بربطه مع طريق القصير عبر وادي حجازة.

مشكلة الحدود السياسية والادارية والمياه الاقليمية :

وقد عينت الحدود بين مصر والسودان منذ عام ١٩٠٢ وانتزع من مصر قطاع عليه علي ساحل البحر ومساحته ١٢.٥ ألف من٢ وطول جبهته الساحلية ٢ كم مقابل نتوء جبل بارتازوحا داخل الصحراء في الأراضي

السودانية ومساحته ٦٠٠ كم ٢ بنسبة ٤,٨٪ من قطاع علبة، وآثار خط الحدود بين الدولتين مشكلات في بعض الفترات وما يزالا حتي الآن يثير عقبات في استغلال المعادن وصيد الأسماك ويمكن بالاتفاق علي اعتماد خط حدود واحد أن تتعاون الدولتان في استثمار المنطقة كلها.

المشكلات العسكرية:

وتتمثل في السيطرة علي مواقع معينة وشغل مساحات كبيرة من الأرض تحتجز دون استغلال بجانب وجود مناطق متفرقة مزروعة بالألغام علي الساحل تعتبر خطرا لأن بعضها لاتوجد عليه تحذيرات كافية ، وهذه يمكن إزالتها طالما أن خرائطها لدى وزارة الدفاع.

المشكلات التلوث وآثاره:

لقد أصبحت أعداد من المدن والسفن ومراكز التعدين والمنتجعات ومحطات التحلية والكهرباء تلقي بمخلفاتها في البحر، ويضاف حوادث السفن ومنصات استخراج البترول وفضلات أنابيبه ومصانع تركيز الخامات والمعادن الثقيلة والكيماويات وتصنيعها - كل هذه تحمل بواسطة التيارات البحرية من مكان إلى آخر .

ويدخل ضمن الملوثات هذه تدمير الحياة الفطرية بالإفراط في الصيد واستعمال أدوات غير ملائمة فيه وقطع الأشجار الساحلية والشعاب المرجانية، وصيد الحيوانات والطيور النادرة على اليابس كل هذا يواكب التعمير والنشاط البشري. لذا يجب الاهتمام باقامة المحميات مثلما هو الحال في قطاع علبه وضمان مراقبة تنفيذ التشريعات الخاصة بذلك.

وبجانب هذه هناك مشكلات أخرى اضافية تعوق التنمية في

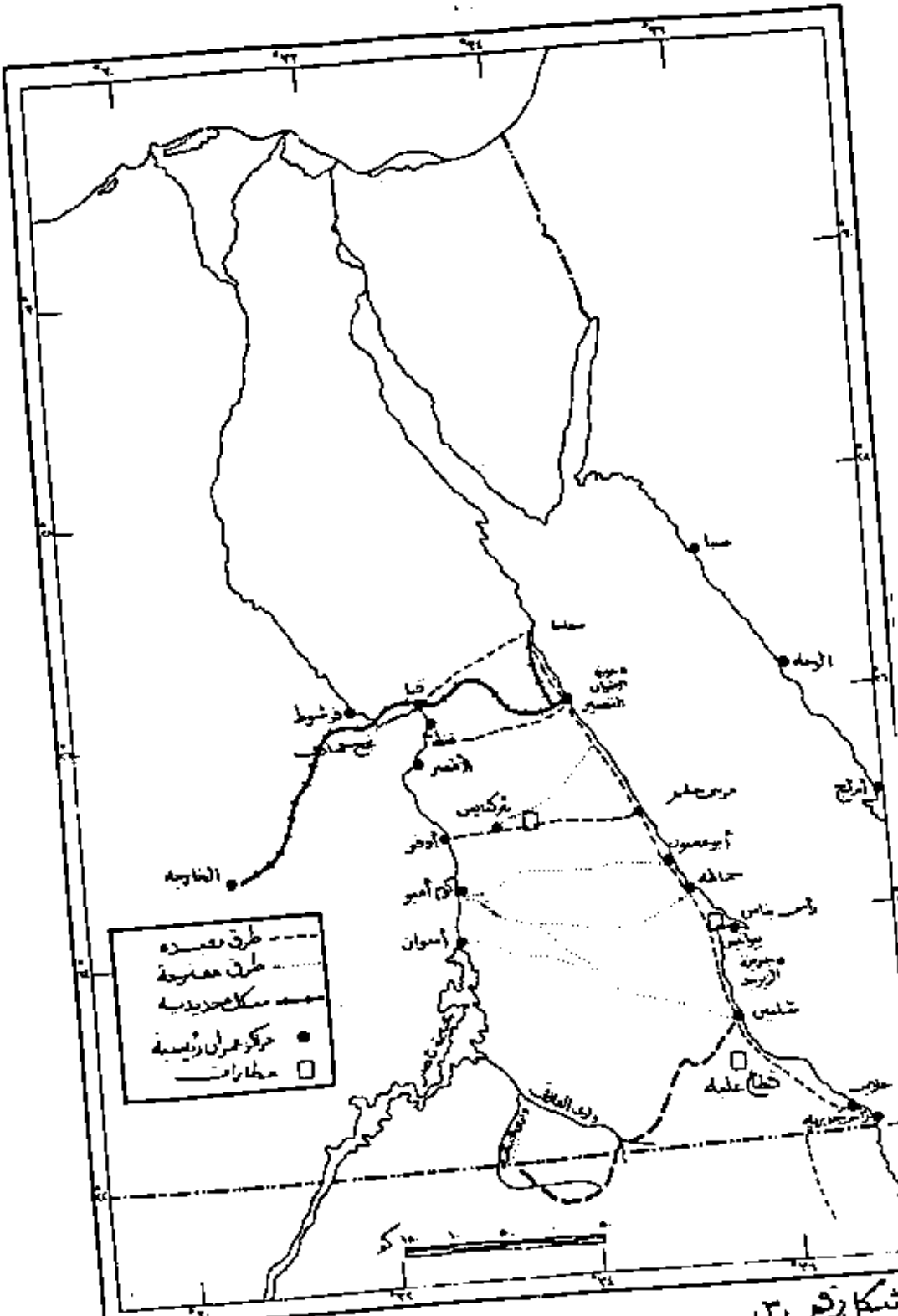

شكل رقم (٣)

طرق النقل الرئيسية في جنوب شرق مصر

المنطقة أمهد

١ – التجارة غير المشروعة في سلع مختلفة عبر الدروب الصحراوية وهذه لا يقلل منها سوى زيادة التعمير.

٢ – ضالة الاستثمارات الموجهة للقسم الجنوبي من محافظة البحر الأحمر، وتعثر خطط تنميته.

٣ – تضارب وتنازع الاختصاصات بين الوزارات من ناحية وبينها وبين المحليات من ناحية أخرى.

٤ – قلة أعداد السكان المقيمين في مراكز العمران الحالية وتنقل أعداد أخرى منهم وراء الصيد والمرعي وإقامتهم المؤقتة المقترنة بالعودة الدورية لوادي النيل في حالة عمال المناجم. وتعتبر منطقة الساحل الجنوبي الشرقي لمصر هذه من أقل الأقاليم الساحلية سكانا في البلاد، كما لوحظ أن نسب الذكورة والأمية عالية في هذه المنطقة، ومن ثم لايعتمد علي العاملين سوي في أعمال لا تتطلب مهارات خاصة.

٥ – افتقار المنطقة لمحطات الكهرباء باستثناء مدينة سفاجا مما يؤدى للاعتماد علي المولدات المحلية ويحد من أي أحمال إضافية عليها، بل تضطر بعض مراكز العمران (مثل أبوغصون) لقطع التيار في آخر الليل وأثناء فترة الصباح، وهنا يقترح الاستفادة من الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء أو إقامة المحطات المزدوجة الغرض (تحلية المياه وتوليد الكهرباء) ذات القدرة العالية والتخلي عن إنشاء وحدات صغيرة ذات تقنيات قديمة كثيرا ما تصيبها الأعطال.

٦ – مشكلة التقسيم الاداري الحالي والطول المفرط لمحافظة البحر الأحمر (تزيد عن المسافة من القاهرة إلى أسوان كاملة) وبالتالي بعد الغردقة كحاضرة إدارية في الشمال عن المناطق الجنوبية، وهنا يمكن تجزئة المحافظة لقسمين أحدهما شمالي والآخر جنوبي علي أن تكون سفاجا حاضرة للجنوب ويتبعها مجموعة من المراكز هي مرسى علم أبو غصون وبرانيس وشلاتين.

٧ – ضعف دور الإعلام ممثلا في الاذاعة والتليفزيون في المنطقة، والغريب أن بعض محطات تقوية القناة الفضائية لدول الخليج تقع في نفس المنطقة ولكن لايستفاد من ارسالها وبالذات في المراكز الواقعة جنوب أبوغصون.

٨ – ضعف الاهتمام بالمزارع الجنوبية مثل القصير – مرسي علم – أبو غصون – برانيس ويمكن تدعيمها بتوجيه مزيد من الاستثمارات بل وإحياء موانيء قديمة مثل عيذاب عند مصب وادى حرضين بعد ربطها بأسوان.

المصادر والمراجع والهوامش

1 - Edwards, A., J., and Head, S., M., Red Sea Pergamon Press Oxford, 1987, p.2.,

2 - Pearce, D., Tourist Development, Socond Edition, John Wiley & Sons, New York, 1989, P.270.

3 - Stankey, G., H., Recreational Geography, Its evolution and Application to Problems of Wilderness Managment in : Winters, H., and Winters, M.,K., Applications of Geographic Research, Michigan State University, 1977, P.76-79.

4 - Forbes, D.K., The Geography of Underdevelopment, A Critical Survey, London, 1984, P.52,

٥ – اعتمد الباحث علي رحلة ميدانية قام بها للمنطقة في الفترة من ١٣ – ٢٠ مارس ١٩٩١ م ويتقدم بشكره لكل العاملين بشركة النصر للفوسفات بالسباعية والبحر الأحمر علي ما قدموه من تسهيلات واستخدمت في توقيع المادة العملية مجموعة من الخرائط الطبوغرافية حصل عليها من مقر الشركة في البحر الأحمر وتسم الجغرافيا بالاسكندرية مقاسات ١ : مليون ، ١ : ٥٠٠٠٠٠، ١ : ١٠٠٠٠٠٠، ١ : ٢٥٠٠٠٠ غطت المنطقة أو أجزاء منها.

٦ – يتفرع خط السكة الحديد المتجه إلي ابي طرطور من خط الوجه

القبلي إلى الشمال قليلا من بلدة أبو تشت الواقعة على مسافة ١٨ كم من نجع حمادي

٧ - عبد الفتاح محمد وهيبه ، مصر والعالم القديم - الاسكندرية ١٩٧٨، ص ٣٣٩ .

٨ - جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان ، الجزء الأول، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٤٩٧ .

٩ - مصلحة المساحة الجيولوجية والتعدين ، خريطة مصر الجيولوجية مقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠ .

١٠ - ينطق اسمها محليا على هذا النحو، وتشير لوحات الطرق الارشادية لذات الاسم.

١١ - جمال حمدان، المرجع السابق، ص ٤٩٩ .

١٢ - الجدول من اعداد الباحث اعتمادا على الخرائط الطبوغرافية والدراسة الحقلية.

١٣ - حسين كفافي،المدن الصناعية في مصر، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٦٦، ص١٧٢ .

١٤ - عبد القادر عبد العزيز علي ، أطلس مصر المناخي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ١٩٧٣، صفحات مختلفة.

15 - Arab Republic of Egypt, Ministry of Devlopment, Red Sea Governorate Regional Plan, Final Report Vol. I. MainReport, Cairo, 1980

١٦ - تشحن كميات من الفوسفات من الحمراوين بلغت ١١٠ألف طن عام ١٩٩٠ بهذه الطريقة.

١٧ - درس محمد مرسي الحريري، ميناء سفاجا في بحث نشر بالاسكندرية عام ١٩٨٥، كما درست القصير في بحث للدكتور

احمدعبدالله حميد بعنوان القصير بين التعدين والسياحة نشر في مجلة كلية آداب الزقازيق، العدد الرابع ١٩٩٠ ، ص ص ١٠٦ - ١٥٨.

١٨ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت عام ١٩٨٦، النتائج الأولية المدن، القاهرة ١٩٨٨، ص٢٧،٢٨ .

١٩ - بيانات حصل عليها الباحث من السيد/ رئيس قطاع الشئون الإدارية بشركة فوسفات البحر الأحمر بتاريخ١٩ / ٣ / ١٩٩١

٢٠ - يبدأ خط السكة الحديد من قنا متجها نحو الشرق حتى ك ٨٥ (منتصف المسافة تقريبا) وينحني بعدها صوب الجنوب الشرقي نحو القصير ليسير محاذيا لساحل البحر الأحمر شمالا مارا بالحمراوين حتي سفاجا (المسافة ٥٢ كم)، وبذلك يصل طوله الاجمالى إلى ٣١١كم ، والهدف هنا تجنب الانحناءات الشديدة في الجزء الشرقى من طريق سفاجا- قنا وخدمة مناجم القصير، وقد أقيمت محطتان علي الساحل إحداهما علي بعد ٩ كم والأخرى تبعد ٣٢ كم من سفاجا نحو الجنوب.

٢١ - قام محمد الفتحي بكير بدراسة مستوطنة أبو غصون تفصيلا خلال نفس الفترة التي أعد فيها هذا البحث.

22- Ministry of Development, Op., Cit, P.58.

٢٣ - بيانات حصل عليها الباحث من السيد/ شاذلى عبد السلام عبد الكريم من رؤساء قبائل العبابدة بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٩١،

24 - Minsistry of Development. Op., Cit, P., 122.

ويميل الباحث علي ضوء ملاحظاته الحقلية للتقدير الأقل.

٢٥ – حديث مع الشيخ علي الغرباوى سكرتيرالحزب الوطنى بالمنطقة بتاريخ ١٧ / ٣ / ١٩٩١ .

٢٦ – البيانات ضمن تقرير وزارة التعمير عن تنمية محافظة البحر الأحمر حتي عام ٢٠٠٥، ص ٣٣، والنسب المئوية من حساب الباحث

٢٧ – وضعت وزارة التعمير خططا جيدة لتنمية شواطىء بحيرة ناصر ولكن أثبتت دراسات الباحث في المنطقة أنها مجرد دراسات وأبحاث لم ينفذ منها سوى القليل جدا ، راجع رسالة الدكتوراة عن التنمية في محافظة أسوان عام ١٩٨٤، وبحث أعد عن مدينة أبو سمبل عام ١٩٩٠).

٢٨ – من هذه الأعشاب "الحرجل" وحلف البر" وتمار "الحنظل" " والشيح" ويستعمل منقوعها كشراب أو تحبت موضعيا علي مكان الألم

29 - Ministry of Development , op.cit, p. , 191 .

30 - Pearce, D., op. cit, PP: 11 - 19.

٣١ – وزارة السياحة ، قسم التخطيط السياحى، عن التنمية السياحية في محافظة البحر الأحمر ، بيانات غير منشورة .

٣٢ – بيانات ميدانية جمعها الباحث من أبو غصون وسفاجا .

33 - Seiitkurbanov, S., Problems of Utilization of Energy of the Sun, Wind and Biomass., Problems of Desert development Number 2, 1990, PP: 29 - 34.

٣٤ – من أمثلتها المطار الواقع علي طريق إدفو – مرسى علم .

ثقافة الإسكندرية القديمة وأثرها في حضارات العصر القديم وفي الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة

الاستاذ الدكتور/ محمد علي ابو ريان

ثقافة الاسكندرية القديمة وأثرها في حضارات العصر القديم وفي الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة

أ. د/محمد علي ابو ريان

مدخل عام

التيارات الفلسفية في العصر الهللينستي

نحن نعرف أن المسار التاريخي للفكر قد تحدد في ثلاثة أدوار أو مراحل:

المرحلة الاولى : وهي تتمثل في دور النشأة وتمتد من طاليس إلى سقراط.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة كبار السقراطيين : أفلاطون وأرسطو.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الذبول وفيها تظهر مدارس صغار السقراطيين والأبيقورية والرواقية والفيثاغورية الجديدة، والصورة الأخيرة التي انتهى إليها مذهب أفلاطون في المثل بالاضافة الى تيار الفكر اليهودي المتأثر بالافلاطونية عند فيلون السكندري ثم حركة المدافعين عن المسيحية ثم تيار الفلسفة الافلاطونية المحدثة الذي ظل يحدث أثرا كبيرا في الحياة العقلية والدينية في منطقة الشرق الاوسط وقد تركز في الاسكندرية القديمة وفرعيها في أثينا وبيروت وامتد تأثيره على امتداد الساحل الافريقي الشمالي ولاسيما في المدن الخمس اليونانية في ليبيا والتي كان اليونان قد بدأوا في إنشائها قبل ظهور الاسكندرية.

ويبدو أن من أسباب تأسيس الاسكندرية في النصف الثالث من القرن الرابع ق.م هو أن تكون نقطة انطلاق إلى هذه المدن الخمس المشار إليها حيث أن العلماء والفلاسفة كانوا يبدأون الرحلة من مصر متجهين إلى هذه المدن على الساحل الافريقي وهكذا فعل أفلاطون قبل إنشاء الاسكندرية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاسكندرية القديمة أصبحت منذ نشأتها مركزا لعبادة آلهة

اليونان فى مواجهة المد الدينى لمصر الفرعونية والمتمثل فى عبادة الإله آمون الذى أقام له الإسكندر معبداً فى سيوة فى الجاه جنوب غربى الإسكندرية، وربما كان ظهور الاسكندرية بمثابة عملية حفظ للتوازن بين دين مصر ممثلا فى عبادة آمون ودين اله اليونان فى الاسكندرية.

على أننا نلاحظ أن آثار هذه المدرسة الفلسفية والعلمية الكبرى قد تخطى الساحل الافريقى بعد اهتمام البطالمة بالعلم وانشائهم للمتحف وللمكتبة الضخمة التى توافد عليها العلماء من سائر أنحاء العالم القديم وظهر أثره فى صقلية حيث اكتشفت الرقائق الذهبية للفيثاغورية الجديدة وفى جنوبى ايطاليا التى سميت بالمستعمرات اليونانية حيث كان للفيثاغوريين دورهم الكبير فى عمليات التآمر على الإمبراطورية الرومانية هذا بالاضافة إلى التأثير المباشر للرواقية فى روما على يد" أبكتيتوس" و"سنيكا" و "مرقص أوريليوس". ولم تلبث هذه التيارات الفلسفية أن انحصرت عن روما بعد أنقسام الدولة الرومانية الى غربية وشرقية "بيزنطية" ووقعت الاسكندرية تحت دائرة نفوذ الدولة الرومانية الشرقية، ولم يكن حظ الاسكندرية فى ظل هذه التبعية يدعو إلى التفاؤل ، بل كانت هذه المرحلة الأخيرة فى حياة المدينة ممثلة لعصر الأفول للفكر الفلسفى، واضمحلال الجامعة لاسيما بعد انتشار المسيحية، وما صاحبها من حركات الإضطهاد الدينى وشيوع موجة من التعصب والجهل فى مواجهة العلم والفلسفة بعد أن كان العلماء والفلاسفة يلقون كل حفاوة وتكريم فى أحضان روما حيث استقبل أفلاطون على محفة ذهبية خارج روما وكان على رأس المستقبلين الإمبراطورة " سالونين ".

وعلى أية حال فإن العصر كله بشقيه البطلمى والرومانى المتمثل فى سيادة روما أو بيزنطة لم يكن عصر خلق أو إبداع فلسفى، إن كان يمثل مرحلة الذبول والتلفيق فى الفكر اليونانى الذى يعرف بمرحلة الثقافة الهللينستية حيث

تداخلت فيها تيارات شرقية دينية وسحرية مع تيارات الفلسفة اليونانية التى شقت طريقها إلى الإسكندرية وتمتد هذه المرحلة الأخيرة "الهللينستية" من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى أواخر القرن الخامس الميلادى.

٢-تطور الفلسفة والعلم فى المرحلة الهللينستية:

لقد اتضح لنا كيف أن الحركة الفلسفية فى الإسكندرية القديمة قد صاحبت قيام المدينة منذ نشأتها إلى إغلاق مدارسها طوال المرحلة الهللينستية التى لم تكن مرحلة ابداع فكرى أو فلسفة يونانية خالصة وقد سبق الاشارة الي أن حظ الاسكندرية من النمو والإزدهار أو الركود فيما بعد كان مرتبطا برضعها السياسى أولا ثم بانتشار المسيحية ثانيا وبهذا يمكن تقسيم المرحلة الهللينستية الى ثلاث فترات من الناحية السياسية.

١-الفترة الاولى:

وهى تبدأ من إنشاء المدينة علي يد الإسكندر إلى سقوط الحكم البطلمى لانتهاء حكم كليوبترا لمصر وخضوع البلاد لروما ، وهذه فترة ازدهار العلم وتقدمها فى المدينة رغم تعدد التيارات الفلسفية وضحالة الفكر وغيبة الجدة والإبداع وسيادة النزعات المصرفية والسحرية وطغيانها على دور العقل وسيطرتها على الحركة الثقافية فى المدينة ومن الناحية العلمية نجد فى هذه الفترة شخصيات عدة من أمثال إقليدس عام ٢٧٥ ق.م "وايراتوستين" ٢٧٥ -١٨٤ ق.م. أمين مكتبة الاسكندرية فى العصر البطلمى والمؤرخ الجغرافى المشهور الذى قاس محيط الارض وظلت تعاليمه تدرس فى أوروبا خلال أربعة عشر قرنا وبعد ذلك فقد عرفنا عن طريق تعاليمه أن الأرضَ كروية وأن لها قطبين ومحور وخط استواء ودائرتين قطبيتين وأن هذا يشير الى تمايز مناخ الاقاليم على سطح الارض ثم معرفة أوجه القمر ومنازله. وقد ظهر إلي جوار هؤلاء "أبولونيوس" و "تيمركارس" و"جالبينوس" فى الطب و"هيرون" فى

الميكانيكا العلمية وكانت هذه الفنون العملية تدرس مرتبطة بالفلسفة ولاسيما الطب ولم تظهر دراسة الطب التجريبى إلا عند العلماء من أمثال سكستوس أمبريكوس الذين التزموا بضرورة قيام الطب على منهج الملاحظة أما الرياضة والموسيقى والفلك فانها لم تكن ترتبط بالفلسفة الا بقدر نفعها فى مجال العمل. ولكن أحد الأفلاطونيين وهو تيون السميرنى أشار فى كتاب له عام ١٢٥م الى أن المعارف الرياضية ضرورية لدارسى الفلسفة لإجادة قراءة أفلاطون ويبدو أنه كان على علم بما انتهت اليه فلسفة أفلاطون من استخدام الرياضة للتعبير عن المنهج فى جملته وكذلك أشار هذا المؤلف الى أن فيلون السكندرى استخدم الحساب لكى يمهد للرمزية العددية فى تأويلاته المشهورة .

٢-الفترة الثانية:

وهي تمتد من انتهاء حكم البطالمة الى نهاية السيطرة الرومانية على الاسكندرية وبداية خضوعها لحكم الدولة البيزنطية أى الدولة الرومانية ويلاحظ على هذه الفترة أنها كانت استمراراً لازدهار الحركة العلمية فى الاسكندرية وتقديم علوم الفلك والرياضيات والطب وعلوم الأحياء وقد ظهر فى هذه الفترة نُخبة من العلماء فى مدينة الإسكندرية كان لهم الأثر الكبير فى تقدم العلوم وانتشارها فى منطقة العالم القديم حتى بعد القرن السادس الميلادى . أما التيارات الفلسفية فقد استمرت فى الحقبة الاولى من هذه الفترة الثانية بالصورة التي كانت عليها من قبل كظلال باهتة لآراء المدارس القديمة عند اليونان والتى انتهت إلى تعارض وتباعد وانحدرت إلى نوع من الخطابة والبيان كان يحذر منه الفيلسوف الرواقى ابيكتيتوس بينما كان سينكا يجيد هذا الأسلوب ويدعو طلبته إلى استخدام الأسلوب الأدبى فى الفلسفة وتداخلت الممارسات الدينية الشرقية وكذلك الدين اليونانى القديم ودين الإله ميثرا، والدين اليهودى، وتعاليم الغنوصية والهرمسية وما تسلل إلى الوسط الثقافى من تعاليم المسيحية خلال

القرنين الأول والثاني والثالث بعد الميلاد تداخلت هذه العناصر كلها مع الفلسفة التي كانت تتسم بالنزعة التلفيقية كما كان حالها في الفترة الاولى فيجمع الفلاسفة أقوال أرسطو إلى أفلاطون ويعلقون عليها، وكان الهدف كما ذكرنا هو الوصول بالنفس الي مرتبة التعبر والخلاص الديني والاخلاقي لتحقيق الطمأنينة والسكينة وسلام النفس بحيث أصبح الفيلسوف مرشداً روحياً بعيداً عن أسلوب العقل والمنطق. وحتي إذا عنّ لأحدهم مثل ألبينوس الأفلاطوني أن يعتبرا الفلسفة هي الميل إلى التأمل والرغبة في الحكمة إلا أنه لا يكتفي بهذا التعريف للفلسفة بل إنه يقول انها في نفس الوقت تحقق خلاص النفس وخروجها من الجسد واتجاهها إلى المعقولات والموجودات الحقة فليس المهم هو الحصول على معرفة خالصة، ولكن المهم هو ما تحدثه هذه المعرفة من أثر في النفس وتطهرها وخلاصها.

هذا هو نسق الفلسفة والدين الذي كان سائداً في القرنين الاول والثاني للميلاد وقد ظل الوضع على هذا النحو إلى أن قام أفلوطين تلميذ أمونيوس ساكاس لكي يعلن لخاصة المثقفين مذهبه الجديد وهو "الأفلاطونية المحدثة" لكي يعارض النسق المسيحي أو لكي يقدم دليلاً للإتجاهات الدينية التي كانت تحكم سطوتها على الثقافة والفكر والممارسات الروحية في الإسكندرية وفي المنطقة كلها، فمن ناحية تصدت الأفلاطونية المحدثة للدين الجديد وقدمت للمؤمنين صورة فلسفية للاقانيم الثلاثة المسيحية ومن ناحية أخرى أراد أفلاطون إشباع حاجة العصر إلى نسق روحي يحقق لهم السعادة عن طريق الوصول إلي السكينة كما ذكرنا وهذا هو أسلوب النزعات الغنوصية والهرمسية، وكذلك الأورفية القديمة التي انتشرت في مدن البحر الأبيض المتوسط وصاحبها التيار الفيثاغوري الجديد.

وقد كان حكام روما يبحثون عن دين عالمي للامبراطورية يكون بمثابة

الدين الواحد لجميع الشعوب والأجناس، وجاء أفلوطين كما أشرنا لكي يقدم هذا النسق للخاصه بعد أن استشري خطر انتشار المسيحيه بين العامة والأرقاء في الدولة الرومانية وترفعت الطبقة الحاكمة والمثقفون والأغنياء عن مجاراة عامة الشعوب واعتناق المسيحيه مثلهم وكانت الأفلاطونيه المحدثة هي البديل الذي يقدم لهم بديلاً عن المسيحية دين التطهر والخلاص الجديد .

وهكذا نرى أنه بعد ظهور الفلسفه الأفلاطونيه المحدثة كيف تصب سائر التيارات الفلسفية المعارضة، وتنصهر في فلسفة أفلوطين التي تحمل طابع العصر

كله،أي الطابع الهللينستيني سواء في الإسكندريه أو في فرعيها في آثينا أو في بيروت الى نهايه العلم والفلسفة في خلال العصر البيزنطي.

٣-أما الفتره الثالثه

وهي تبدأ من تاريخ انقسام الدولة الرومانيه إلى شرقية وغربية أي فتره خضوع المدينه للحكم البيزنطي، وتعد هذه الفتره من أكثر الفترات تأثرا واضطراباً في تاريخ المدينة ، وكذلك في منطقه الشرق الأوسط بصفة عامة وازدياد التيار المسيحي ومحاولات المسيحيين نشر دعوتهم في المدينة ومهاجمة الطقوس الوثنية، وتكوين رأي عام مسيحي في مصر التي انحاز معظم أهلها إلى المسيحية قبل أن تعلن الدولة البيزنطية أن المسيحية هي دينها الرسمي، ومما يدل على ظهور التأثير المسيحي في مدرسة الاسكندرية المتأخرة هو ظهور حركات التوفيق بين الدين والفلسفة عند أمثال يوحنا الفيلبوني المعروف عند العرب باسم يوحنا النحوي، وقد ألفّ هو ومعاصروه من أمثال: دمسيكوس اسقيليوس واسطفن السكندري، وهم يشكلون جملة المحبين للعمل المسيحي بعد أن تنصروا في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وقد عمل هؤلاء على تحويل مسارا الافلاطونية إلى وجهة مسيحية.

على أن بداية التحويل التدريجى إلى المسيحية كان قد تم قبل النهاية للمدينة عام ٥٢٩م عندما أعلن جستنيان إغلاق مدارس الفلسفة الوثنية فى الاسكندرية وروافدها العلمية الأخرى، وقد بدأت الدعوة المعلنة إلى المسيحية تأخذ طريقها إلى جموع الشعب عندما رُسم البطريك تيوفيلوس أسقفاً مسيحياً للاسكندرية فى منتصف القرن الرابع الميلادى، وهكذا بدأ انهيار صرح الثقافة منذ ذلك العهد فعمتها موجة من الاضطرابات وسفك دماء الفلاسفة والعلماء وسحلهم فى الشوارع مثل ما حدث لعالمة الرياضة (هيباتيا) وأمر تيوفيلوس بتدمير واحراق كل مؤسسات الدين والفكر الوثنى، ويذكر أوروسيوس بأنه لم يعد للمكتبة- ويقصد بها مكتبة السيرابيوم الصغرى- وجود عام ٤١٦م أى قبل فتح العرب لمصر بقرنين، ومن ثم فقد بُرئت ساحة العرب من قضية احراقهم للمكتبة على يد عمرو بن العاص عند فتحهم لمصر وقد فنّد بطلر فى كتابه فتح مصر هذه الدعوى ورد على من اذاعوها من المستشرقين أو من الكُتاب الإسلاميين الذين ينقلون عن الترجمات المسيحية بدون تمحيص.

على أننا يجب أن نميز بين المكتبة الكبرى والمكتبة الصغرى: (مكتبة السرابيوم)، ويبدو أن الاولى احرقت على يد قيصر فى معركة أكتيوم البحرية عام ٣٨ق.م ويذكر "بلوتارك" وفلوطرخس أن أنطونيوس أهدى كليوبترا مائتى ألف مجلد من مكتبة برجام السورية التى كانت تمثل الفرع الشرقى لمدينة الاسكندرية.

ويبدو أن مصير المرصد والمتحف ومنشآت الجامعة القديمة كلها قد لقيت نفس المصير ابان الإضطرابات المسيحية التى استمرت زهاء قرنين، أى منذ منتصف القرن الرابع الميلادى إلى أغلاق المدرسة نهائياً، وقد نجم عن هذه الأحداث المدمرة أن اتجه كبار الأطباء والفلاسفة والعلماء الى شمال العراق فى حركة فرار تاريخية كبرى الى شمال العراق للإستظلال بحماية كسرى ولينقلوا

الى الفرس ثقافة اليونان القديمة، بعد أن لفظتها الدولة البيزنطية المسيحية، العدو اللدود لدولة الاكاسرة، ولكن هؤلاء العلماء لم يكن لهم أى أثر فى الحياة الثقافية لفارس القديمة وقد دلل المستشرق بول كراوس على عدم صحة الدعوى التى أثارها البعض من أن منطق أرسطو قد نُقل الى الفارسية قبل الاسلام.

وقد كان من الممكن أن تحدث حضارة الاسكندرية وثقافتها أثرها فى مصر كلها، ولكن الحقيقة أن المدينة ظلت معزولة بأسوارها وأبرابها الضخمة مادياً ومعنوياً عن سائر ربوع مصر، بل أن الداخل اليها من المصريين للاقامة كان عليه أن يستبدل باسمه المصرى إسماً يونانياً كما فعل أفلوطين.

على أن العلماء الفارين من الإسكندرية إلى شمال العراق القديم لم يستقر بهم المقام فى هذة البقعة حول مدينة جنديسابور الفارسية حيتذاك، بل دفعت بهم الاحداث إلى غربى هذة المنطقة ولا سيما بعد الفتح الاسلامى وانتهت بهم المسيرة العلمية إلى بغداد، يقول الفارابى، " إن المدرسة العلمية والفلسفية تكونت فيما بعد فى أنطاكية " ويؤرخ المسعودى لتاريخ هذه الحركة ذاكراً أن العلماء انتقلوا إلى حران فى عهد المتوكل العباسى وقد تنصر هؤلاء جميعاً فيما بعد وقبل ظهور الإسلام بعد التحامهم بطائفة السريان المسيحية التى كانت تسكن هذه المنطقة حيث ظهرت فيها مدرسة الرها ونصيبين من اتباع النساطرة، وكان من بينهم جورجيوس العرب وطيمانوس الجاثليق، ويبدو أن آراء السريان المسيحية كان لها تأثيرها على العلماء والفلاسفة والاطباء المهاجرين من الإسكندرية فى منطقة ايطاليا وماحولها، وقد انصب هذا التأثير فى عملية النقل من اليونانية إلى السريانية أو الى اللغة العربية فى العالم الإسلامى فيما بعد، وكان يغلب على مدارس النقلة صناعة الطب والمنطق، وسمى القائمون عليها باسم رؤساء المدارس وانتقلت هذه إلى بغداد فى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) حيث انتقل أربعة من الفلاسفة النصارى من حران إلى بغداد

فى خلافة المتوكل العباسى وفى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أنشأت دار الحكمة فى بغداد وعرف من أساتذتها الأسقف السريانى اسرائيل قويرى ويوحنا بن جيلان ويحيى المروزى وابن كرنيب وأبو بشر متى بن يونان ومن بعده الفارابى.

وقد عكف السريان على نقل كتب الصنعة أولا، ثم كتب الطب لرغبة الخلفاء العباسيين فى عصر الدولة العباسية الاولى وكان النقل يتم من اليونانية الى السريانية ثم من السريانية الى العربية أو من اليونانية الى العربية مباشرة وقد نقلت كتب المنطق قبل كتب الفلسفة، وفى عصر المأمون تم نقل الكتب الفلسفية حسب طلبة بعد حلم رأى فية أرسطو كان يذكر الإسلاميون.

ويلاحظ من ناحية أخرى أن هذه الترجمات التى نقلت إلى الاسلامين قد وصلت إليهم بعد أن كانوا قد بلغوا درجة الرقى والدراية العقلية تمثلت فيما وضعوه من قواعد وأحكام قياسية فى حكم أصول الفكره

ولما كانت الترجمات اليونانية قد جاءت ملفقة تحمل طابع التحيز الهللينستى بالإضافة إلى ما انطوت عليه من أخطاء تاريخية ومذهبيه - فى عهد النحويين، وفى كتابات بلوتارك وديوجين اللائرسى بصفة خاصة فقد عانى من تناقضاتها المفكرون الاسلاميون، ولم يسع أحد منهم أن يقوم بتصحيح أخطائها لانها نقلت اليهم وكأنها تمثل أعظم تراث أنتجته الانسانية عبرتاريخها الطويل. ولقد حاول الاسلاميون التوفيق بين آراء الكتب المنقولة المتعارضة بطريقة تعسفية كما فعل الفارابى فى كتابة الجمع بين رأيى الحكيمين.

ومن ثم فإن الفلسفة اليونانية فيما عدا المنطق كان لها تأثيرها المعاكس على الفكر الإسلامى، وقد جنت على تقدمه وأعاقت مسيرته التلقائية كما سبق أن ذكرنا.

ولم تلبث هذه الفلسفه التلفيقية أن تكشفت فيما بعدنتيجة لظهور

نصوص أرسطية خالصة كان لها أثرها فى ظهور أرسطو الحقيقى فيما بعد عند ابن رشد، وإحياء آراء أفلاطون الحقيقى فى المدرسة الإشراقية ومع ذلك فقد ظلت نظرية الفيض القائمة على العقول العشرة الكونية هى البنية الأساسية للفكر الفلسفى الميتافيزيقى فى الإسلام وكان أرسطو قد وضع الأساس الأول لهذه النظرية فيما أسماه بعقول الكواكب والافلاك، وجاء الاسكندر الافروديسى لكى يجعل من العقل الفعال الإنسانى بحسب أرسطو عقلاً كونياً مفارقاً ومنفصلا عن الانسان.

وسنرى فيما بعد كيف استطاع أفلوطين ممثل الحركة الفلسفية المزدهرة فى الإسكندرية أن يضع نظرية الصدور ابتداء من الواحد مستعينا فى ذلك بسائر المذاهب الفلسفية من فيثاغورث إلى أفلاطون الى أرسطو بل والرواقية والغنوصية وأديان الشرق كلها، فما هى حقيقة الموقف الافلوطينى وما هو مسار مدرسته الى أنتهاء تاريخ الاسكندرية القديمة....

الافلاطونية المحدثة وتطورها:

كان أفلوطين (٢٠٤-٢٧٠م) قد تتلمذ على يد أمونيوس سكاس فى الإسكندرية، ولازمه أحد عشرة عاماً ثم أمضى بقية حياته فى مدرسته التى أنشأها فى روما. وكانت الحاجة ماسة إلى مذهب فلسفى يشبع الحاجة فى الاسكندرية والعالم فى هذه الفترة، لا سيما بعد أن فشلت الرواقية فى أن تصبح ديناً عالميا لتسد هذا المطلب الجوهرى لأباطرة الرومان.

وجاءت الافلاطونية المحدثة بما فيها من نزعة صوفية عالية وقولها بالأقانيم الثلاثة، الواحد والعقل والنفس فى مقابل الآب والإبن والروح القدس. وقد أودع أفلوطين تعاليمه فى التاسوعات التى أخرجها فورفوريوس بالصورة التى نجدها عليها، ستة أقسام بكل منها تسع رسائل، وتتناول التساعية الاولى النفس الانسانية، والثانية والثالثة العالم المحسوس والرابعة النفس والخامسة

العقل والسادسة الوجود بصفة عامة أو العالم العلوى.

وتدور التاسوعات حول فكرة رئيسية هى وحدة وجود ضرورية يعتبر فيها الوجود الكلى مجلى لفيض تدريجى عن الواحد، ولا لمبث هذا الفيض الحيوى أن يعود ثانية إلى الواحد فى حركة صعود أبستمولوجية تهدف نهائى للوجود.

وينبثق العقل الأول من الواحد فى نطاق عملية الصدور التى تأخذ فى التمدد والانتشار فى صورة أحزمة أشعة نورانية ثم لا تلبث النفس الكلية أن تأخذ طريقها إلى الظهور النورانى المعتدل وترسب المادة فى المرحلة الدنيا للصدورات كأنها أشعة دابلة كظلال شبحية للأنوار العليا الصادرة مما يذكرنا بالعالم المادى المحسوس الرهمى الشبحى عند أفلاطون كما يساعدنا الجدل الصاعد فى الكشف عن هذه الواحدات الصادرة وتتبع مسارها صعوداً ونحن متعلقون بحبل الشعاع متجهون إلى جناب الحق فيكون لنا طريق نازل وطريق صاعد.

(١) الجدل الصاعد:

وفيه تصعد النفس إلى الواحد، وهو يتمثل فى الإدراك الحسى بداية ثم الإستدلال العقلى، وأخيراً الحدس الصوفى، إذ تتجه النفس الجزئية أولاً إلى كثرة المحسوسات، فترى أنه لابد من وجود تنظيم أو منظم لها يحفظ عليها وحدتها كالجيش والجوقة الموسيقية ولا تلبث النفس أن تكشف مصدر الوحدة فى المحسوسات وهى النفس الكلية، ويتقدم سير الجدل الصاعد بعد أن يكشف لنا عن حقيقة هامة وهى أن علة النظام المشاهد فى العالم المحسوس هو النفس الكلية المنبثة فى أرجائه، ولكن سرعان ما يظهر لنا أن النفس ليست هى الوحدة الكلية بل هى تشارك فى الوحدة تحسب. أما الوحدة المعقولة فهى تتمثل فى العقل الكلى الذى نجد فيه المعقولات مترابطة فى صورة عالم معقول يعود بنا إلى عالم أفلاطون المثالى.

ولكن العقل الكلى لايمكن أن يكون عاقلاً ومعقولاً فى نفس الوقت أى أنه لا يمكن أن يعقل موضوعاته لأن ذلك يحدث ازدواجا فى ذاتيته تنتفى معه بساطته المعقولة، فترى النفس الكلية التى انتهى سير الجدل الصاعد اليها قبل العقل الأول أنه لابدأن يكون له وضع اسمى من ذاتيته وهكذا تكتشف الواحد بالذات الذى هو علة وجود العقل الأول وعلة وجود كل شىء على الاطلاق.

وهذا الواحد ينتهى لديه فعل التعقل والفهم أى تعقل ذاته وسائر الموجودات الاخرى. هذا هو الواحد، وهو الخير باللات المفرغ من كل محتوى وهو النبع الثوراتى الخالص الدائم، كما لو كان نبعاً يتشق الماء منه باستمرار دون أن ينقص منه شيئاً، أو كالشمس التى تصدر أشعتها دون أن ينقص من نورها أو حرارتها شيئاً.

(٢) الجدل النازل:

على أن أفلاطون لا يكتفى بالجدل الصاعد وحده للكشف عن وحدات الوجود الصادرة، بل هو يستخدم منهجاً جدلياً آخر هو منهجه الجدلى النازل، وهو يتخذ عكس طريق الجدل الصاعد وهو هنا يستعير من أفلاطون خطرات الرحلة الروحية أو التجربة الصوفية التى بمعانيها بداية من انطلاقة الأول من الكشف فى رحلة الصعود الى الواحد ثم العودة من الواحد إلى الأشياء ثانية فيما يسمى بالجدل النازل. فنرى أفلوطين أولا متفقا مع نتائج المذهب الافلاطونى المتأخر فى صورتة الشفوية، إن الواحد يقال على أنحاء عدة فهو واحد فى ذاتيته، أى أنه ذاتية غير منقسمة إلى أجزاء، وهو أيضا واحد حسابياً أى لا يتعدد وهو واحد كذلك لانه لاتمايز فيه بين اللات والصفات، وهو واحد أخيراً لوحدة الفعل فيه بين الفاعل والمفعول فى ذاته، فلاأزدواجية اقتضاء. لأى حدوث فى ذاته القديمة.

ويحاول أفلوطين الكشف عن الواحد بأسلوب شعرى حتى يتخطى

الصعوبات التى قد يواجهها فى هذا المجال اذ أنه لايقيم براهين عقلية على الوجود الواحد بل يكتفى بما يشبه الرؤيا الصوفية التى لاتعد دليلاً على وجوده فهو يقول إن الواحد يتجه إلى ذاته يتأملها فيصدر عن هذا التأمل العقلى العقل الاول وباتجاه العقل الأول إلى ذاته تنتج عنه النفس الكلية وتصدر عن النفس الكلية نفوس الاحياء المانية والمادة .....الخ.

وهكذا تكتمل صورة العالمين المعقول والمحسوس. ويبدو أن المذهب عند أفلوطين ينطوى على اتجاهين متطابقين أحدهما الإتجاه إلى الوجود على أنه مؤلف من سلسلة من الصور أو المقولات التى يعتمد اللاحق فيها فى ايجاده على السابق، وهذه السلسلة هى موضوع تفكير عقلى للنفس، أما الإتجاه الأخير فيقوم على اعتبارأن هذه الوحدات المكونة لسلسلة الفيض هى فى نفس الوقت مراتب أو محطات روحية تطهرية صوفية يصعد من خلالها السالك إلى هدفه النهائى وهو الواحد، ونجد بالفعل عند أفلوطين تطابق هذين الاتجاهين وترابطهما.

٣)نظرية الصدور وأصلها الافلاطونى الرياضى:

إن فكرة الصدور هى النتيجة المباشرة لتطور مذهب أفلاطون فى الأكاديمية والآراء الشفوية مزوداً بنظرية الوسائط الفنوصية. وترد نظرية أفلوطين إلى نظرية فلكية عن السماء المحسوسة مستمدة من تأملات أيدوكس الفلكى فى القرن الخامس قبل الميلاد فالسماء عنده مركبة من أفلاك مركزية، والفلك الذى تصدر عنه أكبر الأشعة يحتوى على الثوابت، أما الأفلاك التى تقل عنه فى قوة الإشعاع فإن كلا منها يشتمل على كوكب سيار، ولهذا العالم السماوى المحسوس تأثير على عالمنا الأرضى المحسوس فترضخ حركاته للضرورة، ويكون أزلياً تتعاقب فيه الأدوار الواحد تلو الاخر، ومن هنا نجد مصدر نظرية الأفلاك والأدوار والأكوار الاسماعلية، ونجد فى التساعية الثانية والمقالة الاولى دفاعاً حاراً من أفلوطين عن هذا التطور الفلكى للعالم وا نتقاده للآراء المعارضة له

عند الرواقيين والغنوصيين للعالم ودفاعه عن قدم العالم وأزليته، وعن تيماوس أفلاطون الذى فهم المسلمون والمسيحيون على سبيل الخطأ أنه قال بقدم العالم عند تقديمه للصانع ليخلق بحساب مثال الإله أن يخلقه فى الزمان.

ويعرض أفلوطين موقفه من الصدور، فيرى أنه لما كان هذا العالم المحسوس ينطوى على نظام معين يتحقق فى الزمان والمكان فيجب إذن أن يكون مبدأ هذا العالم نظامًا معقولاً ثابتاً يحتوى على سائر العلاقات والتنظيمات التى نراها فى العالم المحسوس، ولكن تصور أزليته تتفق مع طبيعة العقل الخالص وهذا المبدأ أى الصادر الاول وهو العقل ، فهذا إذن نظام المعقول

ماسبب صدور الكثرة عن الواحد:

إذا كان الواحد كاملاً وخصب الوجود فلماذا إذن يتجه إلى الإيجاد، أو بمعنى أخر ما سبب صدور الكثرة عن الوحدة ؟

لقد عالج أفلاطون هذه المشكلة متأثرا بمذهب بارمنيدس فأثبت الوحدة ونفى الكثرة،إذ أنه فى فيليبوس بدأ تفسيره الرياضى للمثل حيث تكلم عن الواحد والثنائى اللامحدد وهو أن أصل الكثرة تبدأ من الثنائى اللامحدود لينتهى عند العدد عشرة، ويذكر أفلاطون بهذا الصدد أن الأعداد العشرة من واحد إلى عشرة هى أعداد مثالية، وهى أصول الموجودات كذلك عند الفيثاغوريين أيضا، ويسميها أفلاطون بالأمهات أو بالاصول الأعلين وهى نفسها ما يسميه شارحه ابن سينا التعليمات المفارقة الافلاطونية. وقد انتقلت نظرية العقول العشرة الى الاسلاميين والمسيحيين فيما بعد عن طريق النصوص الافلاطونية ومن خلال ماقتبسه أفلوطين منها بعد أن مزجه بنظرية جديدة فى الصدور أو فى فيض العقول عن الواحد، ولما كان أفلوطين لا يذكر مصدر هذه النظرية- أى نظرية العقول العشرة - وقد نقلها عنه الإسلاميون فيما بعد انتهاء بالعقل الفعال الذى أشار اليه الإسكندر الأفروديسي وربطوها بمذهب بطليموس

وايدوكس الفلكى، ومن هنا جاء تخبطهم فى تحديد عدد العقول الصادرة بدقة كاملة بعد أن ربطوها بنظام الافلاك، وهى ليست عشرة، ونضرب مثالاً على ماوقع فيه الاسلاميون، وما نُقل عنهم من تخبط فى هذه المسألة بما نجده عند الفارابى فهو مرة يذكر أن العقول عشرة، ومرة أخرى يذكر أنها ثمانية،بينما يذكر ابن جبرويل اليهودى انها إحدى عشرة ، الأمر الذى يدل على عدم معرفتهم بمصدرها الأفلاطونى فى التعاليم الرياضية لافلاطون.

وقد لاحظ أبو البركات البغدادى هذا الخلط الذى وقع فيه الاسلاميون بصدد نظرية العقول العشرة التى توارثها عن مدرسة الاسكندرية الفلسفية، فتصدى لتغيير هذه النظرية وتساءل فى تحد ظاهر عن مصدر هذه النظرية إذ يقول " نريد أن نعرف هل هذه النظرية نقلية، أى موحى بها، فينبغى لنا حينئذ ألا نناقشها، أم أنها تأتى من إبداع عقولهم فيجب، والحالة هذه، أن نعرض لها بالنقد والتحليل، الا أنه يبدو أن أصحابها قد وضعوها وضعا كأنها نصوص إلهية بدون حجة أو دليل على صحتها ". ومن ثم فإن هذه النظرية تعد باطلة إذ كيف نحد القدرة الالهية اللاتناهية فى عشر صدورات نحسب فى العقول العشرة فقط، وكما يقول الذكر الحكيم أن المخلوقات الالهية لامتناهية بحيث لايمكن لاحد أن يحصيها عدا، وانتهى أبو البركات من نقده الى اثبات أن الأفضل من ذلك أن نلجأ الى القول بمثل أفلاطون وأن نقول أن الموجودات الحقة والعليا المعقولة هى صور أو مثل أفلاطون أما غير ذلك فغير معقول.

أما فكرة الصدور نفسها فقد نجح أفلاطون فى آرائة الشفوية فى التقريب بين المحسوس والمعقول بعد أزمة المشاركة المعروفة، إذ نراه يرتب عوالم هندسية بالإضافة الى الاعداد المثالية العشرة ابتداء من النقطة ثم الخط والطول والعرض والعمق كأشكال مثالية ثم الجسم المثالى، وهكذا أصبح الصعود عبر العالم الروحى ممكناً دون عثرات، وهذا هو طريق الصوفية الذى يرسمه المذهب

كما تستمر حركة النزول فلسفياً من الواحد عبر العالم المعقول إلى العالم المحسوس، وهكذا تستمر حركة الصدور التدريجي أي حركة الفيض النازلة من الواحد عبر العالم المحسوس دون أن تعترضه صعوبة الانتقال من المعقول الى المحسوس. على أننا لانكاد نجد عند أفلوطين أي نوع من البرهان المنطقي الذي يصلح للرد على المعترضين على نظرية الصدور فهو يستعيض عن هذا بأسلوب عاطفي صوفي يكاد يكون نوعاً من الإبداع الشعري أو الادبي، فتراه يقول في التاسوعات: إذا كان هناك موجود آخر بعد الواحد فكيف صدر هذا عن الواحد، فليس هذا الموجود سوى شعاع ظاهر عنه شعاع يفيض منه وهو (أي الواحد) باق في كيانه الازلي، كما تصدر الحراره عن النار، والبروده عن الثلج والروائح عن المشمومات، وهي تصدر عنها آثار تجاوزها، وهكذا فإن الواحد تفيض منه الموجودات التي تنعم بجواره " وعندما يصل أي موجود إلى كماله يلد موجوداً شبيها به فالموجود الأكثر كمالاً هو الخير بالذات يبقى ثابتاً وتصدر عنه الموجودات كما تفيض الأشعة عن الشمس. يقول أفلوطين " تخيل نبعا مائياً لا مصدر لمائه، وهذا النبع يوزع مياهه على الأنهار كلها، ولكن مع هذا لاينضب ما يحتويه من ماء أبداً، ولا تتحرك مياهه أو يتحرك مستوى الماء فيه نتيجة لهذا التوزيع بل يبقى ساكنا وفي مستوى واحد، دائما، هذه الانهار الصادرة عنه تتجمع أولا عند الخروج منه في مجرى واحد، ثم تبدأ في التفرق فيأخذ كل منهما طريقه الجزئي الخاص به " .

يبدو إذن أن المحرك الأساسي في عملية الصدور هو تلك الحياة الروحية التي تنتشر باستمرار في عالم الفيض الافلوطيني، ومن ثم فإننا نؤكد ماسبق أن أشرنا إليه في مقدمة البحث، وهو أن التصور الميتافيزيقي للوجود مرتبط بالتجربة الباطنية في الحياة الروحية أو بمعنى آخر أن الحقيقة الميتافيزيقية في نفسها الحياة الروحية متخذة صورة أقانيم تعتبر كالنقطة في الخط المستقيم وهي

تندمج في النهاية لتعبر عن الوحدة والإستمرار، والتجربة الباطنية وحدها هي التي تظهرنا على هذا الاستمرار.

وهكذا نجد كيف أن موقف أفلاطون الرياضي، مضاف إليه فكرة الوسائط تعتبر هي الجذور الأصلية لنظرية الصدور عند أفلوطين، فكما أن العقل وسيط بين الواحد والنفس، فكذلك نجد أن النفس وسيط بين العقل والمحسوسات، أما حركة الصدور فهي تلقائية والعالم قديم وأزلي، والمادة شر مطلق، ولما كان الخير مبدأ أول لهذا لا يمكن أن يكون الشر مساوقاً لوجود الخير كما هو الحال عند المانوية، وأفلوطين يجعل للشر وجوداً ذاتياً، ولكنه وجود مطابق للمادة، فالمادة شر بالذات حسب العقلية الأورفية القديمة وهي وهم زائل أي لاوجود كما قال أفلاطون.

وقد كانت هذه المشكلة أي " وجود الشر " هي سبب ارتداد القديس أوغسطين عن المسيحية كما يذكر في اعترافاته إلى أن عاد به القديس امبروزو الى حظيرة الايمان بعد أن أقنعه بأن الشر لاوجود له، وأنه أمر نسبي وليس نداً مساويا للخير، حتى لا يعترض هذا التصور سبيل رحلة الصعود الى الواحد أو الخير بالذات.

المدرسة الافلاطونية المحدثة في عهدها الاخير

الأمر الذي لاشك فيه أن استمرار مذهب أفلوطين وسيطرته على الفكر في الإسكندرية وفي العالم الهللينستي إنما يرجع إلى أن التاسوعات قد احتوت معظم صور الإتجاهات العقلية في هذا العصر جنباً إلى جنب مع التيارات اللاعقلية من سحر وتنجيم وطقوس عملية، وأديان شرقية، وتعاويذ وعلوم المشعوذين إلى غير هذا. وكان هذا هو الطابع الذي تميزت به المدرسة في كتابات (المتأخرين) من أتباعها من أمثال " فورفوريوس " إلى يوحنا الدمشقي مرورا بيامبليخوس وأبروقليس ودمسكيوس، وكان فورفوريوس "(٢٣٣-٥ ٣م)"

تلميذا لأفلوطين، وقد نشر آراءه وكتب تاريخ حياته وله رسالة يهاجم فيها المسيحية، ويرى أنها لم تأت بجديد غير ماجاء به اسقليبوس (وهو ابن أبوللو) إله الطب عند اليونان، ويلاحظ أن المدرسة الافلاطونية المحدثة قد انتشرت الى فروع منها :-

أولا: المدرسة السورية وفروعها في برغامة:

وقد ظهر فيها يا مبليخوس وهو أعظم فلاسفة الأفلاطونية المحدثة المتأخرين وكان يمارس التعليم في عهد دقلديانوس، وقسطنطين ، وسمي بالإلهي، وكان يربط أفلاطون وأرسطو بفيثاغورث ثم يزج تعاليمهم بأديان الشرق وتصوفه والتراث السحري للعالم القديم، وسمى هذا الخليط اللاهوتي "علما" مع أن الهدف الأخير من هذه التعاليم هو الوصول بالنفس إلى الإتحاد بالله، والوحي الالهي هو الذي يعلمنا كيف نبلغ هذا المقام، فكان الكهنة عنده أعلى مرتبة من الفلاسفة لأنهم هم حملة الوحي الإلهي، وهم الذين يعلمون الناس كيف يكون التطهر لتتخلص النفس من الجسم وتسمو إلى مستوى الوجود الاول.

ويدافع يامبليخوس عن الفرد، ويبرر وجود الوسائط لأنها هي التي تحرر الإنسان من القوة الضاغطة، ولايصلح في تحرير الإنسان مادام مرتبطاً بالجسد سوى التعاويذ السحرية والطلاسم التي هي واسطته إلى الموجودات العليا . وعلى الرغم من قبول يامبليخوس لهذا التراث، إلاأنه أقبل على الرياضيات بشغف واستفاد من الفكر القديم على العموم وبالإضافة إلى هذا فإننا نلمس من مذهبه تأثيراً لنحلة القبالة، ولاسيما فيما ذهب إليه من ثلاثيات وجودية مرتبة بعضها فوق بعض في سلم الفيض ابتداء من الواحد، وهذا هو الترتيب الذي استعاض به يامبليخوس عن أقانيم أفلوطين الثلاثة، وهنا نجد ثلاثيات الإسلاميين تجاه العقل الى ذاته، ثم الى العقل الصادر عنه ثم إلى الواحد، وهذه الثلاثيات تصدر في غير انقسام ودون تشتت وتتضمن الثلاثية الوجودية الأولى

ثلاثة مبادئ هي:

أ- مبدأ الذاتية، وهو يشير إلى الوحدة.

ب- مبدأ الصدور أو التمايز، وهو يشير إلى الكثرة، ويقصد به الثنائي اللامحدود عند أفلاطون.

ج- ونجد أخيراً مبدأ الرد (أو الرجعة)، وهو يقابل عند أفلوطين النفس لأنها هي التي ترد كثرة العالم المحسوس والنفوس الجزئية إلى وحدة نفس هي النفس الكلية.

غير أن جميع المراتب الثلاثية، التي تلي ثلاثية الوجود الأولى تستمد مبادئها منها فتحصل على الوحدة، ثم مايسمح بصدور الكثرة عنها، وأخيرا مايسمح بالعودة إلى العالم المعقول، ويلاحظ من ناحية أخرى أن جميع وحدات العالم المعقول عند يامبليخوس آلهة مرتبون في ثلاث مستويات: آلهة المعقولية الخالصة، ثم آلهة مافوق العالم، ثم الآلهة الحالين للعالم، وهؤلاء الآلهة هم الذين يعنون بعالمنا، وتتعقد الصلة بيننا وبينهم وهم يشكلون ما نسميه نحن بالقدرة الالهية، أما الواحد أو المطلق عند أفلوطين فهو إله متعال لا يمكن أن نعرفه، ولا نحلل هو من أي علاقة تربطه بالعالم على عكس الإله عند المسيحيين، فكأن التصورين الأفلوطيني والمسيحي للإله كانا على طرفي نقيض ولكن الأفلاطونية المحدثة كانت مدرسة تطهر وممارسة روحية عملية يتعين على المريد فيها أن يسلك سبيل التطهر والتجرد حتى يصل إلى الله، لهذا فقد كان لزاماً على فلاسفتها أن يضعوا على الطريق وسائط روحية تجعل العبور إلى العالم الأعلى ميسوراً، فتستمر الصلة بين مراتب الوجود التنازلية المختلفة التي لاتشارك أصلاً في الوحدة المطلقة (أي الواحد) بل يكون اتصالها بمراتب الوجود المعقولة المتعالية والصادرة عن الواحد.

والواقع أن الواحد عند يامبليخوس ليس هو نفسه تماماً الواحد

الأفلوطينى، ذلك لأن يا مبليخوس أشار إلى نوعين من الواحد: واحداً أولى وهو فوق المبادىء ولايمكن التعبير عنه أو وصفه.أما الواحد الآخر، فإنه ينطبق على الواحد أو الخير عند أفلوطين، وكذلك ينقسم العالم المعقول عند يامبليخوس، وهو العقلأو الأقنوم الثانى عند أفلوطين إلى قسمين : عالم معقول، وعالم عقول، ولكل من هذين العالمين ثلاث ثلاثيات وتنقسم النفس (الأقنوم الثالث عند أفلوطين) إلى قسمين أيضا، وفى هذه المرتبة نجد نفوس الملائكة والجن والأبطال وهذا مانراه عند أبروقلس.

وأخيراً نجد أن يامبليخوس قد عبّر عن تيارات العلوم الخفية التى سيطرت تماماً على أخريات العصر الهللينستى،ودافع عن التنبؤ والتعاويذ والطلسمات وعبادة الأوثان، وآمن بالمعجزات وبالخواص السحرية للأعداد ، وظهرت وجوه كثيرة من المفكرين فى مدرسه يامبليخوس منهم ثيودوروس الآثينى الذى تتلمذ أيضا على كل من " فورفوريوس" و " أبروقلس" ومنهم أيضا أديسيوس الكابادوسى ويوناپيوس الساردیسى.

ثانيا:مدرسة اثينا:

ظهر فى هذه المدرسة عدة شخصيات هامة من الشراح والمعلقين على النصوص القديمة من أمثال : ثامسطيوس، ويلوتارك، وصوريانوس، ومارينوس دمسكيوس، وسمبليقيوس وكان أبرزهم على الإطلاق الفيلسوف " أبرقليس" (٤١٠ - ٤٨٥م)، ويبدو أن مذهب الفيض الإسلامى قد استمد أصوله من فلسفة أفلوطين ومن موقف الإسكندر الافروديسى خلال الفترة المتأخرة الى أواخر القرن السادس الميلادى.

وسيكون على الإسلاميين أن يُخرجوا هذا المذهب ويتأثر بهم المسيحيين فيما بعد، فقد نُقلت آراء هذه المدرسة من المتأخرين الى المسلمين، ولاسيما الصورة الأخيرة بعد تطورها خلال مدرسة يامبليخوس، وقد ذكر الاسلاميون كل

رجال هذه المدرسة فى مؤلفاتهم مثل القفطى، والشهر ستانى والشهر زورى والرازى... الخ.

أما مذهب أبروقلس فكان يستند إلى أفلوطين، ثم إلى التيارات الدينية، إذ كان يخلط الفكر الفلسفى مع تيارات الزهد والعلوم الخفية، ويزعم أن روح نيقوماخوس الجديد قد تقمصته، وعرف عنه تمسكه وتحمسه الشديد لممارسة الصقوس والشعائر الدينية للمدرسة، والتمسك باعتقاداتها وتقديسها للأشعار الأورفية، وكان أقدر الجميع على صياغة مذهب يعبر عن النزعة التلفيقية المستحكمة التي انتهى إليها العقل اليونانى فى العصر الهللينسى، والتى سيكون لها أثرها الكبير فى القرون الوسطى المسيحية وفى العصر الاسلامى، ولا يخرج مذهب أبروقلس عن ثلاثيات يامبليخوس الوجودية فهناك وحدة وجودية أو تعبير عن الوحدة وتصدر عن هذه الوحدة الكثرة ممثلة فى العقل، ثم تعود الكثرة الى الوحدة ممثلة فى الوحدة الكلية حيث نجد أن الواحد هو وحدة مطلقة لاصلة لها بالعالم، وهو علة دون أن يكون علة حقيقية وهو ليس وجوداً أو لا وجوداً.

أما العقل أو الأقنوم الثانى عند أفلوطين فقد صدرت عنه ثلاث مراتب أولها مرتبة المعقول، ونجد فيها الوجود اللامتناهى أو الصورة وثانيها مرتبة المعقول الحاصل على الفكر، ونجد فيها القوة والوجود ووحدتهما الحياة المعقولة، وثالثها مرتبة ما هو حاصل على الفكر ونجد فيها الفكر الثابت ثم الفكر فى حركته أى الإدراك الحسى ويجمعهما الفكر المتأمل، وهذه المراتب الثلاث يكشف كل منها عن وجه من وجوه العلة الاولى وهى على التوالى تكشف عن وحدة الأول الدائمة ثم عن خصوبته التى تتمثل فى المعقولات أى فى مثل أفلاطون أو الصور التي ينطوى عليها العقل أو الصادر الاول، ثم أخيرا تكشف المرتبة الثالثة عن كمال العقل اللامتناهى. ثم يعود أبروقلس فيقسم ال

الأولى والثانية إلى ثلاث ثلاثيات،أما ثلاثية الفكر فإنها تنقسم إلى سبع ثلاثيات وينتهي أبروقلس إلى تسمية الثلاثيات باسم الإله ويختار لها اسماء من بين أسماء الآلهة الشعبية.

ونجد أخيراً أن النفس وهي الأقنوم الثالث عند أفلوطين ويضع لها ابروقليس ثلاث مراتب: مرتبة إلهية ثم مرتبة القوات (الجن والملائكة) ثم المرتبة الإنسانية.

أما المرتبة الأولى من الأقنوم الثالث فهي تنطوي على ثلاث مراتب للنفوس : مرتبة الثلاثيات الأربعة لرؤساء الآلهة، ومرتبة الثلاثيات الاربعة للآلهة الحرة، ثم مرتبة الآلهة الحالة في العالم وهي : آلهة النجوم والكواكب وإلهة العنصريات.

والمرتبة الثانية من النفوس تنقسم إلى آلهة ملائكة وآلهة هي جن ثم آلهة أبطال، والمرتبة الثالثة أيضا تشتمل على النفوس الانسانية التي تحل بالجسم والنفس بصفة خاصة ذات طبيعة أثيرية نورانية، وأما المادة فهي الأقنوم الرابع عند أفلوطين، ونجده يجعلها مخلوقة للنفس وهو يشتقها مباشرة من اللامحدود الذي يضاف إليه المحدود فيكون منهما المخلوط.

المراجع العربية

(١) أبوريان (محمد على) : تاريخ الفكر الفلسفى عند اليونان:

١ - من طاليس الى أفلاطون

٢ - أرسطو والمدارس المتأخرة

٣ - تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام

٤ - أصول الفلسفة الاشراقية

(٢) ابن سينا : الشـــفاء

الاشارات

رسائل فى الحكمة والرياضيات

(٣) بدوى (عبد الرحمن) : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية من الاسكندرية الى بغداد - ترجمة مقال ماكس مايرهوف.

(٤) الغزالى (أبو حامد) : تهافت الفلاسفة.

الرد على الباطنية

(٥) ميللى (ألدو) : العلم عند العرب - الترجمة العربية

(1) Armstrong: The structure of the Intelligible world in the philosophy of plotinus.

(2) Brehier (Emile): L'Intelligence chez plotin'ed: Boivin, Paris.

(3) Cassartelli : E.R.E. art . Dualism (Persion).

(4) Cochez : Les Religion de l'Empire dans la philosophie de plotin 1915.

(5) Cumont : Recherches sur le Manicheisme.

(6) Ency. of Religion & Ethics : art. Cnoticism - Hermes - Orphim.

(7) Festigiére : Les Revelations d'Hermes Tresgiste Paris.

(8) Inge (W.R) : The Philosoaphy of Plotinus,London, 1918.

(9) Simon : Histoire de l'ecole d'Alexandrie, 2 Vol, 1843 - 1845.

(10) Vacherot: Histoire critique de l'ecole d'Alexandrie, 3Vol, 1864 - 1851.

(11) Whittaker (E) : the Neoplatonists, Camb. 1901 2'edit ; 1918.

قلق الاختبار لدى طالبات الجامعة
وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

إعداد
د. عبد الرحمن بن سليمان الطريري
أستاذ علم النفس المشارك
قسم علم النفس - جامعة الملك سعود
بالرياض

قلق الاختبار لدي طالبات الجامعة
وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلي الإجابة عن بعض التساؤلات حول قلق الاختبار وبعض المتغيرات الدراسية لدى طالبات الجامعة مثل المستوي الدراسي ،والتخصص، والمعدل التراكمي.

وقد اشتملت عينة الدراسة علي ١٤٨ طالبة من تخصصات مختلفة في جامعة الملك سعود بالرياض. وتم تطبيق أداة من إعداد الباحث لقياس قلق الاختبار، وكذلك تم التأكد من صدق الأداة وثباتها علي عينة من الطالبات. وقد تبين من نتائج الدراسة أن هناك ارتباطا سلبيا بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي، كما بينت الدراسة أن هناك فروقا بين الطالبات في المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبار، وفي الوقت نفسه لاتوجد فروق دالة إحصائيا بين ذوات التخصصات الدراسية المختلفة في قلق الاختبار. أما فيما يختص بالمعدل التراكمي فقد تبين أن طالبات المستويات الدراسية المختلفة يوجد بينهن فروق في المعدل التراكمي، إلا أن هذه الفروق لا توجد بين طالبات التخصصات الدراسية المختلفة .

قلق الاختبار لدى طالبات الجامعة
وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

فكرة الدراسة وأهميتها

سبق للباحث أن أجرى دراسة في موضوع قلق الاختبار وعلاقاته ببعض المتغيرات الأكاديمية عند طلبة الجامعة في المملكة العربية السعودية، إلا أن تلك الدراسة كانت مقتصرة على الطلاب الذكور فقط.

وقد شعر الباحث بضرورة إجراء دراسة حول موضوع قلق الاختبار عند الطالبات لمعرفة مستوى القلق الاختباري لديهن بشكل عام، وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية مثل المعدل التراكمي* بوصفه تعبيرا مجملا عن التحصيل الدراسي، وكذلك العلاقة بالتخصص الدراسي بالإضافة إلى المستوى الدراسي للطالبات. وقد كانت الرغبة في اجراء الدراسة السابقة للباحث على الإناث أيضا ملحة، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وبعد أن تمكن من معرفة المعوقات التي تعترض إجراء هذه الدراسة على الطالبات وعرف كيف يذللها أقدم على إجراء هذ الدراسة التي يؤمل منها أن تعطي صورة واضحة عن قلق الاختبارلدي الطالبات، وذلك لأهميته في مجالات متعددة على المستوى الفردي وكذلك على المستوى المؤسساتي.

فعلى المستوى الفردي نجد أن قلق الاختبار يؤثر على صحة الإنسان النفسية والبدنية، بالإضافة إلى أثره على الأداء الأكاديمي. أما على مستوى المؤسسات فإن هذه الدراسة يؤمل أن تسهم نتائجها - مع غيرها من الدراسات- في إثارة الاهتمام بالموضوع و إعطائه الأهمية اللائقة به من قبل الأساتذة

* ويقصد به المؤشر الرياضي الذي يتم من خلاله إعطاء وصف عام لمتوسط التحصيل الدراسي للطالبات منذ دخولهن الجامعة وحتى وقت إجراء الدراسة.

وأولياء الأمور، لأن إهمال مثل هذا الموضوع وعدم أخذه في الحسبان قد تكون نتائجه سلبية، ومن ثم قد يصيب الطلاب الضرر في صحتهم وفي مستقبل حياتهم الدراسية.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تسهم في رسم صورة عن واقع قلق الاختبار لدى الطالبات فلا تكن الدراسات موجهة للذكور فقط. كذلك يؤمل أن تسهم هذه الدراسة في إضافة نتائج إمبيريقية (واقعية) جديدة إلى التراث السيكولوجي بشكل عام. وحيث إن الأداة المستخدمة في هذه الدراسة لقياس قلق الاختبار سبق للباحث أن طورها بوصفها جزءا من رسالة الدكتوراه، فإن هذه الدراسة تعد فرصة لتطبيق الأداة على الإناث، ومعرفة مدى ملاءمتها، وكذلك اكتشاف نقاط الضعف فيها عند التطبيق على الطالبات الجامعيات. هذا فضلا عن إمكان مقارنة نتائج هذه الدراسة بسابقتها (انظر ملحق ١).

الإطار النظري

كثر الاهتمام بموضوع القلق- بوجه عام- من قبل الباحثين والدارسين، وذلك نظرا للآثار الناجمة عنه على مستوى صحة الأفراد النفسية وعطائهم وانتاجيتهم أو في علاقاتهم مع الآخرين. وتمثل هذا الاهتمام في الجهود المبذولة للتعرف على ماهية القلق ومسبباته وآثاره. ويربط كثير من الباحثين بين القلق وطبيعة الحياة المعاصرة بما تتضمنه من تحولات سريعة وأساليب حياتية مبتكرة حتى أن البعض يطلق على العصر الحاضر عصر القلق.

وتكمن أهمية القلق في أنه يمثل إشارة تحذيرية للإنسان والحيوان من خطر محتمل، مما يثير في داخله استجابات تنزع به إلى إقامة التوافق مع هذه الأخطار المحتملة وتختلف الاستجابة للقلق نتيجة بعض الظروف والمتغيرات مثل: خبرة الفرد السابقة، قدراته وإمكاناته، وطبيعة المشكلة المراد حلها من حيث التكوين والمحتوى والأهمية.

وفي تناول الباحثين لموضوع القلق نجد التباين والاختلاف بينهم كبيرا، فالقلق عند "يونج" Jung عبارة عن رد فعل يقوم به الفرد حينما تغزو عقله قوي وخيالات غير معقولة صادرة من اللاشعور الجمعي(١). أما "هورني" Horney فإنها ترى أن القلق عبارة عن استجابة انفعالية لخطر يكون موجها إلي المكونات الأساسية للشخصية، ويختلف الأفراد فيما بينهم من حيث نظرتهم للموضوعات التي تمثل قيمة حيوية لديهم، مما ينعكس أثره علي مستوي الاستشعار بالخطر(٢). وفي تحليلها للقلق ترى "هورني" أن القلق يحدث نتيجة التهديد الواقع علي التنظيم الزائف(الذات المثالية) التي يكونها الشخص بوصفه محاولة دفاعية للتوفيق مع الحياة وظروفها، وحاجة ماسة لحماية نفسه ضد الظروف العدوانية وتتلخص نظرية القلق عند "هورني" في الجوانب الآتية:

(١) القلق رد فعل انفعالي لخطر فعلي أو متوهم

(٢) مصدر الخطر هو الدوافع العدوانية وشدة هذه الدوافع مما يثير القلق .

(٣) يوجد تفاعل بين العدوان والقلق .

(٤) مجموعة الدفاعات والاتجاهات التي يكونها الفرد أثناء عملية التنشئة الاجتماعية نحو الآخرين تساعد في التخلص من القلق وتجلب الأمن والطمأنينة .

(٥) مصدر الخطر ليس شيئا معينا كالدوافع الغريزية من وجهة نظر " فرويد " Freud بل إن الخطر يأتي من عوامل كثيرة خارجية وداخلية(٣).

أما" هاري ستاك سوليفان "Sullivan فانه يري أن القلق يحدث نتيجة أية خبرة تهدد نظام الذات، مما يقود الفرد للقيام ببعض الأعمال التي تؤدي إلي التقليل من القلق دون وعي بذلك(٤).

يعتقد " دولارد، وميلر" Dollard &Miller أن القلق بما له من قوة الدافع، يدفع إلي أنواع من الاستجابات التي يمكن أن تخفف من حدته، حيث يلجأ الفرد القلق إلي بعض الممارسات مثل الحيل الدفاعية كالتبرير والإسقاط والتقمص والإعلاء والنكوص(٥).

أما وجهة نظر "دينفيد شيهان"Sheehan فان هناك نوعين من القلق: الأول هو الذي يخبره الناس في الأحوال الطبيعية كرد فعل علي الضغط النفسي أو الخطر الذي يهدد أمن الفرد وسلامته، كأن يهاجم الفرد من حيوان ما ثم يصير حذرا من قصيلة ذلك الحيوان عند رؤيتها، وهذا النوع هو مايعرف بالقلق الخارجي. أما النوع الثاني فهو داخلي المنشأ، وهو يعني أن المشكلة الرئيسة تنبع من مصدر ما داخل كيان الفرد، أي أن هناك استعدادا وراثيا لمثل هذه النوبات من القلق دونما سبب ظاهر. ونجد "شيهان" في هذا التفريق بين أنواع القلق يتفق مع "فرويد"Freud في تصنيفه للقلق إلي قلق عصابي وآخر موضوعي(٦).

والقلق بالنسبة "لايزنك"Eysenck هو العصاب، وليس هناك فرق بينهما، إلا أن كاتل يعارضه في هذا الرأي، حيث يري أن القلق يختلف عن العصاب برغم مايوجد بينهما من أمور مشتركة(٧).

وتجدر الإشارة إلي أن الدراسات الكثيرة التي أجريت علي موضوع القلق قد اختلفت من حيث نظرتها له، فمن الباحثين من يصفه علي أنه قوة بناءة Constructive force ومنهم من يري أنه قوة هدامة Destructive force

أما عن الآثار الناتجة عن القلق والمترتبة عليه فهي كثيرة ومتعددة، منها الجسمي كاضطرابات المعدة وسوء الهضم، ومنها ماهو نفسي وعقلي، هذا فضلا عن إمكانية انحراف السلوك وفي هذا الصدد يري "هورني" أن خفقان القلب، ونصيب العرق، والإسهال، وعسر الهضم من الأمور المصاحبة للقلق(٨). كما

تتميز حالات القلق بمشاعر ذاتية تتضمن التوتر والخشية والعصبية والإنزعاج، كما تتصف بتنشيط الجهاز العصبي الذاتي وزيادة تنبيهه (عبد الخالق، حافظ)(٩) .

وامتدادا للتصنيف الثنائي للقلق يري "سبيلبرجر"Spielberger (١٩٧٢)أن هناك نوعين : قلق الحالة وقلق السمة، وفي رأيه أن قلق الحالة State Anxiety هو حالة تغير انفعالي، يمر بها الفرد نتيجة تعرضه لموقف أو عرض من العوارض، وفي رأيه أن هذه الحالة تتفاوت من حيث شدتها عبر الزمن وحسب الظروف، ويعزو "سبيلبرجر" هذا التغير الانفعالي إلي الشعور الشخصي وتهيؤ الجهاز العصبي المترتب لهذا الموقف أو ذلك الظرف. أما قلق السمة Trait Anxiety فهو الاستعداد الفطري والذاتي لدي الفرد لتفسير معظم- إن لم يكن كل- المواقف والظروف التي يمر بها علي أنها خطرة. وينطوي هذا التعريف لقلق السمة علي إشارة إلي أن من يوجد لديهم قلق السمة يتميزون بهذه الصفة بشكل شبه مستقر في كل الظروف والمواقف(١٠).

مجمل القول أن قلق الحالة هو تلك الحالة الانفعالية التي يعاني منها الفرد في اللحظة الراهنة أو في موقف خاص ومحدد تنج عنه مثل هذا التغير. أما قلق السمة فيشير إلي خصلة أو صفة ثابتة نسبيا في الشخصية، وتجد آثارها واضحة علي الفرد في معظم الحالات والمواقف.

وقلق الاختبار نوع من أنواع قلق الحالة، يحدث حينما يدرك الفرد المثيرات المتعلقة بموقف الاختبار ويستجيب لها استجابات انفعالية وسلوكية حيث ينظر الفرد الى موقف الامتحان علي أنه موقف تهديد كما يري "سارأسون" Sarason (١١) .

وبناء علي ماتقدم يمكن القول: إن قلق الاختبار نوع من أنواع القلق العام، حيث يتضمن مجموعة الاستجابات وردود الفعل الفيزيولوجية، والانفعالية، والسلوكية المتعلقة بالاهتمام أو الانشغال والخوف من الفشل في موقف

الاختبار.

وفي دراسة لمعرفة العلاقة بين القلق والأداء علي الاختبارات قامت "لويس، تايلر" Lewis&Taylor بدراسة للكشف عن الصلة بين القلق وبين تفضيل الاستجابات المتطرفة وقد وجدا أن من يحصلون علي درجات عالية علي مقياس القلق يميلون إلي اختيار الاستجابات المتطرفة (مثل أحب جدا وأبغض جدا) وذلك علي اختبار رد الفعل الإدراكي، أما ذوي الدرجات المنخفضة علي مقياس القلق فإنهم أقل في اختيار الاستجابات المتطرفة(١٢) .

كما ظهر من دراسة العلاقة بين قلق الاختبار والذكاء والتحصيل الدراسي أن التغيرات في مستوي قلق الاختبار تؤدي إلي تغيرات في النتائج علي اختبارات الذكاء، أي أن الزيادة أو النقصان في مستوي قلق الاختبار يتبعها نقصان أو زيادة في درجة الفرد علي اختبار الذكاء (١٣) (Hill &Sarason,1966; Sarason,1964)

هناك ارتباط سالب بين قلق الاختبارودرجات التحصيل الدراسي، ويرتفع حجم هذا الارتباط عبر سنوات الدراسة في المرحلة الابتدائية، كما أن حجم هذا الارتباط السالب له المستوي ذاته بالنسبة للبنين والبنات كما يذكر "ساراسون" (١٤).

وفي محاولة لإرجاع الآثار والنتائج المترتبة علي قلق الاختبار إلي أصولها ومسبباتها الأساسية وجد "موريس، ليبرت" Liebert & Morris أن هذه الآثار مردها توزع الانتباه لدي الفرد وتشتته بين حسن الأداء (الاجابة) علي الاختبار وبين المظاهر الفيزيولوجية المصاحبة للقلق، فبينهما يكون الانتباه مشتتا، وفي تقديرهما أن ذوي الدرجة المرتفعة علي قلق الاختبار يكون اهتمامهم موجها ومرتبطا بهذه الآثار، بينما يكون اهتمامهم أقل بالنسبة للمهمة المعطاة لهم ألا وهي الاختبار(١٥)

يري "هل، إيتون" Hill & Eaton (١٩٧٧) أن لخبرات الفرد في النجاح

أو الفشل دور بارز في جعل بعض الأفراد أكثر تعرضا لقلق الاختبار، ويضيفان أن ذوي القلق المنخفض لهم تاريخ حافل من النجاح ولو النجاح، سواء أكان ذلك في الدرسة أم في أي موقف آخر من مواقف الحياة، مما يوجد لديهم الثقة في التعامل مع الآخرين، ويوجد عندهم دافعية لتحقيق النجاح وليس لتجنب الفشل.

وجد "دكتور، ألتمان"Doctor & Altman أن الطلاب المستهدفين للهم بشكل مرتفع قد حصلوا علي درجات منخفضة في مادة علم النفس، وذلك في الاختبار النهائي، أما من كانوا أقل في الاستهداف للهم فإنهم حصلوا علي درجات عالية(١٧).

ومن ناحية أخري وجدت الكحيمي (١٩٨٥) في دراستها علي طالبات المرحلة الثانوية أن التحصيل الدراسي يزيد بارتفاع درجة القلق، وتصل درجة التحصيل إلي أقصاها عندماتصل درجة القلق إلي ٢٤، أو ٢٥ درجة، إلا أن مستوي التحصيل الدراسي يبدأ في الانخفاض التدريجي كلما ارتفعت درجة القلق، إلي أن يصل التحصيل إلي حده الأدني، وذلك عند درجة قلق تساوي ٥٠ .وما ذلك إلا فكرة الارتباط المنحنيCurvilinear ، وهو- في هذا المجال- أحد تطبيقات قانون "يركس-دودسون"Yerks-Dodson(١٨) .

أما الطريري(١٩٨٤) Altrairy فقد وجد أن كلا من : الجامعة التي ينتمي لها الطالب، ومستواه الدراسي، وكذلك العبء الدراسي للطالب ليس لها علاقة جوهرية إحصائيا بمستوي القلق عند الطلبة، أما التخصص الدراسي فقد تبين أنه ذو علاقة دالة بمستوي القلق، إذ تبين أن ذوي التخصصات الأدبية أكثر عرضه لقلق الاختبار من زملائهم ذوي التخصصات العلمية. كذلك تبين من دراسة الطريري أن قلق الاختبار، التخصص، المستوي الدراسي، العبء الدراسي، الجامعة التي ينتمي لها الطالب كلها متغيرات ذات علاقة دالة بالتحصيل الدراسي كما عبر عنه من خلال المعدل التراكمي(١٩) .

هدف الدراسة

الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو محاولة الخروج ببعض الإجابات على التساؤلات ذات العلاقة بقلق الاختبار وبعض المتغيرات الأخرى لدى طالبات الجامعة، والمؤمل أن هذه الدراسة من خلال نتائجها تسهم في بعض الإضافات في هذا المجال الحيوي، كما يؤمل أن يكون مردود الدراسة مفيدا في ميدان التربية والتعليم.

فروض الدراسة

أخذا في الاعتبار للنقاط التي تم إثارتها في الجزء الخاص بفكرة الدراسة، بالإضافة إلى الدراسات السابقة تم صياغة فروض الدراسة على النحو التالي :-

(١) ليس هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي لدى طالبات الجامعة.

(٢) لاتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبار لديهن.

(٣) لاتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات التخصصات المختلفة فيما يتعلق بقلق الإختبارات لديهن.

(٤) ليس هناك تداخل ذو دلالة إحصائية بين المستوى الدراسي والتخصص في تأثيرهما على مستوى قلق الاختبار.

(٥) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي.

(٦) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات التخصصات المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي.

(٧) ليس هناك تداخل ذو دلالة إحصائية بين المستوى الدراسي والتخصص في تأثيرهما على المعدل التراكمي للطالبات

أداة الدراسة

سبق للباحث أن طور أداة لقياس قلق الاختبار لدي طلاب الجامعة الذكور في المملكة العربية السعودية، وقد تحقق من خلال تلك الدراسة من صدق الأداة وثباتها، وذلك نتيجة الدراسة الاستطلاعية والأساسية، حيث بلغ الثبات ٩٠ر. وذلك باستخدام معادلة ألفا، أما الصدق التلازمي بين هذه الأداة وقائمة "سبيلبرجر" Spielberger لقلق الاختبار فوجد أن معامل الارتباط بين الأداتين ٧٤ر.(٢٠). وفي هذه الدراسة التي نعرض لها هنا، أراد الباحث أن يتأكد من صلاحية الأداة علي عينة من الطالبات، وذلك من حيث صدقها وثباتها، حيث تم استخراج معامل الارتباط بين درجة كل بند من بنود الأداة والدرجة الكلية.وبين جدول(١) أن جميع معاملات الارتباط لكل البنود دالة عند مستوي دلالة ٠٥ر.

وتؤكد هذه النتائج الواردة في جدول (١) مدي الاتساق ووحدة الهدف الذي يجمع بين هذه البنود، مما يؤكد صدق الأداة في قياس قلق الاختبار. وبما أن الأداة تتكون من ثلاثة أبعاد فقد تم حساب معاملات الارتباط بين درجات البنود المكونة للبعد والدرجة الكلية علي ذلك البعد. ويبين جدول (٢) أن جميع معاملات الارتباط بين بنود الأبعاد ودرجاتها الكلية دالة عند مستوي ٠١ر.

جـــدول (١)

معاملات الارتباط* بين الدرجة على البند والدرجة الكلية للأداة (ن = ١٤٨)

البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط
١	٠ر٤٥	١٢	٠ر٥٩	٢٣	٠ر٢٧
٢	٠ر٦٣	١٣	٠ر٦٨	٢٤	٠ر٢٧
٣	٠ر٦٣	١٤	٠ر٤٢	٢٥	٠ر٦٤
٤	٠ر٥٩	١٥	٠ر٥٧	٢٦	٠ر٦١
٥	٠ر٧٢	١٦	٠ر٥٠	٢٧	٠ر٦٩
٦	٠ر٤٧	١٧	٠ر٤٠	٢٨	٠ر٥٩
٧	٠ر٤٧	١٨	٠ر٤٦	٢٩	٠ر٥٣
٨	٠ر٥١	١٩	٠ر٦٢	٣٠	٠ر١٩
٩	٠ر٢٧	٢٠	٠ر٧٠	٣١	٠ر٤٠
١٠	٠ر٦٥	٢١	٠ر٥٩	٣٢	٠ر١٩
١١	٠ر٢١	٢٢	٠ر٥٣		

* يصبح معامل الارتباط دالا إحصائيا إذا كان ≤ ٠ر١٩٠

جدول (٢)

معاملات الارتباط* بين درجات البنود والدرجات الكلية للأبعاد

(ن = ١٤٨)

بعد الظاهر الفيزيولوجية		بعد الأفكار والآراء الطارئة		بعد أهمية الاختبار واستعداد الفرد له	
البند	معامل الإرتباط	البند	معامل الإرتباط	البند	معامل الإرتباط
٩	٠ر٤٢	٢	٠ر٦٤	١	٠ر٤٧
١١	٠ر٣٩	٥	٠ر٧٥	٣	٠ر٦٢
١٢	٠ر٥٦	١٠	٠ر٦٦	٤	٠ر٦٣
١٩	٠ر٦٥	١٤	٠ر٥٣	٧	٠ر٥٠
٢١	٠ر٦٢	٢٢	٠ر٥٥	٨	٠ر٥٤
٢٣	٠ر٤٧	٢٤	٠ر٨٣	١٣	٠ر٧٠
٣١	٠ر٥٦	٢٥	٠ر٦٥	١٥	٠ر٦٠
٣٢	٠ر٢٥	٢٧	٠ر٧١	١٦	٠ر٥٥
		٢٨	٠ر٦١	١٧	٠ر٤٤
		٢٩	٠ر٦١	١٨	٠ر٦٢
				٢٠	٠ر٦٧

*يصبح معامل الارتباط دال إحصائيا إذا كان ≤ ٠ر٢٥

ويتضمن البعد الأول والمتعلق بالمظاهر الفيزيولوجية الناتجة عن القلق ثمانية بنود، أما البعد الثاني فيحتوي علي عشرة بنود ، ويتناول هذا البعد الأفكار والآراء الطارئة والمتدخلة في أداء الفرد للاختبار. أما البعد الثالث فهو يعني بأهمية الاختبار واستعداد الفرد بالنسبة له ، ويحوي أحد عشر بندا انظر أرقام هذه البنود في جدول (٢) .

كما تم حساب معاملات الارتباط بين الأبعاد مع بعضها بعضا وكذلك بين كل بعد مستقل والدرجة الكلية للمقياس. ويبين الجدول(٣) أن كل معاملات الارتباط دالة عند مستوي ٠١ر. وتؤكد هذه النتائج مرة أخرى مدى تعلق الأبعاد ببعضها، وتكوينها الأداة بصورتها الكاملة، والتي وضعت لقياس هذه الظاهرة النفسية المسماة بقلق الاختبار، في حين أن معاملات الارتباط بين الأبعاد بعضها مع بعض أقل من ارتباطها بالدرجة الكلية برغم دلالتها عند مستوي ٠١ر، ويؤكد ذلك خصوصية الأبعاد وتميزها في تناول مكونات خاصة من قلق الاختبار.

جدول (٣)

مصفوفة الارتباط بين الأبعاد والدرجة الكلية لمقياس قلق الأختبار

(ن = ١٤٨)

	الدرجة	البعد الأول	البعد الثاني	البعد الثالث
الدرجة الكلية	-	-	-	-
البعد الأول	٠٨٠ر.	-	-	-
البعد الثاني	٠٩٤ر.	٠٦٧ر.	-	-
البعد الثالث	٠٩٢ر.	٠٦٥ر.	٠٧٩ر.	-

وقد تم حساب معامل ثبات الأداة بطريقتي كرونباك (معامل ألفا Alpha Coefficient والتجزئة النصفية (جتمان Guttman) حيث بلغ معامل الثبات بطريقة كرونباك ألفا ٨٥ر. ، أما بطريقة جتمان فقد بلغ ٨٧ر. وهذه النتائج تؤكد أن الأداة ذات ثبات عال،مما يجعلنا نطمئن لاستخدامها لقياس قلق الاختبار بالنسبة للطالبات، كما تم الأمر ذاته قبل ذلك بالنسبة للطلبة السعوديين (Altrairy, 1984) .

عينة الدراسة

تم إجراء هذه الدراسة علي عينة قوامها ١٤٨ طالبة من مركز الطالبات بعليشة والتابع لجامعة الملك سعود بالرياض. وشملت العينة طالبات من مجموعة من التخصصات مثل: علم الاجتماع، اللغة العربية، التاريخ والجغرافيا، بالإضافة إلي تخصص التربية . كذلك اشتملت العينة علي طالبات من مختلف المستويات الدراسية من المستوى الأول حتي الرابع. هذا وقد تم تطبيق الأداة وكذلك استمارة المعلومات العامة من قبل بعض الأستاذات والمحاضرات بقسم علم النفس بالمركز . ويبين جدول(٤) توزيع أفراد العينة حسب التخصص والمستوي الدراسي.

حدود الدراسة

نتائج هذه الدراسة محددة بحجم العينة ومواصفاتها، إذ لا يمكن أن تعمم النتائج علي كل الطالبات الجامعيات في المملكة ، لأن العينة كانت مستمدة من جامعة الملك سعود فقط، وكذلك لم تشتمل العينة علي كل التخصصات الدراسية في الجامعة، وعليه ستكون النتائج صالحة ومفيدة ضمن نطاق الطالبات لجامعة الملك سعود.

جدول (٤)

توزيع افراد العينة حسب التخصصات والمستويات الدراسية

		التكرار
التخصص	١ - عربي	١٤
	٢ - علم اجتماع وخدمة إجتماعية	١٠٠
	٣ - تاريخ وجغرافيا	١٢
	٤ - تربية	٢٢
المجمـــوع		١٤٨
المستوى الدراسي	١ - الأول	٥٣
	٢ - الثاني	٥١
	٣ - الثالث	٢٦
	٤ - الرابع	١٨
المجمـــوع		١٤٨

الأساليب الاحصائية

استخدمت معاملات الارتباط (بيرسون)، وكذلك استخدم تحليل التباين الأحادي والمزدوج بالإضافة إلى استخدام اختبارScheffe لمعرفة الفروق بين المجموعات وترتيبها.

نتائج الدراسة

انطلاقا من الفروض التي تم طرحها فيما تقدم استخدمت الأساليب الإحصائية التي تمكن من اختبار تلك الفروض . وتبين الجداول من ٥ إلي ١٠ نتائج الدراسة والبيانات الواردة في جدول (٥) تعطينا صورة وصفية عامة لملامح العينة فيما يتعلق بمتغيري قلق الاختبار والتحصيل الدراسي ممثلا بالمعدل التراكمي. ويتبين من الجدول أن أعلي درجة حصل عليها من قبل أفراد العينة كانت ١٤٨، علي حين كانت أدني درجة هي ٤٦، والمتوسط ٩٣٫٦٩ والانحراف المعيارى ٢١٫٩٧ وذلك فيما يخص متغير قلق الاختبار. أما فيما يخص المعدل التراكمي فكانت أعلي قيمة ٤٫٧٩، علي حين كانت أدني قيمة ١٫٣٢ أما المتوسط فهو ٣٫١٦ والانحراف المعيارى كان ٠٫٧٢. ويتضح من هذه النتائج أنه لم يكن من بين أفراد العينة من حصل علي أعلي درجة في المقياس وهي (١٦٠)، وكذلك لم يكن هناك من حصل علي أدني درجة وهي (٣٢)، وذلك فيما يخص قلق الاختبار. أما وضع أفراد العينة علي متغير المعدل التراكمي فلا يوجد من حصل علي أعلي قيمة (٥)، إلا أنه يوجد من حصل علي أقل من الحد الأدني لطالبات الجامعة، إذ حصلت طالبة علي معدل تراكمي مقداره ١٫٣٢، وهذا أقل بكثير من الحد الأدني المسموح به كمعدل تراكمي يسمح للطلاب بالاستمرار في الجامعة.

جدول (٥)

بيان بالمتوسط ، والانحراف المعياري، وأدني وأعلى درجة للعينة في متغيرى القلق والمعدل التراكمي(ن = ١٤٨)

المتغير	المتوسط	الانحراف المعيارى	أدني الدرجات	أعلي الدرجات
قلق الاختبارات	٩٣٫٦٩	٢١٫٩٧	٤٦	١٤٨
المعدل التراكمي	٣٫١٦	٠٫٧٢	١٫٣٢	٤٫٧٩

ولاختبار صحة الفرض الأول في هذه الدراسة والذى ينص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي عند طالبات الجامعة تبين من النتائج الواردة في جدول(٦) أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٢ بلغت قيمتها - ٠,١٧ وهذا الارتباط سالب ويدل على أن الزيادة في مستوى قلق الاختبار عند الطالبات يؤدى إلى انخفاض المعدل التراكمي، أى أن العلاقة عكسية فاذا، زاد القلق قل المعدل التراكمي، وإذا قل مستوى القلق ارتفع المعدل التراكمي.

جدول (٦)

معامل الارتباط بين قلق الاختبار والمعدل التراكمى

عدد أفراد العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١٤٨	- ٠,١٧	٠,٠٢

وعليه يتم رفض الفرض الصفرى وقبول الفرض البديل أي أن هناك ارتباطا ذا دلالة إحصائية بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي لدى الطالبات الجامعيات.

أما، باختبار الفرض الثاني والقاضي بأنه لاتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبار فقد تبين من النتائج الواردة في جدول(٧) أن الفروق دالة إحصائيا بين متوسطات قلق الطالبات في التخصصات المختلفة، إذ إن قيمة معامل "ف" بلغت ٢,٦٦، وهي قيمة دالة عند مستوى ٠,٠٥، وعليه يتم رفض الفرض الصفري الخاص بهذه

النتيجة وقبول الفرض البديل، أي أن هذا الفرق لا يمكن أن يعزى إلي الأخطاء العشوائية.

وباختبار الفرض الثالث والذى ينص علي أنه لا فروق ذات دلالة إحصائية بين ذوات التخصصات المختلفة في مستوى القلق لديهن فقد تبين من النتائج الواردة في الجدول(٧) أن قيمة معامل "ف" ٨٥ر٠، وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ٠٥ر٠ وعليه يتم قبول الفرض الصفرى. كذلك بدراسة النتائج الواردة في الجدول(٧) والخاصة بالفرض الرابع والذى ينص علي أنه لا يوجد تفاعل ذو دلالة إحصائية بين المستوي الدراسي والتخصص في تأثيرهما علي مستوى قلق الاختبار تبين أن قيمة نسبة "ف" تساوي ٦٤ر١، وهذه القيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ٠٥ر٠ وعليه يجب قبول الفرض الصفرى.

جدول (٧)

تحليل تباين قلق الاختبار بالنسبة للمستوى الدراسي

والتخصص والتفاعل بينهما(ن = ١٤٨)

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	معامل"ف"
المستوى الدراسي	٣	٣٦٣٩ر٦٥	١٢١٣ر٢٢	٢ر٦٦
التخصص	٣	١١٥٧ر٣٧	٣٨٥ر٧٩	٨٥ر٠
العلاقة بين متغير المستوى الدراسي التخصص	٧	٥٢٣٤ر٨٠	٧٤٧ر٨٣	١ر٦٤
الخطأ	١٣٤	٦١٠٩٦ر٤٨	٤٥٥ر٩٤	
المجموع	١٤٧	٧٠٩٣٣ر٧٠	٤٨٢ر٥٤	

* ذات دلالة عند مستوى ٠٥ر٠

وإزاء قيمة نسبة "ف" (٢,٦٦) ذات الدلالة الإحصائية والمتعلقة بفرض الدراسة الثاني يلزم الأمر استخدام اختبارScheffe لمعرفة ترتيب طالبات المستويات الدراسية المختلفة من حيث مستوى القلق لديهن. وقد تبين من الجدول (٨) أن مجموعة طالبات المستوى الأول حصلن على أعلى متوسط في قلق الاختبار، ثم تليهن مجموعة المستوي الثاني بفارق قدره سبع درجات، ثم يأتي بعد ذلك مجموعة المستوي الدراسي الثالث، ثم مجموعة المستوى الدراسي الرابع، إلاأن الفرق بين مجموعتي المستوي الدراسي الثالث والرابع لايكاد يذكر. أما الفرق بينهما معا وبين مجموعة المستوى الدراسي الثاني فيصل إلي ٥ درجات. ويتضح من هذه النتيجة أن مجموعة المستوي الدراسي الأول هي أكثر المجموعات تعرضا لقلق الاختبار، وقد يكون السبب في ذلك قلة خبرة مجموعة المستوي الأول، وكذلك اختلاف النظام الجامعي عن النظام في التعليم العام. أما انخفاض مستوى القلق عند مجموعة المستوي الدراسي الرابع فقد يكون مرتبطا بالفتهم للنظام الجامعي وتعودهم عليه واكتساب الخبرة الكافية لمواجهة مثيرات القلق الخاصة بالاختبارات.

جدول (٨)

بيان ترتيب مجموعات المستويات الدراسية المختلفة
حسب متوسطات قلق الاختبار

المجموعة	المتوسط
المستوي الدراسي الرابع	٨٧,٦٧
المستوي الدراسي الثالث	٨٧,٩٢
المستوي الدراسي الثاني	٩٢,٥٩
المستوي الدراسي الأول	٩٩,٦٢

وفيما يختص بالفروض الخامس والسادس والسابع والتي وردت النتائج المتعلقة بها في الجدول(٩)، فيتضح من النتائج الخاصة بالفرض الخامس أن معامل "ف" (٢٫٨٩) دال إحصائيا عند مستوي ٠٫٠٥. وهذا بعكس الفرض، والذي ينص علي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي. وعليه يتم رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل، أى أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بمعدلهن التراكمي.

جدول (٩)

تحليل تباين المعدل التراكمي بالنسبة للمستوي الدراسي والتخصص(ن = ١٤٨)

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	معامل"ف"
المستوى الدراسي	٣	٤٫٣٣	٤٤ر	٢٫٨٩ *
التخصص	٣	٢٫٠٢	٠٫٦٧	١٫٣٤
التفاعل بين متغيرالمستوى الدراسي والتخصص	٧	٤٫٢٨	٠٫٦١	١٫٢٢
الخطا	١٣٤	٦٧٫٠٣	٠٫٥٠	
المجموع	١٤٧	٧٧٫١٦	٠٫٥٣	

* ذات دلالة عند مستوى ٠٫٠٥

وباستقصاء النتائج الخاصة بالفرض السادس والذى ينص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات التخصصات المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي فقد تبين من الجدول(٩) أن معامل "ف" (٤٣ر١) غير دال إحصائيا عند مستوى ٠٥ر٠، وعليه يتم قبول الفرض الصفري أى أن الفروق بين طالبات التخصصات المختلفة في معدلهن التراكمي بسيطة ولايمكن النظر إليها على أنها دالة

وبالمضي قدما في اختبار صحة فروض الدراسة نجد أن الفرض السابع والأخير والذي مفاده أنه ليس هناك تداخل ذا دلالة إحصائية بين المستوي الدراسي والتخصص في تأثيرهما على المعدل التراكمي للطالبات، قد تأكد وتم قبوله أي أن أثر المستويات الدراسية المختلفة على المعدل التراكمي لا يختلف باختلاف التخصص وكذلك يمكن القول أيضا بأن أثر التخصص الدراسي – مهما اختلف – على المعدل التراكمي لا يختلف باختلاف المستويات الدراسية، وذلك كما يتضح من قيمة "ف"(١،٢٢) غير الدالة إحصائيا.

وحول قيمة "ف" (٢ر٨٩) ذات الدلالة الإحصائية والخاصة بفرض الدراسة الخامس، يلزم الأمر استخدام اختبارScheffe لتحديد جهة الفروق في متوسطات المعدل التراكمي لصالح أية مجموعة من مجموعات المستويات الدراسية. وبالرجوع إلي جدول(١٠) يتضح أن أقل المجموعات من حيث المعدل التراكمي هي مجموعة المستوي الدراسي الثالث، يليها مجموعة المستوي الدراسي الأول، ثم مجموعة المستوي الدراسي الثاني، أما مجموعة المستوي الدراسي الرابع فمتوسطها يعد أعلي متوسط بين المجموعات، ولعله من خلال هذه النتيجة يكون من المفهوم ارتفاع المعدل التراكمي عند مجموعة المستوي الرابع إذ إن هذه النتيجة تتفق أيضا مع انخفاض مستوي قلق الاختبار عند المجموعة ذاتها، وهذا أمر متوقع إذ إن معامل الارتباط بين المتغيرين كان سلبيا وذا دلالة، أي أن ارتفاع القلق عند الطلاب يصاحبه انخفاض في التحصيل الدراسي (المعدل التراكمي) والعكس صحيح، وينطبق ذلك علي مجموعة المستوي الدراسي الأول والثاني، إلا أن مجموعة المستوي الدراسي الثالث تشذ عن هذاالاتجاه فنري أنها أقل المجموعات في المعدل التراكمي، وكذلك تحتل المرتبة الثالثة في مستوي قلق الاختبارات، أي أنه ينطبق علي هذه المجموعة عكس ما ينطبق علي

المجموعات الثلاث، فانخفاض مستوي القلق صاحبه انخفاض في المعدل التراكمي.

جدول (١٠)

بيان ترتيب مجموعات المستويات الدراسية المختلفة

حسب متوسطات المعدل التراكمي

المجموعة	المعدل التراكمي
المستوى الدراسي الثالث	٢٫٩٩
المستوى الدراسي الأول	٣٫١١
المستوى الدراسي الثاني	٣٫١٤
المستوى الدراسي الرابع	٣٫٥٧

ويعرض الجدول (١١) المعايير التي تم استخدامها لهذه المجموعة الطلابية من طالبات جامعة الملك سعود، حيث يتضمن الجدول الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية، ويتبين من الجدول أن أدني درجة من الممكن الحصول عليها في مقياس القلق هي ٣٢ درجة خام ويقابلها درجة تائية ٢٠٫٨٢، أما أعلي درجة خام ممكن الحصول عليها فهي ١٦٠ درجة ويقابلها درجة تائية تساوي ٨٠٫٧٠ . وإذا أخذنا في الاعتبار أن متوسط الدرجات الخام ٩٣٫٦٩ والانحراف المعياري ٢١٫٩٧، فانه يمكن القول بأن الدرجة التي تعلو المتوسط بانحرافين معياريين يمكن اعتبارها مرتفعة ومشيرة إلي مستوي القلق المرتفع، أما الدرجة التي تقل عن المتوسط بانحرافين معياريين فإنه يمكن اعتبارها منخفضة وتدل علي انخفاض مستوي القلق عند الطالبات.

جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية لطالبات

جامعة الملك سعود فى مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
٣٢	٢٠٫٨٢	٤٦	٢٧٫٣٧
٣٣	٢١٫٢٩	٤٧	٢٧٫٨٤
٣٤	٢١٫٧٦	٤٨	٢٨٫٣١
٣٥	٢٢٫٢٢	٤٩	٢٨٫٧٧
٣٦	٢٢٫٦٩	٥٠	٢٩٫٢٤
٣٧	٢٣٫١٦	٥١	٢٩٫٧١
٣٨	٢٣٫٦٣	٥٢	٣٠٫١٨
٣٩	٢٤٫١	٥٣	٣٠٫٦٠
٤٠	٢٤٫٥٦	٥٤	٣١٫١١
٤١	٢٥٫٢٧	٥٥	٣١٫٥٨
٤٢	٢٥٫٥٠	٥٦	٣٢٫٠٥
٤٣	٢٥٫٩٧	٥٧	٣٢٫٥٢
٤٤	٢٦٫٤٤	٥٨	٣٢٫٩٨
٤٥	٢٦٫٩٠	٥٩	٣٣٫٤٥

تابع جدول (١١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية لطالبات

جامعة الملك سعود فى مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
٦٠	٣٣٫٩٢	٧٤	٤٠٫٤٧
٦١	٣٤٫٣٩	٧٥	٤٠٫٩٤
٦٢	٣٤٫٨٥	٧٦	٤١٫٤٠
٦٣	٣٥٫٣٢	٧٧	٤١٫٨٧
٦٤	٣٥٫٧٩	٧٨	٤٢٫٣٤
٦٥	٣٦٫٢٦	٧٩	٤٢٫٨١
٦٦	٣٦٫٧٣	٨٠	٤٣٫٢٧
٦٧	٣٦٫١٩	٨١	٤٣٫٧٤
٦٨	٣٧٫٦٦	٨٢	٤٤٫٢١
٦٩	٣٨٫١٣	٨٣	٤٤٫٦٨
٧٠	٣٨٫٦٠	٨٤	٤٥٫١٤
٧١	٣٩٫٠٦	٨٥	٤٥٫٦١
٧٢	٣٩٫٥٢	٨٦	٤٦٫٨٥
٧٣	٤٠٫٠٠	٨٧	٤٦٫٥٥

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية لطالبات

جامعة الملك سعود فى مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
٨٨	٤٧٫٠٢	١٠٢	٥٣٫٥٦
٨٩	٤٧٫٤٨	١٠٣	٥٤٫٠٣
٩٠	٤٧٫٩٥	١٠٤	٥٤٫٥٠
٩١	٤٨٫٤٢	١٠٥	٥٤٫٩٧
٩٢	٤٨٫٨٩	١٠٦	٥٥٫٤٣
٩٣	٤٩٫٣٥	١٠٧	٥٥٫٩٠
٩٤	٤٩٫٨٢	١٠٨	٥٦٫٣٧
٩٥	٥٠٫٢٩	١٠٩	٥٦٫٨٤
٩٦	٥٠٫٧٦	١١٠	٥٧٫٣١
٩٧	٥١٫٢٣	١١١	٥٧٫٧٧
٩٨	٥١٫٦٩	١١٢	٥٨٫٢٤
٩٩	٥٢٫١٦	١١٣	٥٨٫٧١
١٠٠	٥٢٫٦٣	١١٤	٥٩٫١٨
١٠١	٥٣٫١٠	١١٥	٥٩٫٦٤

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية لطالبات

جامعة الملك سعود في مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
١١٦	٦٠٫١١	١٣٠	٦٦٫٦٦
١١٧	٦٠٫٥٨	١٣١	٦٧٫١٣
١١٨	٦١٫٠٥	١٣٢	٦٧٫٦٠
١١٩	٦١٫٥٢	١٣٣	٦٨٫٠٦
١٢٠	٦١٫٩٨	١٣٤	٦٨٫٥٣
١٢١	٦٢٫٤٥	١٣٥	٦٩٫٠٠
١٢٢	٦٢٫٩٢	١٣٦	٦٩٫٤٧
١٢٣	٦٣٫٣٩	١٣٧	٦٩٫٩٣
١٢٤	٦٣٫٨٥	١٣٨	٧٠٫٤٠
١٢٥	٦٤٫٣٢	١٣٩	٧٠٫٨٧
١٢٦	٦٤٫٧٩	١٤٠	٧١٫٣٤
١٢٧	٦٥٫٢٦	١٤١	٧١٫٨١
١٢٨	٦٥٫٧٢	١٤٢	٧٢٫٢٧
١٢٩	٦٦٫١٩	١٤٣	٧٢٫٧٤

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية لطالبات

جامعة الملك سعود في مقياس قلق الاختبار

خام	ت
١٤٤	٧٣,٢١
١٤٥	٧٣,٦٨
١٤٦	٧٤,١٤
١٤٧	٧٤,٦١
١٤٨	٧٥,٠٨٤
١٤٩	٧٥,٥٥
١٥٠	٧٦,٠١
١٥١	٧٦,٤٨
١٥٢	٧٦,٩١
١٥٣	٧٧,٤٢
١٥٤	٧٧,٨٩
١٥٥	٧٨,٣٥
١٥٦	٧٨,٨٢
١٥٧	٧٩,٢٩
١٥٨	٧٩,٧٦
١٥٩	٨٠,٢٢
١٦٠	٨٠,٦٩

مناقشـــة واستنتاجـات

يؤكد الارتباط السالب الذي تم التوصل إليه من بين نتائج هذه الدراسة والخاص بالفرض الأول، الاتجاه العام للقيمة والمردود العملي للقلق على مستوي الفرد، من حيث كونه دافعا مهما إلا أنه قد يفقد قيمته وفائدته ويتحول إلي قوة محبطة أو دافع هدام، حيث يتبين من النتائج أن زيادة القلق يتبعها انخفاض في مستوي التحصيل الدراسي كما عبر عنه من خلال المعدل التراكمي، وكذلك الانخفاض في مستوي القلق يتبعه ارتفاع وتحسن في مستوي التحصيل، تتفق مع ماتوصل إليه"دكتور ، ألتمان"& Doctor Altman (٢١). وكذلك نتيجة الكحيمي (٢٢)، إلا أننا يجب أن نكون حذرين فلا نأخذ هذه النتيجة علي ظاهرها، إذ إن الانخفاض الشديد في مستوي القلق قد يترتب عليه انخفاض في مستوي التحصيل، وذلك لافتقاد الدافعية المحركة للطالب لكي يعمل وينجز مايراد منه إنجازه، وبمعني آخر يمكن أن نقول: إن القلق مطلب أساسي ولكن بمستوي معين، فإذا تجاوز هذا المستوي فقد قيمته وبدأت آثاره السلبية. وما ذلك إلا أحد تطبيقات قانون " ييركس ، دودســـون".

أما بخصوص الفروق الدالة إحصائيا في مستوي القلق بين الطالبات في المستويات الدراسية المختلفة فهذا متوقع، ولاسيما إذا عرفنا أن هذه الفروق جاءت بشكل متدرج بين المستويات الدراسية الأربعة، حيث وجد أن الطالبات في المستوي الدراسي الأول هن الأعلي قلقاً، يليهن طالبات المستوي الدراسي الثاني، فطالبات المستوي الدراسي الثالث، ثم طالبات المستوي الدراسي الرابع، والأخيرة أقل مجموعة من حيث مستوي القلق إذ إن هذا التدرج يتفق مع التدرج في الخبرة المكتسبة و النضج. وتختلف هذه النتيجة مع ماتوصل إليه الطريري (٢٣) علي عينة من طلبة الجامعة الذكور، فلم تستخرج نتائج دالة

إحصائيا، وقد يكون لاجتماع متغير المستوي الدراسي مع متغير الجنس الأثوي دور في ذلك، ولكن لابد من إجراء مزيد من الدراسة في هذا الشأن.

أما النتيجة الخاصة بالتخصص وعلاقته بالقلق فلم تكن دالة وتتعارض هذه النتيجة أيضا مع ما تم التوصل إليه بخصوص طلبة الجامعة الذكور في دراسة الطريري السابق الإشارة إليها، وقد يكون السبب في عدم دلالة الفروق بين ذوات التخصصات الدراسية المختلفة عائدا إلي أن الطالبات المشاركات في هذه الدراسة يصنفن كلهن علي أنهن في نطاق التخصصات الأدبية، أما دراسة الطريري علي الذكور فقد شملت العينة طلبة من كل من التخصصات الأدبية والعلمية.

وفيما يتعلق بنتيجة المستوي الدراسي وعلاقته بالمعدل التراكمي فقد تبين أن هناك فروقا دالة إحصائيا بين ذوات المستويات الدراسية المختلفة لصالح ذوات المستوي الدراسي الرابع، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة الطريري الخاصة بالطلبة الذكور، والتي بينت أن طلبة المستوي الدراسي الرابع أعلي في معدلهم التراكمي. أما فيما يخص التخصص الدراسي ودوره في ظهور فروق في المعدل التراكمي بين ذوي التخصصات الدراسية المختلفة فلم يكن هناك فرق دال إحصائيا بين طالبات التخصصات الدراسية المختلفة في معدلاتهن التراكمية، وتتسق هذه النتيجة مع الفروق في مستوي القلق والراجعة إلي التخصص، فلم تكن هناك فروق دالة بين الطالبات في التخصصات الدراسية المختلفة في القلق.

وباختصار يمكن القول بأن هذا الموضوع في حاجة إلي مزيد من الدراسة والبحث والاستقصاء، مع ضرورة شمول عينات طلابية مختلفة من الجنسين، ومن تخصصات دراسية متنوعة، وكذلك من جامعات مختلفة حتي يتسني للمتخصصين الوقوف علي حقيقة هذه الظاهرة النفسية المهمة، ومن ثم يسهل التعامل معها.

الهوامش

(١) مصطفي غالب (١٩٨٥) تغلب علي القلق. القاهرة. دار مكتبة الهلال، ص ٣٧ .

(٢) مصطفي غالب مرجع سابق، ص ٣٨ .

(٣) مصطفي غالب، مرجع سابق، ص ٦٢ – ٦٨ .

(٤) مصطفي غالب، مرجع سابق، ص ٧٠ .

(٥) مصطفي غالب، مرجع سابق، ص ٧٥ - ٧٧ .

(٦) ديفيد ف . شيهان (١٩٨٨) مرض القلق. ترجمة ، عزت شعلان. الكويت ، عالم المعرفة ، ص ١٧ - ١٨ .

(٧) كمال مرسي (١٩٨٣) علاقة سمة القلق بالعصابية، دراسة نقدية بالتحليل العاملي. مجلة دراسات، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(٨) مصطفي غالب، مرجع سابق، ص ٩٢ .

(٩) أحمد عبد الخالق ،أحمد خيري حافظ (١٩٨٨) حالة القلق وسمة القلق لدي عينات من المملكة العربية السعودية. مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ص ١٨٢ .

(10) Sarason. I.G.(1980) Test anxiety:Theory, research, and applications. Lawrence Erlbaum Associates Publishers.

(11) Sarason. I.G. Ibid, p. 20 .

(12) Lewis, N.A & Taylor, J.A.(1955) Anxiety and extreme response preferences. Educational & Psychological Measurements, 111 - 116.

(13) Sarason. I.G. Ibid. p. 105

(14) Sarason. I.G. Ibid., p. 105.

(15) Liebert, R., & Morris, L.W. (1967) Cognitive and emotional components of test anxiety: A distinction and some initial data. Psychological Reports, 20, 975 - 978 .

(16) Hill, K.T.,& Eaton, W.O.(1977), The interaction of test anxiety and success-failure experiences in determining children's arithmetic performance.Developmental Psychology, 13, 205 - 211.

(17) Doctor, R.M., & Altman, F. (1969) Worry and emotionality as components of test anxiety: Replication and further data.

Psychological Reports, 24, 563 - 568.

(١٨) وجدان الكحيمي(١٩٨٥) دراسة للعلاقة بين مستوي القلق ومستوي التحصيل الدراسي لدي طالبات المرحلة الثانوية. رسالة ماجستير(غير منشورة) ص ١٠٣ . كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(19) Altrairy, A. (1984) Test anxiety and academic performance of Saudi Arabian university students. Unpublished dissertation, Washington State University Pullman, Washington, 38-56.

(20) Altrairy. A. Ibid. p. 83 - 85 .

(21) Doctor, R.M., & Altman, Ibid.

(٢٢) وجدان الكحيمي، مرجع سابق.

(23) Altrairy, A. Ibid.

ملحـــــق

مقياس قلق الاختبـــارات

إعـــداد

د. عبد الرحمن بن سليمان الطريري

قسم علم النفس - كلية التربيـــة

جامعة الملك سعـــود

تعليمات

هذا الاستفتاء يحتوي علي مجموعة من الجمل التي يمكن أن تستخدمها الطالبات في وصف اتجاهاتهن ومشاعرهن نحو الاختبارات. والمطلوب منك هو أن تقرئي كل عبارة بتمعن، ثم تضع علامة(✓) في المكان المناسب الذي يصف مدي صحة العبارة بالنسبة لك. المرجو أن تضع جوابا واحدا لكل جملة .

	أبدا (١)	نادرا (٢)	أحيانا (٣)	غالبا (٤)	دائما (٥)
(١) أنا أتطلع بكل شوق إلى الاختبارات .	( )	( )	( )	( )	( )
(٢) أثناء الاختبار أشعر بالانزعاج.	( )	( )	( )	( )	( )
(٣) أنا أنزعج وأغضب عندما أفكر في الاختبار	( )	( )	( )	( )	( )
(٤) الانتظار لدخول غرفة الاختبار يزيد من قلقي.	( )	( )	( )	( )	( )
(٥) خلال الاختبار أقلق جدا لدرجة أنني أنسى المعلومات .	( )	( )	( )	( )	( )
(٦) ضيق الوقت في الاختبار يجعل درجتي أسوأ من الآخرين.	( )	( )	( )	( )	( )
(٧)كلما زادت أهمية الاختبار كلما عملت أسوأ في الاختبار.	( )	( )	( )	( )	( )
(٨) أنا أهتم معظم الوقت من أجل الاختبار.	( )	( )	( )	( )	( )
(٩) عندما أنتهي من الاختبار أشعر بالتعب الشديد.	( )	( )	( )	( )	( )
(١٠) لا أستطيع التفكير جيدا أثناء الاختبار.	( )	( )	( )	( )	( )
(١١) من السهل إزعاجي وإعاقتي بالأصوات أثناء الاختبار.	( )	( )	( )	( )	( )
(١٢) لا أستطيع النوم ليلة الاختبار.	( )	( )	( )	( )	( )
(١٣) أنزعج كثيرا من المذاكرة للاختبار النهائي .	( )	( )	( )	( )	( )

(١٤) أشعر بالارتباك عندما ينظر
الأستاذ لي أثناء الاختبار. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(١٥) بعد الاختبار أفكر
كثيرا فيما عملته في الاختبار. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(١٦) أحلم أثناء النوم بالاختبارات. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(١٧) أهتم بالاختبارات أكثر من
غيري ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(١٨) الاختبارات بالنسبة لي نجاح
أو فشل في الحياة. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(١٩) أثناء الاختبار تزيد نبضات
قلبي ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٠) كلما أستعد جيدا للاختبار
كلما أزددت ارتباكا. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢١) قبل الاختبار تبدأ بدای
بالارتعاش. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٢) التفكير في عدم الإجابة جيدا
يؤثر علي نتيجتي. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٣) يتصبب العرق مني خلال
الاختبارات ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٤) أرتبك كثيرا أثناء الاختبارات. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٥) خلال الاختبار أفكر في النتائج
المترتبة علي الفشل. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٦) أشعر بالكآبة بعد الاختبارات. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٧) أقلق في الاختبار حتي لو كنت ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )
مستعدا جيدا. ( ) ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٨) مشاعرى أثناء الاختبار تؤثر على نتائجى. ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٢٩) أشعر بالثقة والارتياح أثناء الاختبار. ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٣٠) أهتم لأى نوع من الاختبارات. ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٣١) قبل الاختبارات المهمة أتعرض لارتباك فى المعدة. ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

(٣٢) أتقيأ قبل الاختبار. ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

الهجرة من الريف الى المدينة
الدوافع والتكيف والاثار

دكتور
سعيد فالح الغامدي
استاذ مشارك - قسم الاجتماع
كلية الاداب - جامعة الملك عبد العزيز

مقدمة :

موضوع الهجرة من الموضوعات الجديرة بالدراسة في الوقت الحاضر بعد ان أصبحت ظاهرة التحضر من أهم معالم التغير الاجتماعي ، حيث ان الحياة الحضرية قد سيطرت على مظاهر الحياة بصفة عامة وبين الدول المتقدمة والصناعية بصورة خاصة.

وقد خلقت ظاهرة التحضر ونمو المدن العالمية والعربية العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تهدد حياة سكانها ومستوياتهم المعيشية وذلك من جراء الهجرة المتزايدة والنزوح البشري المستمر من المناطق الريفية والأقاليم البدوية في اتجاه المدن الكبري ومراكز التحضر الجديدة .

بل ان الهجرة الريفية نفسها أدت الى اهمال الأقاليم الريفية لهجر السكان لأراضيهم الزراعية ومناطقهم الرعوية مع الاتجاه نحو المدن حيث فرص العمل المتوفرة والأجور المرتفعة التي خلقتها الحياة والنشاط الاقتصادي والصناعي والتجاري والحرفي وحركة البناء والتعمير التي تشهدها معظم دول العالم خاصة النامية منها .

والمملكة العربية السعودية احدي الدول النامية التي تأثرت بالهجرة الداخلية التي تدخل في نطاقها الهجرة من الريف الى المدن حيث ان المملكة قد شهدت تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة وذلك على اثر العوامل المختلفة التي أتيحت لها وخاصة العوامل الاقتصادية التي تمثل الدعامة الكبري لزيادة موارد الدولة ومضاعفة امكانياتها للانفاق وتخصيص الأرصدة الكبيرة لاعمال التطوير والتحديث خاصة في البنية الأساسية والانشاءات الضخمة ، وقد أدي ذلك الى حدوث حركات سكانية مختلفة من حيث النوع والحجم والطبيعة عما كان سائدا في الماضي . وسوف نخص من هذه الحركات التحرك من الريف الى المدينة ومدي أثره على الحياة في المجتمع السعودي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية .

وتمثل المملكة العربية السعودية مساحة جغرافية واسعة تتكون من العديد من الأقاليم والبيئات المختلفة منها الزراعية ومنها الرعوية وكذلك المناطق الحضرية .

ولقد كانت المملكة العربية السعودية في الفترات الأولى من تاريخها - قبل اكتشاف البترول - تتميز بنشاطات مختلفة اجتماعية واقتصادية حسب المناطق المختلفة من ريفية وبدوية وحضرية ، حيث نجد ان المناطق الريفية تعتمد اعتمادا كليا على الحياة الزراعية باعتبار الزراعة هي المورد الاقتصادي الذي يمكن ان يقوم بتوفير متطلبات الحياة من ملبس ومأكل ومشرب ، وتعتبر الأسرة الممتدة الأساس في القيام على ادارة النشاط الزراعي أو الاقتصادي داخل المناطق الريفية .

أما المناطق البدوية فان سكانها يمارسون نشاط الرعي وتربية المواشي والتنقل من منطقة الى منطقة أخري حسب الظروف المناخية وبحسب توفر المناطق الرعوية التي يمكنهم الاستقرار بها لفترة معينة من الزمن ثم الانتقال الى منطقة أخري . وهذا النشاط الرعوي يعتمد كذلك على الأسرة الممتدة وان كانت أقل حجما من الأسرة الممتدة بالمناطق الريفية التي تتميز بحياة الاستقرار .

أما الحياة الحضرية في الفترات الأولى فلم يكن هناك الا عدد من المدن القليلة التي يتركز فيها العديد من السكان يمارسون بعض النشاطات التجارية والصناعية البسيطة والقيام على خدمة الحجاج، ومن أهم المدن في المنطقة : مكة المكرمة، الطائف ، جدة ، المدينة المنورة ، ولقد كانت الحياة في هذه المدن تتلخ بالحياة البسيطة الغير معقدة نظرا لقلة السكان وعدم وجود الميزات المتوفرة في المدن الحضارية - وذلك من منطلق قلة الموارد الاقتصادية وغيرها مما يساعد على التقدم الاجتماعي أو الحضاري بصفة عامة .

الا انه بعد اكتشاف البترول اتخذت الحياة في المجتمع السعودي اتجاها آخر وتغيرت في الكثير من المجالات الاجتماعية والاقتصادية .. مما ساعد على نمو المملكة وتقدمها في الكثير من المجالات ، حيث أصبحت تعيش عهدا فريدا من

النمو الحضري قل ان يوجد له مثيل في كثير من مدن العالم من حيث السرعة الهائلة التي يمر بها هذا النمو سواء من الناحية التخطيطية أو العمرانية ، اذ تضاعف نمو الكثير من المدن السعودية في عقدين الأخيرين - بشكل خاص - سواء من حيث المساحة أو السكان .

وقد أدي ها النمو الحضاري الى حدوث حركات سكانية مختلفة وقد اختلفت مظاهر هذه الحركات السكانية حسب المراحل الانمائية في المملكة .

ويمكن لنا ان نتناول هذه الحركات السكانية التي عرفتها المملكة على مرحلتين أساسيتين هما [1] : -

المرحلة الأولى ، وقد بدأت مع بداية التطور الاقتصادي الحديث وكان من نتائجها حصول هجرة شبه منتظمه من مختلف الأقاليم المناطق الريفية الى المناطق أو المدن التي سبقت غيرها في التطور كالرياض والمدينة ومكة المكرمة ومناطق انتاج النفط ومراكز التجارة . وكان الدافع الرئيسي لتلك الهجرة هو ارتفاع مستوى المعيشة في المناطق الأكثر تطورا التي اتسعت فيها أسواق العمل بالاضافة الى أسباب أخري اجتماعية وتعليمية وغيرها . وقد اتسمت هذه الهجرة بطابع انتقائي تناول في الغالب فئة الشباب الذكور ممن تراوحت أعمارهم بين ١٨ - ٣٠ سنه .

المرحلة الثانية ، منذ أوائل السبعينات حين تزايد استثمار النفط وتضاعفت أسعاره مما أدي لتزايد عائدات الدولة في المملكة العربية السعودية وأصبح بامكانها تخصيص مبالغ ضخمه للانفاق على البنية الأساسية ومشروعات التنمية في الأقاليم النائية . فتوجهت هذه الأرصدة بشكل رئيسي الى بناء الطرق والانشاءات الحكومية والمرافق العامة والخدمات التعليمية والصحية والاجتماعيه . وقد تركزت هذه المشروعات بطبيعتها في المدن ومراكز الأقاليم ثم امتدت الى المدن الأصغر تدريجيا .

ولذلك يمكن القول ان دوافع الهجرة تعددت واختلطت ولم يعد التوازن الذي كان سائدا بين عدد السكان والموارد المتاحة قائما . وقد أدي هذا التعدد والاختلاط الى تباين الجاهات وأحجام حركات السكان وتعدد الخصائص والمشكلات الناجمة عنها .

وحيث ان موضوع بحثنا هذا يقع تحت نطاق الهجرة الداخلية ، فاننا نجد ان الباحثين قد ميزوا بين أنواع من الهجرة الداخلية ، هي [٢] :

١ - الهجرة من الريف الى الريف .

٢ - الهجرة من الريف الى المدن .

٣ - الهجرة من المدن الى الريف .

٤ - الهجرة داخل أقسام المدينة الواحدة .

٥ - انتقال الأفراد من محل اقامتهم الى محل اقامة آخر .

الا أن أبرز الأنواع وأكثرها شيوعا واستمرارا هو الهجرة من الريف الى المدن .

ولقد جذبت هذه الظاهرة أنظار الباحثين في العالم منذ فترة طويلة وبدأت الدول تدرك الأهمية الكبري لحركات السكان الداخلية وأثر ذلك على السياسات المتبعة ، وكان الاهتمام مركزا على الحد من تدفق المعدمين الى المدن التي تقوي على ايوائهم ، وفي دول العالم النامي لابد ان يعمل المسؤولون على تلافي المشكلات ووضع الخطط اللازمة للحد من هذه الهجرة عندما تزيد عن الحد المطلوب مع مراعاة ان معظم السمات الحضرية في البلاد النامية لاستطيع وضع تغييرات جوهرية في طبيعة العلاقات الشخصية ، والانسانية والنظم الاجتماعية ، خلافا لما هو موجود في المجتمعات الغربية ، الأمر الذي يجعل المفهوم الغربي للهجرة لايتفق مع الواقع في مجتمعاتنا .

أهداف الدراسة :

يمكن حصر أهداف الدراسة فى النقاط الآتية:

١ - معرفة التركيب النوعى والعمري للمهاجرين . وعلاقتهما بالهجرة بشكل عام.

٢ - معرفة عوامل الجذب والطرد للمهاجرين والأسباب والدوافع .

٣ - معرفة الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة من الريف الى المدينة .

٤ - معرفة مدي تكيف وتفاعل المهاجرين الى المدينة مع البيئة الاجتماعية والثقافية الجديدة .

فروض الدراسة :

١ - الفرض الأول : ترتبط دوافع الهجرة بانخفاض المستوي الاجتماعي والاقتصادي للفرد فى المناطق الريفية .

٢ - الفرض الثانى : هناك علاقة بين العمر والنوع للمهاجرين و اختلاف دوافع الهجرة لديهم .

٣ - الفرض الثالث : كلما زادت الهجرة من الريف الى المدينة أدى ذلك الى ظهور الآثار السلبيه على النشاط الاقتصادي فى الريف .

٤ - الفرض الرابع : يرتبط تكيف المهاجر للحياة الاجتماعية فى المدينة ارتباطا عكسيا بقلة صلته بالريف .

بمعنى انه : كلما زادت صلة المهاجر وارتباطه بالريف أدي ذلك الى عدم تكيفه للحياة الاجتماعية .

المنهج والأدوات :

تتبع هذه الدراسة فى خطواتها المنهج التاريخى الذي يفيد فى القاء الضوء على حركة السكان داخل المملكة العربية السعودية والتى بدأت منذ وقت مبكر وان كانت لم تبرز كظاهرة ملفتة للنظر الا منذ ظهور البترول فى البلاد بكميات تجاريه ضخمة منذ نحو ربع قرن من الآن . . وأعنى بهذا دخول المملكة العربية السعودية كمنتج رئيسى للبترول فى الشرق الأوسط وليس بداية وجوده . كما تم الاعتماد على المنهج الوصفى بشكل رئيسى لوصف آثار الهجرة فى منطقتى الدراسة . وكذا وصف المهاجرين وتصنيفهم وفق بعض الأسس التي اعتمدت عليها لابراز بعض خصائص المهاجرين .

أما أدوات الدراسة فقد اقتصرت على الاستبيان الذي تم اختيار أسئلته بعنايه لتخدم أغراض الدراسة ، ولذلك فقد تم اختيار العينة بما يتلائم مع ماذكر . حيث تم توزيع ستين استبيانا فى جامعة الملك عبد العزيز شملت بعض الأساتذه والموظفين والطلاب . بحيث تم توزيعها علي النحو التالى :

(١٠) أساتذة من كلية الآداب والعلوم والاقتصاد والادارة ، (١٠) موظفين من ادارة الجامعة ، (٤٠) طالبا من كلية الآداب . وقد راعينا عند التوزيع على الطلاب افهامهم أن يملأ الاستبيان بواسطة رب الأسرة وليس الطالب نفسه مالم يكن هو رب الأسرة. وتم تحديد العينة من المهاجرين من منطقة الباحة الى مدينة جدة بصرف النظر عن مدة الهجرة . وتم اختيار العينة وفق الآتى :

١ - بالنسبة للأساتذة الذين يعملون فى الكليات الثلاث تم اختيارهم من خلال معرفتى الشخصية بهم وهم الذين ينتمون الى منطقة الباحة وهاجروا منذ مدة للدراسة بالجامعة سواء فى مدينة جدة أو غيرها ثم التحقوا بالعمل فى جامعة الملك عبد العزيز ، وهم يمثلون (٥ر٦٢٪) من مجموع الأساتذة العاملين فى الجامعة الذين ينتمون الى منطقة الباحة .

٢ - الموظفين تم اختيارهم بنسبة (٥٠٪) من مجموع الموظفين الذين ترجع أصولهم الى منطقة الباحة ، وذلك بالاستعانة بقائمة أسماء الموظفين بالجامعة ، وقمت بحصر الموظفين العاملين بادارة الجامعة فقط ليكونوا هم عينة تمثل الموظفين .

٣ - أما الطلاب فقد تم اختيارهم من بين الطلبه المسجلين فى خمس عشرة شعبة لمواد مختلفة وذلك من خلال الألقاب ، اذ أن الأسماء فى كشوف المواد الدراسية تكتب هكذا : الغامدي *. محمد أحمد . وكان المعيار الذي تم الاختيار على أساسه يتمثل فى كون الطالب يقيم مع أسرته فى مدينة جدة ، وبلغ عدد الطلاب المسجلين فى الشعب المشار اليها والمقيمين مع أسرهم (٦٠) طالبا وهم يمثلون (٧٠٪) من مجموع الطلاب المسجلين بكلية الآداب للعام الدراسى ١٤١١ هـ والذين ترجع أصولهم الى منطقة الباحة .

---

* غامد : احدي أكبر قبيلتين فى منطقة الباحه واليها ينتسب أفرادها فيلحق ياء النسب بالاسم كما هو فى هذا الاسم .

المفهومات الأساسية

مفهوم الهجرة :

تمثل الهجرة عاملا من أهم العوامل المؤثرة فى التغير الاجتماعى والاقتصادي الذي يشهده عالم اليوم ، ولقد انصرف كثير من العلماء والدارسين الى الاهتمام بهذه الظاهرة والتعرف على أسبابها ودوافعها والآثار الناتجة عنها ، والسعى الى وضع الحلول المناسبة لتلافى الكثير من مشكلاتها .

والهجرة كعملية سكانية تزايدت معدلاتها فى عالم اليوم على نحو ملحوظ نتيجة لتغير نظام العمل والانتاج فى أغلب مجتمعاته ، من الزراعة الى الصناعة ، ومن نظام فى الانتاج الزراعى أصبح عاجزا عن توفير العمل لجميع السكان الى نظام فى الانتاج يقوم على التصنيع وايجاد فرص العمل لاعداد كبيرة من السكان يسعون دائما الى التنقل أينما وجدت هذه المنشآت الصناعية .

ومن هنا ينظر الى الهجرة باعتبارها علامة بارزة على التغير الاجتماعى طالما كانت عملية التصنيع تصاحبها حركات سكانية من الريف الى الحضر ومن مدينة الى أخري فى نفس البلد ومن مجتمع الى آخر .

وعلى هذا فقد عرفت الهجرة بأنها "عملية انتقال أو تحول أو تغير فيزيقى لفرد أو جماعة من منطقة اعتادوا على الاقامة فيها الى منطقة أخري أو من منطقة الى منطقة أخري داخل حدود مجتمع واحد أو منطقة الى أخري خارج حدود هذا المجتمع . وقد تتم هذه العملية بارادة الفرد أو الجماعة أو بغير ارادتهم وانما باضطرارهم الى ذلك قسرا أو لهدف ، وقد تكون عملية الانتقال والتحول فى المكان المعتاد للاقامة من منطقة الى أخري على نحو دائم أو مؤقت وهكذا .[٣]

وهناك من يعرف الهجرة بأنها "تغيير مكان السكن أو مكان الاقامة الاعتيادي الى مكان جديد ومختلف فهي تعني تغييرا في المحيط جنبا الى جنب مع التغيير في وحدة المسكن - أو بمعنى اخر تغيير دائم لكان الاقامة من بيئة الى بيئة أخري بقصد الاستقرار في البيئة الاجديدة " [٤]

ومن منطلق تعرضنا لمفهوم الهجرة فانه يمكن لنا ان نتناول أو نرسم الحدود الفاصلة بين هذا المفهوم وبعض المفهومات المشابهه له. فالمهاجرين يختلفون عن المتنقلين ، لأن المهاجر الذي يغير مكان اقامته المعتاد من منطقة الى أخري يختلف عن الذين يتنقلون من بيت الى آخر حتى ولو اضطرهم ذلك الى تخطي حدود مجتمعهم . لان نقل مكان الاقامة في حالة الهجرة يترتب عليه بالضرورة نقل حياة الانسان المهاجر برمتها، أما الذي يتنقل بين سكن واخر فقد يظل يمارس حياته كلها في مكان السكن الأول .

وكذلك نجد ان هناك فارقا واضحا بين التنقل الاجتماعي والهجرة ، ذلك ان التنقل الاجتماعي يعتبر من قبيل تغيير المركز الاجتماعي والاقتصادي وربما م هذا التغيير داخل منطقة واحدة في المجتمع دون حاجة الى الانتقال الى منطقة أخري أو هجرة. كما ان الهجرة باعتبارها عملية تغيير فيزيقي في مكان الاقامة المعتاد وبالتالي تغيير جذري في حياة المهاجر تنطوي على عملية تنقل اجتماعي ، لان المهاجر قد يحقق أثناء اقامته في منطقة المهجر مستوى من الحياة الاجتماعية ويصل الى بعض المراكز، ويتمتع بمكانة اجتماعية اقتصادية لم تكن له في المنطقة التي انتقل منها وهجرها وهكذا . [٥]

أنواع الهجرة .

يوجد نوعان من الهجرة - أولهما : الهجرة الداخلية ويقصد بها الانتقال داخل حدود الدولة الواحدة كأن تكون الهجرة من البوادي أو الأرياف الى المدن ، أو من مدن الى أخري .

وثانيهما : الهجرة الخارجية : وهى تعنى الانتقال من دولة الى أخري .

ويمكن القول هنا انه سواء كانت الهجرة داخلية أم خارجية فان الباعث اليها هو رغبة الانسان فى تحسين حالته ورفع مستواه سواء من الناحية الاقتصادية ، أو من الناحية الاجتماعية ، أو الثقافية ، أو غير ذلك ..

ونجد ان هناك تصنيفات أخري للهجرة منها [٦] :

١ - **من حيث الدافع** ، هناك الهجرة الاختيارية يختار الفرد مكان هجرته بنفسه حسب الظروف والأسباب الى تتعلق بأوضاعه الخاصة . وهناك الهجرة القهرية أو الاجبارية والتى تتم عملية الهجرة فيها بصورة اجبارية تحت ضغط الغزاة أو الحكم العسكري أو بسبب التنكيل والتعذيب والتهجير الاجباري فى حالتى الحرب والسلم .

٢ - **من حيث مدة الهجرة** ، هناك الهجرة الموسمية والفصليه حيث يتنقل الأفراد أو العائلات من القري والبادية الى مناطق أخري بسبب ملاءمة الظروف الاقتصادية والمعيشية وتوافر الماء والرعى للماشية ، يعودون بعدها الى مناطقهم الأصلية ، وهناك الهجرة الدائمة أو الطويلة الأمد التى يبتعد فيها الفرد عن موطنه الأصلى لفترات طويلة مع احتمال عدم العودة اليها .

٣ - **من حيث الشكل** ، قد تكون الهجرة فردية على شكل أفراد من أسر وفئات وطبقات وعقائد متباينة في المجتمع يهاجرون لأسباب اقتصادية أو ثقافية أو سياسية لفترات ومسافات طويلة أو قصيرة ، وقد تتخذ الهجرة شكلا جماعيا بصورة جلاء شعب من موطنه أو طائفة دينية أو قبيلة من القبائل بسبب الحروب والاضطهاد والقحط والظروف البيئية كالزلازل والطوفان ، وقد تتم الهجرة الجماعية وفق تخطيط قومى أو دولى بمقتضى اتفاقيات دولية لتبادل قطاعات سكانية بين دولتين أو مجموعات من الدول .

وهناك أنواع أخري من الهجرة مثل : الهجرة الأولية والهجرة الثانوية ، والهجرة الكاملة ، والهجرة الاصطفائية ، والهجرة المحافظة . وان كان يجدر بنا القول هنا بأنها تدخل فى اطار التصنيفات المختلفة للهجرة ضمن اطار تحليلى لأنماط الهجرة ودوافعها واتجاهاتها التى تختلف من دولة الى أخري وقد تتشابه بين مجموعة من الدول .(٧)

والهجرة ظاهرة اجتماعية يترتب عليها الكثير من الآثار الاجتماعية والاقتصادية ومن بينها عملية التكيف الاجتماعى للمهاجرين حتى يمكن أن يتكيفوا مع كل الأنماط السائدة فى المجتمع الذي هاجروا اليه ويمكن ان لايتكيفوا . وهناك نوعان من التحرك الاجتماعى الأول هو الحراك الاجتماعى الأفقى والحراك الرأسى . فالحراك الأفقى هو انتقال الأفراد أو الجماعات من مكان الى آخر وهذا هو مايطلق عليه "الهجرة" أما الحراك الرأسى فلا يندرج تحت مفهوم الهجرة ، حيث أنه عبارة عن انتقال الفرد من طبقة اجتماعية الى أخرى .(٨)

خصائص المهاجرين من الريف الى المدن :

من المترقع بالطبع ان يكون للمهاجرين بعض الخصائص النوعية والعمرية والتعليمية والمهنية والطبيعية وغيرها ، والتى تميزهم عن غير المهاجرين ولذلك كان التعرف على هذه الخصائص لايقل أهمية عن التعرف على حجمهم والتغير فى هذا الحجم ، طالما كانت هذه الدراسة لخصائصهم كافية فى فهم نوعية المهاجرين وبالتالى توقع تكيفهم وتشكلهم مع ظروف المناطق التى ينتقلون اليها ، ولقد دلت الدراسات المتعلقة بخصائص المهاجرين على ان أعلى نسبة للتنقل والهجرة تكون بين صغار العمر أكثر منها بين المتقدمين فى العمر وان الرجال أكثر ميلا الى الهجرة من النساء ، وان الأشخاص الذين تلقوا تعليما متوسطا أو جامعيا أكثر فخرا بالهجرة من غيرهم . وانه تقل فرص الهجرة بين الأشخاص الذين يملكون مشروعات خاصة أو مهن ، لأن عليهم اذا فكروا فى الهجرة ان يكونوا عملاء جدد لمشروعاتهم

ويوفروا الامكانيات اللازمة لاقامة مثل هذه المشروعات . كما ان العاملين الذين يعيشون على مرتبات من وظائفهم يجدون أن من واجبهم التفكير في الهجرة اذا فقدوا هذه الوظائف وهكذا .

والحقيقة ان الكثير من هذه الخصائص تنطبق على المهاجرين في المملكة العربية السعودية ويمكن لنا تحديد بعض خصائص المهاجرين من الريف الى المدن السعودية على النحو التالي : - (٩)

١ - من حيث المهنة .

ان معظم الذين يهجرون الريف والبادية من المزارعين والرعاة الذين يقومون بالأعمال الزراعية التقليدية غير التكنولوجية مثل الحراثه بواسطة الحيوانات . أو الذين يربون الحيوانات ورعى الماشية أو العمل بالأعمال البسيطة كالبناء واقامة الحواجز والعمل على المطاحن التقليدية أو تقطيع الأشجار وغيرها .. اضافة الى العاملين في بعض الصناعات التقليدية .

٢ - من حيث ملكية الأرض .

ترتفع الهجرة بين المزارعين ممن لا يمتلكون الأراضي كالعاملين بالأجرة اليومية أو المناصفه في الناتج مع صاحب الأرض أو الذين تقل لديهم حيازة الأرض بحيث لا تتناسب مع حجم الأسرة الريفية الكبيرة .

وفي الواقع ان الخاصتين السابقتين قد تميزان المهاجرين في بعض المناطق الريفية السعودية . الا انه يمكن القول انها قد لاتعتبر دوافع اضطرارية لترك الريف والاتجاه الى المدن حيث ان السبب قد يعود الى تطلعات أكبر للمهاجر وهو ما سوف نتناوله عند الحديث عن الأسباب والدوافع .

٣ - من حيث العمر والجنس .

ترتفع نسبة الذكور المهاجرين على الاناث، حيث ان التقاليد والقيم

الاسلامية والريفية الغالبه لا تسمح بهجرة الفتاة والمرأة دون محرم . وغالبا ماترتبط حركة الاناث بهجرة الذكور. اما من حيث العمر فقد دلت الدراسات على ان معظم المهاجرين من الريف تتراوح أعمارهم بين ١٨-٣٥ سنة . حيث تكون هذه الفئة أقل ارتباطا بالأرض وأكثر قدرة على الحركة والتكيف والمجازفة فى الابتعاد عن المجتمع الريفى وروابط القرابه

٤ - من حيث الحالة الاجتماعية .

تزداد نسبة المهاجرين العزاب والمطلقين والأرامل أكثر من الفئات الأخري وحتى عندما يتخذ المتزوجون القرار بالنزوح من القرية فأنهم يتركون زوجاتهم وأولادهم فى معظم الحالات عند الأهل والأقارب حتى تتاح لهم فرصة ايجاد العمل وتوفير الايراد الكافى لتأمين المسكن وتأثيثه وتقبل القيم الحضريه . وقد تمتد فترة الهجرة الفردية من سنة الى عدة سنوات تتم خلالها الرحلات المستمرة بين المدن والريف اسبوعيا أو شهريا أو سنويا ريثما تلائم الظروف لهجرة الأسرة وربما الأسرة الممتدة بكل أفرادها بحسب امكانيات المهاجر . وفى أغلب الأحوال فان الانسان الذي هاجر من الريف حتى ولو طالت هجرته قد يعود اليه وان توفرت كل الامكانيات فى الحياة الحضرية . اذ انه من الصعب على الريفى ان يقتلع من المجتمع الذي تأصلت فيه جذوره ولعدة أجيال سابقه .

٥ - الحالة التعليمية .

يمكن القول انه خلال الفترات السابقة من نمو وتطور المملكة لم يكن هناك الكثير من المهاجرين النازحين الى المدن يتمتعون بقدر من التعليم حيث ان الدولة كانت تقبل أي متقدم حتى وان كان لايحمل أي شهادة من أجل العمل فى الشرطة أو قطاع الجيش أو غير ذلك من القطاعات التى استوعبت الاعداد الكثيرة من المهاجرين دون النظر الى الناحية التعليمية وذلك بحسب الظروف السائدة فى حينه ومن أجل السعى الى المشاركة فى ارساء الكثير من مظاهر النشاط العام مع ان

هناك بعض المتعلمين الذين هاجروا الى المدن ولكن كان تعليمهم يمتاز بطابعه الغير رسمي بعكس ماهو سائد في الوقت الحاضر . اما في الفترات الأخيرة وبعد توفر فرص التعليم وانتشاره في كثير من انحاء المملكة وقراها المختلفة فان المهاجرين من المتعلمين يتكلون الغالبية . ويعود ذلك الى توفر فرص العمل المناسبة في المناطق الحضرية والرغبة في التغيير ومعرفة المجهول وخاصة الذين انهوا دراستهم المتوسطة أو الثانوية اضافة الى رغبة هؤلاء في تكملة دراستهم في الجامعات والكليات المختلفة التي لايوجد منها فروع في بعض المناطق الريفية .

ونجد ان هناك دراسات في بعض المجتمعات على النقيض من ذلك حيث تدل على انه كلما ارتفع المستوي التعليمي في المنطقة التي يجري النزوح منها ، قل الميل الى الهجرة ، وهذا بالطبع يقترن بمستوي المعيشة والفرص الوظيفية المتوفرة في تلك المناطق . وعلى كل فانه يمكن القول ان الاختيار لعملية الهجرة يركز على الفئات الغنية في القرية الأكثر ازدهارا وعلى الفئات الفنية والفقيرة في القرية الفقيرة .

٦ – الحالة الاقتصادية :

ان الناحية الاقتصادية لها الدور الفعال من حيث ارتباطها بنسبة المهاجرين الى المدن حيث ان أولئك المهاجرين يتميزون بقلة مواردهم الاقتصادية والتي تعتمد في الأساس على الزراعة وعلى بعض الممارسات التجارية التي لاتستطيع ان تفي بالمطلوب تجاه الأسرة لكثرة عددها . وقد أصبحت تلك الموارد الاقتصادية عاجزة بالفعل عن الوفاء بمطالب الأسرة المتنامية نتيجة لمتطلبات الحياة التي افرزتها الاتجاهات الاستهلاكية الحديثة .

وهناك بعض الخصائص الأخري التي يري البعض ان لها الدور الفعال في عملية الهجرة أو أن المهاجرين يتصفون بها مثل مدي تريف أو تحضر المهاجر أو من حيث المكانة ودورها في هجرة المتصف بها اضافة الى الانتماء القائم على أساس

السلالة أو الجماعة الاثنولوجية ..الخ مما يمكن اعتبارها خصائص ثانوية حيث ان الظروف هي المحك الأول والأخير وهي التي قد تميز الشخص وهي التي قد تدفعه الى الهجرة أو عدمها .. (١٠)

عوامل الهجرة من الريف الى المدن .

هناك عدة أسباب أو عوامل تعمل علي دفع الريفيين لاتخاذ القرار بالنزوح من القرية الى المدينة . كما ان هناك عوامل تسهم في جذب الريفيين الى المدينة ولكل من عامل الدفع والجذب اثره على حياة المهاجرين ونمط الهجرة وكذلك الآثار الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية المترتبه على القري المصدرة وعلى المدن المستقبلة لأولئك المهاجرين .

اضافة الى عوامل الجذب والدفع نجد ان هناك عوامل ذاتيه تتعلق بالمهاجر نفسه وتجعله يفكر في الهجرة دون أن تكون هناك عوامل خارجية تدفعه الى الهجرة.

ومع انه يمكن الفصل بين العوامل الطارده والجاذبه للمهاجرين ، الا ان الأهم هو محاولة تناولهما في آن واحد حتى يسهل الربط بينهما لتتضح تلك العوامل بشكل أوسع ، وان كان التقسيم مفيدا في مجال البحث ، الا ان عوامل كل قسم قد لاتعمل منفرده ومستقلة عن عوامل القسم الاخر اضافة الى ذلك . فان بعض العوامل يصعب ضمها الى كل من الفئتين كالعوامل الذاتيه .

ومن الأمثلة على ذلك "عامل التطور التكنولوجي" حيث نجد ان التطور التكنولوجي في ميدان الصناعة الذي يعبر عنه بالثورة الصناعية وماتتطلبه من الأيدي العاملة يجذب كثيرا من المهاجرين الى المدينة التي تقوم فيها الصناعة . والتطور التكنولوجي في ميدان الزراعة يعتبر عامل طرد ، لأن ظهور الآلات الزراعية الحديثة ووسائل الميكنه في الزراعة أدي الى وجود فائض من عمال الزراعة، دفعهم الى البحث عن فرص أخري للعمل في المناطق الصناعية. (١١)

ويمكن لنا فيما يلى توضيح العوامل الطارده والجاذبه فى عدد من النقاط التى قد تكون مستوفيه لتلك العوامل ثم نتناول العوامل الذاتيه الدافعة الى الهجرة من الريف الى المدن .

١ - العامل الاقتصادي :

فى الحقيقة ان العامل الاقتصادي وحسب ماأشارت اليه الكثير من الدراسات يعتبر من أهم العوامل الطارده والجاذبه للهجرة السكانية من الريف الى المدن .

وان كان هناك اختلاف فى نسبة هذه الهجره من منطقة الى منطقة بحسب تحسن الظروف المعيشية. اضافة الى انه لابد من الأخذ فى الاعتبار العامل الزمنى من حيث ان نسبة المهاجرين فى الآونة الأخيرة متجهة الى الانخفاض وذلك من منطلق الاهتمام المتزايد بتنمية المناطق الريفية بالمملكة العربية السعودية ، والهجرة ليست مجرد انتقال مكانى من منطقة الى أخري بل انها ترتبط بتغيرات فى المستوي المعيشى للمهاجرين ، وترتبط بتغير فى المهن أيضا ، فمعظم المهاجرين من الريف الى المدينة يتحولون من الزراعة الى الصناعة أو التجارة . والفرد يبحث عن المكان الذي يجد فيه عملا أفضل أو أكثر ملاءمة له ولظروفه .

والحياة الاقتصادية الريفية تتميز بطردها للسكان على اثر النقص فى أجور العاملين فى الزراعة وقلة دخل الريفى وضعف مستوي معيشته الى جانب ان العمل فى الزراعة غير منتظم وغير دائم فهو يتأثر برغبة المالك وحالة الطقس والمواسم الزراعية .

وقد أثبتت البحوث ان دخل صغار الملاك فى الزراعة يقل عن دخل العمال غير المهرة فى الصناعة أو الأعمال الوظيفية الأخري علما بأن عمال الزراعة يقل دخلهم عن دخل صغار الملاك ولذلك يفضل عمال الزراعة وصغار الملاك الهجرة الى المدن والعمل فى الصناعة والوظائف الحكومية والخدمات مطمئنين الى حد أدنى فى

الدخل قد لايقل عن دخلهم فى العمل الزراعى أو المهنى التقليدي، والى عمل لايترقف على حالة الطقس أو حالة السوق . (١٢)

ويمكن هنا ان نورد بعض النقاط المتعلقة بالعامل الاقتصادي وعلاقته بناحية الجذب والطرد :

أ – ان مهنة الزراعة – وهى الغالبة فى النمط الريفى – تتميز بعائدها غير المستقر والضئيل بالنسبة للذين لايملكون سوي قطع زراعية لا تفى بالحاجة مع امتداد الأسر الريفية وزيادة السكان وهذا يجعل الحياة الريفية غير مستقرة وبالتالى يندفع الكثير من الأفراد الى الهجرة للمدن الحضارية لتحسين مستويات معيشتهم .

ب – ان الظروف المعيشية فى الريف السعودي وان كانت تحسنت فى الآونة الأخيرة لازال ينقصها جانب الخدمات التى تعتبر غير ملائمة بمقارنتها بأحوال المعيشة فى الحضر .

ج – ان التنوع فى مجالات العمل (التى اتاحتها الحياة الحضرية والموارد الاقتصادية الهائلة والتى تركزت فى المدن) وبالتالى فى مصادر الدخل ، جعلت الريفيين يتجهون الى تلك المدن ، حتى يتمكنوا من زيادة دخلهم وخاصة كلما اتجهت الى المجال التجاري أو الصناعى .

د – ان جوانب التقدم المادي بما يمثله من تطورات تكنولوجية – تعد خاصية تميز الحياة فى المدن ، الأمر الذي يدفع بالأفراد ويغريهم بترك محل اقامتهم الأصلى ومحاولة الاستفادة بهذا التقدم المادي الجذاب .

وخلاصة القول ان الريف السعودي تميزت ظروفه بطابع القساوة التى تمثلت فى قلة الأراضى الخصبة ، تخلف أساليب الانتاج الزراعى وتربية بعض الحيوانات ، وندرة الأمطار ، وانخفاض الانتاج وتدنى الاجور ، وصعوبة التسويق ، وبطء تطور

النظم الاقتصادية الريفية ، وعدم توفر فرص العمل للمتعلمين أدي كل هذا الى الاتجاه الى المدن الكبيرة والصغيرة التى أصبحت أماكن لجذب المزيد من القوي العاملة لأن المتوفر منها لم يعد كافيا للقيام بأعباء التحديث بعد ان توسعت القاعدة الاقتصادية وتنوعت فى البلاد الأمر الذي اقتضى بدوره استمرار التوسع فى المشروعات الانشائيه وتضخم جهاز الوظائف الحكومية وماتبع ذلك من تطور فى التجارة ونهوض الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية والمهنية .

٢ – الدافع الاجتماعى :

ان الدافع الاجتماعى يأتى فى المرتبة الثانية بعد الدافع الاقتصادي حيث نجد الحياة الريفية تتميز ببساطتها ومع هذه البساطة أصبحت القرية غير منغلقة على نفسها بعد تيسر طرق المواصلات وانتشار وسائل الاعلام التى أثرت فى مسار الحياة الريفية البسيطة ، وجعلت سكان الريف يشعرون بعدم الرضا عن الحياة التى يحبونها فى الريف مما يجعلهم يندفعون الى ترك الحياة الريفية والهجرة الى المدينة سعيا وراء حياة أفضل .

" وقد اعتبر "بيجيه" سوء الحالة السكنية للريفيين ، النقطة الأساسية فى الدافع الاجتماعى للهجرة الداخلية ، حيث أن معظم مساكن الريفيين تقل فى مستواها كثيرا عن مساكن المدينة ، كما انها غالبا ماتكون مكتظه بساكنيها. وقد دلت استفتاءات أجريت فى دول مختلفة عن أسباب الهجرة من الريف الى المدن على ان عدم توفر الراحة فى المساكن الريفية وكذلك الظروف العامة للحياة فى الريف من أهم أسباب الهجرة "[١٣]

ومن الدوافع الأخري دوافع شخصية نابعة من الظروف الاجتماعية المحيطة بالشخص نفسه مثل الرغبة فى اللحاق بمجموعة من الأقارب أو أبناء القرية يكونون قد هاجروا الى المدينة منذ فترة من الزمن ، أو الرغبة فى الزواج من المدن نظرا لبعض المشكلات الريفية المحيطة بالمهاجر (وان كانت هذه الحالة نادرة نسبيا)

اضافة الى وجود أزمات أو مشكلات عائلية يحاول المهاجر الهروب منها والذهاب الى المدينة.

ان الفوارق الطبقية بين سكان الريف أنفسهم وكذلك سكان الحضر والتى وجدت منذ عدة قرون عندما كان ينظر لكل من أهل البادية والريف وأهل المدينة نحو بعضهم البعض بنوع من التسامى والغيرة والتحقير والتصنيف بمختلف أنواع التمييز الاجتماعى . ان هذا الوضع دفع بأهل الريف نحو كسر الطوق الاجتماعى والتحرك من الطبقات الدنيا الى المتوسطة والعليا وتعتبر المدينة ومجتمعها ومؤسساتها وامكانياتها المجال الذي يوفر للريفيين الحركة الاجتماعية والانتقال من طبقة الى أخري ومن المستوي المنخفض الى المستوي الأعلى . (١٤)

٣ - العامل النفسى .

ويمكن تقسيم هذا العامل الى عدة نقاط :

١ - آمال المهاجر وأحلامه التى يبنيها على الهجرة ، فهو يري فيها عادة قفزة تحقق له مايصبو إليه ، وخاصة اذا كان شخصا واسع الطموح .وفى هذا يشير " دي فوتو" الى انه لاستخلاص الأسباب الحقيقية للهجرة يجب ألا نهتم فقط باستخراج نتيجة تفاعل القوي الأساسية للجذب والطرد ، بل يجب أيضا مراعاة مدي آمال المهاجر وأحلامه. (١٥)

٢ - الرغبة فى التقدم مستقبلا وضيق الفرص امام هذا التقدم فى ميدان الحياة الريفية ، فالعامل الزراعى أو المزارع قد يعمل طول حياته بنفس العمل وبنفس العائد وخاصة كلما كانت المساحات الزراعية محدودة ، اما الميدان الصناعى والتجاري والوظيفى فانه يتميز بالحراك الاجتماعى وهذا مايسعى اليه المهاجر فى حياة المدينة . كما ان تعلم المهاجر لحرفة معينة أو اكتساب مهارة خاصة يزيد من ثقته بنفسه ورضاءه عن قدراته .

٣ - ان الاختلافات الكثيرة بين ظروف العمل الزراعى وظروف العمل التى تتميز بها حياة المدينة تجعل المهاجر يتجه الى المدينة رغبة فى الحصول على عمل يري فيه الراحة والانتظام بعكس العمل الزراعى ومايترتب عليه من الشعور بالتوتر والتعب نتيجة لأيام العمل الطويلة وانعدامه فى فترات معينة ، ومع هذا فان العائد والمحصول من الأعمال الريفية قد تربح الريفى ولا تجعله يفكر فى الهجرة مهما كان هناك من مشقة وعناء .

٤ - ان حياة المدينة بسهولتها وحيويتها وماتوفره من وسائل التسلية والترفيه فيها قد تكون من الأسباب النفسية التى تدفع الى الهجرة بين الريفيين وخاصة الشبان منهم ، لانعدام هذه الوسائل فى الحياة الريفية والضغوط التى يواجهونها من كبار العمر الذين لايتقبلوا الكثير من الوسائل الترويحية والرياضية الحديثة ويرون انها لا تليق بالعادات والتقاليد المحمودة .

٤ - عامل التعليم .

يعتبر عامل التعليم من أهم العوامل الأساسية فى الهجرة من الريف الى المدن ، وخاصة ان هذا العامل فى المملكة العربية السعودية مرتبط بالعديد من الأمور التى شجعت على زيادة انتقال المهاجرين من بين الشباب الى المدن .

وهذه الأمور تتلخص فى التشجيع المستمر من قبل الدولة على مواصلة التعليم لما له من عائد على المستوي الاجتماعى والحضاري الذي عاشته هذه البلاد فى المراحل المختلفة ولازالت تعيشه ، ولحيث ان هذه المؤسسات الحضارية لازالت بحاجة الى مؤهلين يعملون بها التى تنعدم فى كثير من المجالات وتكثر فيها العمالة الأجنبية مما حدي بالدولة الى تشجيع الاقبال على الناحية التعليمية وذلك من أجل سد الاحتياج واتاحة الفرص للجميع اتجاها الى الاكتفاء الذاتى من الموارد البشرية .

وبهذا فقد أصبحت الرغبة فى مواصلة التعليم من أجل السعى الى المؤهل الوظيفى ظاهرة تتميز بها الحياة الريفية ، وأصبحت الظاهرة التعليمية دافعا لأهل الريف على الهجرة الى المدينة ، وخاصة بعد ان أصبح التعليم حقا للجميع لا فرق بين غنى وفقير ، حضري وريفى ، وبعد ان أصبحت فرص الترقى فى العمل والتقدم فى الحياة متوقفة على مدي مايحصله المرء من التعليم والخبرة .

ولما كانت فرص التعليم فى الريف محدودة لذلك يلجأ كثير من الريفيين للهجرة الى المدن حتى يوفروا سبل التعليم ان لم يكن لأنفسهم فلأولادهم . وان كانت الهجرة تكثر بين الشباب بأنفسهم بعيدا عن اصطحاب أسرهم . ويلاحظ انه كلما زاد تحضر الريف زاد اهتمام ابنائه بالتعليم واقبالهم على الهجرة الى المدن حيث العديد من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات .

٥- عوامل أخري ومنها :

أ - الرغبة فى الهجرة :

مع ان الهجرة وكما فسرتها الكثير من الدراسات تنشأ اما بفعل عوامل اقتصادية أو اجتماعية . الا أن هذه العوامل فى بعض الحالات أصبحت عاجزة عن تفسير كافة حالات الهجرة من الريف الى المدن . اذ يبدو ان هذه الهجرة حتى لو صار معروفا ان المكان المقصود بالهجرة يعانى البطالة وغيرها من المشكلات حتى وان كانت هناك بعض التحسينات على الواقع الريفى فقد لايكون لذلك الأثر على حياة أولئك المفكرين فى الهجرة . لذلك يبدو ان هذه الأسباب الخفية واللامنطقية للهجرة تلعب دورا كبيرا خصوصا فى أوساط الشباب . فالاقامة تقدم لك ماهو معلوم لديك ، خيرا كان أم شرا ، اما الرحيل فيقدم لك المجهول أي دنيا الآمال . وقد لاتكون الاختلافات بين من يهاجر ومن لايهاجر هى الفيصل وانما الاختلافات بين الأماكن المتاحة للهجرة .[١٦]

وهنا يتضح في الغالب ان عوامل الجذب والطرد ليست بالأساس ، وانما لأن الهجرة ، بمعنى التنقل ، أصبحت في نظر عدد متزايد من صغار العمر قيمة في حد ذاتها ، ولاتحتاج اذن الى أية مبررات منطقية . وهذا يعني ببساطة ان أحد الأسباب الهامة للهجرة هي الهجرة ذاتها ، وعنده يمكن اعتبار الهجرة من الريف الى المدينة ظاهرة تاريخية تتمثل في زوال أهمية مكان محدد في حياة البشر .(١٧)

ب - عوامل تتعلق بالانتقال :

لقد كان تطور النقل والمواصلات كذلك بالمملكة العربية السعودية وماتبعه من سهولة الاتصال بين المدن والمناطق الريفية وكذلك حرية الانتقال والاقامة (دون أي قيود أو شروط تفرضها السياسة الحكومية) الأثر الكبير على مرونة حركة السكان واستجابتهم لعوامل الجذب المتنامية .

وفي نهاية عرضنا لبعض هذه الدوافع التي نري انها أهم الدوافع لهجرة سكان الريف الى المدن بالمملكة العربية السعودية يجدر بنا ان نقول ان هذه الدوافع وغيرها من الدوافع لاتعمل منفردة ولكنها تعمل متعاونة فيما بينها ، كما ان تأثير الدوافع المختلفة للهجرة تختلف قوة وضعفا باختلاف الزمان والمكان وباختلاف ظروف الموطن الأصلي للمهاجرين والنمط الثقافي السائد بين أبنائه .

الدراسة الميدانية

جدول رقم (١)

توزيع مفردات العينة حسب العمر

فئات العمر	التكرار	النسبة ٪
أقل من ٢٠ سنة	-	-
من ٢٠ - ٣٠	٨	١٣٫٣٣٪
من ٣٠ - ٤٠	١٢	٢٠٫٠٠٪
من ٤٠ - ٥٠	٣٠	٥٠٫٠٠٪
٥٠ فأكثر	١٠	١٦٫٦٧٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

الجدول رقم (١) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب فئات العمر . ونلاحظ أن مفردات العينة من أرباب الأسر المهاجرة الى مدينة جدة ، تزيد أعمارهم عن عشرين عاما ولاتقل عنها ، اذ بلغت نسبة الفئة العمرية من عشرين الى ثلاثين سنة من بين مجموع مفردات العينة (١٣٫٣٣٪) وهؤلاء اما من المهاجرين حديثا أو الذين أصبحوا أرباب أسر لوفاة رب الأسرة الكبير أو لانفصال هؤلاء عن الأسرة الأم، اذ أن المتوقع فى المدينة ان ينفصل الأبناء عن أسرهم الكبيرة بعد زواجهم . أما الفئة العمرية الثانية والتى تقع بين ثلاثين الى أربعين سنة فتمثل (٢٠٪) من مجموع مفردات العينة ، تليها الفئة العمرية الثالثة والتى تقع بين أربعين الى خمسين سنة اذ نلاحظ انها بلغت نصف مفردات العينة عموما ، فى الوقت الذي تبلغ نسبة المهاجرين فى مدينة جدة من فئات العمر خمسين سنة فأكثر (١٦٫٦٧٪)

ونلاحظ من هذا الجدول بوجه عام أنه لا وجود لأرباب أسر مهاجرة من الريف الى المدينة دون العشرين من العمر . بينما تتزايد النسب تزايدا طرديا مع العمر

جدول رقم (٢)

توزيع مفردات العينة حسب المهنة .

المهنة	التكرار	النسبة ٪
طالب	٤	٪٦٫٧
موظف حكومى	٢٢	٪٣٦٫٦
موظف غير حكومى	٨	٪١٣٫٣٣
تاجر	١٤	٪٢٣٫٣٤
مهن حره	٥	٪٨٫٣٤
عسكريه	٤	٪٦٫٧
مزارع	-	-
عامل	-	-
لايعمل	٣	٪٥٫٠٠
المجموع	٦٠	٪١٠٠

والجدول رقم (٢) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب المهنة . وينبغى أن نلاحظ أن المقصود بذلك المهنة الحالية للمهاجر وليست مهنته قبل الهجرة . ونجد من بيانات الجدول أن أعلى نسبة تقع فى فئة الموظفين الحكوميين . ويدل ذلك على أن هؤلاء المهاجرين اما أن يكونوا هاجروا ص الريف الى المدينة لانتقال وظائفهم اليها . نسبة الموظفين الحكوميين (٣٦٫٦٪) من مجموع مفردات العينة ، تليهم نسبة الذين يشتغلون بالتجارة بواقع (٣٤و٢٣٪) فنسبة الموظفين فى القطاع

الأهلى بواقع (١٣٫٣٣٪) ثم المهن الحرة بنسبة (٨٫٣٤٪) فالعسكريين والطلاب بنسبة (٦٫٧٪) لكل فئة . وأخيرا الذين لايعملون بنسبة (٥٫٠٠٪) ويدل هذا الجدول على أن العامل الاقتصادي أساس فى الهجرة . فالموظف قد يهاجر بحثا عن فرصة وظيفة أفضل تحقق له دخلا اقتصاديا مناسبا . وقد يهاجر المزارع من هناك ليعمل فى التجارة التى لاشك أن عائدها الاقتصادي أكبر من عائد الزراعة فى الريف .

جدول رقم (٣)

توزيع مفردات العينة حسب مكان الميلاد

مكان الميلاد	التكرار	النسبة ٪
مدينة	-	-
قرية	٥٦	٩٣٫٣٣٪
بادية	٤	٦٫٦٧٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

والجدول رقم (٣) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب مكان الميلاد. فنلاحظ أن نسبة (٩٣٫٣٣٪) من مجموع مفردات العينة من مواليد الريف بينما نسبة (٦٫٦٧٪) من مواليد المناطق البدوية ، ويدل هذا على أن الهجرة لاتقتصر على المناطق الريفية فقط. بل نجد أن هناك هجرة من البادية الى المدينة . وقد تكون دوافع الهجرة متماثلة لدي القطاعين الريفى والبدوي ، خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أن الريفى واليدوي يرغبان فى تحسين المستوي الاقتصاد والاجتماعى لهما ويعتقدان أن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق الهجرة الى المدينة .

جدول رقم (٤)

توزيع مفردات العينة حسب المستوى التعليمى

المستوى التعليمى	التكرار	النسبة ٪
أمى	٣	٠٠ر٥٪
يقرأ ويكتب	٣	٠٠ر٥٪
ابتدائي	٥	٨ر٣٣٪
متوسط	١٠	١٦ر٦٧٪
ثانوى	١٨	٠٠ر٣٠٪
جامعى	١١	١٨ر٣٣٪
فوق الجامعى	١٠	١٦ر٦٧٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

نلاحظ من بيانات هذا الجدول أن نسبة المتعلمين من المهاجرين مرتفعة ، فنجد أن نسبة الأمين من بين مفردات العينة تبلغ (٠٠ر٥٪) فقط بينما تبلغ نسبة الذين يقرأون ويكتبون دون الحصول على شهادة (٠٠ر٥٪) أيضا ، ونسبة الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية (٨ر٣٣٪) وترتفع النسبة بعد ذلك الى (١٦ر٦٧٪) لمن تعلموا تعليما متوسطا ، ثم تزداد ارتفاعا الى (٠٠ر٣٠٪) لمن يحملون الشهادة الثانوية . أما المرحلة الجامعية فتبلغ نسبة من حصلوا عليها من بين مفردات العينة (١٨ر٣٣٪) وفوق الجامعى (١٦ر٦٧٪. وعند مقارنة هذا الجدول ببيانات الجدول رقم (٢) ومن واقع الاستبيانات ، وجدنا أن المتعلمين تعليما ثانويا فما فوق هم فئة الموظفين الحكوميين وغير الحكوميين والعسكريين والطلاب . بينما تقع الفئات الأخرى وتقصد بها التجار وأصحاب المهن الحرة وبعض الموظفين غير الحكوميين فى المرحلة المتوسطة والابتدائية ومادونهما من المستويات التعليمية

. انظر جدول رقم (٢) .

جدول رقم (٥)

توزيع مفردات العينة حسب مدة الهجرة

مدة الهجرة	التكرار	النسبة ٪
أقل من خمس سنوات	٣	٪٥ر٠٠
من ٥ - ١٠	٢	٪٣ر٣٣
من ١٠ - ١٥	٦	٪١٠ر٠٠
من ١٥ - ٢٠	١٠	٪١٦ر٦٦
من ٢٠ - ٢٥	٩	٪١٥ر٠٠
من ٢٥ - ٣٠	٥	٪٨ر٣٣
من ٣٠ - ٣٥	١١	٪١٨ر٣٣
من ٣٥ - ٤٠	١٢	٪٢٠ر٠٠
من ٤٠ فأكثر	٢	٪٣ر٣٣

ومن بيانات الجدول رقم (٥) نلاحظ عدم ثبات النسب المنوبه بالنسبة للمدة التي أمضاها المهاجرون في المدينة . اذ تبلغ نسبة الذين أمضوا ... من خمس سنوات في المدينة (٥٪) بينما تبلغ نسبة الذين مضى عليهم أقل من عشر سنوات (٣ر٣٣٪ بنسبة (١٠٪) للذين قضوا من عشر الى خمس عشرة سنة. لكن النسبة تزيد بشكل ملحوظ عند الفئة السابعه وهم الذين مضى على هجرتهم من الريف الى المدينة من ٣٠ الى أقل من ٣٥ سنة ثم ترتفع الى (٢٠٪) لمن هم من ٣٥ الى ٤٠ سنة . ولعل ذلك يعطي مؤشرا على أن الدافع الى الهجرة لايرتبط بعامل وحيد فالدافع الى الهجرة بدأ منذ زمن بعيد وقبل أن تشهد المدن في البلاد بصفة عامة نماء وتقدما اقتصاديا الأمر الذي يمكن معه القول بأن دوافع الهجرة متعدده

ومختلفة وليست مرتبطة بالنمو الاقتصادي الذي شهدته البلاد في السنوات الأخيرة كما يعتقد البعض .

جدول رقم (٦)

توزيع مفردات العينة حسب مستوي تعليم الأبناء

المستوي التعليمي	التكرار	النسبة ٪
لم يبلغوا عمر الدراسة	-	-
في المرحلة الابتدائية	٨	٪١٣٫٣٣
في المرحلة المتوسطة	٦	٪١٠٫٠٠
في المرحلة الثانوي	١٤	٪٢٣٫٣٣
في المرحلة الجامعية	٢٢	٪٣٦٫٦٦
في المرحلة فوق الجامعية	٦	٪١٠٫٠٠
لا يوجد أبناء	٤	٪٦٫٦٧
المجموع	٦٠	٪١٠٠

أما الجدول رقم (٥) فخاص بتوزيع أبناء مفردات العينة حسب المراحل الدراسية . فنلاحظ أنه لا وجود لأطفال صغار لدي أفراد العينة لم يبلغوا العمر اللائم للدراسة ، بينما بلغت نسبة من لهم أبناء في المرحلة الابتدائية (٪١٣٫٣٣) وفي المرحلة المتوسطة (٪١٠) وفي الثانوية (٪٢٣٫٣٣) أما المرحلة الجامعية فبلغت فيها نسبة أبناء وبنات مفردات العينة (٪٣٦٫٦٦) ونسبة (٪١٠) لمن يواصلوا دراساتهم العليا . بينما جاءت نسبة (٪٦٫٦٧) لتمثل من ليس لهم أبناء من مجموع مفردات العينة ، وهذه النسبة في الأصل هي نسبة الذين لم يتزوجوا من بين مفردات العينة . انظر جدول رقم (٨) .

جدول رقم (٧)

توزيع مفردات العينة حسب الدخل الشهري

الدخل الشهري	التكرار	النسبة ٪
ليس لى دخل	-	-
أقل من ٢٠٠٠ ريال	-	-
٢٠٠٠ - ٤٠٠٠	١١	٪١٨,٣٣
٤٠٠٠ - ٦٠٠٠	١٣	٪٢١,٦٦
٦٠٠٠ - ٨٠٠٠	١٠	٪١٦,٦٦
٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠	١٨	٪٣٠,٠٠
أكثر من ١٠٠٠٠ ريال	٨	٪١٣,٦٦
المجموع	٦٠	٪١٠٠

والجدول رقم (٦) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب الدخل الشهري لكل منهم فنلاحظ من هذا الجدول أنه لا وجود لمن يقل دخلهم عن ألفين ريال فى الشهر الواحد بينما تقع أعلى نسبة فى الجدول عند فئة الدخل من ثمانية آلا . الى أقل من عشرة آلاف ريال فى الشهر حيث وصلت الى (٣٠٪) من مجموع مفردات العينة ، ثم نسبة (٢١,٦٦٪) لمن تقع دخولهم الشهرية بين أربعة آلاف ريال الى ستة آلاف ريال فى الشهر الواحد ، ونلاحظ أيضا أن نسبة الذين تزيد دخولهم الشهرية عن عشرة آلاف ريال فى الشهر الواحد تبلغ (١٣,٦٦٪) ويمكن أن نلاحظ بصفة عامة أن العينة تنقسم من حيث الدخل الى فئتين رئيسيتين هما : فئة الدخل المتوسط والتى تتراوح بين ألفين الى أقل من ستة آلاف ريال فى الشهر الواحد ، وتبلغ نسبتها (٤٠٪) من مجموع العينة . بينما بقية النسبة وهى (٦٠٪) تمثل

الفئة الثانية وهى فئة الدخل المرتفع والتى تقع بين ستة آلاف الى أكثر من عشرة آلاف ريال فى الشهر الواحد . وهذا يعنى أن العينة بصفة عامة يتمتع أفرادها بدخول عالية تتيح لهم حياة أفضل .

جدول رقم (٨)

توزيع مفردات العينة حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة ٪
أعزب	٤	٦٫٦٧٪
متزوج	٥٢	٨٦٫٦٧٪
مطلق	٢	٣٫٣٣٪
أرمل	٢	٣٫٣٣٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

الجدول رقم (٨) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب الحالة الاجتماعية . فنلاحظ أن نسبة المتزوجين تبلغ (٨٦٫٦٧٪) بينما تتساوي نسبة المطلقين والأرامل بواقع (٣٫٣٣٪) لكل منهما . أما غير المتزوجين - العزاب - فتبلغ نسبتهم (٦٫٦٧٪) من مجموع العينة . وهؤلاء من الشبان الذين لازالوا يواصلون تعليمهم الجامعى وهم أرباب الأسر بحكم وفاة رب الأسرة وقيامهم مقامه .

جدول رقم (٩)

توزيع مفردات العينة حسب عدد الزوجات

عدد مرات الزواج	التكرار	النسبة ٪
واحدة	٥٣	٪٩٤٫٦٥
اثنتان	٢	٪٣٫٥٧
ثلاث	١	٪١٫٧٨
أربع	-	-
المجموع	٥٦	٪١٠٠

والجدول رقم (٩) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب عدد الزوجات . ونلاحظ من بيانات الجدول أن نسبة (٩٤٫٦٥٪) من مجموع العينة من المتزوجين بواحدة . بينما تبلغ نسبة المتزوجين باثنتين (٣٫٥٧٪) والمتزوجين بثلاث(١٫٧٨٪).

جدول رقم (١٠)

توزيع مفردات العينة حسب عدد الأبناء

عدد الأبناء	التكرار	النسبة ٪
من ١ - ٣	١٠	٪١٧٫٨٥
٣ - ٦	١٦	٪٢٨٫٥٧
٦ - ١٢	٢٧	٪٤٨٫٢٢
أكثر من ١٢	٣	٪٥٫٣٦
المجموع	٥٦	٪١٠٠

والجدول رقم (١٠) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب عدد الأبناء . فنلاحظ أن نسبة عدد الأسر التى يوجد بها أبناء من واحد الى أقل من ستة تبلغ (٤٢ر٤٦٪) وهو عدد يتناسب مع مفهوم الأسرة الحضرية بالنسبة لعدد الأبناء ، بينما تبلغ نسبة الأسر التى يتراوح عدد الأبناء فيها بين ستة الى أكثر من اثنى عشر (٥٨ر٥٣٪) - ويمثل هذا العدد من الأبناء ميلا الى النمط الريفى فيما يتعلق بحجم الأسرة .

جدول رقم (١١)

توزيع مفردات العينة حسب المستوي الاقتصادي قبل الهجرة

الحالة الاقتصادية	التكرار	النسبة ٪
جيدة	١٥	٪٢٥ر٠٠
متوسطة	٣٥	٪٥٨ر٣٤
متدنية	١٠	٪١٦ر٦٦
المجموع	٦٠	٪١٠٠

جدول رقم (١١) يوضح المستوي الاقتصادي لمفردات العينة قبل هجرتهم من الريف الى المدينة. فنجد أن (٢٥٪) من مجموع العينة كانت الحالة الاقتصاديه لديهم جيدة قبل الهجرة . بينما تبلغ الحالة المتوسطة (٨٤ر٥٨٪) والمتدنية (٦٦ر١٦٪). ولعل المهاجرين على المستويات الثلاثة هاجروا الى المدنية رغبة فى تعديل المستوي الاقتصادي . أما قياس المستوي الاقتصادي لدي مفردات العينة بمتدنية أو متوسطة أو جيدة مثل الهجرة ، تم على أساس سؤاله عن دخله فى الريف ومدي مناسبة ذلك الدخل وكفايته للوفاء بمتطلبات الحياة اليومية حيث كان السؤال رقم (١٢) على النحو التالى : اختر أحد الفقرات الثلاث الآتية لبيان حالة الأسرة الاقتصادية مثل الهجرة :

١ – الدخل كان كافيا .

٢ – الدخل لم يكن كافيا .

٣ – الدخل كان يكفي وزيادة .

فأعتبرنا أن رقم (١) يمثل المستوي المتوسط . ورقم (٢) يمثل المستوي الأقل. ورقم (٣) يمثل المستوي الجيد .

جدول رقم (١٢)

توزيع مفردات العينة حسب المهنة قبل الهجرة

المهنة قبل الهجرة	التكرار	النسبة ٪
الزراعة	٤٥	٧٥ر٠٠٪
التجارة	١٣	٢١ر٦٦٪
أعمال حرفيه	٢	٣ر٣٤٪
بدون عمل	–	–
المجموع	٦٠	١٠٠٪

ونلاحظ من الجدول رقم (١٢) أن مهن المهاجرين من الريف الى المدينة قبل الهجرة كانت الزراعة بنسبة (٧٥٪) والتجارة بنسبة (٢١ر٦٦٪) وأعمال حرفية بنسبة (٣ر٣٤٪) وليس بينهم من لم يكن يعمل قبل الهجرة . وهجرة المزارعين من الريف بهذه النسبة تؤثر ولاشك على النشاط الزراعى في مناطق الهجرة . اذ أن ذلك يعنى أن الأفراد القادرين على العمل بالزراعة هاجروا الى المدينة مما أدي الي تحول الأراضى الزراعية هناك الى أرض بور أو استخدمت لاقامة المنشآت الحديثة فيها كالورش والمحلات التجارية أو لبناء المنازل عليها. وهذا ماأكدته دراسة سابقة عن الأسرة فى المجتمعات الريفية بالمملكة العربية السعودية . (١٨)

جدول رقم (١٣)

توزيع مفردات العينة حسب وجود ممتلكات فى القرية

نوع الممتلكات	التكرار	النسبة ٪
أراضى زراعية	٥٨	٪٩٦٫٩٧
أراضى غير زراعية	٤٠	٪٦٦٫٦٧
عقارات	٥٨	٪٩٦٫٩٧
محلات تجاريه	٤	٪٦٫٦٧
مواشى	١٠	٪١٫٦٧

والجدول رقم (١٣) خاص بتوزيع مفردات العينة المهاجرون من الريف الى المدينة حسب وجود ممتلكات لديهم هناك . ونلاحظ أن كل المهاجرين لديهم ممتلكات وفى مقدمتها الاراضى الزراعية والعقارات ، ويقصد بالعقارات هنا المنازل التى يمتلكها هؤلاء فى القرية حيث بلغت نسبتهم (٪٩٦٫٧٩) تليها الأراضى غير الزراعية وهى الاراضى المستصلحه فى أطراف القرى وخاصة على سفوح الجبال لغرض انشاء منازل عليها بنسبة (٪٦٦٫٦٧) ثم المحلات التجارية بنسبة (٪٦٫٦٧) - بالمواشى بنسبة (٪١٫٦٧) ونلاحظ من بيانات هذا الجدول أن كل مهاجر يمكن أن تكون له أراضى زراعية وغير زراعية وعقارات ومحلات تجارية ومواشى بنسبة فى آن واحد . ولذا اختار المهاجرون أكثر من واحد من نوع الممتلكات المذكورة فى الجدول

جدول رقم (١٤)

توزيع مفردات العينة حسب دوافع الهجرة

دوافع الهجرة	التكرار	النسبة ٪
١- الحالة الاقتصادية فى القرية لم تكن جيدة	٥٦	٪٩٣,٩٤
٢ - المستوي الاجتماعى في القرية غير مناسب	٢	٪٣,٣٣
٣ - لم أكن مرتاحا فى القرية لأسباب مختلفة	٦	٪١٠,٠٠
٤ - القرية لم تناسب الاسرة للاقامة فيها	٣	٪٥,٠٠
٥ - بسبب ضعف مردود النشاط الزراعى	٥٠	٪٨٣,٣٤
٦ - الرغبة فى مواصلة التعليم حيث لا فرص للتعليم فى القرية	٥٤	٪٩٠,٠٠
٧ - بسبب عدم وجود جامعة فى المنطقة يلتحق بها الأبناء	٥٤	٪٩٠,٠٠
٨ - لأن ابنى يعمل فى المدينة ورغبنا فى الانتقال معه	٤	٪٦,٦٧
٩ - لأن وظيفتى انتقلت الي مدينة جديدة	١٨	٪٣٠,٠٠
١٠- لأننى هنا أعمل بالتجارة	٣٦	٪٦٠,٠٠
١١- لأن الفرص الاقتصادية فى المدينة متاحة أكثر	٥٣	٪٨٨,٣٣
١٢- لأننى سئمت من حياة القرية وتقاليدها	-	-
١٣- أخري تذكر	-	-

والجدول رقم (١٤) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب دوافع الهجرة . ونلاحظ أن فى مقدمة دوافع الهجرة من الريف الى المدينة الحالة الاقتصادية . فنسبة (٩٣,٩٤٪) من مفردات العينة يرون أن الحالة الاقتصادية فى القرية لم تكن مناسبة . الأمر الذي دفعهم الى الهجرة . وكان لعدم وجود جامعة فى الريف

ورغبة الآباء فى مواصلة تعليم أبنائهم أثره فى هجرة الريفيين الى المدينة حيث اختارت نسبة (٩٠٪) من مجموع مفردات العينة هذين السببين كدافعين للهجرة الى المدينة . وتبعا للمستوي الاقتصادي غير المرضى فى القرية بر٤٠ن نسبة (٨٨ر٣٣٪) من العينة أشارت الى عدم وجود فرص اقتصادية مناسبة فى القرية ولذلك هاجروا بحثا عن هذه الفرص فى المدينة . ويشاركهم فى ذلك نسبة (٨٣ر٣٤٪) من العينة الذين يرون أن ضعف مردود العائد من النشاط الزراعى فى القرية كان دافعا أساسيا للهجرة وترك العمل الزراعى . ولذلك فان المهاجرين اختاروا سببا له علاقة بما ذكر حيث رأت نسبة (٦٠٪) منهم أن العمل التجاري فى المدينة كان من الدوافع الرئيسية للهجرة . أما الانتقال بسبب انتقال الوظيفة اما للترقية أو لأي سبب آخر فقد نال نسبة (٣٠٪) من مجموع مفردات العينة الذين انتقلوا كموظفين من القرية الى المدينة. أما بقية النسب فقد توزعت بعد ذلك على دوافع أخري منها عدم الشعور بالراحة فى القرية . والتحاق الابن بعمل فى المدينة وأن القرية لم تناسب الأسرة كمكان للاقامة ، أو لرغبة البعض منهم فى تغيير وضعه الاجتماعى فى القرية بآخر أفضل منه فى المدنية . ولكن ليس بين مفردات العينة من اختار كره حياة القرية وتقاليدها كدافع الى الهجرة منها.

جدول رقم (١٥)

توزيع مفردات العينة حسب رأيهم فى أثر الهجرة على النشاط الاقتصادي فى القرية

أثار الهجرة	التكرار	النسبة ٪
١- الهجرة الى المدينة أدت الى عدم الاهتمام بالزراعة	١٥	٢٥ر٠٠٪
٢- الهجرة أدت الى عدم الاهتمام بتربية المواشى	٣٥	٥٨ر٣٤٪
٣- الهجرة أدت الى اختفاء الصناعات اليدوية القديمة	١٠	١٦ر٦٦٪
٤- الهجرة الى المدينة مفيدة للأفراد ومضره للقرية	٦٠	١٠٠٪

والجدول رقم (١٥) يوضح رأي العينة فى الاثار الناجمه عن الهجرة وخاصة ماتعلق منها بالنشاط الاقتصادي فى الريف بوجه عام. فالهجرة الى المدينة أدت الى اهمال النشاط الزراعى فى القرية ووافقت مفردات العينة على ذلك بنسبة (١٠٠٪) كما وافقوا أيضا عى أن الهجرة وان كانت مفيدة للمهاجرين أنفسهم على مستوي الأفراد الا أنها أضرت بالقرية من جوانب مختلفة لعل أهمها اندثار مظاهر النشاط الاقتصادي المختلفة حيث وافقوا على ذلك بنسبة (١٠٠٪) . أما نسبة (٩٦٫٦٦٪) من مجموع العينة فيرون أن الهجرة كانت سببا فى اختفاء الكثير من الصناعات التقليدية اليدوية التى كان السكان يقومون بها . ولما هاجر المهرة فى الصناعات التقليدية اختفت تماما . أما نسبة (٨٦٫٦٧٪) فيرون أن الهجرة من الريف الى المدينة أدت الى ضعف واختفاء نشاط تربية الماشية والاستفادة منها .

جدول رقم (١٦)

توزيع مفردات العينة حسب تكيفهم فى المدينة

مدي تكيف المهاجر	التكرار	النسبة ٪
أشعر وأسرتى بالراحة فى المدينة	٥٨	٩٦٫٦٦٪
لا أشعر بالراحة فى المدينة	٢	٣٫٣٤٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

والجدول رقم (١٦) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب تكيفهم فى المدينة. فنلاحظ أن نسبة (٩٦٫٦٦٪) يشعرون بالراحة للاقامة فى المدينة وذلك لتوفر الخدمات اللازمة ولسهولة الحياة عن الريف . أما نسبة (٣٫٣٤٪) من العينة فلا يشعرون بالراحة فى المدينة . والجدول رقم (١٧) يكشف أسباب ذلك .

جدول رقم (١٧)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب تكيفهم فى المدينة

الأسباب	التكرار	النسبة ٪
١- لانك حققت دوافعك الى الهجرة	٤٠	٦٨ر٩٧٪
٢ - لأنك تشعر ان الحياة هنا أفضل من القرية	٥٨	١٠٠ر٠٠٪
٣ - الأوضاع الاجتماعية فى المدينة أفضل منها فى القرية	٣٠	٥١ر٧٢٪
٤ - الخدمات فى المدينة متاحة وليست كذلك فى القرية	٥٦	٩٦ر٥٥٪

والجدول رقم (١٧) يوضح أسباب الشعور بالراحة لسكنى المدينة . اذ نلاحظ أن نسبة (٦٨ر٩٧٪) من مفردات العينة يفضلون المدينة ويشعرون بالراحة فيها لأنهم يشعرون أنهم حققوا دوافعهم للهجرة بينما تبلغ نسبة الذين يفضلوا الحياة فى المدينة عنها فى القرية لأسباب مختلفة (١٠٠٪) ، أما الذين يفضلوا المدينة لشعورهم بأن وضعهم الاجتماعى فيها أفضل منه فى القرية فتبلغ نسبتهم (٥١ر٧٢٪) أما الذين يشعرون بالراحة فى المدينة نتيجة لتوفر الخدمات فيها فتبلغ نسبتهم (٩٦ر٥٥٪) . راجع فقرة (٣) من هذه الدراسة على ص ١٧ .

جدول رقم (١٨)

توزيع مفردات العينة حسب علاقتهم بالريف

هل لك علاقة بالريف	التكرار	النسبة ٪
نعم	٦٠	١٠٠٪
لا	-	صفر٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

جدول رقم (١٩)

يبين توزيع مفردات العينة حسب نوع علاقتهم بالريف

نوع العلاقة	التكرار	النسبة ٪
١ - زيارات شخصية متبادلة	٥٠	٨٣٫٣٣٪
٢ - زيارات فى المناسبات والأعياد	١٠	١٦٫٦٧٪
٣ - علاقة بالاتصال الهاتفى فقط	-	صفر٪
٤ - اتصال عن طريق المراسلات	-	صفر٪
٥ - لم تعد لى علاقة بالقرية	-	صفر٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

والجدول رقم (١٨) خاص بتوضيح علاقة المهاجرين بالريف .ونلاحظ من الجدول أن كامل مفردات العينة لهم علاقة بموطنهم الاصلى الذي هاجروا منه . أما شكل هذه العلاقة فيوضحها الجدول رقم (١٩) اذ نجد أن نسبة (٨٣٫٣٣٪) لهم علاقة مباشرة بذويهم فى الريف عن طريق الزيارات المتبادلة فهؤلاء يقومون بزيارات لذويهم فى الريف فى كل المناسبات والأعياد ، وبعضهم يقضى عطلة نهاية الاسبوع هناك بكامل أسرته ، فى الوقت الذي يقوم ذويه فى الريف بزيارات مماثلة . ويدل هذا على عمق العلاقة بين المهاجر وذويه فى مناطق الهجرة . أما باقى مفردات العينة ونسبتهم (١٦٫٦٧٪) فهم على علاقة بذويهم فى الريف . ولكن هذه العلاقة أقل شدة من النسبة السابقة فهم لايتبادلون الزيارات بشكل مستمر وانما يفعلون ذلك فى الأعياد والمناسبات . وليس بين مفردات العينة من له علاقة بذويه فى الريف عن طريق الاتصال بالهاتف أو المراسلة فقط .

جدول رقم (٢٠)

توزيع مفردات العينة حسب رأيهم فى بيع ممتلكاتهم فى الريف

الرغبة فى البيع	التكرار	النسبة ٪
نعم	١٢	٢٠٪
لا	٤٨	٨٠٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

جدول رقم (٢١)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب الرغبة فى بيع الممتلكات فى الريف

الأسباب الدافعة الى البيع	التكرار	النسبة ٪
١ - لاستغلال ثمنها فى مشروعات فى المدينة	١٠	٨٣٫٣٤٪
٢ - لادخار ثمنها لحين الحاجة	٢	١٦٫٦٦٪
المجموع	١٢	١٠٠٪

جدول رقم (٢٢)

توزيع مفردات العينة حسب رأيهم فى عدم الرغبة فى بيع ممتلكاتهم فى الريف

أسباب عدم الرغبة فى البيع	التكرار	النسبة ٪
١ - لأنني استثمرها فى القرية	٤	٨٫٣٣٪
٢ - لأنها تمثل الصلة بينى وبين القرية	٣٠	٦٢٫٥٠٪
٣ - لأن العادات والتقاليد فى القرية لاتجيز بيعها	١٤	٢٩٫١٧٪
المجموع	٤٨	١٠٠٪

وسألنا عينة الدراسة عن رأيهم فى امكانية بيع ممتلكاتهم فى الريف من عدمه . خاصة وأن كامل العينة لهم ممتلكات هناك كما هو واضح فى الجدول رقم (١٣) فوجدنا كما هو مبين فى الجدول رقم (٢٠) أن (٢٠٪) من العينة يمكن أن يبيعوا ممتلكاتهم هناك لأسباب موضحة في الجدول رقم (٢١) بينما لايفضل (٨٠٪) بيع تلك الممتلكات للأسباب الموضحة فى الجدول رقم (٢٢) . فالذين يفضلون بيع ممتلكاتهم في الريف بنسبة (٨٣٫٣٤٪) يرون أنه يمكن الاستفادة من ثمنها فى مشروعات فى المدينة تدر عليهم أرباحا معلومة . خاصة وأن تلك الممتلكات حاليا لم تعد ذات فائدة اقتصادية ، بينما ترى نسبة (٦٦٫٦٦٪) الباقية من الذين يفضلون ببيع ممتلكاتهم هناك أنه يمكن ادخار ثمن تلك الممتلكات عند بيعها لحين الحاجة . أما الذين يفضلون عدم بيع ممتلكاتهم فى القرية فلأنهم يستثمرونها هناك بنسبة (٨٫٣٣٪) أو لأنها تمثل الصلة بينهم وبين الريف بنسبة (٦٢٫٥٠٪) أو لأن العادات والتقاليد لاتجيز بيع الممتلكات فى الريف وذلك بنسبة (١٧٫١٩٪) . انظر الخانة .

جدول رقم (٢٣)

توزيع مفردات العينة حسب زغبتهم فى دفع أقربائهم فى القرية الى الهجرة

أرغب فى هجرة الاقرباء فى القرية	التكرار	النسبة ٪
نعم	٨	١٣٫٣٤٪
لا	٥٢	٨٦٫٦٦٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪

أما الجدول رقم (٢٣) فهو خاص باستطلاع رأي العينة فيما اذا كانوا يرغبون في دفع أقربائهم في الريف الى الهجرة الى المدينة أم لا . فنلاحظ أن نسبة (٣٤ر١٣٪) منهم لديهم الاستعداد لاغراء أقربائهم بالهجرة الى المدينة . بينما نري نسبة (٦٦ر٨٦٪) عدم الرغبة في دفع الأقرباء للهجرة من الريف الى المدينة. ولعل أسباب عدم الرغبة تكمن في كون هؤلاء المهاجرين يشعرون بالانتماء الى القرية ورغبتهم في التردد عليها ولذا يفضلون بقاء أقاربهم هناك تحقيقا لهذا الغرض . اذ أن هؤلاء يرون أن الظروف في المدينة تغيرت عن ماكانت عليه عندما هاجروا اليها فربما يشعرون أن أقاربهم سيعانون من بعض المشكلات قبل التكيف والاستقرار في المدينة . أو أنهم يرون أن بقاء أقربائهم في الريف أصبح ممكنا أكثر من ذي قبل ،خاصة بعد تحسن الظروف المعيشية والاقتصادية هناك . فلماذا يدفعون أقرباءهم الى الهجرة ؟

جدول رقم (٢٤)

توزيع مفردات العينة حسب رغبتهم في العودة الى القرية

الرغبة في العودة إلى القرية	التكرار	النسبة ٪
نعم	٢٥	٪٤١ر٦٧
لا	٣٥	٪٥٨ر٣٣
المجموع	٦٠	٪١٠٠

جدول رقم (٢٥)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب رغبتهم فى العودة الى الريف

الأسباب الدافعة الى العودة الى القرية	التكرار	النسبة ٪
١ – لأن الفرص فى القرية متاحة الآن	١٥	٦٠٪
٢ – لأن الأبناء انهوا تعليمهم الجامعى	١٠	٤٠٪
٣ – لأن أحد الأبناء التحق بعمل فى الريف	–	–
٤ – لأنني سئمت حياة المدينة	–	–
المجموع	٢٥	١٠٠٪

جدول رقم (٢٦)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب عدم رغبتهم فى العودة الى الريف

أسباب عدم الرغبة فى العودة الى الريف	التكرار	النسبة ٪
١ – لأنك تعودت على حياة المدينة	٥	١٤٫٢٨٪
٢ – لأنه ليس فى القرية فرص مناسبة	٤	١١٫٤٢٪
٣ – لأن الأبناء لايحبون القرية	٢٠	٥٧٫١٥٪
٤ – لأن بعض الأبناء لازالوا يواصلون تعليمهم	٦	١٧٫١٥٪
المجموع	٣٥	١٠٠٪

ومن الجدول رقم (٢٤) الخاص بتوزيع مفردات العينة حسب رغبتهم في العودة الى الريف نجد مايدعم ماذهبنا اليه في تحليل بيانات الجدول السابق رقم (٢٣) ذلك أن نسبة (٦٧ر٤١٪) من مجموع عينة الدراسة يرغبون في العودة الى الريف بينما تفضل نسبة (٣٣ر٥٨٪) البقاء في المدينة والجدول رقم (٢٥) يوضح أسباب رغبة بعض المهاجرين العودة الى القرية ذلك أن (٦٪) منهم يرون امكانية العودة نظراً لأن الفرص كاملة أصبحت متاحة الآن في القرية عكس ماكانت عليه عند هجرتهم . ونسبة (٤٪) منهم يفضلون العودة الى المدينة ربما للسبب السابق اضافة الى أن أبنائهم أنهوا تعليمهم الجامعي فلم يعد دافعهم الى الهجرة بسبب مواصلة أبنائهم تعليمهم قائما . والجدول رقم (٢٦) يكشف عن أسباب عدم رغبة بعض المهاجرين في العودة الى الريف ، فنسبة (١٥ر٥٧٪) منهم ذكروا أن سبب عدم الرغبة في العودة الى الريف هو أن الأبناء لايحبون الحياة في القرية التي لاشك أنها تختلف عن الحياة في المدينة وخاصة لدي الجيل الذي لم يعش جزءا كبيرا من حياته في القرية . أما النسبة الثانية وتبلغ (١٥ر١٧٪) فلا يرغبون في العودة لأن بعض أبنائهم لازالوا في المرحلة الجامعية من التعليم ، وحيث لاتوجد جامعة هناك فان بقاءهم هنا أمر ضروري . أما نسبة (٢٨ر١٤٪) فلا يفضلون العودة الى القرية بسبب تعودهم على حياة المدينة . والنسبة الأخيرة بواقع (٤٢و١١٪) ترى أن الفرص من وجهة نظرها غير متاحة في القرية بالشكل الذي يدفعهم الى التفكير في العودة اليها . راجع عوامل الهجرة من الريف الى المدينة ص ١٤ ومابعدها من هذه الدراسة .

الخاتمـــة

ونصل الان الى نهاية هذه الدراسة ، ونحاول أن نستخلص منها بعض النتائج ونتحقق من صحة فروضها. فقد وضعنا الفرض رقم (١) على النحو التالى:

١ - ترتبط دوافع الهجرة بانخفاض المستوي الاجتماعى والاقتصادي للفرد . بمعني أنه كلما قل المستوي الاجتماعى والاقتصادي للفرد فى المناطق الريفيه أدي ذلك الى زيادة دوافع الهجرة لديه . وقد ثبت من معطيات الدراسة الميدانية صحة هذا الفرض وان كانت المعلومات الواردة في الجدول رقم (١١) قد توحي بعكس ذلك ، اذ نلاحظ ان نسبة الذين قالوا أن مستواهم الاقتصادي قبل الهجرة كان دون المتوسط (١٦٫٦٦٪) فقط بينما تقع النسبة الباقية بين الجيده والمتوسطة . ولكن يجب أن نلاحظ أن الحالة المتوسطة والجيدة للريفيين قبل الهجرة كانت قياسا بالمستوي فى الريف . و يؤكد هذا المعلومات الواردة فى الجدول رقم (١٤) اذ تبلغ نسبة الذين قالوا بأن الحالة الاقتصادية فى القرية لم تكن جيدة (٩٣٫٩٤٪) وهم ولاشك يقيمون ذلك بالمستوي الاقتصادي الذي يعيشونه فى المدينة . ويدعم ذلك أيضا نسبة (٨٨.٣٢٪) الذين قالوا أن الفرص الاقتصادية فى المدينة أكثر منها فى القرية . وهذا يعنى أنهم هاجروا لمحاولة تحسين المستوي الاقتصادي . اذ أن الزراعة لم تعد ذات عائد اقتصادي جيد يجعل الريفيين يفكرون كثيرا قبل الهجرة ، حتى أن المقيمين حاليا فى الريف هجروا النشاط الزراعى كما سنلاحظ فى الفقرة الثالثة.

٢ - وقد افترضنا أنه " ترتبط دوافع الهجرة باختلاف النوع والعمر للمهاجرين ، بمعنى أن هجرة الشباب من الريف الى المدينة ترتبط بالرغبة فى التعليم أو

مواصلة التعليم حيث توجد فرص أكبر فى المدينة . وهذا الفرض أيضا ثبت صحته من واقع الدراسة الميدانية حيث نلاحظ من المعلومات الواردة كان دافعهم الى الهجرة مواصلة التعليم وخاصة التعليم الجامعى . اذ لاوجود لجامعة فى منطقة الباحة الأمر الذي دفع بعض الاسر للهجرة ليلتحق أبناؤها بالجامعة فى مدينة جدة . وفى دراسة سابقه اشارة الى هذا وتأكيد على أن الشباب وخاصة من الذكور يهجرون المناطق الريفية الي المدن من أجل مواصلة التعليم الجامعى . الأمر الذي أدي الى ارتفاع نسبة النساء عن الرجال بواقع (٦٠٪) الى (٤٠٪) عند المرحلة العمرية من ٢٠ سنة الى أقل من ٢٤ سنة ، وهذه المرحلة من العمر هى المرحلة التى يواصل فيها الشباب المرحلة الجامعية من التعليم . (١٩)

٣ - والفرض الثالث الذي ينص على أنه " ترتبط الهجرة من الريف الى المدينة بظهور الآثار السلبية على النشاط الاقتصادي والتي تظهر بالريف أكثر وضوحا منها فى المدينة. بمعنى أنه كلما زادت الهجرة من الريف الى المدينة أدي ذلك الى ظهور الاثار السلبيه على النشاط الاقتصادي فى الريف ". وهذا الفرض صحيحا من الواقع ومن وجهة نظر المهاجرين أنفسهم ، فنجد المعلومات الواردة فى الجدول رقم (١٥) أن كامل العينة يؤكدون على أن الهجرة الى المدينة أدت الى عدم الاهتمام بالزراعة ، والى اختفاء الصناعات التقليدية فى مناطق الهجرة بنسبة (٦٦ر٩٦٪) والى عدم الاهتمام بتربية الماشيه بنسبة (٦٧ر٨٦٪) ونسبة (١٠٠٪) يرون أن الهجرة من الريف الى المدينة أفادت الأفراد المهاجرين ولكنها أضرت النشاط الاقتصادي فى القريه. ليس ذلك فحسب . بل ان هناك مجموعة أخري من العوامل حولت المجتمع الريفى من مجتمع زراعى الى مجتمع من نوع آخر، يمارس أفراده مناشط اقتصادية مختلفة ، بحيث يمكن ملاحظة أن الزراعة فى منطقة الباحة أصبحت نشاطا ثانويا بعد أن كانت رئيسيا، وبعد أن كان المجتمع

ينتج مايحتاجه ويصدر الفائض الى المجتمعات المجاورة . أصبح يعتمد على المدينة بشكل مباشر . ومن هذه العوامل الهجرة كما أشرنا اليها سابقا وخاصة هجرة الذكور وانتشار التعليم فى المنطقة بشكل كبير ، بحيث التحق الذكور والاناث بالمدارس والمعاهد التي انتشرت فى المنطقة ، وتوجه الأفراد هناك نحو أعمال أخري . فنلاحظ أن نسبة (٣٣و١٩٪) من مجموع العينة فى دراسة عن منطقة الباحة [٢٠] بينما بلغت نسبة الموظفين (٤٢٪) والمشتغلين بالتجارة (٣٣ر٣٢٪) حتى المرأة تغيرت أدوارها فلم تعد تمارس عملها فى المنزل كما كانت فى السابق أو فى الحقل بل أصبحت اما طالبه أو موظفة . وفى الدراسة المشار اليها أصبحت نسبة الطالبات والموظفات من بين زوجات مفردات العينة وعددها ثلاثمائة (٦٦ر٤٢٪) بينما النسبة الباقية يقتصرن على الاعمال المنزلية فقط . [٢١]

ونظرا لهجرة الذكور أو عدم قيامهم بأعمال النشاط الزراعى فقد عرفت المنطقة العمالة الزراعية لأول مرة فى تاريخها الحديث [٢٢] اضافة الى مهن أخري. وهكذا نجد أن الهجرة كعامل أول فى اختفاء مظاهر النشاط الاقتصادي فى الريف تضافرت مع مجموعة عوامل أخري فكانت آثارها السلبيه على الريف أكثر وضوحا وشدة .

٤ - والفرض الرابع ينص على أنه : يرتبط تكيف المهاجر للحياة الاجتماعية فى المدينة ارتباطا عكسيا بقوة صلته بالريف . بمعنى أنه كلما زادت صلة المهاجر وارتباطه بالريف أدي ذلك الى عدم تكيفه للحياة الاجتماعية فى المدينة .. وقد أثبتت الدراسة الميدانية عدم صحة هذا الفرض . وبالرجوع الى الجدول رقم (١٦) نجد أن الذين يشعرون بالراحة فى المدينة وأنهم تكيفوا مع الحياة فى المدينة تبلغ نسبتهم (٦٦ر٩٦٪) من مجموع العينة . وشعورهم بالراحة يرتبط اما بكونهم حققوا دوافعهم الى الهجرة أو لأن الحياة فى المدينه أفضل منها فى القرية. أو لأن الوضع الاجتماعى الذي يعيشونه فى

المدينه أفضل من الذي كان يعيشونه فى القريه. أو لأن الخدمات فى المدينة متاحة وهى ليست كذلك فى المناطق الريفيه. هذا فى الوقت الذي قالت فيه العينة أن لها علاقة وطيدة بالريف بنسبة (١٠٠٪) - انظر الجدول رقم (١٨) - وهذا يعني أن علاقة الريف بالقرية وبأشكال مختلفه ليست مؤثرة فى مدي تكيفه مع الحياة الاجتماعية فى المدينة الا بنسبة ضئيلة لم تتجاوز (٣٤ر٣٪) من عينة الدراسة وسنزيد ذلك ايضاحا فى الفقرات اللاحقه .

٥ - وبرغم أن المهاجرين يعيشون حياة المدينة الا أننا نلاحظ أن لديهم ميولا لبعض أنماط الحياة الريفية. فنجد أن من بينهم المتزوج بأكثر من واحدة . انظر جدول رقم (٩) وأن عدد الابناء لديهم ليس هو النمط المتوقع فى المدينة انظر جدول رقم (١٠) .

٦ - أن معظم المهاجرين من الريف الى المدينة كانوا يمارسون مهنة الزراعة ، وبعد اقامتهم فى المدينة تحولوا الى مهن أخري ، ولاشك أن هجرة المزارعين بأعداد كبيرة يؤثر على النشاط الاقتصادي فى الريف تأثيرا عميقا كما سبق توضيحه.

٧ - أن كل المهاجرين لديهم ممتلكات فى الريف - تتراوح بين الاراضى الزراعية والعقار والمواشى والمحلات التجارية وبنسب مختلفة ، وهذا يعنى الارتباط المباشر بينهم وبين الريف يتمثل فى احتفاظهم بتلك الممتلكات لأسباب مختلفة كما هو موضح فى الجداول رقم ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

٨ - أن معظم المهاجرين لايرغبون فى بيع ممتلكاتهم فى الريف للأسباب الموضحة فى الجدول رقم (٢٢). ونسبة (١٧ر٢٩٪) لايرغبون فى بيع ممتلكاتهم فى الريف لأن العادات والتقاليد فى الريف لاتجيز بيعها، ونظام الملكية فى منطقة الباحة نظام من نوع خاص ، فهناك ارتباط وثيق بين الملك والمالك من خلال الشعور بالانتماء الى الأرض والمحافظة عليها. ومن هذا المنطلق فان

الفرد الذي يرث عن والده وجده أراض زراعية أو غير زراعية أو عقار لايفكر فى بيعها. فان فعل ذلك فان المجتمع هناك يقابله بالازدراء فبيعه للأرض يعنى بيعه للانتماء للقبيلة كلها. وغالبا ماتتدخل الأسر القريبة فى هذا الموضوع فتحاول اثناء الفرد عن بيع ممتلكاته بتقديم المساعدات اللازمة له فان عجزت عن ذلك بقاطعته نهائيا واعتباره عنصرا شاذا فى وحدته الاجتماعية . (٢٣)

٩ - والملاحظة الملفتة للنظر هى أنه على الرغم من تكيف المهاجرين من الريف الى المدينة مع حياة المدينة ، فهم لايرغبون فى دفع أقربائهم فى الريف الى الهجرة وذلك بنسبة (٦٦ر٨٦٪) وسبق أن قمت بتوضيح أسباب ذلك فى شرح الجدول رقم (٢٣) .

١٠ - ومما يلفت النظر أيضا رغبة نسبة (٦٧ر٤١٪) من مجموع العينة فى العودة الى الريف وترك حياة المدينة . كما هو واضح فى الجدول رقم (٢٤). والجدول رقم (٢٥) يوضح أسباب ذلك .

وبصفة عامة فانه يمكن القول أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التى أتيحت لهذا المجتمع ساهمت فى توسيع رقعة التحضر فى شتى أنحاء البلاد ومحاولة تأمين المستوي المعيشى لكل مواطن ، وذلك مايتضح من خلال خططها التنموية المختلفة والتى تسعى دائما الى وضع المناطق الريفية فى عين الاعتبار حتي تحد من هجرة الريفيين الى المدن .

وذلك مانلمسه مثلا فى وسائل المواصلات التي تسعي الى ازالة العزلة عن الريف وزيادة الاهتمام به مما سبب ظهور رحلة العمل اليومية التى يقوم بها قسم من العاملين فى المدن المتخذين من الريف مكانا لاقامتهم ، وكذلك بدأت تزداد نسبة الهجرة المعاكسة الى الريف ، وان كانت لم تصل الى المستوي المطلوب الذي يعيد التوازن بين الجانبين .

وفى النهاية يمكننا القول انه لابد من زيادة الاهتمام بالتخطيط الشامل وهو مايؤكده العلماء والمختصون وذلك لمعرفة امكانات وموارد الدولة الطبيعية والبشريه ودراسة صفاتها العامة وخصائصها المميزة واحتياجات مناطقها المختلفة، لأن هذا يمثل الدعامة الأساسية والركيزة فى وضع الحلول لمشكلات الهجرة وفي الحد من آثار هذه الظاهرة.

وان المملكة العربية السعودية كما أسلفنا تشتمل على مناطق جغرافيه مختلفة ومساحات واسعة من الأراضى وكل هذه الأجزاء المختلفة ينتشر بها السكان وان كان هذا الانتشار لايشكل ضيقا مكانيا فى كثير من أجزاء المنطقة - حيث تشكل الحياة القروية الكثير من هذه المساحات وكذلك الحياة البدوية ، وخاصة فى العقدين الماضيين من تاريخ المملكة العربية السعودية - ومع هذا فان العوامل الاقتصادية المتمثلة فى اكتشاف النفط وغيره ساعدت على تقدم المملكة بصفة عامة وخاصة فى الناحية الحضارية وساعد ذلك على ظهور الكثير من المدن فى شتى أنحاء المملكة وحتى وصلت مايقارب الأربعين مدينة فى الوقت الحاضر تكاد تكون مكتملة بجميع متطلباتها ، وليس من المعقول بالطبع ان تحول كل قرية الى مدينة ، ولكن لابد من الاهتمام على الأقل بتوفير الاحتياجات الأساسية الممكن توفيرها لتلك القري ، ويلى ذلك الاهتمام بالمدن والمراكز الصغيرة المنتشرة فى جميع أنحاء المملكة وجعلها مكتملة من جميع النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلميه ... الخ . حتى يقلل ذلك من الاقبال على المدن الكبيرة التى يراها الكثير نبراسا للهجرة الريفية .

وختاما يمكن القول أن هذه الدراسة لم تحقق بعض الأهداف الى تم تحديدها على الصفحة الرابعة بالشكل الذي كنت آمل الوصول اليه . فالهدف الأول لم أستطع تحقيقه خاصة ماتعلق بنوع المهاجرين وهو "الذكور والاناث" وان كانت البيانات الميدانية قد أوضحت نوع المهاجرين الذكور، الا أنها كانت قاصرة عن ايضاح ماتعلق بهجرة المرأة وعلى الرغم من اشارات متفرقة فى متن هذه الدراسة

الى أن هجرة المرأة فى المجتمع العربى السعودي ترتبط مباشرة بهجرة الرجل الا أنها تظل قاصرة. واعتقد أن سبب ذلك يرتبط مباشرة بقصور فى معلومات صحيفة الاستبيان حيث لم ترد فيها أسئلة خاصة بمعلومات عن هجرة المرأة .. أما هجرة الذكور فكانت علاقتهم بالهجرة واضحة وذلك يمكن ملاحظته من معلومات وشروح الجداول . أما الهدف الثانى والهدف الثالث فقد تحققا بشكل واضح حيث بينت المعلومات الميدانيه عوامل ودوافع الهجرة من الريف الى المدينة، وكان واضحا أثر الهجرة على النشاط الاقتصادي التقليدي فى الريف ، سواء من معلومات الدراسة الميدانية أو من نتائج دراسات وبحوث سابقة، والهدف الرابع يمكن القول أنه أمكن تحقيقه بطريقة أفضل، حيث وضح تماما أن المهاجرين استطاعوا التكيف مع الحياة الاجتماعية فى المدينة ، ولعل ذلك يرتبط بطول مدة هجرتهم وبتحقيق أهداف الهجرة بالنسبة لهم . ولا يعنى على الاطلاق ارتباط الريفين بذويهم فى المناطق الريفيه من قبيل سوء التكيف. أن العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع بشكل عام تمتاز بقوتها واستمرارها حتى لو تباعدت مناطق الاقامة ، فالمقصود بالتكيف من الناحية الاجتماعية : العملية الواعيه التى يحاول بها الأفراد والجماعات التلاؤم مع الظروف المختلفة التى يجدون أنفسهم فيها وتشمل هذه الظروف النواحى الاجتماعية والاقتصادية وحتى الظروف الطبيعية . وفى ضوء تلك المحاولة يتمكنون من تعديل بعض أنماط سلوكهم بما يتلاءم مع البيئة الجديدة. ولاتأتى ذلك بصفة عاجلة أو مفاجئة وانما بالتدريج ويختلف التدرج فى موضوع التكيف باختلاف الأفراد أنفسهم والجماعات ويرتبط ذلك من وجهة نظري بالمستوي التعليمى والعمر والمستوي الاقتصادي.. ولعل الجهد الذي بذلته يشفع لجوانب القصور التى أشرت اليها. وأن يكون خطوة على طريق البحث فى مجتمعنا المتغير باستمرار .

﴿ المراجـــع ﴾

١ - عبد الرحمن الشريف : هجرة السكان الى مدن جنوب السعودية . النشرة السكانية، الكويت ، ١٩٨٦، ص ص. ١٤-١٤١

٢ - السيد حنفي عوض : علم الاجتماع والتحضر. ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٦، ص ص١٢١-١٢٢.

٣ - على عبد الرازق جلبى : علم اجتماع السكان . دار النهضة العربية ، بيروت، ١٤٠٤هـ ، ص ص٢١٧-٢١٨ .

٤ - اسحق يعقوب القطب: النمو والتخطيط الحضر .ط١، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٨٠، ص١٤٦.

٥ - على جلبى : مرجع سابق ، ص ص٢١٨ - ٢١٩.

٦ - المعهد العربى لانماء المدن : الهجرة من الريف الي المدن، ١٤٠٧هـ، ص ص٥-٦ .

٧ - نفس المرجع ، ص٩ .

٨ - محمد فؤاد حجازي : الأسرة والتصنيع . مكتبة وهبة. القاهرة، ١٩٧٩هـ، ص ٢١٥.

٩ - المعهد العربى لانماء المدن : مرجع سابق ، ص ص٣١-٣٣ .

١٠- انظر : سعيد فالح الغامدي: البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية السعودية، ط٤، دار الشروق ، جدة، ١٤٠٤هـ، ص. ١٧ ومابعدها .

١١- عبد الحميد محمود سعد: المدخل المورفولوجى لدراسة المجتمع الريفى . دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ١٢٢.

١٢- نفس المرجع، ص ١٢٤ .

١٣- المعهد العربى لانماء المدن : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

١٤- نفس المرجع ، ص ٢٥ .

١٥ - عبد الحميد محمود سعد : مرجع سابق ، ص ص١٢٦-١٢٧ .

١٦- مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية - السكان والتربية والتنمية (فى البلاد العربية)، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤.

١٧- نفس المرجع، ص ص٢٣٣-٢٣٤.

١٨- مجلة كلية الآداب . جامعة الملك عبد العزيز، المجلد الثانى : تغير الأدوار فى الأسرة الريفيه ١٤٠٩هـ ، ص ١٠ ومابعدها.

١٩- سعيد فالح القامدي : التراث الشعبى فى القرية والمدينة. شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٥هـ ، ص ص١٠٥-١٠٦ .

٢٠- تغير الأدوار فى الأسرة الريفية . مرجع سابق ، ص ٢٦ .

٢١- نفس المرجع ، ص ٥١ .

٢٢- نفس المرجع، ص ٥٢ .

٢٣- سعيد القامدي : البناء القبلى والتحضر : مرجع سابق ، ص ١٧٣ ومابعدها.

٢٤- المعهد العربى لانماء المدن : مرجع سابق ، ص ٤٣٣.

استرابون يتحدث عن
حملة أيليوس جالوس على بلاد العرب

للدكتور / محمد عبودى ابراهيم
أستاذ الدراسات اليونانية والرومانية المساعد

استرابون يتحدث عن

حملة أيليوس جالوس على بلاد العرب [1]

تناولنا في بحث سابق [2] ما كتبه الجغرافي الاغريقي استرابون عن بلاد العرب ، وركزنا فيه على القسم الذي أعتمد فيه كاتبنا كلية على ماكتبه أسلافه من مؤلفي الاغريق وبخاصة اراتوستيس وأرتميدوروس وأجاثار خيديس وذكرنا في حينه أنه على الرغم من دقة ملاحظات المؤلف ومن التناسق الذي اتسم به في كل ماكتبه وخصوصا في الجزء المخصص في جغرافيته لوصف مصر والمصريين ، نجد وصفه لبلاد العرب وأهلها يعوزه هذا التنسيق وذلك الترتيب ، ويرجع عدم الترتيب هنا ، على الارجح في رأينا ، الى اعتماد كاتبنا على ما كتبه أسلافه من بني جلدته من الاغريق الذين كتبوا في مراحل زمنية مختلفة، وكذلك على التقارير الرسمية المتعلقة بحملة صديقه أيليوس جالوس الوالي الروماني في مصر (26-25 B.C) على جنوب بلاد العرب ، المعروفة آنذاك بالعربية السعيدة أو المزدهرة أو الميمونة [3] . وهناك سبب آخر جعل من وصف استرابون

(١) بدأت هذه الحملة اما في عام ٢٥ ق.م أو عام ٢٤ ق.م حسب رأي
Richard le Baron & Franc. Albright Bowen. Jr,Archaeologeal Discoveries in South Arabia. Vol II.P.38.

(٢) بحث قدم أمام المؤتمر الثالث للدراسات العربية اليونانية Helleno- Arabica المنعقد في مدينة أثينا باليونان يوليو ١٩٨٨.

(٣) لقب اليونان جنوب بلاد العرب (اليمن حاليا) Arabia Eudaimon ومعناها بلاد العرب السعيدة أو اليمونة ، أو المزدهرة .

لبلاد العرب ينقصه الترتيب والتنسيق، ذلك أن المؤلف كما هو واضح لم يرافق الحملة المذكورة [٤] وأدلتنا على ذلك كثيرة، فاسترابون لايخبرنا بصراحته المعهودة بأنه زار تلك البقاع كما حدث عندما حدثنا عن مصر والمصريين [٥] كذلك نجد استرابون يعتمد اعتمادا كليا على كتابات أسلافه وعلى تقارير حملة أيليوس جاللوس على بلاد العرب بينما لايغفل ذلك فى وصفه المفصل والدقيق لمصر وسكانها.

فى هذا البحث سنركز - كما وعدنا فى المقال السابق المشار اليه علي المعلومات التي استقاها استرابون بشكل رئيسى من التقارير الرسمية التى صدرت عن حملة أيليوس جاللوس على جنوب بلاد العرب ، وهى الحملة التى تمت مع بداية قيام الامبراطورية الرومانية وفى أوائل عهد مؤسس هذه الامبراطورية اكتافيانوس الملقب أوغسطس أى المبجل [Octavianus Augustus]

وبلاد العرب عامة وجنوبها بوجه خاص كان باستمرار ومنذ أقدم العصور مثالا للثراء الوفير والغنى الجم أو هكذا أشيع عنها بين الاقدمين ، وقد أدت هذه الشهرة الى خلق الاطماع فيها واثارة الرغبة فى الاستحواز على ثرواتها من قبل القوى الكبرى المتصارعة فى العالم القديم آنذاك.

هذا الراى يؤيده ايضا Nigel Groom. فى كتابه Frankincense and Myrrh (Longman, London and New York, 1981, P 73)

(٥) الكتاب السابع عشر من جغرافية استرابون.

وقد ظهر صدى هذا الغنى وذاك الثراء فى الكتب السماوية. ففى القرآن الكريم نجد طائر الهدهد يخاطب سيدنا سليمان [٦] عليه السلام والذى عرف عنه أن يعرف لغة الطير – فيقول [٧] " فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألايسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون ". وفى مكان آخر يقول تعالى [٨] " لقد كان لسبأ فى مسكنهم أية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور"

وعندما غزا الاسكندر الاكبر المقدونى الشرق ابتداء من عام ٣٣٤ ق.م حاول هو الآخر أن يغزو شبه الجزيرة العربية نظرا لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية حتى قيل[٩] أنه فكر فى جعل عاصمة ملكه فيها .

---

(٦) يرجع علماء التاريخ والاديان أن عهد الملك النبى سليمان عليه السلام كان فى القرن العاشر قبل الميلاد (أنظر: الديانة العربية قبل الاسلام لمؤلفه د. محمد بيومى مهران ص ٢٢).

(٧) القرآن الكريم ، سورة النمل من آية ٢٢ حتى آية ٢٥

(٨) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، الآية ١٥ .

(٩) أنظر استرابون ، الجغرافيا ١٦ ، ٤ ، ٢٧ ، فارن أريانوس حياة الاسكندر الكتاب ٧ ، ١٩ .

ويؤكد الجغرافى أجاثارخيديس [١٠] فى كتابه عن البحر الاحمر[١١] أنه لاتوجد أمة أكثر ثراء من السبئيين وأهل جرهة ، الذين كانوا يتعاملون فى كل شيء يتصل بالتجارة بين آسية وأوربية .

ويقول المؤرخ ديودوروس الصقلى فى هذا الصدد [١٢] "،تفوق قبيلة أو قوم السبئيين ليست فقط على ما جاورهم من عرب بل أيضا على جميع الشعوب الاخرى فى الثراء والمفاخر الاخرى".

أما الجغرافى استرابون ، موضوعنا فى هذا البحث ، فانه يصف ثراء بلاد العرب فى أكثر من موضع فى مؤلفه . ففى الكتاب الاول ، بعد أن يقرر أنه فى أيام الشاعر هوميروس (نظم شعره فى حوالى القرنين التاسع أو الثامن قبل الميلاد) لم تكن بلاد العرب غنيه [١٣]

---

(١٠) أزدهر أجاثار خيديس فى القرن الثانى قبل الميلاد . ونقل عنه استرابون الكثير.

(١١) K. Mueller, Geographici Graeci Minores (Paris, 1882) Chap.10.

(١٢) ديودوروس الصقلى (ازدهر فى منتصف القرن الاول قبل الميلاد)، المكتبة التاريخية ، الكتاب الثالث ، فصل ٤٧ .

(١٣) الواقع أن هذا الكلام يتناقض مع ما جاء ذكره فى القرآن الكريم عن ثراء قوم سبأ فى وقت حكم النبى الملك سليمان بن داود عليهما السلام وهو ما سبق الاشارة اليه ، وهو سابق أو معاصر لتاريخ هوميروس، والارجح فى رأيى أن اليونان لم تكن لهم دراية آنذاك ببلاد العرب وهى ابعد بلاد العالم المتحضر كما يقول هيرودوت (الكتاب الثالث الفصل ١٠٧).

وبالتالى لم تكن مشهورة ، وهذا ما يفسر عدم معرفته بها معرفة جيدة .

يقول استرابون[١٤] : " أما الآن(يقصد فى عصر استرابون) من المؤكد، أضحى العرب ميسورى الحال وحتى أثرياء، لأن تجارتهم واسعة ووافرة، لكن من غير المحتمل أن الوضع كان كذلك فى أيام هوميروس . وفيما يتصل بالتجارة فى الطيوب، فان التاجر أو الحمال (المشتغل بعملية نقل الطيوب) قد يصل الى نفس درجة الثراء من التجارة أو من نقل هذه الطيوب. وفى مكان آخر يتحدث استرابون [١٥] وهو ينقل عن سلفه أرتميدوروس فيقول : " ومن نقل هذه التوابل والطيوب أضحى السبئيون وأهل جرهه اغنى الناس قاطبة ، وامتلكوا أعظم المعدات المصنوعة من الذهب" . وفى فقرة ثالثة يبدأ استرابون وصفه لمجريات حمله صديقه أيليوس جاللوس على جنوب شبه الجزيرة العربية بقوله[١٦] : "اتضحت كثير من الملامح الخاصة لبلاد العرب نتيجه للحملة القريبة العهد التى جردها الرومان على بلاد العرب ، تلك الحملة التى تمت فى زمنى (أى زمن استرابون فى حوالى ٢٥ ق.م) بقيادة أيليوس جاللوس".

Πολλὰ δὲ καὶ ἡ τῶν Ῥωμαίων ἐπὶ τοὺς Ἄραβας στρατεία νεωστὶ γενηθεῖσα ἐφ' ἡμῶν, ὧν ἡγεμὼν ἦν Αἴλιος Γάλλος, διδάσκει τῶν τῆς χώρας ἰδιωμάτων.

---

(١٤) استرابون ١ - ٢ - ٣٢.

(١٥) استرابون : ١٦ - ٤ - ١٩ .

(١٦) نص المؤلف : ١٦ - ٤ - ٢٢.

مما سبق ذكره يتضح من كلام استرابون أن هذه الحملة أضافت الى معلومات الباحثين والعلماء آنذاك نتيجة لما تجمع لديهم من تقارير عن هذه الحملة لكنها على غير المتوقع كانت اضافات طفيفة كما قلنا فى حديث سابق (١٧) .

يستطرد بعد ذلك كاتبنا معددا الاسباب والدوافع التى أدت الى شن الحملة المذكورة . وهو حديث يظهر صارخة استرابون المعهودة - فيقول(١٨)" فقد أرسله جاللوس) القيصر أوغسطس لاكتشاف القبائل والاماكن ، ليس فقط فى بلاد العرب ، بل أيضا فى أثيوبية (١٩) ، حيث لاحظ قيصر أن بلاد ساكنى الكهوف (Troglodytes) وهم سكان الساحل الشرقى للسودان وأرتريه والصومال) المتاخمة لمصر تقترب من بلاد العرب ، ولذلك أن الخليج العربى (البحر الأحمر بمفهومه الضيق)، الذى يفصل العرب عن ساكنى الكهوف، ضيق للغاية. بناء عليه اختمر فى ذهنه هدف كسب العرب الى جانبه (سلما) أو اخضاعهم (بالقوة المسلحة). وهناك اعتبار آخر وهو الفكرة التى ذاعت (٢٠) طوال الزمن

---

(١٧) قارن ايضا . Bunbury, A History of Ancient Geography, Vol .II P . 320.

(١٨)استرابون نفس المكان السابق .

(١٩) المقصود بأثيوبية فى كتابات اليونان والرومان ك المنطقة الواقعة جنوب مصر وحتى تنزانيه ،والاثيوبيون يعنى الوجوه السمراء البنية التى لوحتها الشمس وهى تقابل بلاد السودان بمفهومها الواسع عند العرب الاقدمين.

(٢٠) قارن ما قاله هيرودوت وأجاثار خيديس وأراتيدوروس وديودوروس الصقلى فى هذا الخصوص فيما ورد أعلاه .

من أنهم قوم أغنياء جدا . وأنهم كانوا يبيعون الطيوب وأنفس الاحجار مقابل الذهب والفضة، ولكنهم كانوا لا ينفقون أى شىء مما حصلوا عليه من الاجانب ، لانه (أى أغسطس) توقع اما أن يتعامل مع أصدقاء أغنياء (عن طريق الحالفه) أو أن يسيطر (عن طريق الحرب) على أعداء أغنياء وشجعه على ذلك أيضا توقع المساعدة من الانباط ، لانهم كانوا على صلات صداقة به ووعدوه بالتعاون معه بكل وسيلة .

τοῦτον ὁ ἐπέμψεν ὁ Σεβαστὸς Καῖσαρ διαπειρασόμενον τῶν ἐθνῶν καὶ τῶν τόπων τούτων τε καὶ τῶν Αἰθιοπικῶν, ὁρῶν τήν τε Τρωγλοδυτικὴν τὴν προσεχῆ τῇ Αἰγύπτῳ γειτονεύουσαν τούτοις, καὶ τὸν Ἀράβιον κόλπον στενὸν ὄντα τελέως τὸν διείργοντα ἀπὸ τῶν Τρωγλοδυτῶν τοὺς Ἄραβας· προσοικειοῦσθαι δὴ διενοήθη τούτους ἢ καταστρέφεσθαι. ἦν δέ τι καὶ τὸ πολυχρημάτους ἀκούειν ἐκ παντὸς χρόνου, πρὸς ἄργυρον καὶ χρυσὸν τὰ ἰρώματα διατιθεμένους καὶ τὴν πολυτελεστάτην λιθίαν, ἀναλίσκοντας τῶν λαμβανομένων τοῖς ἔξω μηδέν· ἢ γὰρ φίλοις ἤλπιζε πλουσίοις χρήσεσθαι ἢ ἐχθρῶν κρατήσειν πλουσίων. ἐπῆρε δ' αὐτὸν καὶ ἡ παρὰ τῶν Ναβαταίων ἐλπίς, φίλων ὄντων καὶ συμπράξειν ἅπανθ' ὑπισχνουμένων.

لاستكشاف ومعرفة الشعوب والقبائل وطبيعة سواحل البحر الاحمر وهى بالتالى وسيلة وغاية لتأمين الطريق التجارى البحرى مع شرق أفريقية

وبلادالعرب والهند التى سنلاحظ أن التجارة معها ستزداد وتنشط فى عصر الامبراطورية الرومانية [٢١] . وثانى السببين لشن الحملة هو أن الرومان وفى مقدمتهم الامبراطور أوغسطس بالذات قد تأثروا بما قرأوه وبما سمعوه عن ثراء جنوب بلاد العرب التي أطلقوا عليها باستمرار بلاد العرب السعيدة أو المزدهرة [٢٢] . بسبب ثرائها فى الطيوب والبخور والمعادن النفسية ،من تجارتهم مع البلاد الاجنبية فى الشرق والغرب. ولذلك عقد الرومان العزم على الاستحواذ على ثروة تلك البلاد بأية وسيلة سلما أو حربا . وقد أعتمدوا فى تحقيق مآربهم على قوتهم الذاتية الى جانب توقعهم تلقى المساعدة من أصدقائهم عرب الشمال ؛ وهم الانباط الذين كانوا على علاقات تحالف مع الرومان [٢٣] .

كان اعتماد الرومان على توقع المساعدة المجردة من عرب الانباط لهم ضد بنى جلدتهم عرب الجنوب أول خطأ جسيم وقعوا فيه . فقد فاتهم

---

(٢١) قارن بلينيوس الاكبر : التاريخ الطبيعى الكتاب السادس ، فصل ٢٦ فقرة ١٠١، قارن كذلك Bunbury المرجع السابق ، ج ٢ فصل ٢٧، استرابون ص ٣١٩ .

(٢٢) لقب اليونان جنوب بلاد العرب (اليمن حاليا) Arabia Eudaimon ثم ترجمها الرومان Aabia Felix ومعناها بلاد العرب السعيدة أو المبسورة والمزدهرة اقتصاديا .

(٢٣) نلاحظ هنا أن الرومان كانوا حتى هذه اللحظة لم يتمكنوا من السيطرة على الانباط، بل كان الانباط على علاقات تحالف وصداقة مع الرومان، وأنهم لم ينضموا الى الامبراطورية الرومانية الا فى وقت متأخر وذلك فى أوائل القرن الثانى الميلادى . =

أن عرب الشمال هم أخوة لعرب الجنوب ، وبالتالى فمن المؤكد - كما يتضح بشكل جلي مما يقوله استرابون بعد ذلك - ألاّ يسلم الانباط أشقاءهم عرب اليمن الى الاجانب وهم الرومان . فسرعان ما تكشفت الحقائق أمام قائد الحملة أيليوس جالوس ، وأنه بدلا من مد يد المساعدة للرومان فى انجاح حملتهم، استطاع الوزير العربى النبطى سولايوس(٢٤) Syllaios أن يضللهم وأن يجعلهم يتكبدون خسائر فادحة . يقول استرابون فى هذا الصدد بناءاً على هذه الاعتبارات بدأ جالوس حملته ، لكنه وقع ضحية لخديعة من قبل مساعدة النبطى سولايوس ، الذى على الرغم من أنه كان قد وعد بارشادهم فى زحفهم ومدهم بكل احتياجاتهم ومعاونتهم، تصرف بطريقه غادرة فى كل الأمور، فلم يشر عليهم بسلوك الطريق السليم المحاذى للساحل ولا بالدرب الآمن عبر البر ، مضللا أياهم عبر أصقاع لا تحوى طرقا البتة أو عبر مسالك متعرجة وخلال بقاع خالية

Pierre Grimal and others, Hellenism and the rise of Rome, (انظر= P. 290,

cf. also Nigel Groom, op.cit., pp.2o2,2o3).

(٢٤) نظرا لعجمة الاغريق وعدم قدرتهم على نطق الاسماء العربية نطقا صحيحا فاننا اخترنا - كما اختار غيرنا - فى معرفة النطق السليم لاسم سولايوسSyllaios فقد ذكره أحد المراجع الاوربية الحديثة على أنه شولاعى Pierre Grimal (Shyllay) نفس المصدر السابق ص ٢٩٥، وسماه لطفى عبد الوهاب يحيى (العرب فى العصور القديمة ص٣٦٤) "الصلاء" أما كاتب هذه السطور فيميل الى القول بأن هذا الاسم اما أن يكون "الصولة" أو "شليح" أو "صويلح" أو "الصل" وكلها أسماء عربية موجودة فى البلاد العربية.

من كل شيء ، أو عبر شواطيء صخرية تفتقر الى وجود الموانيء أو خلال مياه ضحلة أو مملوءة بصخور قابعة تحت الماء، وخاصة وأنه فى أماكن من هذا القبيل كانت حركة المد وكذلك حركة الجزر سبب أشد المحن " (٢٥).

السبب الأول اذن وراء فشل الحملة الرومانية على بلاد اليمن يعود الى اعتماد الرومان على ارشاد العرب المتمثل فى الوزير البنطى سولايوس لهم ، وهنا لم يتم بالطريق الصحيح والسليم كما يذكر استرابون صراحة . أما السبب الثانى فيعزوه استرابون لجهل صديقه قائد الحملة ايليوس جاللوس بطبيعة البلاد التى سيغزوها . ويوضح الكاتب هذا عندما يقول (٢٦) "الخطأ الاول الذى وقع فيه جاللوس هو أنه بنى سفنا طويلة Μακραῖς ای سفنا حربية (٢٧) .حيث لم تكن هناك حرب بحرية وقتذاك أو حتى لم تكن متوقعة، لان العرب ليسوا محاربين ممتازين حتى على البر، بل بائعون (متنقلون) وتجار، ناهيك عن الحرب فى البحر (فهم يجهلونها)(٢٨) . لكن جاللوس لم يبن أقل من ثمانين سفينة، من

---

(٢٥) استرابون ١٦ ، ٤ ، ٢٣ .(٢٦) نفس المرجع السابق .

(٢٧) السفن الطويلة Μακραῖς هى ترجمة اللاتينية للكلمتين naves longae التى تعنى السفن الحربية وليست سفنا طويلة بالمعنى الحرفى للكلمتين .

(٢٨) لا يتفق ديودوروس الصقلى الذى كتب عام ٦٠ ق.م، مع استرابون (٢٥ق.م) فى وصفه للعرب بأنهم قوم يجهلون الحرب على البر وفى البحر بل يصرح (المكتبة التاريخية ٢ - ١) بأن بلاد العرب كانت زاخرة بالرجال الشجعان ، وبأن العرب قوم يعشقون الحرية =

تلك الانواع الثنائية والثلاثية[٢٩]، وقوارب خفيفة عند ميناء كليوبترس (أو هيرونبوليس وهي مدينة السويس حاليا) القريبة من القناة القديمة[٣٠] التي تمتد من النيل، لكنه عندما أيقن أنه خدع تماما، بنى مائة وثلاثين سفينة من سفن النقل (σκευοφόρα) أبحر على ظهورها وبصحبته عشرة آلاف جندي من الشاة مكونين من الرومان في مصر، وكذلك من حلفاء الرومان، الذين كان من بينهم خمسمائة من اليهود، وألف رجل من (عرب) الانباط تحت قيادة الوزير سولايوس وبعد محن ومصاعب جمة وصل بعد أربعة عشر يوما الى ليوكى كومى (القرية البيضاء - الحمراء حاليا)، في أرض الانباط، وهي ميناء ضخم، على الرغم من أنه فقد كثيرا من سفنه، حتى أن بعض هذه السفن فقدت بمن عليها من بحارة وكل شيء فيها بسبب صعوبة الملاحة [١] في القسم الشمالي من البحر الاحمر) وليس بسبب أي عدو وبالرغم من استرابون يتهم الوالي الروماني ايليوس جاللوس قائد الحملة بأنه ارتكب خطأ

= ولا يقبلون الخضوع تحت أي ظرف من الظروف لحاكم أجنبي . وفي مكان آخر يقول (نفس المؤلف ٢ - ٥٤) أن العرب كانوا يحاربون من على ظهور جمالهم وكل جمل كان يحمل فوق ظهره رجلين يجلسان ظهرا إلى ظهر لمحاربة الاعداء القادمين من الامام والمهاجمين من الخلف.

(٢٩) السفن القديمة أنواع منها المكون من طابق واحد من المجدفين ومنها ثنائية وثلاثية الطبقات، والثلاثية أسرعها جميعا، وهي التي طورتها أثينا ابان حرب الاغريق مع الفرس في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وكان لهذا التطوير أثر بالغ على هزيمة الفرس

(٣٠) يتضح من كلام استرابون هذا أن هذه القناة لم يعد لها وجود في عصره والا لذكرها صراحة ولكانت سفن الحملة قد استخدمتها في حالة الحاجة الى تعزيزات من الاسكندرية أو روما مثلا

جسيما عندما وضع ثقته فى الوزير النبطى سولايوس الا أنه وبحكم صداقته لهذا القائد يحاول تبرئته من سوء التقدير من ناحية وبجهله بطبيعة البلاد التى كان يقصد غزوها من جهة أخرى ونراه ينحى باللائمه على الوزير النبطى سولايوس الذى يتهمه بالغدر والخيانة والتآمر وسوء القصد فى هذا الصدد : كان السبب فى ذلك (أى فى الخسائر التى لحقت بالجيش الرومانى) غدر سولايوس، الذى قال أنه لاتوجد طريق (أخرى) يسلكها الجيش الى ليوكى لومى برا من البتراء الى هذا المكان (ليوكى كومى) فى أمان وسهولة، وبأعداد هائلة من الرجال والجمال لدرجة لايختلفون فيها بأى حال من الاحوال عن الجيش (٣١).

ويعلل استرابون نجاح خطة الوزير سولايوس فى الايقاع بالقائد الرومانى أيليوس جاللوس بتضليله وخداعه بسببين : أولهما هو أن الملك النبطى عبادة ترك زمام أمور الدولة بما فيها المسائل العسكرية فى يد وزيره سولايوس ، وثانيهما نتج عن دهاء سولايوس وتفوقه على أيليوس جاللوس فى النواحى الاستراتيجية والعسكرية وكل شىء . فى هذا الصدد يقول استرابون (٣٢).

---

(٣١) يشير استرابون الى استخدام هذا الطريق فى مكان آخر من مؤلفه (١٦ - ٤ - ٢٤) انظر كذلك Ptolemaic Alexandria; Peter Fraser, Vol. II P.176.
كما يشير القران الكريم الى هذا الطريق فى سورة قريش ورقمها ١٠٦،وكان النبى (صلعم) يسافر الى بلاد الشام سالكا نفس الطريق ابان عمله فى التجارة نيابة عن السيدة خديجة رضى الله عنها.

(٣٢) استرابون : ١٦ - ٤ - ٢٤

" مر هذا الامر (أى خداع سولايوس لجاللوس) لان الملك عبادة لم يكن يولى اهتماما كثيرا للشئون العامة ، خصوصا للنواحى العسكرية (وهذا مسلك عام لجميع ملوك العرب) ، ولانه ترك كل شيء فى يدى سولايوس، ولأن سولايوس تغلب بوسيلة غادرة على جاللوس فى الناحية الاستراتيجية فى كل شيء.

يحق لنا أن نسأل هنا عما يعنيه استرابون عندما يذكر أن الملك عبادة شأنه فى ذلك شأن كل الملوك العرب، لم يهتموا بالشئون العامة بما فيها النواحي العسكرية. أيعنى هذا القول أن هؤلاء الملوك كانوا يهتمون فقط بمصالحهم الخاصة وأمور حياتهم الذاتية تاركين شئون الدولة لوزرائهم وعمالهم ؟ أم أنهم كانوا ملوكا ديموقراطيين يملكون ولا يحكمون مثل ملوك الدول اليموقراطية فى العصور الحديثة ؟ فى رأى كاتب هذا البحث يبدو الاحتمال الثانى أكثر رجحانا خصوصا وأن استرابون نفسه يمتدح[٣٣] ملوك الانباط ، ويثنى على روحهم الديموقراطية وتواضعهم الجم ، وخضوعهم للمحاسبة أمام مجالسهم وجمعياتهم الشعبية.

ويطلعنا استرابون على معلومة فى غاية الاهمية والاثارة تتعلق بالهدف الذى رسمه سولايوس لنفسه عندما اشترك فى حملة أيليوس جاللوس فيقول [٣٤] : "كان سولايوس يهدف ، على ما أعتقد (والكلام على لسان استرابون)، الى استطلاع البلاد بمساعدة الرومان بهدف تدمير

(٣٣) استرابون ، ١٦ - ٤ - ٢٦ .

(٣٤) استرابون ، ١٦ - ٤ - ٢٤ .

بعض مدنها وقبائلها ، ثم ينصب نفسه سيدا على الجميع ، بعد أن يكون قد قضى على الرومان بسبب الجوع والارهاق والامراض وكل المصائب التى دبرها سولايوس للغدر بهم ".

كان سولايوس اذن رائدا للوحدة العربية، أى أنه سبق الى المناداة بتوحيد شبه الجزيرة العربية التى بذلت محاولات عديدة لتحقيقها(٣٥) حتى قيض الله لها أن تتحقق بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى طول البلاد وعرضها .

يستأنف استرابون حديثه عن سير الحمله بعد أن عانت ما عانت من مخاطر الملاحة فى خليج السويس وعبر القسم الشمالي من البحر الأحمر ، وبعد أن دمر قسم كبير من سفنه بمن فيها من جنود وما بها من عتاد بالاضافة الي ما أصابهم من جوع وارهاق وأمراض.

يقول المؤلف(٣٦) : "على أية حال بقى جاللوس فى ليوكى كومى بعد أن ابتلى جيشه أثناك بمرض الشلل والعرج فى الأرجل وهما مرضان محليان ، يظهر الأول نوعا من الشلل حول الفم بينما يصيب الآخر الارجل بالعرج ، كلاهما ينتج من تناول الماء والاعشاب المحلية . وعلى كل

---

(٣٥) عن المحاولات التى بذلت لتكون ممالك وامارات فى شبه الجزيرة العربية وبالتالى الى قيام وحدة شاملة فى المنطقة قبل الاسلام . أنظر كتاب لطفى عبد الوهاب يحيى: العرب فى العصور القديمة من ص ٣٤٥ الى ص ٣٥٤ .

(٣٦) استرابون : نفس المكان السابق .

الاحوال اضطر جالوس الى قضاء فصلى الصيف والشتاء[٣٧] هناك ، في انتظار المرضى أن يتماثلوا للشفاء ".

ولا يفوت كاتبنا ، الذى عرف عنه دقة الملاحظة أن يسجل هنا[٣٨] حقيقة مهمة تتصل بمدينة وميناء ليوكى كومى كمركز تجارى تتجمع عندها قوافل الجمال المحلة بالطيوب وغيرها من سلع ، ومنها تنقل هذه الاحمال الى البتراء ، حاضرة الانباط ، ومن هناك الى رينوكولورة[٣٩] . وهى Rhinocolura العريش الان) التي تقع في فينيقية بالقرب من مصر ، ثم ينقل من هناك الى الشعوب الاخرى . وهنا يضيف استرابون ملاحظة اخرى فيقول[٤٠] أنه في عهدة (أى في أوائل عصد الحكم الرومانى في مصر) أصبحت البضائع في معظمها تنقل عن طريق النيل الى

(٣٧) يلاحظ هنا أن الكاتب هو جغرافى مدقق يتحدث عن فصلى الصيف والشتاء ولم يذكر فصل الخريف الذى يتوسطهما. هل فطن الكاتب الى ملاحظة أن منطقة البحر الاحمر لاتعرف الفصول الاربعة كما هو الحال في المناطق المعتدلة . بل أن المنطقة المذكورة لا تشهد غير فصل صيفى طويل وفصل شتوى قصير . وهنا ما يؤسف كاتب هذه السطور ان استرابون لم يشر اليه.

(٣٨) استرابون : نفس المكان السابق .

(٣٩) ومعناها مدينة ذوى الانوف المقطوعة. وقد جاءت هذه التسمية كما تقول القصة التى رواها كل من ديودوروس الصقلى : الكتاب الاول فصل٦٠، واسترابون ١٦ - ٢ - ٣١ من أن الملك الاثيوبى (النوبى) شاباكا Shabaka الذى حكم مصر ابان حكم الاسرة النوبية ، كان ينفى اليها ما يقبض عليهم من المجرمين واللصوص بعد جدع أنوفهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم ويكونوا معروفين لدى الآخرين .

(٤٠) استرابون ، نفس المكان السابق .

الاسكندرية، فبعد وصول البضائع الى ليوكى كومى تفرغ (البضائع الواردة) من بلاد العرب والهند (فى سفن تنقلها من ليوكي كومى عبر البحر الاحمر) فى ميناء ميوس هرموس (ميناء أبو شعر القبلى على الساحل المصرى) ، ثم يتم نقلها على ظهور الجمال الى مدينة قفط (Koptos فى وادى النيل) فى منطقة طيبة وهى تقع على قناة (موصلة الى) النيل ومن هناك الى الاسكندرية (عن طريق النيل).

بعد هذا الاستطراد يواصل استرابون وصفه لمسار الحملة داخل بلاد العرب قائلا [٤١] "ومرة أخرى حرك جالوس جيشه من الحمراء وزحف عبر مناطق معينة حتى أن الماء كان يلزم نقله بالجمال بسبب سفالة الأدلاء[٤٢] ، لهذا السبب استغرق السير أياما كثيرة للوصول الى أرض (الملك) الحارث (Aretasاوهو من أقارب الملك عبادة ، فى هذا المكان استقبله الحارث استقبالا وديا وقدم اليه الهدايا، لكن غدر الوزير سولايوس جعل الرحلة عبر ذلك الاقليم صعبة كذلك ، وعلى أية حال ، تم اجتياز المنطقة فى ثلاثين يوما ، وهذه المنطقة لاتنتج سوى الذرة (Zeia) فقط ، وينمو فيها القليل من نخيل البلح ، وتنتج الزبدة الحيوانية بدلا عن الزيت ، (أو السبب فى طول الوقت الذى استغرقته الرحلة عبر هذا الاقليم)، هو لانهم مروا عبر أصقاع تخلوا من الطرق المعهدة

فى الفقرة السابقة نستوقفنا عدة ملاحظات حول كلام الكاتب منها

---

(٤١) استرابون ، نفس المكان السابق.

(٤٢) مرة أخرى يشير الى الوزير سولايوس ورجاله .

جهله بالمنطقة التى مرت بها الحملة الرومانية بعد مغادرتها ليوكى كومى. فهو لايذكر أى مدينة من المدن بل اكتفى بالقول أن المنطقة يحكمها الملك الحارث وهو قريب عبادة ملك البتراء، وهذا يفسر فى رأيى الاستقبال الودى الذى قوبل به جاللوس وصحبه من قبل هذا الامير ، الذى يحكم منطقة كانت اما مستقله أو أنها كانت تشكل جزءا من مملكة الانباط ، حلفاء الرومان وأصدقاؤهم. شيء آخر نلاحظه هو استمرار استرابون فى هجومه على الوزير سولايوس متهما اياه بالغدر والخيانة المتعمدة لاهداف الرومان الذين وثقوا به واعتمدوا عليه، وهذا التحامل من جهة استرابون على سولايوس منطقى وطبيعى لانه صديق لقائد الحملة ومواطن رومانى. ولكنه من وجهة نظر محايدة موقف متحيز ويبدو هذا التحيز فى تجاهله للوجه الآخر من القضية، وهو ما اعترف به الكاتب صراحة قبل ذلك عندما صرح بأن سولايوس كان يريد توحيد قبائل العرب ومدنهم وقراهم تحت امرته بعد أن يكون قد تم له اخضاعهم بمساعدة الجيش الرومانى وفى نفس الوقت يكون قد تخلص من القسم الاكبر من هذا الجيش بتضليله عبر الطرق الصحراوية الوعرة والخالية من الماء وكل أسباب الحياة.

الملاحظة الثالثة هى أننا لانستطيع أن نكون فكرة واضحة عن منطقة الحارث التى أشار اليها الكاتب. ولا ندرى أن كانت هذه المنطقة هى الحجاز حيث واحة المدينة المنورة (يثرب آنذاك) أو مكة المكرمة حيث يقع وادى فاطمة على مقربة منها وكلها مناطق تجود ببعض المحاصيل الزراعية وبنخيل البلح ويمتهن معظم من الثروة الحيوانية، التى يحصل منها السكان على حاجتهم من الزبدة

واستخدامها بديلا عن الزيوت النباتية كما يشير بذلك استرابون.

تواصل الحملة تحركها، فيقول الكاتب[٤٣] "الاقليم التالى الذى عبره جاللوس كان يقطنه قوم من البدو، ودونى حقيقة أمره اقليم صحراوى فى معظمه، وكان يطلق على هذا الاقليم أرارنيه (Ararene)؛ ويحكمه الملك صعب (Sabos) ونى مروره خلال هذه المنطقة عبر جاللوس ، أجزاء خالية من الطرق، وبعد أن قضى خمسين يوما في مسيرته، وصل بعدها الى مدينة نجران".

فى الفقرة السابقة من وصفه يطلعنا استرابون على بعض المعلومات: منها أن المنطقة التى عبرها الجيش الرومانى هذه المرة صحراوية فى معظمها ويسكنها قوم من البدو، ويقول أن اسمها أرارينة ونحن لانستطيع تحديد هذا الاسم بشكل دقيق فلربما كان عرعر أو عرار وكلها أسماء معروفة في شبه الجزيرة العربية كذلك لم يحدثنا استرابون عن ملك تلك المنطقة صعب وموقفه من الحملة، كما هوالحال عندما ذكر أقليم الملك أو الامير الحارث وكيف أنه من أقرباء عبادة ملك البتراء وبالتالى فهو حليف للرومان، أما عن صعب فقد لزم الكاتب الصمت على كل حال يبدو جليا أن المنطقة التى كانت تحت نفوذ صعب لم تكن خاضعة للانباط والا لكان استرابون ذكر ذلك ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو هل كان أقليم ارارنيه الذى يحكمه صعب محايدا فى موقفه من هذه الحملة؟ هنا لانجد اجابة صريحة من الكاتب، لكننا نستطيع الاستنتاج من أن سكوت استرابون عن تبيان موقف صعب أنه (أى صعب) التزم الحياد فعلا،والا فلماذا اذن لم يرحب بتقدم الجيش الرومانى اذا كان مؤيدا كما فعل الحارث أو لماذا لم يتصدى له ويقاومة اذا كان معارضا لزحفه كما فعل عرب الجنوب بعد ذلك ؟

(٤٣) استرابون : نفس المكان السابق.

بعد ذلك ، يخبرنا استرابون "وصل (الجيش) الى مدينة نجران (Negrani) والى اقليم يسود ربوعه السلام ويمتاز بخصوبته، وهنا هرب الملك (يقصد حاكم نجران) وتم الاستيلاء على المدينة فى أول هجوم".

فى نجران اذن، حسب رواية استرابون، اختلف الوضع عنه فى ارابنة منطقة نفوذ صعب، ففى هذه المنطقة الأخيرة لم يعترض الملك سبيل الحملة بينما فى الاولى تحدد بداية الصراع بين عرب الجنوب والغزاة الرومان ، لكن للاسف لم يبذل ملك نجران أية مقومة للغزو بل نجده على عكس ما كان متوقعا منه يتخلى عن قومه ويلوذ بالفرار تاركا مدينته تفتح للغازى أبوابها بدون بذل أدنى مقاومة.

بعد نجران ، على كل حال، يواجه الجيش الرومانى مقاومة حقيقية من أهل الجنوب العربى فى هذا الصدد يقول استرابون [٤٤]"ومن هناك(من نجران)وصل (جالللوس) الى النهر (لم يذكر استرابون اسم هذا النهر) بعد ستة أيام، فى هذا المكان اشتبك البرابرة[٤٥] (يقصد العرب)فى معركة مع الرومان، فسقط منهم حوالى عشرة آلاف قتيل، بينما لم يفقد الرومان غير فردين فقط، لانهم (أى العرب) لم تكون لديهم دراية باستعمال السلاح، لكونهم غير لائقين البتة للحرب، فقد كانوا يستخدمون الاقواس والحراب والسيوف والمقاليع، وأن كان معظمهم يستعمل البلطة، بعد ذلك مباشرة استولى على المدينة المسماة أسكة (Aska) وهى نشق [٤٦] التى كان ملكها قد هجرها،

---

(٤٤) استرابون ، نفس المكان السابق.

(٤٥) تعنى كلمة (Barbaroi) فى اللغة اليونانية القديمة وما يقابلها فى اللغة اللاتينية "Barberi" اولئك الذين يتكلمون بلغة غير مفهومة لهم ،من ثم تعنى الاجانب. وهى تساوى عند العرب كلمة الاعاجم. والكلمة فى الاصل لم تكن تحتمل المعنى السيء الذى اكتسبته بعد ذلك فى اللغات الاوربية الحديثة.

(٤٦) انظر Nigel Groom كذلك Pierre Grimal, op,cit. P.295

ومن هناك زحف صوب مدينة تدعى أثرولة (Athrula) وهى باثل)، وبعد أن سيطر عليها بدون قتال، ترك حامية فيها، وقام بعمل الترتيبات لمؤنة من القمح والتمر استعدادا لمواصلة الزحف، ثم تقدم الجاه (مدينة مارسيابه Marsiaba أى مأرب) التى تتبع قبيلة (قوم ، عشيرة) ردمان (Rhammanitae) رعايا (الملك) الاعصر أو الاعسر أو العسيرى[٤٧](Iliasaros) عندئذ هاجم أيليوس جالوس المدينة وحاصرها لمدة ستة أيام، لكنه انسحب (منها) نظرا لنقص لديه فى امدادات المياه. لقد كان فى الحقيقة على مسيرة يومين فقط من المنطقة التى تنتج الطيوب (وجهته ومقصده) كما أبلغه أسراة "، ولكنه كان قد قضى ستة أشهر فى زحفه (الى أن وصل أى هذه المنطقة) بسبب فساد الدليل، ولقد عرف أيليوس الحقيقة عندما قفل راجعا، وعندما أبلغ مؤخرا بالمؤامرة (التى حيكت) ضده ، وفى طريق العودة سلك طرقا أخرى (غير التى جاء منها) لانه فى اليوم التاسع(من مغادرته لمأرب) حل بنجران حيث حدثت المعركة".

فى القتال الذى دار بين العرب من جهة والرمان وحلفائهم من جهة أخرى قرب مدينة مأرب يبرز استرابون تفوق الرومان على أعدائهم سواء من ناحية الاعداد الجيد أو التسليح المتطور[٤٨]. أضف الى ذلك أن معظم الحكام العرب عن مواطنيهم فى وقت الشدة كما حدث عندما هرب

---

(٤٧) لديهود تسمية منطقة عسير (والعسيرى) الحالية .op. cit., P.186 الى هذا الرجل.

(٤٨) كان الرومان يتفاخرون بانهم امة محاربة وهم يزعمون بانهم انحدروا من مارس اله الحرب عندهم. والمعروف أن الشعب الرومانى اعتمد منذ بداية تاسيس دولته فى روما على اعداد نفسه للحرب والقتال ومن ثم الغزو والتوسع. وكان جنودهم محترفين يقضون حياتهم فى التدريب الشاق لمواجهة الحرب الحقيقية وهذا سر انتصاراتهم المتكررة وهزيمتهم للشعوب.

ملكا نجران ونشق. وهذا ولاشك أدى الى أضعاف الروح المعنوية للسكان هناك. ومع ذلك يعترف استرابون بأن العرب قاتلوا ببسالة عند نجران وأوقعوا بالرومان بعض الخسائر من جهه أخرى يبدو أن السكان العرب أخذوا فى معظم الاحيان على غرة

هذه الأسباب مجتمعه تعزز رأينا فى أن المعركة بين الطرفين لم تكن متكافئة.

ومع ذلك فانه بالرغم من انتصارات الرومان فى وبالقرب من نجران وفى نشق وباتل الا أنهم فشلوا فى اقتحام مدينة مأرب. وهذا الفشل يعزوه المؤلف الى نقص فى امدادات المياه لدى الرومان وهو غير صحيح الى حد بعيد. فالمنطقة التى تقع فيها مدينة مأرب تعد من أخصب بقاع بلاد العرب وبها ينابيع عديدة وغزيرة المياه (٤٩).لكن استرابون وهو متعاطف مع الرومان بحكم وضعه وصداقته لقائد الحملة - ربما لم يشأ القول أن الرومان وجدوا فى مأرب الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها أحلامهم بعد أن صمدت أمام حصارهم ستة أيام. فلو كان لدى الرومان مقدرة حقيقية لما استطاعت هذه المدينة الصمود فى مواجهتهم، ولاستمروا فى زحفهم لبلوغ هدفهم فى الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية الغنية بمنتجاتها من الطيوب والتوابل والبخور والمعادن النفيسة خصوصا وأنهم علموا من أسراهم، كما يشير استرابون ، بأنهم باتوا على مسافة

(٤٩) انظر Nigel Groom, op.cit., P.75

قريبة منها قدرها الكاتب بمسيرة يومين فقط ويعلق استرابون[٥٠] على سبب انسحاب الرومان وتراجعهم عن مواصلة الحملة الى ما عانوه من ويلات فى طريق زحفهم من أمراض خطيرة وأوبئة فتاكة ووعورة فى المسالك وطول الوقت الذى استغرقه زحفهم وهو ما يعزوه الكاتب الى تضليل سولابوس المتعمد لهم. وقد تكشف صحة هذا الادعاء لدى جاللوس فى طريق العودة وقد أبلغ ساعتها بالمؤامرة التي حيكت ضده من هذا الوزير المسئول عن ارشاد الحملة وتدبير وسائل الانتقال لها. فعندما تنبه جاللوس لذلك سلك طرقا مغايرة تماما لتلك التى جاء منها. وقد تأكد للقائد الرومانى صحة المؤامرة النبطية عندما استغرقت رحلة العودة من مأرب الى ميناء الحجر (Egra الوجه حاليا؟) وهى تقع الى الشمال من ليوكى كومى التى بدأ منها الزحف ستين يوما فقط فى حين قضى ستة شهور فى طريق الذهاب.

يقول استرابون عن طريق العودة[٥١]: " عرف (أيليوس) الحقيقة عندما ظل راجعا، وبعد ما أحيط علما مؤخرا بالمؤامرة التى دبرت ضده سلك فى طريق العودة طرقا أخرى ، لانه حل فى اليوم التاسع بنجران ،

---

(٥٠) استرابون - نفس المكان السابق.

(٥١) استرابون - نفس المكان السابق .

حيث نشبت المعركة (أول معركة يخوضها الرومان ضد العرب)، ثم في اليوم الحادي عشر (وصل) الى المنطقة المسماة "الابار السبعة" كما كان يطلق عليها، من كون أنه وجدت في هذا المكان سبعة آبار ، ومن هناك، أخيرا سار خلال منطقة آمنة، فوصل الى قرية شالة (شعلة Chaala)، وكذلك الى قرية أخرى يقال لها مالودة (Malotha) ،وهي تقع على مقربة من نهر، وبعدها سار عبر منطقة صحراوية ، ليس فيها الا مصادر قليلة للمياة . حتى حل في قرية تسمى الحجر. وهي تقع ضمن أراضي عبادة (ملك الانباط) وتطل على البحر (الاحمر) وفي طريق العودة أكمل (أيليوس) رحلته كلها في ستين يوما، في حين أنه قضى في رحلة الذهاب سته أشهر. ومن هناك نقل (بالسفن) جيشه الى ميناء ميوس هرموس (ميناء أبي شعر القبلي على ساحل البحر الاحمر من الجانب المصري) في أحد عشر يوما، وسار برا (بقوافل الجمال) الى قفط (في وادي النيل)، وصل ومعه جميع الذين واتاهم الحظ الكافي للنجاة الى الاسكندرية (عن طريق النيل). أما البقية (من رجاله) فقدهم لافي الحرب ولكن بسبب المرض والارهاق والجوع وسوء الطرق، لانه لم يمت في هذه الحرب سوى سبعة رجال، لهذه الأسباب، أيضا لم تضف هذه الحملة الى حد بعيد الي معرفتنا بتلك المناطق، لكنها مع ذلك أسهمت أسهاما طفيفا في هذه المعلومات. من جهة أخرى نال الرجل الذى كان مسئولا عن هذا الفشل وأعني به سولايوس، عقوبته في روما، حيث على الرغم من نظاهره بالصداقة (لروما) تمت محاكمته وادانته بالاضافة الى صفاقته في

هذا الامر، بمخالفات أخرى، وأعدم بقطع رأسه".

مما سبق نلاحظ أن أبليوس بعدما علم بتآمر سولابيوس عليه لافشال حملته توقف عن استخدامه دليلا له ومرشدا فى طريق العودة مع أن استرابون لم يصرح بذلك ولم يقل لنا أى شيء عن رد فعل جالوس عندما عرف خيانة حليفه النبطي، ولم يتعرض لسولابيوس الا عندما أبلغنا باداناته فى روما واعدامه. فهل قبض أبليوس على سولابيوس فى طريق العودة؟ وأين ومتي؟ الشيء للملاحظة أن استرابون لزم الصمت حيال هذا الموضوع.

الذى يلفت النظر هنا أن نجد أبليوس جالوس يسلك فى طريق الانسحاب طرقا غير تلك التي سلكها فى طريق التقدم صوب الجنوب العربى ، لدرجة أنه اختصر وقت العودة الى الثلث. ففي حين قضى ستة أشهر فى الذهاب استغرقت رحلة الاياب ستين يوما فقط هذا الرغم من أنه تجاوز نقطة البدء (اليوكى كومى) ووصل الى الحجر الى الشمال منها. يلاحظ كذلك أنه لم يواجه أية مقاومة فى طريق العودة ولم يجر أى اتصال لا بالملك الحارث ولا بغيره، فلربما يكون قد تلافى أن يمر على مدن معادية. ونلاحظ أيضا أنه بسبب ما لاقاه من صعوبة فى الملاحة فى القسم الشمالى من البحر الاحمر وفي خليج السويس نراه يعبر البحر الاحمر من الشوق (من الوجه)الى ميناء ميوس هرموس على الساحل المصرى ويقطع المسافة فى أحد عشر يوم، ومن هنا (بقوافل الجمال) عبر الصحراء الشرقية الى مدينة فقط فى منطقة طيبة فى الصعيد الاعلى

بحر ومنها عن طريق قناة ملاحية موصلة الى النيل ثم بركب النيل حتى الاسكندرية ومن هناك الى روما عبر البحر الابيض المتوسط.

لكن لماذا جعل ابليوس عودته من بلاد العرب ميناء الحجر مع أنه كما سبق القول كان أبعد نقطة من ميناء ليوكى كومى حيث ميناء الحجر الى الشمال من ليوكي كومى؟ يمكننا أن نستنتج بسبب ذلك من كلام استرابون الذى أوردناه فى بداية مقالنا هذا،وهوأن أبليوس كان قد تنبه الي خطورة الإمراض المنتشرة انذاك عندما وصل الي ليوكي كومي خصوصا بعد أن عانى منها في بداية الحملة.

وهناك مسالة أخري برزت في كلام اسرابون تتعلق بدور اليهود في تلك الحملة، فقد استعان بهم الرومان وكانوا، كما يقول استرابون، كالانباط حلفاء للرومان، ويتضح أيضا أن اليهود كانوا أشد التصاقا بالرومان وأقرب اليهم من عرب الانباط، ويبدو أن الرومان كانوا يدورهم يفضلونهم عن العرب بدليل ورود ذكرهم في كلام استرابون قبل العرب بالرغم من أن عدد اليهود الذين اشتراكوا في الحملة المذكور بلغ نصف عدد عرب الانباط فيها. فاليهود كانوا قبل الرومان باستمرار يضعون أنفسهم تحت خدمة القوي الكبري المسيطرة علي المنطقة.

فقد فعلوا ذلك مع الفرس والبطالمة السلوقيين(٥٢). والملاحظ أن اليهود ظلوا طوال العصور في اتباع نفس السياسةوهي الالتصاق بالقوي الكبري. فقد فعلوا لك مع الالان وحاولوا نفس الشيء مع الدولة العثمانية لكنهم فشلوا ثم ارتبطوا بفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

نعود مرة أخري لاخبار الحملة الرومانية، فقد لاحظنا فيما سبق أن سير الحملة توقف عند مدينة مأرب عاصمة السبئيين بعدها قفل الرومان عائدين أدراجهم بعد أن صمدت المدينة لحصارهم الذي دام ستة أيام وعز عليهم اقتحامها عنوة. معني ذلك أن الرومان لم تتح لهم الفرصة في دخول بلاد اليمن الحقيقية ومن ثم لم يتمكنوا من معرفة تلك البلاد علي الطبيعة وقد ذكر ذلك صراحة المؤلف كما أشرنا سالفا. والذي أضاف أن الرومان استقوا معلوماتهم عن تلك البلاد من أسراهم العرب.

مما سبق يتضح أن حملة الرومان بقيادة أيليوس جاللوس إلتي

---

(٥٢) كان اليهود مقربين الي الفرس حتي أن مؤسس دولة الفرس الاولي المعروفة بالاخيمنشية قورش الاكبر أعادهم من السبي الي فلسطين واستخدمهم في جيشه وعندما تم غزو مصر في عهد خليفته قمباز(قمبيز) عام ٥٢٥ ق.م كانوا ضمن قواته حتي أنه عثر علي برديات آرامية في جزيرة أسوان (البفانتين) تتعلق بالجنود اليهود الذين كانوا ضمن حامية فارسية هناك. أما في مصر تحت الحكم البطلمي فقد عوامل اليهود كمواطنين من درجة أعلي من أهل البلاد وسمح لهم ببناء المعابد ومجلس الشيوخ (Gerousia) وترجمت التوراة (العهد القديم) الي اليونانية فيما يعرف بالترجمة السبعينية لصالح يهود مصر وتمتعوا بالكثير من المزايا والاعفاء من بعض الضرائب وغيرها ويصدق هذا القول أيضا علي يهود الدولة السلوقية.

وجهوها لاستيلاء علي بلاد العرب الجنوبية منيت بالفشل الذريع ولم تحقق أغراضها المنشودة. وتعود أسباب الفشل الي أسباب وعوامل متعددة منها.

اولا : سوء التخطيط للحملة من جانب الرومان كما أشار بذلك صراحة استرابون ويتمثل ذلك في بناء سفن حربية كبيرة الحجم. بأعداد ضخمة مع أنها لم تكن ضرورية علي الاطلاق نظرا لان الصراع لم يكن في البحر انما على البر.

ثانيا :اقلاع الاسطول الرومانى من عمق خليج السويس فى الشمال ومروره بشمال البحر الاحمر المعروف بصعوبة الملاحة فيه الى حد كبير. وكان بالامكان جعل السفر عن طريق النيل جنوبا وحتى قفط فى صعيد مصر ومن هناك عبر الصحراء الى ميناء ميوسى هرمس (أبو شعر القبلى) على البحر الاحمر ثم الابحار من هناك الى سواحل شبه الجزيرة العربية الغربى.

ثالثا : نزول الجيش الروماني في ميناء ليوكي كومي(الحوراء) العربي النبطي والمنطقة كما يصفها الكاتب موبؤة بالامراض المتوطنة التي فتكت بالعديد من رجال الحملة وقد استفاد الرومان من هذا درسا جعلهم يتفادون هذا الميناء في طريق العودة. وهم منهكين مهزومين- يتعدونه شمالا ويستخلصون ميناء الحجر(الوجه) نقطة انطلاقهم في طريق العودة بحرا الي الشاطيء المصري المقابل عند ميناء ميوس هرموس. وهنا أيضا استفادوا من تجربتهم في طريق الذهاب فتفادوا منطقة الخطر المتمثلة في

صعوبة الملاحة في شمال البحر الاحمر وخليج السويس.

رابعا : اعتماد الرومان في تعزيز قوتهم على الاجانب وعرب الانباط وعلى قيادة وارشاد الوزير العربي النبطي سولايوس، الذي- على حد زعم استرابون- غرر بهم في مسالك ودروب وعرة وغير آمنة، لانه كان يضمر لهم الهلاك والهزيمة، وفي نفس الوقت أراد الاستفادة لنفسه من هذه الحملة. فقد أراد سولايوس- بعد هلاك الرومان- أن يقيم لنفسه مجدا ،ملكا على حساب الرومان الذين وضعوا ثقتهم الكاملة فيه وأعتمدوا عليه. فخطط لتوحيد العرب الذين كان متفرقين في دويلات وقبائل متناحرة كما هو واضح من وصف استرابون لهم. و هذه لعمري فكرة رائدة لاقامة كيان عربي موحد. وقد اتضح جهل الرومان وقائد حملتهم جاللوس بجغرافية بلاد العرب وأحوالها عندما ساروا خلف سولايوس في أرض فقراء وطرق وعرة ومتعرجة وأماكن خالية من المياه وأسباب الحياة.

خامسا : فبالرغم من أن حملة الرومان لم تجد مقاومة كافيةً في المناطق التي جاست خالها الا أنها في المرحلة الاخيرة، ووجهت بأشد المقاومة وأعنفها بدءا من نجران وانتهاء بمدينة مأرب عاصمة السبئيين التي صمدت لحصار الرومان مما اضطرهم لفكه والعودة من حيث أتوا يجرون أذيال الخيبة والفشل الذريع وبذلك لم يتحقق هدفهم الذي جردوا حملتهم من أجله ألا وهو الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية ذات الصيت الواسع في الغنى والثراء والمتحكمة كذلك في طرق التجارة البرية

والبحرية خصوصا الطريق الذي يخترق البحر الاحمر وباب المندب والتي تنتقل عبره البضائع القادمة من بلاد الشرق كالهند وبلاد العرب وشرق أفريقية وغيرها.

ملاحظة أخرى ترتبط بتركيز الكاتب وصفه علي الجانب الغربي لشبه الجزيرة العربية وهو تقليد دأب عليه الكاتب الكلاسيكيين بصفة عامة، فاسترابون كغيره ركز علي منطقتين اثنين من شعوب غرب الجزيرة الا وهما الانباط في الشمال، وقد كانت حكومتهم وقت كتابة استرابون حليفة الرومان. وهو سبب رئيسي جعل حديثه عنهم يتسم بدرجة كبيرة من الدقة والوضوح، هذا الي جانب كونها أقرب المناطق العربية الي ولايات الامبراطورية الرومانية. في حين ظهر في وصف الكاتب لبلاد اليمن عدم توخي الدقة ويرجع ذلك الي عدة أسباب، منها أن معلومات استرابون عن بلاد العرب الجنوبية أستقاها من مصادر مختلفة- لكتاب اغريق سابقين عليه. وأن هذه المصادر كتبت في فترات زمنية متباعدة مما يجعل صورة البلاد وأحوالها تبدو مختلفة ومتناقضة، أضف الي ذلك أن استرابون نفسه- كما أسلفنا- لم يرافق الحملة كما سبق أن أشرنا. كذلك لم يدخل الرومان بلاد العرب الجنوبية بعد أن فشلت حملتهم المذكورة في اقتحام مأرب عاصمة السبئيين. وهذا يفسر قلة المعلومات التي أضافتها الحملة عن هذه المنطقة المهمة من بلاد العرب.

ملاحظة أخري يجدر بنا ذكرها وهي الاسباب التي جعلت الكاتب استرابون يركز علي غرب الجزيرة في حين لم يعر الا الاهتمام القليل

للمناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي الفارسي.

تفسير اهماله لهذه المناطق، في رأيي- يعود الي كون الخليج وشرق شبه الجزيرة بعيدين عن متناول الرومان نظرا لسيطرة دولة الفرثيين (Parthi) علي شمال الخليج، وأن بلاد الرافدين كانت ضمن ممتلكاتهم، ولهذا فقد تركزت اتصالات الامبراطورية الرومانية ببلاد الهند والشرق بصفة عامة في طريق البحر الاحمر ومضيق باب المندب وبحر العرب والمحيط الهندي وأصبح طريق تجارتها هو الطريق الوحيد المار عبر هذه البحار. وهذا يفسر الاسباب والدوافع الكامنة وراء محاولة الرومان السيطرة علي بلاد اليمن التي كانت ولاتزال في هذا الطريق.

ملاحظة أخيرة تتعلق باشتراك قوتين من عرب الانباط واليهود. في هذه المسألة لم يخبرنا الكاتب صراحة عن كيفية انضمامهم الي الحملة المذكورة. فهل التحقوا بها في ميناء ليوكي كومي النبطي؟ أم أن اليهود علي الاقل قدموا مع الحملة من مصر التي كانت تعيش فيها جاليةيهودية كبيرة في ذلك الوقت؟

ملخص القول أن الحملة الرومانية بقيادة ايليوس جالوس علي البلادالعرب فشلت فشلا ذريعا في تحقيق أهدافها للاسباب المتعددة التي ذكرناها، لكنها كما ذكر استرابون، أفادتنا ببعض المعلومات الطفيفة عن بلاد العرب. عن هذه المعلومات التي جمعتها الحملة عن بلاد العرب سنخصص بحثنا الثالث عن استرابون وبلاد العرب ان شاء الله.

د.محمد عبودي ابراهيم

قسم الاثار والدراسات اليونانية ،الرومانية كلية الآداب جامعة الاسكندرية

١ - مصادر البحث

1 - Diodoros siculus, Library of History, L.C.L.

2 - Herodotos, Histories, (L.C.L).

3 - F. Jacoby, Die Fragmente der Griechischen Historiker, Vol. 3.C.

٤ - Strabon, Geography, (L.C.L) BK : XVI .

5 - Theophrastos, Historia plantorum (L.C.L).

٢ - مراجع البحث العربية

د. لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة، مراحل حضارى فى تاريخ العرب قبل الاسلام (دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩).

د. محمد بيومى مهران : الديانة العربية قبل الاسلام . الاسكندرية .

٣ - مراجع البحث الاجنبية

- Bunbury, E.H., A History of Ancient Geography II Vols (Dover - New York, 1959).

- Cary, M. and Haarhoff, T.J., Life and Thought in the Greek and Roman World.

(Methuen. U.P London, 1966).

- Fraser, P., Ptolemaic Alexandria, Vol. I. (Oxford 1972).

- Grimal, Pierre and Others, Hellenism and the Rise & Rome. (Weidenfeld and Nicolson - London 1968).

- Hourani F., Did Roman Commercial Competition Ruin South Arabica, Journal of Near Eastern Studies, ll - 12 - (1952 - 1953) PP. 291 - 295.

- Walton, Brian G. and Higgins William R., The Greek and Roman Worlds, (U.P.of America, 1980).